

أبو علي مسكويه الرازي

تجارب الأمم

تحققه وتقديمه

الدكتور أبو القاسم

الجزء الخامس

دار مؤشس لطباعة والنشر
طهران - ۱۳۵۷ ش



تجارب الأمم



مرکز تحقیقات کتاب و تفسیر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

کتابخانه

مرکز تحقیقات کتابداری علوم اسلامی

شماره ثبت: ۰۰۳۵۷۳

تاریخ ثبت:

أبو علی سکویه الرازی

(۳۲۰-۴۲۱)

تجارب الأمم

حقه وقدم له

الدكتور أبو القاسم امامي



مرکز تحقیقات کتابداری علوم اسلامی
الجهد الخامس

دار نشر للطباعة والنشر

طهران ۱۳۷۷ ش ۱۹۹۸ م

ابن مسكويه، احمد بن علي، ٢٢٠ - ٢٤١ ق.
تجارب الامم / ابو علي مسكويه الرازي، دلتة و
قدم له ابو القاسم امامي، - طهران: دارسروش
للطباعة والنشر، ١٩٨٧ م. = ١٤٠٧ ق. = ١٣٩٩ -

ج.
بها: ١٨٠٠ ريال (ج. ١): بهاى هر جلد متفاوت.
ISBN 964-435-331-5 (set):
ISBN 964-435-327-7 (v. 4)
فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیها (فهرست نویسی
پیش از انتشار).

عربی.
پشت جلد لاتین شده: Miskawayh. Tajarib
al-umam (experiences of nations).
کتابنامه.

جلد پنجم (چاپ اول: ١٣٧٧): بها: ١٩٠٠٠ ريال
(جلد شصت و پنج): ١٩٣٠٠ ريال (جلد زرکوب).

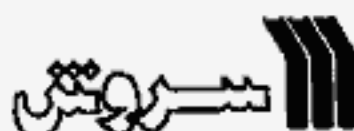
ISBN 964-435-328-5 (v. 5)
١. اسلام -- تاریخ -- متون قدیمی تا قرن ١٤.
٢. تاریخ جهان -- متون قدیمی تا قرن ١٤. ٣. ایران
-- تاریخ -- متون قدیمی تا قرن ١٤. الف. امامی.
ابو القاسم، ١٣١٣ - ممدج، پ. صدا و سیما
جمهوری اسلامی ایران. انتشارات سروش. ج. عنوان.

٩٠٩/٠٩٧٩٧١

DSF6/93/دک ١٣٥٣

*٩٣٤-٩٦٦

کتابخانه ملی ایران



انتشارات صد و سیما جمهوری اسلامی ایران

طهران، شارع الاستاذ مطهری، مفترق الدكتور مفتع بنایة جام جم، رقم ٢٢٨
مركز التوزيع: مجتمع سروش الثقافي، المعاونة التجارية، رقم التليفون ٦٤٠٤٢٥٥

العنوان: تجارب الأمم (المجلد الخامس).

المؤلف: أبو علي مسكويه الرازي.

تحقيق: الدكتور أبو القاسم امامي.

تنفيذ الحروف والاخراج: دار البصائر للخدمات الثقافية.

الطبعة الأولى: ١٣٧٧ ش / ١٤١٩ ق / ١٩٩٨ م.

عدد النسخ: ٣٠٠٠ نسخة.

طبع هذا الكتاب بجميع مراحل الطبع في مطابع دار سروش للنشر.

جميع حقوق الطبع محفوظة للناسخ.

شابک: ٥ - ٢٢٨ - ٤٣٥ - ٩٦٤ (جلد پنجم) ISBN: 964 - 435 - 328 - 5 (VOL. 5)

شابک: ٥ - ٣٣١ - ٤٣٥ - ٩٦٤ (دوره ٧ جلدی) ISBN: 964 - 435 - 331 - 5 (7VOL.SET)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ وَاهِبِ الْعَقْلِ

ودخلت سنة أربع وثمانين ومائتين^(١)
قدوم رسول عمرو بن الليث برأس ابن هرثمة
وفيهما قدم رسول عمرو بن الليث برأس رافع بن هرثمة في المحرم. فأمر
المعتضد برفعه ونصبه في الجانب الشرقي، ثم تحويله إلى الجانب الغربي إلى
الليل، ثم رده إلى دار السلطان.^(٢)

أُمُور قام بها المعتضد
وفي هذه السنة عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر،
وأمر بإنشاء كتاب يُقرأ على الناس.
فخوّفه عبيد الله بن سليمان ذلك وقال :
« إِنَّ الْعَامَّةَ تَضْطَرُّبُ. »

١. أسقط ايمدروز من ابتداء هذا الجزء، أي من سنة ٢٨٤ إلى ابتداء خلافة المقتدر بالله في سنة ٢٩٥، ما يشغل ٥٦ صفحة من صفحات الجزء الخامس من مخطوطة أياصوفيا (الأصل)، وهو يريد أن يبدأ نشر تجارب الأمم من حيث ينتهي الطبري، فبدأ بآخر خليفة ذكر في تاريخ الطبري.

٢. انظر الطبري (١٣ : ٢١٦٠).

فلم يلتفت إليه .

فكان أول ما ابتدأ به من ذلك أن تقدّم^(١) إلى العامة بلزوم أعمالهم، وترك الاجتماع والعصبيّة والشهادات عند السلطان، وأن لا يُسألوا عن شهادة إن كانت عندهم، ومنع القصاص من الجلوس على الطرقات، وعُملت بذلك نسخ قرئت^(٢) بالجانبين بمدينة السلام وفي الأرباع والمحال والأسواق.

ثمّ منع يوم الجمعة أهل الجانبين من أهل الحلق والفتيا وغيرهم من القعود في المسجد الجامع، ومنع الباعة [3] من القعود في رحابها، وتُودى في المسجد الجامع بنهى الناس عن الاجتماع على قاص وغيره. ثمّ تُودى في الجانبين والجامعين بأنّ الذمة بريئة^(٣) ممّن اجتمع على مناظرة أو جدل، وأنّ من فعل ذلك أحلّ بنفسه^(٤).

وتقدّم إلى من يسقى الماء وأمثالهم في الجامعين ألا يترحموا على معاوية ولا يذكره.

إخراج كتاب اللعن

ثمّ تقدّم المعتضد بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه وفيه مثالب معاوية، ولعنه بعد ذلك فأخرج وهو كتاب طويل^(٥).

فحكى أنّ عبيد الله بن سليمان أحضر يوسف بن يعقوب القاضي وأمره أن يعمل الحيلة في إبطال ما عزم عليه المعتضد خوفاً من فتنة تقع^(٦).

١. كذا في الأصل : تقدّم. في مط : يقدم. وهو خطأ.

٢. في مط : قربت. وهو خطأ.

٣. ضبط الأصل : بريّة.

٤. في الطبري : بنفسه الضرب. (١٣ : ٢١٦٠).

٥. انظر الطبري (١٣ : ٣١٦٥).

٦. انظر الطبري (١٣ : ٢١٧٧).

فمضى القاضي يوسف فكلّم المعتضد وقال :
 - «إني أخاف أن تضرب العامة عند سماع هذا الكتاب، وتكون لها
 حركة.»

فقال : «إن تحركت العامة أو نطقت، وضعت سيفي فيها.»
 فقال : «يا أمير المؤمنين فما تصنع بالطالبيين الذين هم في كلّ ناحية
 يخرجون ويميل إليهم خلق كثير ومآثرهم^(١) في هذا الكتاب، وإذا سمع
 الناس هذا كانوا إليهم أميل أو كانوا هم أبسط السنة وأثبت حجة [4] منهم
 اليوم.»
 فأمسك عنه المعتضد فلم يرّد عليه جواباً ولم يأمر بعد ذلك في الكتاب
 بشيء.

لحوق بكر بمحمد بن زيد العلوي بطبرستان
 وفيها لحق بكر بن عبد العزيز بمحمد بن زيد العلوي بطبرستان وبدر مقيم
 بالجبل^(٢) ينتظر أمر بكر إلى ماذا يؤول. فورد الخبر بعد زمان أنّه مات
 بطبرستان.

وثوب أبي ليلي على شفيع الخادم وقتله
 وورد الخبر من إصبهان بوثوب أبي ليلي الحارث بن عبد العزيز على
 شفيع الخادم الموكل به وقتله.

١. في الأصل : وما آثرهم والتصحيح منّا بوحى من الطبرى حيث قال : ويميل إليهم كثير من الناس
 لقرايتهم من الرسول وماثرهم وفي هذا الكتاب إطراؤهم. (الطبرى ١٣ : ٢١٧٨).
 ٢. الجبل : في الأصل : بالحبل. وما أثبتناه عن الطبرى (١٣ : ٢١٧٨).

ذكر الخبر عن ذلك

كان أخوه عمر أخذه فقيده وحمله إلى قلعة لأبى دلف بالزّز^(١) وحبسه فيها وكل ما كان لأبى دلف من مال ومتاع نفيس وجوهر كان فى هذه القلعة، وشفيع مولاهم يحفظ القلعة وكل ما فيها^(٢) ومعه جماعة من غلمان عمر وثقاته. فلما استأمن عمر إلى السلطان وهرب بكر عاصياً للسلطان بقيت القلعة بما فيها فى يد شفيع وأبو ليلى مقيد مسلم إليه.

فكلّمه أبو ليلى فى إطلاقه فأبى وقال :

- « لا أخون صاحبى عمر. »

فحكّت جارية لأبى ليلى فى الحبس، أنه كان معه غلام صغير يخدمه وآخر يخرج فى حوائجه ولا يبيت عنده، فأما الصغير فيبست عنده. فقال أبو ليلى [5] لغلامه الذى يدخل ويخرج فى حوائجه :

- « احتل لى فى مبرد كيف شئت. »

ففعل الغلام وأدخله فى شىء من طعامه. وكان شفيع يجرى فى كل ليلة إذا أراد أن ينام إلى البيت الذى فيه أبو ليلى، حتّى يراه، ثم يقفل عليه باب البيت هو بنفسه ويمضى فينام وتحت فراشه سيف مسلول. وكان أبو ليلى قد سأل أن تدخل إليه جارية، فأدخلت إليه جارية صغيرة السن.

فذكر عن دلفاء^(٣) جارية أبى ليلى عن هذه الجارية الصغيرة أنها قالت :
برد أبو ليلى مسمار قيده، حتّى كان يخرج من رجله إذا شاء ويرده.

١. بالزّز. كذا فى الأصل. وما فى الطبرى : بالدّز (الطبرى ١٣ : ٢١٨٠). والزّز ناحية بهمذان مشهورة (مراصد الإطلاع).

٢. فيها. فى الأصل : فيه. والتصحيح منّا.

٣. فى الأصل : دلفا. بدون الهمزة. والضبط من (الطبرى ١٣ : ٢١٨١).

قالت: وجاء شفيع عشيّة من العشايا إلى أبي ليلى فقعده معه يحدثه، فسأله أبو ليلى أن يشرب معه أقداحاً، ففعل. ثمّ قام الخادم لحاجته، فأمرنى أبو ليلى ففرشت فراشه فجعل عليه ثياباً فى موضع الإنسان من الفراش، وصيّره كهيئة الرجل النائم وغطّاه، وأمرنى أن أقعد عند رجل ذلك الشئ المعمول من الثياب كأنى أغمّزه^(١). وقال:

- «إذا جاء شفيع لينظر إلىّ فقولى: هو نائم. ليقفل الباب على عادته، ويظنّ أنى فى الفراش.»

ثمّ خرج أبو ليلى واختفى فى موضع فيه [6] متاع فى صُفّة فيها باب هذا البيت، وجاء شفيع فنظر إلى الفراش وسأل الجارية عن خبر أبى ليلى، فأخبرته أنّه نائم وأقفل الباب. فلما^(٢) نام الخادم ومن معه فى الدار التى فى القلعة خرج أبو ليلى، فأخذ السيف من تحت فراش شفيع وضربه به حتّى برد. ووثب الغلمان الذين كانوا حوله نياماً فزعين، فاعتزلهم أبو ليلى والسيف بيده، وقال لهم:

- «أنا أبو ليلى وقد قتلت شفيعاً ولئن تقدّم إلىّ واحد منكم لأقتلنّه، وأنتم آمنون، فاخرجوا من هذه الدار حتّى أكلمكم بما أريد.»

ففتحوا باب القلعة واجتمع كلّ من كان فى القلعة فكلّمهم ووعدهم بالإحسان وأخذ عليهم الأيمان. فلما أصبح نزل ووجّه إلى الأكراد وأهل الرموم^(٣) فجمعهم وفرّق فيهم مالاً وخرج مخالفاً على السلطان.

ثمّ مضى إلى إصبهان، فواقعه عيسى النّوشرى، فأصاب أبا ليلى سهم فى

١. أغمّزه: أجبسه وأكبسه لأختبره.

٢. فى مط: «فامّا» بدل «فلما». وهو خطأ.

٣. الرموم. كذا فى الأصل. وفى مط: الزوم. وفى الطبرى (١٣: ٢١٨٢): الزوم. وفى حواشى الطبرى: الدمور.

حلقة فنحره، فسقط إلى الأرض، وانهزم أصحابه فحمل إلى إصبهان.

ودخلت سنة خمس وثمانين ومائتين

خروج صالح بن مدرك على الحاج

وفيهما خرج صالح بن مدرك على الحاج في جماعة من طي بالأجفر^(١) في المحرم. فحاربه الجنى^(٢) [7] وكان أمير القافلة فهزمه الأعراب وظفروا بالقافلة فأخذوا جميع ما فيها وأخذوا جماعة من النساء الحرائر. وبلغ قيمة ما أخذوا من الناس ألفي ألف دينار.

حمل رأس أبي ليلى إلى بغداد

وحمل رأس أبي ليلى المقتول بإصبهان إلى بغداد، فاستوهبه أخوه عمر من المعتضد، فوهبه له، فدفنه، وخلع على عمر^(٣) في هذا اليوم.

ورود الخبر بوفاة ابن عيسى

وفيهما ورد الخبر بوفاة محمد بن عيسى بن شيخ، وقام ابنه أحمد^(٤) بن محمد بن عيسى بما كان في يد أبيه^(٥) بآمد على سبيل التغلب. فخرج إليه المعتضد قاصداً لحربه.

مرکز تحقیقات و پژوهش های اسلامی

١. الأجفر. كذا في الأصل والطبري (١٣ : ٢١٨٣). ما في مط : بالأحف.

٢. الجنى. كذا في الأصل ومط. في الطبري (١٣ : ٢١٨٣) : الحى. وفي حواشيه : حبي، الحبي.

٣. على عمر. كذا في الأصل. ما في مط : ابن عمر.

٤. في مط : محمد بن محمد.

٥. في مط : ابنه.

هارون بن خُمارُوية يوجّه رسلاً إلى المعتضد
وفيها وجّه هارون بن خماروية بن أحمد ومن معه رسلاً إلى المعتضد،
يلتمسون مقاطعتهم على ما فى أيديهم من مصر والشام، ويسألونه إجراء
هارون على ما كان يجرى عليه أمر أبيه.^(١) فردّ المعتضد رسله مع رسول له
بمشافهات وشروط.

ودخلت سنة ست وثمانين ومائتين
توجيه محمد بن أبى الساج ابنه إلى بغداد رهينةً
وفيها وجّه محمد بن أبى الساج ابنه المعروف بأبى المسافر إلى بغداد
رهينة، بما ضمن له من الطاعة والمناصحة. فقدم فى المحرّم منها ومعه هدايا
والمعتضد غائب. [8]
وكان المعتضد فى السنة المتقدمة قد حمل إليه الخلع وكتب الولاية على
ما كان تغلب عليه من بلاد أذربيجان.

وصول المعتضد إلى آمد
وفيها وصل المعتضد إلى آمد، فأناخ بجنده عليها وأغلق محمد بن أحمد
بن شيخ أبواب مدينة آمد وعلى من فيها من أشياعه. ففرّق المعتضد جيوشه
حولها وحاصره وذلك لأيام بقيت من شهر ربيع الأول.
ثم جرت بينهم حروب، ونصب أهل آمد على سورهم المجانيق، ونصب
المعتضد عليها المجانيق وتراموا بها.

١. فى مط: يجرى عليه مراتبه. فى الطبرى (١٣: ٢١٨٥): يجرى عليه أبوه.

وفى يوم السبت لإحدى عشرة بقية من جمادى الأولى، توجه^(١) محمد بن أحمد بن شيخ فى هذا اليوم ومن معه من أصحابه وأوليائه، فوصلوا إلى المعتضد فخلع عليه وعلى رؤساء أصحابه وانصرفوا إلى مضرب قد أعد^(٢) لهم، وتحول المعتضد من معسكره إلى منازل ابن عيسى بن شيخ ودوره، وكتب بذلك كتاباً إلى مدينة السلام.

ورود كتب هارون بن خمارويه إلى المعتضد

ووردت كتب هارون بن خمارويه ببذل أعمال قنشرين والعواصم ويحمل إلى بيت المال بمدينة السلام فى كل سنة أربعمئة وخمسين ألف دينار، ويسأل أن يحدد له ولاية مصر والشام، وأن توجه المعتضد بخادم من خدمه إليه بذلك. فأجابه إلى ما [9] سأل وتسلم المعتضد أعمال قنشرين والعواصم من أصحاب هارون، وارتحل نحو الرقة، وخلف ابنه علياً بآمد مع جيوش ضمهم إليه، ليضبط الناحية وأعمال قنشرين والعواصم وديار ربيعة ومضر. وكان كاتب علي بن المعتضد يومئذ الحسين بن عمرو النصرانى، وأمر المعتضد بهدم سور آمد فهدم.

موافاة هدية من عمرو بن الليث من نيسابور

وفىها وافت هدية عمرو بن الليث من نيسابور. فكان مبلغ ما أنفذه أربعة آلاف ألف درهم وعشرين من الدواب بالسروج واللجم المفرقة بالجلال المشهرة وكسوة وطيب وبزاة.

١. ما فى الأصل : وجه. والتصحيح من مط.

٢. ما فى الأصل : أعد، ورجحنا ما فى مط : أعد.

ظهور أبي سعيد الجنابي بالبحرين على مذهب القرامطة

وفيها ظهر أبو سعيد الجنابي بالبحرين على مذهب القرامطة فاجتمع إليه القرامطة والأعراب. فقوى أمره وكثر عيته وأظهر أنه يريد البصرة. وكتب عامل البصرة إلى المعتضد بذلك، فكتب إليه بعمل سور على البصرة فقُدّرت النفقة عليه أربعة عشر ألف دينار، فأمر بينائه.^(١)

ودخلت سنة سبع وثمانين ومائتين غلظة أمر القرامطة

وفيها غلظ أمر القرامطة بالبحرين وأغاروا على نواحي هجر وقرب بعضهم من نواحي البصرة. وولى المعتضد العباس بن عمرو الغنوي اليمامة والبحرين ومحاربة [10] أبي سعيد الجنابي والقرامطة وضمّ إليه زهاء ألفي رجل فشخص العباس إلى البصرة ومنها إلى البحرين واليمامة.^(٢)

أسر عمرو بن الليث الصفار

وفيها ورد الخبر على المعتضد بأن إسماعيل بن أحمد أسر عمراً الصفار واستباح عسكره.^(٣)

١. انظر الطبري (١٣: ٢١٨٨).

٢. انظر الطبري (١٣: ٢١٩٢).

٣. انظر الطبري (١٣: ٢٢٠٣).

ذكر الخبر عن ذلك

كان عمرو سأل المعتضد أن يوليّه ما وراء النهر، فولّاه ذلك، ووجّه إليه وهو بنيسابور بالخلع واللواء، فخرج عمرو لمحاربة إسماعيل بن أحمد، فكتب إليه إسماعيل :

« إنك قد وليت دنيا عريضة، وإنما في يدي ما وراء النهر وأنا في ثغر، فاقنع بما في يدك واتركني بهذا الثغر. »

فأبى إجابته، فذكر له أمر نهر بلخ وشدة عبوره فقال :

« لو شئت أن أسكره بيد الأموال وأعبره لفعلت. »

فلما يئس إسماعيل من انصرافه عنه جمع من معه من الجند والتّناء^(١) والدهاقين وعبر النهر إلى الجانب الغربي. وجاء عمرو فنزل بلخ وأخذ إسماعيل عليه النواحي فصار كالمحاصر، وندم على ما فعل وطلب المحاجزة، فأبى إسماعيل عليه ذلك. فلم يكن بينهما كثير قتال حتى هُزم عمرو فولّى هارباً ومرّ بأجمة في طريقه [١١] قيل له : إنها أقرب. فقال لعامة من معه :

« امضوا في الطريق الواضع. »

ومضى في ثغر يسيّر فدخل الأجمة، فوحت دابته ولم يكن له في نفسه حيلة. ومضى من معه ولم يلوا عليه، وجاءت أصحاب إسماعيل فأخذوه أسيراً.

وبلغ المعتضد خبرهما فمدح إسماعيل وذمّ عمرًا.

ورود الخبر بهروب وصيف

وفيه ورد الخبر على المعتضد بأن وصيفاً خادماً ابن أبي الساج هرب من بردعة^(١) ومضى إلى ملطية مراغماً لمحمد بن أبي الساج في أصحابه. وكتب إلى المعتضد يسأله أن يوليّه الثغور ليقوم بها فكتب المعتضد إليه : يأمره أن يصير إليه، فتباطأ، وكان رسله بحضرة المعتضد.

فذكر أن المعتضد أمر بتقرير الرسل ليخبروه عن السبب الذي من أجله فارق وصيف صاحبه ابن أبي الساج وقصد الثغور فأقروا بالضرب. وذكروا أنه فارقه على مواطأة بينه وبين صاحبه على أنه إذا استقرّ في موضعه الذي هو به لحق به صاحبه فصارا جميعاً إلى مصر وتغلبا عليها، وشاع ذلك في الناس وتحذثوا به. وفيها ولى حامد بن العباس أعمال فارس الخراج والضياح، وكانت في يد العباس بن عمرو الغنوى.

خروج العباس بن عمرو الغنوى

وفيهما خرج العباس بن عمرو الغنوى [12] عن البصرة بمن ضمّ إليه من الجند مع من خفّ معه من مطوعة البصرة نحو أبي سعيد الجنّابي، فلقيتهم طلائع أبي سعيد، فخلف العباس سواده وسار نحوهم، فلقي أبا سعيد وأصحابه مساء، فتناوشوا ثم حجز الليل بينهم، فانصرف كلّ فريق منهم إلى موضعه.

فلما كان الليل انصرف من كان مع العباس من الأعراب والمطوعة وأصبح

١. في مط: بردعة (بالدال المهملة).

العبّاس، فغادى القرامطة الحرب، فاقتتلوا قتالاً شديداً.

ثم إنَّ صاحب ميسرة العبّاس حمل في زهاء مائة من أصحابه على ميمنة أبي سعيد، فوغلوا فيهم فقتل هو وجميع من معه، وحمل الجنّابي وأصحابه على العبّاس فانهمز أصحابه واستأسر العبّاس وأسر من أصحابه زهاء سبعمائة رجل، واحتوى الجنّابي على ما في عسكر العبّاس.

فلما كان الغد من يوم الواقعة أحضر الجنّابي من أسر من أصحاب العبّاس، فقتلهم جميعاً ثم أمر بحطب فطرح عليهم وأحرقهم.

وصار الجنّابي إلى هجر وآمن أهلها وانصرف فلّ العبّاس يريدون البصرة ولم يكن أفلت منهم إلا القليل بغير أزواد. فخرج إليهم جماعة من البصرة بنحو من أربعمائة راحلة عليها [13] الأطعمة والكسّى والماء فخرج عليهم بنو أسد فأخذوا تلك الرواحل بما عليها، وقتلوا جماعة ممّن كان مع تلك الرواحل ممّن أفلت من أصحاب عمرو، فاضطربت البصرة لذلك اضطراباً شديداً وهمّوا بأن ينتقلوا عنها وخافوا هجوم القرامطة عليهم.

ثم وردت على السلطان خريطة من الأبلّة بموافاة العبّاس بن عمرو في مركب من مراكب البحر، وأنّ أبا سعيد أطلقه وخادماً له.^(١)

ثم ورد العبّاس بن عمرو مدينة السلام وصار إلى دار المعتضد بالثريّا. فذكر أنّه بقي عند الجنّابي أياماً بعد الواقعة ثم دعا به فقال:

«أتحب أن أطلقك؟»

قال: «نعم».

قال: «امض وعرف الذى وجّه بك ما رأيت».

وحمله على رواحل وضّمّ إليه قوماً من أصحابه وحملهم ما يحتاجون إليه

من الزاد والماء وأمر الرجال الذين وجَّههم معه أن يردَّوه إلى مأمنه فساروا به إلى بعض سواحل^(١) البحر فصادف به مركباً فحمّله حتّى صار إلى الأبلّة فخلع عليه المعتضد وصرفه إلى منزله.

فتحدّث القاضي أبو الحسين محمّد بن عبد الواحد الهاشمي قال^(٢): سمعت العباس بن عمرو الغنوي يقول: لما أسرنى أبو سعيد الجنابي القرمطي وكسر العسكر الذي كان أنفذه [14] المعتضد لقتاله وجعلت أسيراً في يده، يثست من الحياة. فإني يوماً على ذلك إذ جاءني رسوله فأخذ قيودي وغير ثيابي وأدخلني إليه فسلمت وجلست فقال: «أتدري لم استدعيتك؟»

قلت: «لا».

قال: «أنت رجل عربى ومن المحال أن أستودعك أمانة فتخفّرها ولا سيما مع منى عليك بنفسك».

فقلت: «هو كذلك».

قال: «إني فكّرت في قتلك فلم أر فيه طائلاً وفي نفسى رسالة إلى المعتضد لا يجوز أن يؤدّيها غيرك فرأيت إطلاقك وتحميلك إياها فإن حلفت لى إنك تؤدّيها سيرتك إليه».

فحلفت له فقال: «كأبيك يا سيدي».

«تقول للمعتضد: يا هذا لم تحرق^(٣) هيبتك وتقتل رجالك وتطمع أعداءك فى نفسك بإفناذ الجيوش إلى، وإنما أنا

١. فى مط: رواحل، وهو خطأ.

٢. لم نجد لهذا الخبر وللرسالة الآتية ذكراً فى الطبرى، فى حوادث هذه السنة: ٢٨٧.

٣. فى مط: تحرق (بالحاء المهملة).

رجل فى فلاة لا زرع عندى ولا ضرع، ولا لى بلد وقد
رضيت بخشونة العيش والأمن على المهجة والعزّ بأطراف
الرماح.

- «وانظر فإننى ما اغتصبتك بلساً كان فى يدك ولا أزلت
سلطانك عن عمل جليل ومع هذا فوالله لو أنفذت إلى جيشك
كله ما جاز أن تظفر بى ولا تنالنى. لأننى رجل نشأت
فى هذا الكشف فتعودته أنا ورجالى، فلا مشقة علينا فيه
ونحن فى أوطاننا مستريحون [15] وأنت تنفذ جيشك من
الحموش^(١) والثلج والرياحين والنّد ثمّ يجيئون من مسافة بعيدة
وطريق شاقّ وقد قتلهم السفر قبل قتالنا، وإنّما غرضهم
أن يبلوا عذراً فى قتالنا ومواقعتنا ساعة ثمّ يهربون. فإن
حقفوا مع ما قد لحقهم من وعشاء السفر وشدة الجهد كان
أكبر أعوانى عليهم، فما هو إلّا أن حققت عليهم حتّى
ينهزموا،

- «وتقول وأكثر ما يقدرون عليه أن يجيئوا فيستريحوا ثمّ
تكون عدّتهم كثيرة وبصيرتهم قويّة، فحينئذٍ لا تكون لى بهم
قبل فأنهزم، فلا يقدر جيشك أن يتبعونى إلّا مسافة قريبة، فما
هو [إلّا]^(٢) أن أبعد عشرين فرسخاً أو ثلاثين وأجول فى
الصحراء شهراً أو شهرين، ثمّ أكبسهم على غرّة حتّى أقتل
جميعهم. وإن لم يتمّ لى هذا وكانوا متحرزين فما يمكنهم أن

١. لم تتأكّد من صيغة قراءة الكلمة. ما فى مط: الحوش، أو الحبوش (باهمال الثانى).

٢. زيادة منّا بوحى من السياق.

يطوفوا حولي وخلفي في البراري ولا يتبعني الطلب في
البوادي.

- «ثم لا يحملهم البلد في المقام ولا الزاد إن كانوا كثيرين،
فلا بد أن ينصرف الجمهور ويبقى الأقل فهم قتلى سيوفى أول
يوم نلتقى فيه. هذا إن سلموا من وباء هذه الناحية ورداءة
ماءها وهواءها الذي نشأوا في غيره وضده.

- «ففكر في هذا ونحوه وانظر هل يفى» [16] تعبك وتغريك
بعسكرك وجيشك وإنفاقك الأموال وتجهيزك الرجال وتكلفك
هذه الأخطار بطلبي وأنا مع هذا خالي الذرع منها سليم النفس
والأصحاب من جميعها. فأما هيبتك فتنخرق، وأما الأطراف
فتنتقض، وأما الملوك من الأعداء فتتجاسر. ثم لا تظفر من
بلدى بطائل ولا تصل إلى حال ولا مال. فإن اخترت بعد هذا
محاربتى فأقدم على بصيرة وأنفذ من شئت واضطرب كيف
أحببت، وإن أمسكت فذاك إليك.»

قال: ثم جهّزنى وأنفذ معى عشرة من أصحابه إلى الكوفة، فسرت منها
إلى الحضرة ودخلت على المعتضد^(١) فتعجب من سلامتى، وسألنى عن
خبرى سؤالا حفيّا فقلت:

- «أخبرك يا أمير المؤمنين سرّاً.»

فتشوّق إليه وخلا بى. فلم أزل أقصّ عليه الخبر وهو يتمعّط^(٢) غيظاً

١. فى مط: المعتصم، وهو سهو من الكاتب.

٢. فى مط: يتمنط (بالعين المعجمة).

حتى ظننت أنه سيسير إليه بنفسه وخرجت من بين يديه، فما رأيته بعد ذلك ذكره بحرف.

ورود الخبر بقتل محمد بن زيد العلوي

وفيها ورد الخبر على السلطان بأن محمد بن زيد العلوي قُتل. (١)

ذكر مقتله

ذكر أن محمد بن زيد العلوي لما اتصل به أسر إسماعيل بن أحمد عمرو بن الليث، خرج في جيش [17] كثيف نحو خراسان طامعاً فيها، ظناً منه أن إسماعيل لا يتجاوز عمله الذي كان يتولاه وأنه لا دافع له عن خراسان إذ كان عمرو قد أسر ولا عامل للسلطان بها.

فلما صار إلى جرجان، واستقر بها كتب إليه يسأله الرجوع إلى طبرستان وترك جرجان فأبى ذلك محمد بن زيد فندب (٢) إسماعيل له محمد بن هارون خليفة كان لرافع، وضم إليه جيشاً كثيفاً، فشخص نحو ابن زيد فالتقيا على باب جرجان فاقتلوا قتالاً شديداً فانهمز عسكر محمد بن هارون.

ثم رجع محمد بن بكر وقد انتقضت صفوف العلوي فانهمز عسكر محمد بن زيد وقتل منهم بشر كثير وأصاب محمد بن زيد ضربات وأسرا ابنه زيد، وحوى محمد بن هارون عسكره. ثم مات محمد بن زيد من تلك الضربات وحمل ابنه إلى إسماعيل. ودخل محمد بن هارون جرجان ثم شخص إلى طبرستان.

١. انظر الطبري (١٣: ٢٢٠٠).

٢. في مط: بدر.

ودخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين

ذكر حوادث حدثت فيها

وفيهما توفي محمد بن أبي الساج فاجتمع غلمانه وجماعة أصحابه فأمرُوا عليهم ديوداذ بن محمد واعتزلهم يوسف بن أبي الساج مخالفاً لهم. وفيها جرى بمرو بن الليث. وذكر أن إسماعيل بن أحمد خيره بين المقام عنده وبين توجيهه إلى باب أمير المؤمنين، فاختر توجيهه. فوجهه [18] وأرسل المعتضد برسول إسماعيل مع رسوله وحمل معه إليه بدنة^(١) وتاجاً وسيفاً من ذهب مركب على جميع ذلك الجواهر وهدايا وثلاثة آلاف ألف درهم يفرقها في جيوش خراسان. وقيل كان المال عشرة آلاف ألف وجه بعض ذلك من بغداد وكتب بياقيه على عمال الجبل وأمرُوا أن يدفعوا ذلك إلى الرسل.

وفيهما أوقع يوسف بن أبي الساج وهو في نفر يسير بآبن أخيه ديوداذ، فهزم عسكره وبقي ديوداذ في جماعة قليلة فعرض عليه يوسف بن أبي الساج المقام معه فأبى وقال: «أمضى إلى باب السلطان».

فجعل يسأله مدة ويسأله المقام معه، فأبى وأخذ طريق الموصل حتى وافى بغداد.

ودخلت سنة تسع وثمانين ومائتين

انتشار القرامطة بسواد الكوفة

وفيهما انتشر القرامطة بسواد الكوفة فوجه إليهم شبل غلام أحمد بن محمد

١. البدنة: قميص لا كمين له.

الطائي فشخص إليهم فظفر بجماعة منهم وظفر برئيس لهم يُعرف بابن أبي القوس^(١) فوجّه به وبهم فدعا به المعتضد وساءله ثم أمر به فقلعت أضراسه ثم خُلِعَ مُدَّت إحدى يديه ببكرة وعُلِقَ في الأخرى صخرة وتُرك على حاله تلك ثلاثة ساعات ثم قُطعت يداه ورجلاه [19] من غد هذا اليوم وضُربت عنقه وصُلِبَ.

سياسة المعتضد في الشيخ والمرأة المغصوبة والرجل الغاصب

ومن سياسة المعتضد التي تُستفاد منها تجربة ما حدث به أبو الحسين محمد بن عبد الواحد الهاشمي أن شيخاً من التجار كان له على بعض القواد مال جليل، فمأطله ثم جحده. قال: فعملت على التظلم إلى المعتضد لأنني كنت تحمّلت عليه وتظلمت إلى عبيد الله بن سليمان فلم ينفعني ذلك فقال لي بعض إخواني:

- «عليّ أن آخذ المال لك ولا تحتاج إلى الظلامة إلى الخليفة، قم معي الساعة.»

قال: فقمبت معه فجاء بي إلى خياط في سوق الثلاثاء وهو جالس يخيّط ويقرأ القرآن في مسجد. فقَصَصَ عليه قصّتي، فقام معنا. فلما مشيت تأخرت وقلت لصديقي:

- «إنك قد عرّضت هذا الشيخ ونفسك وإيّاي لمكروه عظيم.»

قال: «كيف؟»

قلت: «لأنّه قد استخفّ بي مراراً وبجماعة من شفعائي مراراً كثيرة ولم

١. في الطبري (١٣: ٢٢٠٦): أبي فوارس. وفي حواشيه: أبي الفوارس.

يلتفت إلى مثل فلان وفلان ولا إلى الوزير، وأخاف أن يصفعنا صفعاً^(١) وجيعاً ويطرдна.

فضحك الرجل وقال :

- « لا عليك، امشِ واسكت. »

فجئنا إلى باب القائد فحين رآه غلماناه أعظموه وأرادوا تقبيل يده فمنعهم، وقالوا :

- « ما جاء بك أيها الشيخ فإن صاحبنا راكب؟ »

فقال : « أدخل وأجلس إلى أن [20] يحضر. »

فبادروا إلى الإذن له وأجلسوه في أرفع موضع. فقويت نفسي وجاء الرجل، فلما رأى الخياط أعظمه إعظاماً شديداً وقال :

- « لا أنزع ثيابي حتى تأمر بأمرك. »

فخاطبه في أمرى فقال :

- « والله ما عندي إلا خمسة آلاف درهم. »

فسأله أن يأخذها في الوقت ويأخذ رهناً بباقي ماله إلى أن تجيئني غلتي. فبادرت إلى الإجابة فأحضر الدراهم وخرجنا. فلما بلغنا موضع الخياط طرحت المال بين يديه وقلت :

- « يا شيخ إن الله قد رد هذا المال على لسعيك وبركتك، فأحب أن تأخذ

من المال نصفه أو ثلثه حتى تطيب نفسي. »

فقال : « ما أسرع ما كافأتني على الجميل بالقبيح. انصرف بمالك، بارك

الله لك فيه. »

فقلت : « قد بقيت لي حاجة. »

١. في مط : أن يصفعنا ضعفاً. وهو تصحيف.

قال : « قل . »

قلت : « تخبرني عن سبب طاعته لك مع تهاونه بأكثر أهل هذه الدولة ؟ »
فقال : « يا هذا ، قد بلغت مرادك ، فلا تقطعني عن شغلي ومعاشي . »
فألححت عليه .

قال : « أنا رجل أوأم وأقرأ^(١) في هذا المسجد منذ أربعين سنة ، ومعاشي من هذه الخياطة ، وكنت منذ دهر قد صليت المغرب ، وخرجت أريد منزلي ، فاجتزأت برجل تركي كان في هذه الدار وقد تعلق بإمرأة مجتازة وكانت جميلة ، وأدخلها إلى داره وهي تستغيث وليس أحد يغيثها . » [21]

قال : « فرفقت بالتركي وسألته تركها ، فضرب رأسي بدبوس وشجني وشتمني ، ويشت من المرأة وخلصها ، وصرت إلى المنزل وغسلت الدم وشدت الشجة واستروحت ، وخرجت أصلي العشاء الآخرة . فلما فرغنا قلت لمن حضر : قوموا معي إلى عدو الله ، هذا التركي ، لنكر عليه ولا نبرح حتى نخرج المرأة . فقاموا معي وجئنا وصحنا على بابه فخرج إلينا في عدة من غلمان ، وقصدني من بين الجماعة فضربني ضرباً مبرحاً كدت أتلغ منه . فحملني الجيران إلى منزلي وعالجني أهلي ونومت فلم أنم إلى نصف الليل . فقلت في نفسي هذا قد شرب إلى الآن ولا يعرف الأوقات ، فلو أذنت لوقع له أنه الفجر ، فلعلمه يطلق عن المرأة . وكانت المرأة لما تعلق بها قالت : إن زوجي قد حلف بطلاقي ألا أبيت عن منزلي وأعظم ما علي أن أطلق وأبين منه فطمعت أن تلحق المرأة بمنزلها قبل الفجر وتسلم من أحد المكروهين . فخرجت متعاملاً حتى صعدت المنارة ، فأذنت وجلست أتطلع منها إلى الطريق أرقب خروج المرأة ، فإن خرجت وإلا أقمت الصلاة لئلا يشك في

الصبح ويخرجها. فما مضت إلا ساعة فإذا الشارع قد امتلأ خيلاً ورجلاً ومشاعل وشموعاً وهم يصيحون :

- «من هذا [22] الذى أذن الساعة، أين هو.»

ففزعّت وسكّت ثم قلت مخاطبهم لعلّى أستعين بهم على إخراج المرأة. فصحت من المنارة :

- «أنا أذنت.»

فقالوا: «انزل فأجب أمير المؤمنين.»

فقلت: قد دنا الفرج، ونزلت فإذا بدر مع الجماعة فحملنى وأدخلنى إلى المعتضد. فلما رأته هبته وارتعدت فسكّن منى وقال :

- «ما حملك على أن تغرّ المسلمين بأذانك فى غير وقته فيخرج ذوو الحاجة فى غير حينها، ويمسك المريد للصوم فى وقت قد أتيح^(١) له الإفطار، وينقطع العسس عن الطوف والحرس؟»

فقلت: «يؤمننى أمير المؤمنين لأصدق؟»

قال: «أنت آمن.»

فقصصت عليه قصّة التركى والمرأة وأريته الشجّة وآثار الضرب بى. فقال :

- «يا بدر، علّى بالغلام والمرأة الساعة.»

فغزلت فى موضع. ومضى بدر وأحضر الغلام والمرأة فسألها المعتضد عن الصورة فأخبرته بمثل ما قلته. فقال لبدر :

- «بادر بها الساعة إلى زوجها مع ثقة من الخدم يدخلها دارها ويشرح

لزوجها خبرها ويأمره عنى بالتمسك بها والإحسان إليها.»

ثم استدعانى فوَقَّفت، فجعل يخاطب الغلام وأنا قائم أسمع. وكان فيما

١. فى مط: قد أبيع له.

خاطبه به أن قال :

- «كم جرايتك؟»

فقال : «كذا.»

قال : «وكم عطاؤك؟»

قال : «كذا.» [23]

قال : «أفما كان لك في جواريك وجاريك وفي هذه النعمة الواسعة كفاية عن معصية الله تعالى، وعن خرق هيبة السلطان، حتى استعملت القحة وتجاوزت ذلك إلى الوثوب على من أمرك بالمعروف؟»

فأسقط الغلام في يده ولم يُجر جواباً. فقال :

- «هاتوا جوالقاً وقيداً وغلاً ومداق الجصّ.»

فأتى بها كلها. فأدخله الجوالق وأمر الفرّاشين بدقه، وأنا أرى ذلك كله، وهو يصيح. ثم انقطع صوته ومات. وأمر به فغرق في دجلة وتقدم إلى بدر بحمل ما في داره، ووصلني بألف درهم. ثم قال لي :

- «يا شيخ أيّ شيء رأيت من أجناس المنكر ولو على هذا - وأشار بيده

إلى بدر - فإن لم يقبل منك، فالعلامة بيننا أن تؤذّن في هذا الوقت، فيأتني أسمع صوتك وأستدعيك وأفعل مثل هذا بمن لا يقبل منك أو يؤذيك.»

قال : فدعوت له وانصرفت.

وانتشر الخبر في غلمان الدار والحاشية ثم الأولياء والجند والعامة. فما خاطبت أحداً منهم بعدها في إنصاف لأحد أو كفّ عن القبيح، إلا طأوعني - كما رأيت - خوفاً من المعتضد وما احتجت أن أؤذن في غير وقت الأذان إلى الآن.^(١)

١. هذه الحكاية، لا توجد في الطبري في حوادث هذه السنة. انظر الطبري (١٣: ٢٢٠٦ ٢٢٥١).

خلافة المكتفى بالله

وفيهما توفى المعتضد^(١) ليلة الإثنين من ربيع الآخر. وفي صبيحتها أحضر دار السلطان عبد الحميد بن عبد العزيز [24] أبو حازم ويوسف بن يعقوب وأبو عمر محمد بن يوسف، فتولى غسل المعتضد محمد بن يوسف، وتولى الصلاة عليه يوسف بن يعقوب، وحضر الصلاة عليه الوزير القاسم بن عبيد الله وأبو حازم وأبو عمر والخدم والخاصة.

وجلس القاسم بن عبيد الله بن سليمان في دار السلطان، وأذن للناس، فعزوه^(٢) بالمعتضد، وهناؤه بالمكتفى، وتقدم في تجديد البيعة للمكتفى بالله، ففعلوا.

وكتب بالخبر إلى المكتفى وكان بالرقعة فتقدم إلى كاتبه بأخذ البيعة على من في عسكره، ووضع العطاء لهم. ففعل وشخص إلى بغداد فدخلها وكفى بلسانه القاسم بن عبيد الله وخلع عليه.

وفي اليوم الثاني من مقدمه هذا هلك عمرو بن الليث الصفار.

١. انظر الطبري (١٣: ٢٢٠٦).

٢. في مط: فعزروه، وهو خطأ.

هلاك عمرو بن الليث الصفار

ذكر الخبر عن هلاكه

وكان المعتضد لما امتنع من الكلام عند موته أمر صافياً الحُرْمِي بقتل عمرو بالإشارة والإيماء، ووضع يده على عينه وعلى رقبته، أي: اذبح الأعور. فلم يفعل ذلك صافى لقرب وفاة المعتضد وكره قتله. فلما دخل المكتفى سأل القاسم بن عبيد الله عن عمرو:

- «أحيى هو؟»

قال: «نعم».

فسرّ بحياته وقال:

- «أريد أن أحسن إليه».

وكان عمرو يهدى إلى المكتفى ويبرّه برّاً [25] كثيراً فأراد مكافأته. فكره القاسم ذلك، ودسّ إلى عمرو من قتله.^(١) وفيها كان مقتل بدر غلام المعتضد.

مقتل بدر غلام المعتضد

ذكر السبب في ذلك

كان سبب ذلك^(٢) أن القاسم بن عبيد الله كان همّ بنقل الخلافة عن ولد المعتضد - وناظر بدرأ في ذلك بعد أن استكتمه واستحلفه. فامتنع بدر وقال:

- «ما كنت لأصرفها عن ولد مولاي وولّي نعمتي».

فلما علم القاسم ألا سبيل له إلى مخالفة بدر - إذ كان بدر صاحب

١. انظر الطبري (١٣: ٢٢٠٨).

٢. انظر الطبري (١٣: ٢٢٠٩).

الجيش والمستولى على أمر المعتضد والمطاع فى خدمه - اضطغنها على بدر. فلما حدث بالمعتضد حدث الموت، كان بدر بفارس لأنه أُخرج إلى محاربة طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث، وكان طاهر قد تغلب على فارس فعقد القاسم للمكتفى عقد الخلافة وباع له وهو بالرقّة، لما كان بين المكتفى وبين بدر من التباعد والتباغض فى حياة والده.

فقدم المكتفى، وبدر بعد بفارس. فلما قدم عمل القاسم فى هلاك بدر حذراً على نفسه أن يطلع بدر المكتفى إذا قدم على ما كان همّ به القاسم. فوجّه المكتفى جماعة من القواد برسائل وكتب إلى القواد الذين مع بدر يأمرهم أن يفارقوا بدرأً ويصيروا إلى حضرته وذلك فى السرّ من بدر. فأوصلت [26] الكتب إليهم. ثمّ وجّه إليه بياسر خادم الموفق ومعه عشرة آلاف ألف ليفرقها فى عطاء أصحابه للبيعة للمكتفى، فخرج بها ياسر. فلما كان بالأهواز وجّه إليه بدر من قبض المال منه، فرجع ياسر إلى بغداد.

ولما وصلت الكتب إلى القواد من المكتفى فارق بدرأً جماعة منهم وانصرفوا عنه إلى مدينة السلام. فلما دخلوا بغداد وصلوا^(١) إلى المكتفى وخلع على نيف وثمانين رجلاً وأجاز جماعة من رؤساءهم كلّ واحد بمائة ألف، وأجاز قوماً بدون ذلك، وخلع على بعضهم ولم يجزه بشيء. وانصرف بدر قاصداً واسط، واتصل الخبر بالمكتفى بإقبال بدر. فوكلّ بدار بدر وقبض على جماعة من أصحابه وقواده فحبسوا مثل نحرير الكبير وعريب الجبلى وغيرهما، وأمر بمحو اسم بدر من الأعلام والبراس، وكان عليها أبو النجم مولى المعتضد بالله.

ودعا المكتفى القواد وقال لهم :

١. فى الأصل : ووصلوا (بزيادة الواو). ما فى مط : وصلوا. دون الواو.

- «لست أوامر عليكم أحداً، فمن كانت له حاجة فليلق الوزير، فقد تقدّمت إليه في قضاء حوائجكم.»

وكتب بدر إلى المكتفى كتاباً على يد الرنداق^(١) وحمله على الجمّازات. فلما وصل إلى المكتفى قبض عليه ووكل به وأشخص جيشاً إلى واسط وقيل: إنه قدّمهم مقدّمة له.

وكان المكتفى أرسل إلى بدر [27] حين فصل من أرض فارس فعرض عليه ولاية^(٢) أيّ النواحي شاء إن أحبّ إصبهان أو الرىّ أو الجبل، ويأمره بالمصير إلى أيّ موضع أحبّ من هذه النواحي مع من أحبّ من الفرسان والرجالة، فيقيم بها والياً عليها معهم. فأبى بدر وقال:

- «لابدّ لى من المصير إلى باب مولاي.»

فوجد القاسم مساعداً للقول فيه وقال للمكتفى:

- «قد عرضنا عليه الولايات، فأبى إلّا المجيء.»

ثمّ خوّفه غائلته وحرّض المكتفى على محاربته وقال:

- «قد أظهر العصيان واتصل ببدر أنّه قد وُكِّل بداره وحُبِسَ غلماناه.»

- «فأيقن بالشرّ فوجّه من تحتال في تخليص ابنه هلال وحدره إليه.

فوقف القاسم بن عبيد الله على ذلك، فأمر بالتحفّظ به، ودعا أبا خازم القاضي على الشرقيّة، وأمره بالمصير إلى بدر ولقائه وتطبيب نفسه وإعطاءه الأمان من أمير المؤمنين على نفسه وماله وولده. فقال أبو خازم:

- «أحتاج إلى سماع ذلك من أمير المؤمنين حتّى أوّديه عنه.»

فقال له: «انصرف حتّى أستاذن في ذلك أمير المؤمنين.»

١. كذا في الأصل: الرنداق. في مط: الديدان. في الطبري (٢٢١١:١٣) زيدان. وفي حواشيه:

زنداق، رنداق.

٢. في مط: عليهم واليه.

ثم دعا بأبى عمر محمد بن يوسف وأمره بمثل الذى أمر به أبا خازم. فسارع إلى إجابته. ودفع القاسم إلى أبى عمر كتاب أمان عن المكنفى، فمضى به نحو بدر. فلما فصل بدر عن واسط ارفض عنه أصحابه وأكثر غلمانته [28] وصاروا إلى المكنفى فى الأمان.

وخرج المكنفى إلى مضربه بنهر دىالى ومعه جميع جيوشه فسكر هناك ولقى أبو عمر محمد بن يوسف بداراً بالقرب من واسط. فدفع إليه الأمان وخبره عن المكنفى ثم ما قال^(١) له القاسم وصاعد معه فى حرّاقة بدر، واستقرّ الأمر بين بدر وبين أبى عمر على أن يدخل بغداد سامعاً مطيعاً. وعبر بدر دجلة وصار إلى النعمانية وأمر أصحابه وغلمانته الذين بقوا معه أن ينزعوا^(٢) سلاحهم ولا يحاربوا أحداً وأعلمهم ما ورد عليه به أبو عمر من الأمان. فبينما هو يسير إذ وافاه محمد بن إسحاق بن كنداجيق^(٣) فى شذاعة ومعه جماعة من الغلمان فتحول إلى الحرّاقة وسأله بدر عن الخبر فطيب بنفسه وقال قولاً جميلاً وهم فى ذلك يؤثرونه وكان القاسم وصّاه وقال له :
- «إذا اجتمعت مع بدر^(٤) فى موضع واحد فأعلمنى.»

فوجه إلى القاسم فأعلمه. فدعا القاسم لؤلؤاً أحد غلمان السلطان النجباء، فقال له :

- «قد نديتك لأمر.»

فقال له :

- «سمعاً وطاعة.»

١. فى مط : وخبره عن المكنفى بما قال له القاسم، كما فى الطبرى (٢٢١٢:١٣).

٢. فى مط : أن ينزعوا.

٣. فى الطبرى (٢٢١٣:٣) : اسحاق بن كنداج.

٤. هنا بياض فى الأصل. وما أثبتناه عن مط والطبرى (٢٢١٣:١٣).

قال له :

- «امض فتسلم بدرأ من ابن كنداجيق وجئني برأسه.»

فمضى في طيَّار حتَّى استقبل بدرأ ومن معه بناحية سيب بنى كوما.
فتحوَّل من الطيَّار إلى الحرَّاقة وقال لبدر :

- «قم.»

قال : «وما الخبر؟»

قال : «إنه لا بأس عليك.» [29]

فحوَّله إلى طيَّاره ومضى به إلى جزيرة، ونحَّى الناس ودعا بسيف فاستلَّه.
فلَمَّا أيقن بدر بالقتل سأله أن يمهلَه حتَّى يصلى ركعتين. فأمهله فصلاهما، ثمَّ
قدَّمه فضرب عنقه، وذلك يوم الجمعة قبل الزوال لستَّ خلون من شهر
رمضان. ثمَّ أخذ رأسه ورجع إلى طيَّاره وترك جثَّته هناك فبقيت أيَّاماً ثمَّ
وجَّه عياله من أخذ جثَّته سرّاً فجعلوها في تابوت وحملوها أيَّام الموسم إلى
مكة فدفنوها بها، وكان أوصى بذلك. وأعتق قبل أن يُقتل مماليكه كلَّهم
وتسلَّم السلطان ضياع بدر ودوره ومستغلاته.

وورد الخبر على المكتفى بقتل بدر لتسع خلون من شهر رمضان، فرحل
منصرفاً إلى مدينة السلام، وجيء برأس بدر، فأمر به فنُظف ووضِع في
خزانة الرؤوس. ورجع أبو عمر القاضي إلى داره حزيناً كئيباً. فتكلَّم الناس
فيه، وقالوا أشعاراً كثيرة. فمما قيل فيه :

قُلْ لِقَاضِي مَدِينَةِ الْمَنصُورِ	بِمَ أَحَلَلْتَ أَخَذَ رَأْسِ الْأَمِيرِ
بَعْدَ إعْطَاءِهِ الْمَوَاقِيقَ وَالْعَهْدَ	وَعَقْدَ الْأَمَانِ فِي مَنَشُورِ
أَيَّنَ أَيْمَانُكَ الَّتِي شَهِدَ اللَّهُ	عَلَى أَنَّهَا يَمِينُ فُجُورِ [30]
يَا قَلِيلَ الْحَيَاءِ يَا أَكْذَبَ الْأُمِّ	حَيَّةٍ يَا شَاهِدًا شَهَادَةَ زُورِ

لَيْسَ هَذَا فِعْلُ الْقُضَاةِ وَلَا يُحْسَنُ أَمثَالُهُ وَلَا يُدْرِكُ الْجُسُورِ

فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ. (١)

وفيهما ظهر بالشام رجل جمع جموعاً كثيرة من الأعراب وغيرهم، فأتى بهم دمشق وبها طغج بن جفّ من قبل هارون بن خُمَارُوَيْه بن أحمد بن طولون فكانت بينه وبين طغج وقعات وقتل بينهما خلق كثير.

ذكر خبر القرامطة ومبدأ

أمرهم ومآله (٢)

كان زُكْرُوَيْه بن مَهْرُوَيْه داعية لقرمط، فلما تتابعت من المعتضد توجيه الجيوش إلى سواد الكوفة وألحّ في طلب القرامطة وأُتِخِنَ فيهم القتل ورأى أنّه لا مدفع عن أنفسهم عند أهل السواد ولا غناء (٣) سعى في استغواء من قرب من الكوفة من أعراب أسد وطىّ وتميم وغيرهم ودعاهم إلى رأيه وزعم أنّ من بسواد الكوفة من القرامطة يطابقونهم على أمره إن استجابوا له، فلم يستجيبوا له.

وكانت جماعة من كلب تخفر الطريق على البرّ بالسماءة فيما بين الكوفة ودمشق على طريق تدمر وغيرها. فأرسل زُكْرُوَيْه [31] أولاده إليهم فبايعوهم وخالطوهم وانتصروا (٤) إلى عليّ بن أبي طالب، وإلى محمّد بن

مركز تحقيق كتاب تواريخ علوم اسلامی

١. انظر الطبري (٢٢١٥:١٣).

٢. في الأصل وما آله. في مط: وما له.

٣. في مط: غنى.

٤. في مط: وانتصروا.

إسماعيل بن جعفر، منهم^(١) وذكروا أنهم خائفون من السلطان وأنهم لجأوا إليهم. فقبلوهم على ذلك ثم دبوا فيهم بالدعاء إلى رأى القرامطة، فلم يقبل ذلك أحد منهم إلا الفخذ المعروفة ببني العليص ومواليهم خاصة، فبايعوا في آخر سنة تسع وثمانين ومائتين ناحية السماوة ابن زكرويه المسمى: يحيى والمكنى: أبا القاسم ولقبوه: الشيخ على مأمويه، وزعم لهم: أنه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد، وأن له بالسواد والمشرق والمغرب مائة ألف تابع، وأن ناقته التي يركبها مأمورة، وأنهم إذا اتبعوها في مسيرها ظفروا، وتكهن لهم. وانحازت إليه جماعة من بني الإصبع، وأخلصوا له وتسقوا بالفاطميين، ودانوا بدينهم.

فقصدهم شبك الديلمي مولى المعتضد بناحية الرصافة في غربى الفرات وديار مضر. فاغترّوه وقتلوه وحرّقوا مسجد الرصافة، واعترضوا كل قرية اجتازوا بها حتى صعدوا إلى أعمال الشام، فأناخ عليها وهزم كل عسكر لقيه لطُفج حتى حصره في مدينة دمشق. فأنفذ المصريون إليه بدرأ الكبير وواقعوهم قريباً من دمشق، فقتل يحيى بن زكرويه.

ثم دارت الحرب [32] على المصر فانحازت واجتمعت موالى بني العليص ومن معهم من الأصبعيين على نصب الحسين بن زكرويه أخى المقتول، وزعم لهم أنه أحمد بن عبد الله بن محمد، بن إسماعيل بن جعفر بن محمد وهو ابن تيف وعشرين سنة. فبايعوه بعد أخيه، وأظهر له شامة في وجهه ذكر أنها آيته. وطراً إليه ابن عمه عيسى فلقبه بالمدثر، وعهد إليه، وذكر أنه

١. كذا في الأصل ومط: منهم. ما في الطبرى (١٣: ٢٢١٨) دون «منهم».

البعنى في السورة التي ذكر فيها المدثر، وقلد غلاماً له قتل أسرى المسلمين، ولقبه المطوق، وظهر على جند حمص وغيرها من أرض الشام وتسمى بأمير المؤمنين على منابرها.

وفيها أوقع إسماعيل بن أحمد بمحمد بن هارون بالرى فهزمه وكان في ثمانية آلاف، فمضى نحو الديلم، ودخل إسماعيل الرى وصار ألف رجل من المنهزمة إلى باب السلطان.^(١)

ودخلت سنة تسعين ومائتين

وفيها ورد كتاب على بن عيسى من الرقة يذكر فيها أن القرمطى ابن زكرويه وافى في جمع كثير، فخرج إليه جماعة من أصحاب السلطان وبينهم شبك غلام المكنفى، فواقعوه فقتل شبك وانهزم أصحاب السلطان.^(٢) ثم إن طنج بن جفّ أخرج من دمشق [33] جيشاً إلى القرمطى عليهم غلام يقال له: بشير، فواقعهم القرمطى فهزم الجيش وقتل بشيراً. ثم خلع السلطان على أبى الأغزّ وبعث به لحرب القرمطى بناحية الشام، فمضى في عشرة آلاف إلى حلب. ووردت كتب التجار من دمشق إلى بغداد أن القرمطى قد هزم من طنج غير مرة وقتل أصحابه إلا القليل وأنه بقى في قلّة وامتنع من الخروج وإنما تجتمع العامة ثم تخرج للقتال وأنهم قد أشرفوا على الهلكة فاجتمع التجار ومضوا إلى يوسف بن يعقوب فأقرأوه الكتاب وسألوه أن يخبر الوزير ذلك.

١. انظر الطبرى (١٣: ٢٢٢٠).

٢. انظر الطبرى (١٣: ٢٢٢١).

وفيها قوطع صاحب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث على أموال فارس، ثم عقد المكتفى لطاهر على أعمال فارس وخلع على صاحبه وحمل إليه الخلع مع العقد.

وفيها ورد الخبر وكتاب قُرأ في جوامع بغداد بأن يحيى بن زكرويه قتله المصريون على باب دمشق بعد أن اتصلت الحروب بينه وبين جند دمشق ومددهم من أهل مصر وكسر لهم جيوشاً وقتل منهم خلقاً. وكان يحيى هذا يدعى النبوة والكهانة.

خبر الحسين أخى يحيى بن زكرويه^(١)

فلما قُتل يحيى انحاز أصحابه إلى أخيه الحسين بن زكرويه فطلبوا أخاه في القتلى فلم يجدوه. وكان أخوه قد سبق إليه ودعا الحسين [34] إلى مثل ما دعا إليه أخوه، فأجابه أكثر أهل البوادي وغيرهم من سائر الناس واشتدَّت شوكته.

وظهر وصار إلى دمشق، فصالحه أهلها على خراج دفعوه إليه، فأنصرف عنهم وسار إلى أطراف حمص فتغلب عليها وخطب له على منابرهما، ثم سار إلى حمص فأطاعه أهلها وفتحوا له بابها خوفاً على أنفسهم فدخلها. ثم سار إلى حماة ومعرة النعمان وغيرهما فقتل أهلها وقتل النساء والأطفال. ثم سار إلى بعلبك فقتل عامة أهلها حتى لم يبق منهم إلا اليسير. ثم سار إلى سلمية فحارب أهلها ومنعوه الدخول. ثم أعطاهم الأمان ففتحوا له بابها. فدخلها وبدأ بمن فيها من الهاشميين فقتلهم أجمعين، وقتل بعدهم الرجال أجمعين، ثم قتل البهائم، وقتل صبيان الكتائب، ثم خرج منها وليس بها عين

١. انظر الطبرى (١٣: ٢٢٢٥).

تطرف^(١) وسار فيما حولها يقتل ويسبي ويُخيف السُّبل.
وحُكيت عنه حكايات فى إباحة الفروج^(٢) لأصحابه، وأن جماعة منهم
كانوا يجتمعون على مرأة واحدة إذا استحسنوها لا يتحاشون ذلك فيما بينهم.

المكتفى والتأهب للشخوص إلى حرب القرمطى

ولليلتين خلتا من شهر رمضان من هذه السنة أمر المكتفى بالله بإعطاء
الجند أرزاقهم والتأهب [35] للشخوص إلى حرب القرمطى بناحية الشام.
فأطلق للجند فى دفعة واحدة مائة ألف دينار، وذلك أن أهل مصر والشام
كتبوا يشكون ما لقوا من ابن زكرويه المعروف بصاحب الشامة، وأنه قد
أخرب البلاد وقتل الناس. وحكوا أشياء عظيمة مما لقوه منه ومن أخيه قبله
وقتلهم الرجال، وأنه لم يبق منهم إلا عدد قليل.
فأخرجت مضارب المكتفى فضربت بباب الشَّاسية ومعه قواده وغلمانه
وجيوشه.

ثم رحل وسلك طريق الموصل ومضى أبو الأغَر، فنزل وادى بُطنان قريباً
من حلب. فلما استقرَّ ونزل معه جميع من معه نزع أكثرهم ثيابهم ودخلوا
الوادي يتبرّدون بماءه وكان يوماً شديداً الحرّ. فبينما هم كذلك إذ وافاهم جيش
القرمطى صاحب الشامة وقد تقدّمهم المطوّق فكبسهم على تلك الحال، فقتل
منهم خلقاً كثيراً وانتهب العسكر، وأفلت أبو الأغَر فدخل حلب، وأفلت معه
ألف رجل وكانوا عشرة آلاف.

وصار القرمطى إلى باب حلب فحاربهم أبو الأغَر فيمن بقى معه من
أصحابه وأهل البلد، فذهبوا وانصرفوا عنه بما أخذوا من عسكره من الكراع

١. فى مط : تطوف.

٢. فى مط : الفراج.

والسلاح والأموال والمتاع بعد حرب كانت بينهم. [36]
ومضى المكتفى بمن معه من الجيش حتى انتهوا إلى الرقة فنزلها وسرح
الجيش إلى القرمطى جيشاً بعد جيش.

ثم ورد كتاب من بدر الحمamy صاحب ابن طولون يخبر فيه، أنه واقع
القرمطى صاحب الشامة فهزمه ووضع في أصحابه السيف ومضى من أفلت
منهم نحو البادية، وأن أمير المؤمنين وجه في إثره الحسين بن حمدان بن
حمدون.

وورد كتاب آخر من البحرين من ابن بانو يذكر فيه أنه واقع قرابة لأبي
سعيد الجنابي وولى عهده من بعده فهزمه وكان مقامه بالقطيف فوجد قتيلاً
بين القتلى، فاحتز رأسه، وأنه افتتح القطيف فدخلها.

وفيها وجه القاسم بن عبيد الله الجيوش إلى صاحب الشامة، وولى حربه
محمد بن سليمان الكاتب وكان إليه ديوان الجيش، وضّم إليه جميع القواد
وكتب إلى من تقدمه من القواد بالإنضمام إليه وأن يسمع الجميع له ويطيعوه.

ودخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين

ولما توجه محمد بن سليمان مع جيوش المكتفى وتولى حرب صاحب
الشامة، والمكتفى بالرقة، كتب إليه بمناهضة صاحب الشامة بمن معه فنهض
إليه. [37]

مركز تحقيق كتاب تاريخ مسيره وظفروه بالقرمطى (١)

فلما صار بينه وبين حماة اثنا عشر ميلاً لقوا أصحاب القرمطى. وكان

القرمطي قدّم أصحابه وتخلّف هو في جماعة من أصحابه لأجل حفظ مال كان جمعه وجعل سواده وراءه. فالتحمت الحرب بين العسكرين واشتدّت، فهُزم أصحاب القرمطي فقتلوا وأسر منهم خلق كثير وتفرّق الباقيون في البوادي، وتبعهم السلطان.

فلما رأى القرمطي هزيمة أصحابه حمل فيما قيل أخاً له يُكنّى أبا الفضل مالاً وتقدّم إليه أن يلحق بالبوادي إلى أن يظهر في موضع فيصير. إليه وركب هو وابن عمّه المسمّى: العذّر والمطوّق صاحبه وغلّام له روميّ وأخذ دليلاً وسار يريد الكوفة عرضاً في البريّة حتّى انتهى إلى موضع يُعرف بالدالية من أعمال الفرات وقد نفذ ما كان معهم من الزاد، فوجّه بعض من كان معه ليأخذ لهم بعض ما يحتاجون إليه.

فدخل الدالية المعروفة بدالية ابن طوق ليشتري ما يحتاج إليه فأنكر زيّه وسئل عن أمره فجمجم^(١) فأعلم المتوكّلي مسلحة هذه الناحية خبره، وكان يُعرف بأبي خبزة خليفة ابن كُشمزُد عامل [38] المكتفي بالرحبة وطريق الفرات. فركب في جماعة وسأل هذا الرجل عن خبره وهدّده فأخبره أنّ صاحب الشامة خلف زاوية هنالك في ثلاثة نفر. فمضى إليهم فأخذهم وصار بهم إلى صاحبه. فوجّه بهم ابن كُشمزُد إلى المكتفي بالركة. ورجعت الجيوش من الطلب بعد أن قتلوا وأسروا أكثر أولياء القرمطي وأشياعه.

وكتب محمد بن سليمان بالفتح وكان المباشر للحرب وصاحب الظفر الحسين بن حمدان فقرّظه^(٢) محمد بن سليمان في كتاب الفتح وأثنى عليه وعلى أصحابه.

١. في مط: فجمجم (باهمال الحائين). والطبري (٢٢٣٨: ١٣) كالأصل.

٢. في الأصل: قرطه (باهمال الطاء). في مط: وظفر.

وأدخل صاحب الشامة إلى الرقة ظاهراً للناس على فالج وعليه بُرؤس
حرير ودزاعة ديباج وبين يديه المدثر والمطوق على جملين.

رجوع المكتفى إلى بغداد

بالقرمطي والمدثر والمطوق وعاقبة أمرهم

ثم إن المكتفى خلف عساكره مع محمد بن سليمان وشخص هو في
خاصته وغلماؤه وشخص معه القاسم بن عبيد الله من الرقة إلى بغداد وحمل
معه القرمطي والمدثر والمطوق وحمل من أسر في الواقعة، وذلك في أول
صفر من هذه السنة.

وأراد المكتفى أن يدخل القرمطي إلى بغداد على دقل^(١) منصوب على
ظهر الفيل، فلم يمكن ذلك إلا بهدم طاقات للأبواب التي يجتاز بها الفيل
مثل باب الطاق [39] وباب الرصافة. ثم استسج^(٢) الهدم ففعل حينئذ كرسى
نُصب على ظهر الفيل وكان ارتفاع الكرسى ذراعين ونصفاً ودخل المكتفى
بغداد وقدم الأسرى بين يديه على جمال مقيد عليهم دراريع حرير
وبرانس حرير والمطوق وسطهم^(٣) غلام ما خرجت لحيته قد جعل في فيه
خشبة مخروطية وشُدَّت إلى قفاه كهيئة اللجام، وذلك أنه لما دخل الرقة كان
يشتتم الناس إذا دعوا عليهم ويصق عليهم، ففعل ذلك به ببغداد. ثم أمر
المكتفى ببناء دكة في المصلى العتيق من الجانب الشرقي تكسيها عشرون
ذراعاً في عشرين ذراعاً، وارتفاعها نحو من عشرة أذرع، وبُنى لها دَرَج
يُصعد إليها.

١. الدقل: خشبة طويلة تُشدُّ في وسط السفينة ويُمدُّ عليها الشراع، وأصله الفارسي: دقل.

٢. في الطبري: استسج. وفي حواشيه: استسج (٢٢٤٣: ١٢).

٣. في الطبري (٢٢٤٣: ١٢): في وسطهم.

وكان محمد بن سليمان لما خلفه المكنفى بالرقّة يلقط من كان فى تلك النواحي من قوّاد القرمطى وقضاته وأصحاب شرطه فأخذهم وقيدهم وانحدر مع من معه من الجيش إلى بغداد على طريق الفرات، وأمر القوّاد الذين ببغداد بتلقى محمد بن سليمان والدخول معه. فدخل بغداد وبين يديه الأسراء حتّى صار إلى الثريّا فخلع عليه وطوّق بطوق من ذهب وسوّر بسوارين من ذهب وخلع على جميع القوّاد وسوّروا. [40]

ثم إن صاحب الشامة أخذ وهو فى الحبس سكرجة عس المائدة التى تدخل إليه فكسرها وأخذ شظيّة منها فقطع بها بعض عروقه من يد نفسه فخرج منه دم كثير ثم شدّ يده فلمّا وقف المتولّى خدمته على ذلك منه سأله :

- «لم فعل ذلك؟»

فقال : «هاج بى الدم فأخرجته.»

فترك حتّى صلح ورجعت إليه قوّته.

ثم أمر المكنفى القوّاد والغلمان بحضور الدكّة التى أمر بينائها، وخرج من الناس خلق كثير لحضورها فحضورها. فحمل الأسرى وقوم كانوا ببغداد على رأى القرامطة وقوم من الرفوع^(١) من سائر البلدان من غير القرامطة، فجىء بهم على جمال ووكل بهم على كلّ رجل إثنان. ويُقال إنهم كانوا ثلاثمائة وستين.

وجىء بالقرمطى الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة وابن عمّه المعروف بالمدثر على بغل عماريّة وقد أسبل عليهما الغشاء ومعهما جماعة من الفرسان والرجالة. فصعد بهما إلى الدكّة وأقعدا، ثمّ قدّم بين يديه جماعة

١. فى الطبرى (١٣: ٢٢٤٥): الرفوع (بالعين المعجمة).



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وأخلى مصر. فدخلها الخليجي فندب السلطان لمحاربة الخليجي. فاتكأ مولى المعتضد وضم إليه بدرأ الحمّامي وجعله مشيراً^(١) عليه فيما يعمل به وضم إليه قوّاداً وجنداً كثيراً وأمر بسرعة السير.

ودخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين

وفيها ورد الخبر بأن الخليجي المتغلب على مصر واقع كئيفلغ وجماعة من القوّاد بالقرب [44] من العريش فهزمهم أقبح هزيمة.

وفيها ورد بغداد قائد من أصحاب طاهر بن محمّد بن عمرو بن الليث الصفّار مستأمناً يُعرف بأبي قابوس مفارقاً عسكر السجزيّة مع جماعة كثيرة من أصحابه.

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أنّ طاهر بن محمّد بن عمرو بن الليث تشاغل باللهو والصيد ومضى إلى سجستان للصيد والنزّهة فاستولى على فارس الليث بن عليّ بن الليث وسبكرى مولى عمرو بن الليث، فدبر الأمور والإسم لطاهر، فوقع بينهما وبين أبي قابوس خلاف، فصار إلى باب السلطان فقبله وخلع عليه وعلى جماعة معه وأكرمه. وكتب طاهر إلى السلطان يسأله ردّ أبي قابوس إليه ويذكر أنّه كان استكفاه بعض أعمال فارس، وأنّه جبي المال فخرج به معه ويسأله، إن لم يُردّ إليه، أن يحتسب له بما ذهب به من مال فارس ممّا صودر عليه، فلم يجبه السلطان إلى شيء من ذلك.

١. في الأصل: مشيراً (بالسين المهملة). والتصحيح من مط.

ظهور أخ للحسين بن زُكرويه صاحب الشامة

وفيها ظهر أخ للحسين بن زُكرويه صاحب الشامة فى طريق الفرات، واجتمع إليه نفر من الأعراب فسار إلى ناحية دمشق [45] على طريق البر، فعاث وسلك سبيل أخيه فندب للخروج إليه الحسين بن حمدان، فخرج فى جماعة من الجند. ثم ورد الخبر بمصير هذا القرمطى إلى طبرية وأن أهلها امتنعوا عليه فحاربهم فقتل عامة من بها من الرجال والنساء ونهبها.

وكان لهم داعية بنواحي اليمن فصار إلى مدينة صنعاء فحاربه أهلها فظفر بهم وقتلهم ولم يفلت منهم إلا القليل وتغلب على سائر مدن اليمن.

ثم إن زُكرويه بن مَهْزُويه^(١) بعد ما قُتل ابنه صاحب الشامة أنفذ صاحباً له معلماً كان يعلم الصبيان يسمّى: عبد الله بن سعيد أويكّنى: أبا غانم فتسمّى: نصراً ليُعْمى أمره. فاستغوى طائفة من بطون كلب وقوم من بنى العليص، فقصدهم دمشق وأحمد بن كيغْلغ يحارب ابن الخليجي الذى ذكرنا أمره.

فاغتتم ذلك عبد الله وسار إلى مدينتى بصرى وأذرعات من كور حوران والبثنية^(٢) فحارب أهلها ثم آمنهم. فلما استسلموا له قتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وأخذ أموالهم. فقصدوا طبرية فواقعهم عامل أحمد بن كيغْلغ فكسروه، ثم بذلوا الأمان، فلما سكن إليهم [46] غدروا به وقتلوه وانتهبوا مدينة الأردن وسبوا النساء والصبيان وقتلوا الرجال.

واتصل بهم مسير الحسين بن حمدان نحوهم فخرجوا نحو السماوة وتبعهم الحسين فى برية السماوة وهم ينتقلون من ماء إلى ماء ويُعورونه حتى انقطع الحسين عن اتباعه لعدم الماء فعاد إلى الرحبة وأسرى القرامطة إلى هيت،

١. انظر الطبرى (١٣: ٢٢٥٦).

٢. فى مط: والسنة.

فنهبت ربضها وقُتلت وأحرقت وانتهبت السفن التي في الفرات، فأوقرت ثلاثة ألف راحلة كانت معها زهاء مائتي كُرَّ حنطة ومن البُرِّ والعطر والسَّقَط جميع ما احتاجوا إليه وأقاموا بها يومين. ثم رحلوا عنها ولَمَّا أصابوا ما أصابوا من الربض وتحصَّن منهم أهل المدينة بسورها وندب لهم محمد بن إسحاق بن كنداجيق ثم اتبع بمونس الخازن فهرب القرامطة وكُتب إلى الحسين بن حمدان أن يقصدهم من ناحية الرحبة ليجتمع هو وابن كنداجيق على الإيقاع بهم.

فلَمَّا أحسَّ الكلبيون بالجند قد قصدوهم انتصروا بينهم، فوثبوا على المسمي؛ نصراً وقتلوه وتقربوا به إلى السلطان ورئيسهم رجل يُعرف بالذئب فأُسْنِيت له الجائزة وكفَّ [47] عن طلب قومه فمكث أياماً ثم هرب.

فكتب السلطان إلى الحسين بن حمدان في معاودتهم واجتثاث أصولهم. فبعث إليهم زكرويه داعية له يُعلمهم أنَّ الذئب قد نفره عنهم وثقل قلبه عليهم وأنهم قد ارتدوا عن الدين، وأنَّ وقت ظهورهم قد حضر وقد بايع له بالكوفة أربعون ألفاً، وأنَّ يوم موعدهم اليوم الذي ذكره الله تعالى وهو يوم الزينة^(١) وأنَّ زكرويه يأمرهم أن يخفوا أمرهم ويظهروا الإنقلاع نحو الشام، ثم يسيروا إلى الكوفة حتَّى يصبَحوها يوم النحر، فإنهم لا يمنعون منها وأَنَّهُ يظهر لهم وينجز وعده الذي كانت رسله تأتيهم به وأن يحملوا داعيتهم وهو القاسم بن أحمد معهم. فامتثلوا أمره ووافوا باب الكوفة وقد انصرف الناس عن مصلاتهم.

وكان إسحاق بن عمران عامل السلطان بها فأوقعوا بمن لحقوه وسلبوهم وبادر الناس إلى الكوفة وتنادوا بالسلاح ونهض إسحاق بن عمران في

أصحابه، فدخل مدينة الكوفة من القرامطة نحو مائة فارس من الباب المعروف بباب كندة، فاجتمعت العوام وأصحاب السلطان [48] فرموهم بالحجارة وألقوا عليهم الشتر فقتل منهم جماعة وأخرجوهم عن المدينة ثم صاقهم إسحاق خارج المدينة وأمر أهل المدينة بالتحارس فلم تزل الحرب قائمة إلى العصر وانهمزت القرامطة وأصلح أهل الكوفة السور والخندق.

وكتب إسحاق يستمد السلطان فأمدّه بجماعة من القواد فيهم وصيف بن صوراتكين والفضل بن موسى بن بغا وجنى الصفوانى وجماعة أمثالهم، فشحصوا إلى زكرويه وخلفوا إسحاق بن عمران بالكوفة لضبطها وصاروا إلى قريب من القادسيّة إلى موضع يُعرف بالصوان^(١) وهو فى العرض، فلقبهم زكرويه هناك فصاقوه واشتدّت الحرب فكانت الدبرة فى أول الأمر على القرمطى. وكان زكرويه قد كمن لهم كميناً فخرج الكمين عليهم فانهزم أصحاب السلطان أقبح هزيمة ووضع القرمطى فيهم السيف فقتلوهم كيف شاءوا وصبر جماعة من غلمان الحُجر، فقتلوا عن آخرهم بعد أن نكوا فى القرامطة نكاية عظيمة.

وأخذ للسلطان من الجَمَازات التى عليها السلاح والآلة ثلاثمائة جَمَازة ومن البغال خمسمائة بغل، فقتل من أصحاب السلطان نحو ألفى رجل. فقوى القرمطى ثم تطرّق البيادر فأخذ من الغلات ما حملت البغال.

ووافى قوم [49] من العرب باب الكوفة فدخلوا أحياتها وكانوا ضربوا على الداعية الذى يُقال له: القاسم بن أحمد قبة ودعوا:

« يا لنارات الحسين. »

يعنون الحسين بن زُكرويه المصلوب وشعارهم:

١. فى الطبرى (١٣: ٢٢٦٦): بالصوار.

- «يا أحمد يا محمد».

يعنون ابني زكرويه المقتولين، وأظهروا أعلاماً بيضاً وقَدَرُوا أَنَّهُمْ يَسْتَعُونُ الرِّعَاعَ بِالكُوفَةِ لَمَّا أَظْهَرُوهُ. فَأَسْرَعَ إِسْحَاقُ بْنُ عِمْرَانَ وَمَنْ مَعَهُ نَحْوَهُمْ فَدَفَعَهُمْ وَقَتْلَ مَنْ ثَبَتَ لَهُ مِنْهُمْ وَعَاوَنَهُ أَهْلُ الْبَلَدِ فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ الْقَرَامِطَةُ وَمَا تَمَّتْ حِيلَتُهُمْ.

وكان زكرويه قد ظهر في أهل قرية الصوان ينقلونه على أيديهم ويسمونه: ولي الله، فلما رأوه سجدوا له فقال لهم:

- «إِنَّ الْقَاسِمَ بْنَ أَحْمَدَ أَعْظَمَ النَّاسِ مَنَّةً عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُ رَدَّكُمْ إِلَى الدِّينِ بَعْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْهُ».

وتقدّم إليهم بأن يمتثلوا أمره، فإنه حينئذٍ ينجز مواعيده^(١) ويبلغهم آمالهم. وتلا عليهم آيات من القرآن رمزها لهم، فاغترّوا به وقويت قلوبهم وأيقنوا بالنصر وبلوغ الأمل. وسار بهم وهو محبوب عنهم يدعونه: السيّد، ولا يبرزونه لمن في عسكره والقاسم يتولّى الأمور دونه ويمضيها على رأيه. وكان عنده أن أهل الكوفة وسوادها يخرجون إليه، فأعلم أصحابه ذلك وأقام نيفاً وعشرين سنة بيتاً رسله في السواد فلم يلحق به [50] إلا خمسمائة رجل ممن لحقته الشهوة بنساءهم وأولادهم^(٢).

وسرّب إليه السلطان الجنود وتسرع إليه جماعة من القواد منهم جنى الصفوانيّ وبشر الأفشيني ورائق فتى أمير المؤمنين والحجّريّة من الغلمان، فأوقعوا بالقرامطة وقتلوا جماعة من فرسانهم ورجّالتهم فأسلموا بيوتهم فانهزموا، ودخلوا البيوت وتشاغلوا بها. فعطفت القرامطة عليهم فهزموهم. وأعظم الناس ما جرى على أصحاب السلطان بالصوان وغيرها، وأهمّ

١. في مط: ينحرموا عنده. بدل: ينجز مواعيده.

٢. انظر الطبري (١٣: ٢٢٦٥).

السلطان أمر مصر بسبب ابن الخليجي . فأمر المكتفى بإخراج مضاربه إلى باب الشّمسية ثم وردت خريطة من قبل فاتك يذكر أنّهم رجعوا إلى ابن الخليجي ، فكانت بينهم وقعات وحروب . وفي آخرها هُزم ابن الخليجي وقُتل أصحابه وإنه هرب إلى مصر ودخل الفسطاط فاستتر بها عند رجل من أهل البلد ، ودخل أصحاب السلطان الفسطاط فاستثاروه^(١) وجمع من كان بالبلد . فكتب إلى فاتك بحمل ابن الخليجي ومن أسر معه إلى بغداد . ورُدت مضارب المكتفى بالله إلى بغداد فحمل ابن الخليجي إلى بغداد مع أحد وعشرين رجلاً على الجمال مُشهريين بيرانس ودراريع حرير . وخلع المكتفى على وزيره العبّاس بن الحسن خلعاً [51] لحسن تدبيره في هذا الفتح^(٢) . ثم حمل رأس القرمطي المسمّى نصراً الذي انتهب هيت منصوباً على قناة فطيف به في الجانبين .

ودخلت سنة أربع وتسعين ومائتين

زُكرويه وقصده قافلة الحجيج

وفيها ورد الخبر بأن زُكرويه بن مهرويه القرمطي ارتحل من موضعه يريد الحاج . فذكر أنّه مضى في البر من جهة المشرق قريباً من الواقعة ووافت القافلة واقصة لسبع خلون من المحرم . فأنذروهم أهل المنزل وأخبروهم أنّ بينهم وبين القوم أربعة أميال فلم يقيموا وارتحلوا فنجوا . فأمعنت القافلة في السير وصار القرمطي إلى واقصة فسألهم عن القافلة ، فأخبروه أنّها لم تقم بواقصة ، فاتّهمهم بإنذارهم فقتل من العلافين بها جماعة وأحرق العلف وتحصّن أهلها في حصنهم . ثم ارتحل نحو زُبالة وسارت العساكر في طلب

١. في مط : فاستثاروه .

٢. انظر الطبري (١٣: ٢٢٦٨) .

زُكرويه مدّة ثمّ انصرفت عنه.

ومرّ زكرويه فى طريقه بطوائف من بنى أسد فأخذها معه وقصد الحاجّ المنصرفين عن مكّة وقصد الجادّة، ثمّ اعترضهم يوم الأحد لإحدى عشرة خلت من المحرّم من هذه السنة بالعقبة [52] من طريق مكّة فحاربوه حرباً شديدة فسايلهم وقال :

- «أفيكم السلطان؟»

قالوا : «نعم معنا سلطان ونحن الحاجّ.»

فقال لهم :

- «فامضوا فليست أريدكم.»

فلما سارت القافلة تبعها فأوقع بهم وجعل أصحابه ينخسون الجمال بالرماح ويبيعونها بالسيوف، فنفرت واختلطت القافلة وأكبّ أصحاب زكرويه على الحاجّ يقتلونهم كيف شاءوا فقتلوا الرجال والنساء وسبوا من النساء من أرادوا واحتوا على ما فى القافلة. وقد كان لقى بعض من أفلت من هذه القافلة علّان بن كُشمُرد وكان فى قطعة من فرسان جيش السلطان أعدّ لقصد القرامطة، فسأله عن الخبر فأعلمه ما نزل بقافلة الخراسانية وقال :

- «ما بينك وبين القوم إلّا قليل، والليلة أو فى غد توافى القافلة الثانية،

فإن رأوا علماً للسلطان قويت نفوسهم والله الله فيهم.»

فرجع علّان من ساعته وأمر من معه بالرجوع وقال :

- «لا أعرض أصحاب السلطان للقتل.»

ثمّ أصدد زكرويه ووافته القافلة الثانية والثالثة ومن كان فيها من القوادر والكتّاب مع جماعة من الرسل تنكبوا طريق الجادّة وكتبوا بخبر الفاسق وفعله بالحاجّ ويُعلمهم بالتحرّز منه والعدول عن الجادّة نحو واسط [53]

والبصرة أو الرجوع إلى فيد^(١) أو المدينة^(٢) إلى أن تلحق بهم الجيوش. ووصلت الكتب إليهم فلم يسمعو ولم يتلبثوا، وتقدم أهل القافلة الثانية وفيها المبارك القمى وأحمد بن نصر العقيلي فوافوا الفجرة وقد رحلوا عن الواقعة وعوّروا مياهها وملأوا بركها وآبارها بجيف الإبل والدواب التي كانت معهم مشقة بطونها، ووردوا منزل العقبة لاثنتي عشرة خلت من المحرم فحاربهم أهل القافلة الثانية.

وكان أبو العشائر مع أصحابه في أول القافلة ومبارك القمى فيمن معه في ساقتها. فجرت بينهم حرب شديدة حتى كشفوهم وأشرفوا على الظفر بهم، فوجد الفجرة من ساقتهم غرة فركبوهم من جهتها ووضعوا رماحهم في جنوب إبلهم وبطونها فطحنهم الإبل فتمكّنوا منهم فوضعوا السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم إلا من استبدوه.

ثم أنفذوا إلى ما دون العقبة فوارس لحقوا من كان أفلت من السيف، فأعطوهم الأمان، فرجعوا فقتلوهم عن آخرهم وسبوا من اختاروا من النساء وحملوا الأموال والأمتعة، وقتلوا مباركاً القمى والمظفر ابنه وأسر أبو العشائر وجُمع القتلى فوضع بعضهم على بعض [54] حتى صاروا كالتل العظيم ثم قُطعت يدا أبي العشائر ورجلاه وضربت عنقه. وأطلقوا من النساء ما لم يرغبوا فيه وأفلت من الجرحى قوم، ووقعوا بين القتلى، فتحاملوا في الليل ومضوا. فمنهم من مات في الطريق ومنهم من نجا وهم قليل. وكانت نساء القرامطة مع صبيانهم يطفن في القتلى يعرضون عليهم الماء، فمنهم من كلمهم فأجهزوا عليه.

وكان في القافلة زهاء عشرين ألف رجل قُتل جميعهم غير نفر يسير ممن

١. في مط: قيد. والضبط من الطبرى (٣: ٢٢٧).

٢. الكلمة مطبوسة في الأصل.

قوى على العدو بغير زاد ومن وقع فى القتلى وهو مجروح فأفلت يعدو أو من استعبدوه لخدمتهم.

وكانت كتب الضرايين بمصر إلى الضرايين بالعراق فى هذه السنة ترد أنهم يستغنون وذاك أن آل طولون والقواد المصريين الذين شخصوا إلى مدينة السلام ومن كان فى مثل حالهم، قد وجهوا فى حمل مالهم من مصر إلى مدينة السلام وقد سبكوا أوانى الفضة والذهب والحلى نقاراً^(١) وحمل إلى مكة ليوافوا مدينة السلام مع الحاج فحمل فى القوافل الشاخصة إلى بغداد فذهب ذلك كله.

ولما فرغ القرمطى من الحاج وأخذ الأموال واستباح الحرم، رحل من وقته من العقبة بعد أن ملأ البرك والآبار بالجيف من الناس والدواب. [55]

ورود خبر القافلة على السلطان

وورد الخبر بذلك على السلطان فاستعظم الناس جميعاً ذلك.

ونذب السلطان أيوب بن محمد بن داود صاحب الخراج والضياع بالمشرق وديوان الجيش للخروج إلى الكوفة والمقام بها لإنفاذ الجيوش إلى القرمطى. فخرج وحمل أموالاً كثيرة لإعطاء الجند.

ثم سار زكرويه إلى زبالة^(٢) فترلها وبث الطلائع أمامه ووراءه خوفاً من أصحاب السلطان المقيمين بالقادسية أن يلحقوه ومتوقعاً ورود القافلة الثالثة التى فيها الأموال والتجار.

ثم ساروا إلى الثعلبية ثم إلى الشقوق وأقام هناك ينتظر القافلة وفيها جماعة من القواد: نفيس وصالح ومعه الشمسة. وكان المعتضد جعل فى

١. انظر الطبرى (١٣: ٢٢٧٣).

٢. فى مط: زبالة.

الشمسة جوهرأ نفيساً. وكان فى القافلة جماعة من وجوه الكتاب وغيرهم. فلما صار أهل هذه القافلة إلى فيند بلغهم خبر زكرويه وأصحابه، فأقاموا بقيند أياماً ينتظرون تقوية لهم من قبل السلطان.

وصار زكرويه إلى فيند وبها عامل السلطان. فلجأ منه إلى أحد حصنها مع مائة رجل وشحن الحصن الآخر بالرجال. فجعل زكرويه يرسل أهل فيند فى أن يسلّموا عاملهم ومن فيهم من الجند وأنهم إن فعلوا ذلك آمنهم [56] فلم يجيبوه إلى ما سأل، فحاربهم فلم يظفر منهم بشىء. فتنحى إلى النّجاج ثم إلى حفر أبى موسى.

ثم أنهض المكتفى وصيف بن صوراتكين ومعه من القوادر جماعة إليه، فلقبه يوم السبت لثمان بقين من شهر ربيع الأول. فاقتتلوا يومهم ثم حجز بينهم الليل، فباتوا ليلتهم يتحارسون. ثم عاودهم القتال فظفر بهم جيش السلطان فقتل منهم مقتلة عظيمة وخلصوا إلى زكرويه فضربه بعض الجند بالسيف، وهو مولّ على قفاه، ضربة اتصلت بدماعه. فأخذ أسيراً وخليفته وجماعة من أقربائه وخاصته فيهم ابنه وكاتبه وزوجته. وعاش زكرويه خمسة أيام ثم مات، فشق^(١) ثم حُمل بهيئته. وانصرف وصيف بمن كان حياً فى يده من الأسرى ثم التقطت القرامطة واستأمن قوم منهم^(٢).

مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی

ودخلت سنة خمس وتسعين ومائتين

وفىها خرج عبد الله بن إبراهيم المسمعى عن إصيهان فى نحو عشرة آلاف من الأكراد وغيرهم مظهرأ الخلاف على السلطان. وفىها توفى أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد عامل خراسان وما وراء النهر

١. فى الطبرى (١٣: ٢٢٧٥): فشق بطنه.

٢. انظر الطبرى (١٣: ٢٢٧٥).

وقام أحمد بن إسماعيل ابنه مقامه. [57]

وفيها عقد المكتفى بيده لواءاً لأحمد بن إسماعيل وحمله إليه.
وفيها رُوسل المسمعى وخُوف عاقبة الخلاف وأرعب فصار إلى باب
السلطان. فرضى عنه المكتفى ووصله وخلع عليه.

وفاة المكتفى

وفيها توفى المكتفى، فكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر
يوماً وله إثنان وثلاثون سنة، ويكنى: أباً محمّداً، وكان ربعة جميلاً رقيق
اللون حسن الشعر وافر اللحية، وامتدت^(١) علته شهوراً ودُفن في دار ابن
طاهر.



مركز تحقيق كتاب تويز علوم اسلامی

١. وامتدت...: زيادة في تجارب الأمم، ليست في الطبری (١٣: ٢٢٨٠).

خلافة المقتدر بالله

وبويع^(١) جعفر بن المعتضد بالله
وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكنيته أبو الفضل

ذكر ما جرى في ذلك

لما ثقل المكتفى في علته فكر العباس بن الحسن وهو الوزير في من يقلده الخلافة وترجع رأيه، وكان يركب من داره إلى دار السلطان ويسايره واحد من الأربعة الذين يتولون الدواوين، وهم: أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح، وأبو الحسن محمد بن عبدون، وأبو الحسن بن الفرات، وأبو الحسن علي بن عيسى.
فركب معه محمد بن داود فشاورة العباس، فأشار بأبي العباس عبد الله بن المعتز بالله^(٢) فقرّضه^(٣) ووصفه.
ثم ركب معه في اليوم الثاني أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات

١. ابتداء نشرة ايمدروز (Amedroz) من تجارب الأمم، مع العلم بأن المقتدر آخر خليفة جاء ذكره

في تاريخ الطبري (١٣: ٢٢٨٠).

٢. في مد: المعتز، دون «الله».

٣. وفي مط: فرضيه، بدل «فقرضه».

فشاوره.

فقال له :

- «هذا شيء ما جرت به عادتي.» [58]

واستعفاه وقال :

- «إنما أشاور في العمال.»

فأظهر العباس غضباً وقال :

- «هذه محاجة وليس يخفى عليك^(١).»

وألح عليه فقال له :

- «إن كان رأى الوزير قد تقرّر على إنسان بعينه فليستخر الله ويُمضى

عزمه.»

قال ابن الفرات : فعلم أنى قد عنيت ابن المعتزّ لاشتهار الخبر به فقال لى :

- «ليس أريد منك إلا أن تمحضنى النصيحة.»

فقلت له :

- «إذا أراد الوزير ذلك فأنى أقول : اتق الله ولا تنصب فى هذا الأمر من

قد عرف دار هذا ونعمة هذا وبستان هذا وجارية هذا وضيعة هذا وفرس

هذا، ومن لقي الناس ولقوه وعرف^(٢) الأمور وتحنّك وحسب حساب نعم

الناس.»

قال : فاستعاد ذلك متى الوزير دفعات، ثم قال :

- «فى من تشير؟»

فقلت : «بجعفر بن المعتضد.»

فقال : «ويحك جعفر صبيّ.»

١. وزاد فى مد : الصحيح.

٢. فى مط : تعرّف.

قلت : «إلا أنه ابن المعتضد ولم تجيء برجل يأمر وينهى ويعرف ما لنا،
وبمن يباشر التدبير بنفسه ويرى أنه مستقل ولم لا تسلم هذا الأمر إلى من
يدعك^(١) تدبره أنت.»

ثم شاور أبا الحسن علي بن عيسى في اليوم الثالث واجتهد به أن يسمي
له أحداً، فامتنع وقال :

«أنا لا أشير بأحد، ولكن ينبغي أن يتقى الله وينظر للدين.»

فمالت نفس العباس بن الحسن إلى رأى أبي الحسن ابن الفرات [59]
ووافق ذلك ما كان المكتفى عهد به من تقليد أخيه جعفر الخلافة.

فلما مات المكتفى آخر نهار يوم السبت الثاني عشر من ذي القعدة،
نصب الوزير العباس جعفر^(٢) في الخلافة على كراهية منه لصغر سنه.
ومضى صافي الحرمي فحدره من دار ابن طاهر. فلما اجتازت الحراقة التي
حدر فيها وانتهت إلى [دار]^(٣) العباس بن الحسن صاح غلمان العباس
بالملاح أن : ادخل.^(٤)

فوقع لصافي الحرمي أن العباس إنما يريد أن يدخله إلى داره لتغيير^(٥) رأيه
فيه وأشفق أن يعدل عنه إلى غيره، فمنع الملاح من الدخول وجرّد سيفه
وقال للملاح :

«إن دخلت رمت برأسك.»
فانحدر وجهاً واحداً إلى دار السلطان.

١. في مط : توغل.

٢. في مط : العباس بن جعفر.

٣. زيادة من مد.

٤. سقط من مط، من «ادخل» إلى «وقال الملاح».

٥. في مد : لتغير.

وثمَّ أمر جعفر ولقبَ: المقتدر بالله. وأطلق السلطان يد العباس فأخرج المال للبيعة.

وحكى القاضي أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمي: أنَّ القاضي أبا عمر محمد بن يوسف حدَّثه أنَّ العباس بعد إتمامه أمر المقتدر إستصباه، وكثر كلام الناس. فعمل على أن يحلَّ أمره ويقلَّد أبا عبد الله محمد بن المعتمد على الله. وكان أبو عبد الله بن المعتمد حسن الفعل جميل المذهب، فوسَّط الوزير أمره بينه وبينه^(١) القاضي أبا عمر وسامه اليمين، فقال [60] ابن المعتمد:

- «إن لم تصحَّ نيَّته لم تغن فيه اليمين وإن صحَّت استغنى عنها وله الله^(٢) راع وكفيل، على أنى لا أغدر به ولا أنكبه.»

وكان العباس ينتظر بأمره قدوم بارس الحاجب غلام إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان، فإنَّه كان ورد كتابه وقدَّر أنَّه يستظهر به وبمن معه على غلمان المعتضد. فتمادت الأيام بقدوم بارس ووقع بين ابن عمرويه صاحب الشرطة ببغداد وبين أبي عبد الله محمد بن المعتمد منازعة فاجتمعا يوماً^(٣) في مجلس الوزير العباس بن الحسن وجرى بينهما خطاب فأربى عليه ابن عمرويه في الكلام، ولم يكن علم بما رُشِّح له، ولم يمكن أبا عبد الله أن ينتصف منه لمجمله، فاغتاظ غيظاً شديداً كظمه فغشى عليه وفُلج في المجلس. فاستدعى العباس عمارية^(٤) وأمر بحمله فيها إلى داره، فحُمِّل ولم يلبث أن مات. فعمل العباس على تقليد أبي الحسين من ولد المتوكل على

١. في مط: بين. وما في الأصل هو الصحيح.

٢. في مط: وله. دون «الله».

٣. في مد: يومئذ. بدل «يوماً».

٤. في مط: حماريه.

الله مكانه. فمات أيضاً وتمّ أمر المقتدر.

ودخلت سنة ست وتسعين ومائتين
وفيهما كانت فتنة عبد الله بن المعتز
ذكر الخبر عن ذلك

كان التدبير وقع^(١) بين محمد بن داود بن الجراح مع الحسين بن حمدان على إزالة أمر المقتدر [61] بالله ونصب عبد الله بن المعتز مكانه،^(٢) وواطأ على ذلك جماعة من القواد والكتاب والقضاة.^(٣) فركب يوماً العباس بن الحسين يريد بستانه المعروف ببستان الورد، فاعترضه الحسين بن حمدان وعلاه بالسيف وقتله. وكان إلى جانبه فاتك المعتضدي يسايره فصاح بالحسين منكراً عليه، فعطف عليه الحسين وقتله.

واضطرب الناس، وركض الحسين بن حمدان قاصداً إلى الحلبة مقدراً أن المقتدر هناك يضرب بالصوالة فيقتله فلمّا سمع المقتدر الضجة بادر بالدخول إلى داره وغلقت الأبواب دون الحسين، فانصرف إلى الدار المعروفة بسليمان بن وهب بالمخرم، وبعث إلى عبد الله بن المعتز يُعرفه تمام التدبير فنزل عبد الله من داره التي على الصراة وعبر إلى المخرم، وحضر القواد والجند وأصحاب الدواوين وفيهم علي بن عيسى ومحمد بن عبدون، وحضر القضاة ووجوه الناس سوى أبي الحسن ابن الفرات وخواص المقتدر فبايع من حضر عبد الله بن المعتز وخطب بالخلافة وانعقد له الأمر ولُقب: المرتضى بالله.

١. في مد: يقع. خلافاً للأصل.

٢. سقط من مط: مكانه.

٣. سقط من مط: القضاة.

واستوزر أبا عبد الله محمد بن داود بن الجراح وقلد علي بن عيسى الدواوين والأصول ومحمد بن عبدون دواوين [62] ^(١) الأزمّة، ونفذت الكتب إلى الأمصار كلّها عن عبد الله بن المعتز، ووجه إلى المقتدر بالله يأمره بالإنصراف إلى دار ابن طاهر مع والدته لينتقل هو إلى دار الخلافة، فأجيب بالسمع والطاعة.

وعاد الحسين بن حمدان من غدير إلى دار الخلافة فقاتله من فيها من الخدم والغلمان والحشم ومن كان هناك من الرجال من وراء السور، ودفعوه عن الدار. فانصرف في آخر النهار وحمل ما قدر عليه من ماله وحُرمه وولده، وسار بالليل إلى الموصل، ولم يكن بقي مع المقتدر من رؤساء القواد غير مونس الخادم ومونس الخازن وغريب الخال ^(٢) والحاشية. فلما راسل ابن المعتز المقتدر بالإنصراف إلى دار ابن طاهر، قالت هذه الجماعة بعضها لبعض:

- «يا قوم، نسلّم الأمر هكذا، لم لا نجرّد أنفسنا في دفع ما قد أظننا؟ فلعلّ الله أن يكشفه عنا.»

فأجمع رأيهم على أن يصعدوا في شذات ومعهم جماعة، ففعلوا ذلك وألبسوا الجماعة الجواشن والخوذ والسلاح وصاروا إلى دار المخزّم. فلما قربوا منها ورأهم من كان فيها على شاطئ دجلة قالوا:

- «شذات مصعدة من دار السلطان.»

ووقع الرعب في قلوبهم ^(٣) فتطايروا [63] على وجوههم قبل أن تجري بينهم حرب وقبل وصول الشذات إلى الدار. وخرج عبد الله بن المعتز ومعه

١. تأخر الترقيم في مد بقدر خمس كلمات، أي جاء بعد كلمة «الأصول».

٢. في مط، وص: غريب الجمال. هو غريب الخال، أي خال المقتدر. انظر، صلة غريب ص ٤٢.

٣. في مط: في صدورهم.

وزيره محمد بن داود وحاجبه يُمن وقد شهر يُمن سيفه وهو ينادى :
- «معشر العامة ادعوا الله لخليفتكم.»

وأخذوا طريق الصحراء تقديراً منهم أن يتبعهم الجيش ويصيروا إلى سرّ من رأى فيثبت أمرهم فلم يتبعهم أحد، فلما رأى محمد بن داود نزل عن دابته لما حاذى داره ودخلها واستتر ونزل عبد الله بن المعتز في موضع آخر ومشى إلى دجلة وانحدر إلى دار أبي عبد الله بن الجصاص ودخلها واستجار به، ففرّ الناس على وجوههم ووقعت الفتنة والنهب والغارة والقتل ببغداد، وكان محمد بن عمرو بن صاحب الشرطة فركب وقاتله العامة لأنه كان من أكبر أعوان عبد الله بن المعتز فهزموه، وقلّد المقتدر مكانه من يومه مونساً الخازن.

وكان خرج في الوقت الذي خرج فيه ابن المعتز من داره أبو الحسن على بن عيسى ومحمد بن عبدون مع من خرج من دار عبد الله بن المعتز، واستتروا في منزل رجل يبيع البقل، ونذر بهما العامة، فكيسوهما وأخرجوهما وسلّموهما إلى بعض خدم المقتدر [64] المجتازين في الطرق، فأركبهما جميعاً على بغل أكاف^(١) كان معه، ولحقهما في الطريق من العامة أذى شديد حتى حصلا في الدار ووكل بهما.

وقُبض في ذلك اليوم على وصيف بن صوراتكين وخرطامش ويمن وفاتك وجماعة ممن كان حاضراً دار ابن المعتز وفيهم القاضي أبو عمر محمد بن يوسف والقاضي أبو المثنى أحمد بن يعقوب والقاضي محمد بن خلف بن وكيع واعتقل الكل في دار الخلافة وسلّموا إلى مونس الخازن. ثم أمر بقتلهم أجمعين. فقتلهم تلك الليلة سوى علي بن عيسى ومحمد بن

١. الأكاف: البردعة (= البردعة)؛ وهي كساء يُلقى على ظهر الدابة.

عبدون والقاضي أبو عمر والقاضي محمد بن خلف فإن هؤلاء سلموا.

وزارة أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات

وأنفذ المقتدر مونساً الخازن إلى دار أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات التي كان ينزلها بسوق العطش بعد أن أعطاه خاتمه وأعلمه أنه يريد أن يستوزره. وكان ابن الفرات مستتراً بالقرب من داره. فلم يظهر له فأعيد إليه مرة أخرى، فرفق بالجيران وأعلمهم أنه يُستوزر فظهر له وقت العصر من ذلك اليوم وصار به إلى دار السلطان ووصل إلى المقتدر وقلّده وزارته ودواوينه وعاد إلى داره بسوق العطش. وبكر يوم الإثنين وهو غد ذلك اليوم، فخلع عليه خلع الوزارة وسار بين يديه [65] القواد بأسرهم، وخلع في ذلك اليوم على مونس الخازن بسبب تقلّده الشرطة، وأطلق ابن الفرات للجنّد مالا لصلة ثانية وجدّد البيعة للمقتدر.

ذكر الخبر عن الظفر بعبد الله بن المعتز

صار خادم لأبي عبد الله بن الجصاص يُعرف بسوسن إلى صافي الحرمي يسعى بأن عبد الله بن المعتز مستتر في دار مولاه فأنفذ المقتدر بالله صافياً الحرمي في جماعة حتى كبس منزل ابن الجصاص واستخرج منه عبد الله بن المعتز، فحمله وحمل معه أبا عبد الله بن الجصاص^(١) إلى دار السلطان. ثم صودر ابن الجصاص على مال بذله وأطلقه إلى منزله بعد أن تكفل به الوزير أبو الحسن ابن الفرات.

وسلم علي بن عيسى ومحمد بن عبدون إلى أبي الحسن ابن الفرات

١. في مط: الحصاص (بالحاء المهملة).

وناظرهما بمراسلة وصادرهما، وخفف عن علي بن عيسى ونقلها علي محمد بن عبدون لعداوة كانت بينهما وقال للمقتدر:

- «لم يكن لهذين في أمر ابن المعتز صنع وتكفل بهما وبالقاضي محمد بن خلف بن وكيع وخلصهم.»

ثم نفى محمد بن عبدون إلى الأهواز وأمر بتسليمه إلى محمد بن جعفر العبرتاي ونفى علي بن عيسى إلى واسط بعد أن افتداه من ماله بخمسة آلاف دينار دفعها [66] إلى سوسن الحاجب واستكفها بها عنه فإنه كان يغري به ويقول: كان مطابقاً لعمه.

موت عبدالله بن المعتز وثبات أمر المقتدر

وظهر موت عبد الله بن المعتز في دار السلطان ودفع إلى أهله ملفوفاً في زلي بردون^(١) وتم ما كان في سابق علم الله عز وجل وحكم به من ثبات أمر المقتدر وبطل اجتهاد المخلوقين وحيلهم في إزالته.

قتل محمد بن داود

فأما محمد بن داود فحكى أبو علي محمد بن علي بن مقلة قال: كنا بحضرة الوزير أبي الحسن في يوم هو فيه متخل^(٢) ودخل إليه بعض غلمانہ فسأره فظهر منه غم شديد وإذا هو قد أبلغ قتل محمد بن داود وقال:

- «كان مع عداوته لي رجلاً عاقلاً كثير المحاسن يجمع إلى صناعته كتابة الخراج والجيش والبلاغة والفقه والأدب والشعر، وكان كريماً سخياً وقد جرى عليه من القتل أمر عظيم.»

١. في مط: برمون.

٢. في مط: متبجل.

ثم لعن عليّ بن الحسين القنّاي النصراني وقال :
 - «هو غرّ هذا الرجل، فإنّ ما كان بينه وبينه من المودة مشهور، فخلّص
 نفسه وقتل صديقه.»

ذكر ما عمله القنّاي في أمر

محمد بن داود

كان سوسن عدوّاً لمحمد بن داود وكذلك صافي الحُرّمي. فأغريا المقتدر
 بالله وقالوا له : [67]

- «إنّ عليّ بن الحسين القنّاي يعرف موضعه.»

فقبض عليه وهُدّد بالقتل فحلف أنّه لا يعرف الموضع الذي استتر فيه
 محمد بن داود وإنّما تأتيه رقاعه يد^(١) امرأة تجيء إلى امرأة نصرانية تجيئه
 بها، وضمن أنّه يحتال في إثارتها فأطلق.

وكاتب محمد بن داود وأعلمه أنّه قد سفر له مع سوسن في أمر يكون به
 خلاصه، وأنّ ما جرى في ذلك لا تحتمله المكاتبة، وأنّ الوجه أن يأذن له
 في المصير إليه في الموضع الذي هو فيه مستتر. فإن لم يأذن في ذلك
 صاحب داره خرج متنكراً وصار إليه.

فكتب إليه محمد بن داود أنّه يصير إليه في ليلة ذكرها. فمضى عليّ بن
 الحسين برقعته إلى سوسن وصافي، فأقرأهما إيّاها، فترصّدا تلك الليلة وأمرا
 صاحب الشرطة أن يتقدّم إلى أصحاب الأرباع وأصحاب المسالح بترصّده.
 فلمّا خرج تلك الليلة ظفر به وسلّم إلى مونس الخازن، فقتله ثمّ طرحه على
 الطريق، حتّى أخذه أهله فدفنوه.

١. كذا في الأصل: يد. في مد: بيد (بزيادة الباء). في مط: على يد.

وحكى أبو عليّ ابن مقلّة وأبو عبد الله زنجي^(١) الكاتب: أن محمّد بن داود^(٢) كتب إلى ابن الفرات رقعة وصلت إليه، فلم يقدر أن يكتب الجواب بخطه وقال لموصلها وكان ثقة عنده:

«تقرأ عليه السلام وتقول له: ليس جرمك يسيراً [68] والعهد به قريب والإستتار صناعة، فينبغي أن تصبر على استتارك أربعة أشهر حتى تُنسى قصّتك، ثمّ دعنى والتدبير فى أمرك، فإننى بإذن الله أسفر بعد هذه المدة فى صلاحك وأخذ لك أمان الخليفة بخطه وأقول: إنّه دخل فيما دخل فيه القوّاد وكتّابهم، وقد دعت الضرورة إلى الصّفع عنهم، ولهذا بهم أسوة، وأشير عليه بما يصلح أمرك.»

فلم يصبر محمّد بن داود فجرى ما حكّيته.
وحكى أيضاً ابن زنجي: أنّه كان بحضرة أبى الحسن ابن الفرات إذ كتب إليه صاحب الخبر، بأنّ متنصّحاً حضر وذكر أنّ عنده نصيحة لا يذكرها إلّا للوزير، فتقدّم الوزير إلى حاجبه أن^(٣) يخرج إليه ويسأله عنها. فخرج وسأله فأبى أن يخبره بها وقال:

«أريد أن أشافه بها الوزير.»

قال: وكنا بين يديه جماعة فأومأ إلينا، فقمنا وخلا به. ثمّ دعا بحاجبه العباس الفرغانى وقال له:

«اجمع الرجال الذين يرسم الدار.»

ثمّ دعا أبا بشر ابن فرجويه^(٤) وقال له سرّاً:

١. فى مط: ونحى.

٢. وزاد فى مط: عبد الله بن داود. بدل «أنّ محمّد بن داود».

٣. فى الأصل: لمن. والتصحيح من مط، كما يؤيّد مد، وسياق العبارة.

٤. كذا فى الأصل ومط: فرجويه (بإهمال الثالث) فى مد: فرجويه.

- «إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ تَلَصَّحَ إِلَيَّ فِي أَمْرِ مُحَمَّدَ بْنِ دَاوُدَ، وَذَكَرَ أَنَّهُ يَعْرِفُ مَوْضِعَهُ وَأَنَّهُ بَاتَ الْبَارِحَةَ عِنْدَهُ وَالتَّمَسَّ أَنْ أَنْفُذَ مَعَهُ مَنْ يَسْلَمُهُ إِلَيْهِ، وَقَدْ بَذَلْتُ عَلَى ذَلِكَ أَلْفَ دِينَارٍ إِنْ كَانَ صَحِيحاً، أَوْ نِيلَهُ^(١) بِالْعُقُوبَةِ إِنْ كَانَ بَاطِلاً. فَصَرَ عَلَى ذَلِكَ فَارَكْتُ [69] إِلَيْهِ السَّاعَةَ أَنْ يَنْتَقِلَ عَنْ مَوْضِعِهِ، فَإِنِّي أَبْعَثُ إِلَى مَكَانِهِ مَنْ يَكْبِسُهُ وَيَلْتَمِسُهُ.»

وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَعْجِلُ الْحَاجِبُ فِي جَمْعِ الرِّجَالِ فَيَقُولُ :
- «قَدْ فَرَّقْتُ النِّقْبَاءَ فِي طَلِبِهِمْ فَإِنَّهُمْ فِي أَطْرَافِ الْبِلَدِ مِنْهُمْ مَنْ يَنْزِلُ فِي قَصْرِ عِيسَى وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْزِلُ بِيَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ.»
وَلَمْ يَزَلْ يَدَافِعُ بِالْأَمْرِ إِلَى أَنْ عَادَ الْجَوَابُ إِلَى أَبِي بَشَرٍ بِشُكْرِهِ، وَأَنَّهُ قَدْ انْتَقَلَ مِنْ مَوْضِعِهِ إِلَى غَيْرِهِ. فَتَقَدَّمَ حِينَئِذٍ إِلَى الْمَتَنَصِّحِ أَنْ يَمْضِيَ إِلَى الْمَوْضِعِ مَعَ الْقَوْمِ، وَتَقَدَّمَ بِالْإِحْتِيَاظِ عَلَيْهِ وَعَلَى مَا يَلِيهِ. وَكَبِسَهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَحَمَلَهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فَتَشِ الدُّورَ الَّتِي تَلِي الْمَوْضِعَ، وَأَنْ يَسْتَظْهَرُ بِحِفْظِ أَفْوَاهِ الدُّرُوبِ حَتَّى لَا تَفُوتَهُ الْخُرْمُ^(٢) وَيَأْخُذَ مَعَهُ السَّلَالِيمَ.

فَمَضَى الْعَبَّاسُ الْحَاجِبُ وَالْمَتَنَصِّحُ وَالرِّجَالُ وَوَكَّلَ بِأَفْوَاهِ الدُّرُوبِ وَالدُّورِ الْمَجَاوِرَةِ لِلْمَوْضِعِ، وَدَخَلَ الدَّارَ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمَتَنَصِّحُ فَلَمْ يَجِدْهُ. فَسَقَالَ الْمَتَنَصِّحُ :

- «فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَاللَّهُ الْعَظِيمُ خَلَفْتُهُ وَهِيَ هُنَا كَانَ بَائِثاً.»
وَأَقْبَلَ يَسِيرُ إِلَى مَوْضِعٍ مَوْضِعٍ وَمَا عَمَلَهُ فِيهِ. ثُمَّ التَّمَسَّهُ فِي الدَّارِ الْمَجَاوِرَةِ فَلَمْ يَجِدْهُ، وَعَادَ بِهِ إِلَى حَضْرَةِ الْوَزِيرِ فَأَنْكَرَ عَلَى الْمَتَنَصِّحِ سَعَايَتَهُ بِالْبَاطِلِ، وَأَمَرَ بِحَمَلِهِ إِلَى بَابِ الْعَامَّةِ وَضَرِبَهُ مَائَتِي مَقْرَعَةٍ وَأَنْ يُشْهَرَ عَلَى جَمَلٍ وَيُنَادَى عَلَيْهِ :

١. فِي مَط: أَرْسَلَهُ.

٢. كَذَا فِي الْأَصْلِ بِالضَّبْطِ. فِي مَط: حَتَّى لَا يَفُوتَهُ الْخُرْمُ.

« هذا جزاء من يسعى بالباطل. » [70]

وكتب إلى المقتدر وعرفه الصورة، وأنه كبس على محمد بن داود عدة دور فلم يجده، فأوقع العقوبة بالساعي حتى لا يقدم نظراؤه على السعاية بالباطل.

فلما عاد الساعي إلى داره، تقدّم بأن يحمل إليه مائتي دينار وأن يُحدر^(١) إلى البصرة، وقال لنا:

« قد صدق الرجل فيما حكاه وقد عاقبناه ولو لم أفعل ما فعلته، لم آمن أن يمضي إلى دار السلطان. »

وكان أبو بشر يعرف موضع محمد بن داود بن الجراح وعرف الوزير موضعه فكتبه الوزير ولم يُظهره. وهذا مما لا يُنكر من أبي الحسن ابن الفرات مع كرمه وجلالة قدره ونبل أفعاله.

وفيها قبض على محمد بن عبدون

وسوسن الحاجب وقتلا

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن سوسن الحاجب كان مع ابن المعتز في تدبيره، وظن أنه يقرّره على الحجة، فلما عدل عنه إلى يمن^(٢) استوحش وصار إلى دار السلطان. وكان سوسن يدخل مع العباس بن الحسن في التدبير بحضرة المقتدر بالله، فلما تقلّد أبو الحسن ابن الفرات الوزارة تفرّد بالتدبير دون^(٣) سوسن فظهرت الوحشة بين سوسن وبين أبي الحسن [71] ابن الفرات لأجل

١. كذا في الأصل ومط: أن يُحدر، في مد: أن يجدر.

٢. في مط: بمن.

٣. تفرّد بالتدبير دون: كذا في مط ومد. وفي الأصل غموض.

ذلك. وذاع الخبر بصحة عزم سوسن على الفتك بأبن الفرات بمواطاة عدة من الغلمان الحجرية على ذلك، ودبر أن يكون الوزير محمد بن عبدون، وأشار بذلك على المقتدر بالله، وبذل على ذلك مالاً عظيماً، وأنفذ بُني بن نفيس^(١) إلى الأهواز لإحضار محمد بن عبدون بغير موافقة ابن الفرات وأظهر بُني أنه إنما أنفذ لأخذ أموال كانت مودعة للعبّاس بن الحسن بالبصرة.

ولم يصل محمد بن عبدون إلى واسط حتى ظهر الخبر لابن الفرات. فقرّر ابن الفرات في نفس المقتدر أن سوسناً عمل على الإيقاع به أولاً ثم به، وأنه كان من أكبر أعضاد عبد الله بن المعتز، وإنما خالفه أخيراً لما علم أنه قد استحجب غيره. وواقف^(٢) المقتدر على القبض عليه فقبض عليه وقتله من يومه. وكان المتولى لذلك تكين الخاصة وكان تكين هذا مرشحاً للحجبة ومدبراً لها.

ثم أنفذ الوزير إلى محمد بن عبدون من أزعجه في الطريق واعتقله في دار السلطان وصادره مصادرة مجددة، ثم سلّم إلى مونس الخازن فقتله. وقلق أبو الحسن عليّ بن عيسى لذلك وهو بواسط، فكتب إلى الوزير كتاباً يحلف فيه أنه على قديم عداوته لمحمد بن عبدون، إلا أنه لا يدع الصدق من فعله، وأنّ محمد بن عبدون لم يكن ليسعى [72] على دم نفسه بتضمّنه الوزارة، بل كان راضياً بالسلامة بعد فتنة عبد الله بن المعتز، وأنّ سوسناً عمل ذلك بغير رأيه ولا موافقته، وسأل في أمر نفسه أن يبعده إلى مكة ليسلم من الظنة ولينسى السلطان ذكره. فأجابه ابن الفرات إلى ذلك وأخرجه من واسط إلى مكة على حال جميلة. فشخص إليها على طريق البصرة.

١. كذا في الأصل. في مط: وأنفذ بني أبي قيس.

٢. في الأصل: واقف. والواو الزائدة هي من مط.

وكتب عليّ بن عيسى هذا الكتاب مقدراً أن يتخلص به محمد بن عبدون من القتل، ويسلم هو. فوقاه^(١) الله في نفسه بجميل نيته، وحضر أجل محمد بن عبدون، فلم ينفعه اجتهاد عليّ بن عيسى في خلاصه.

استقرار أمر المقتدر

وتفويضه الأمور إلى أبي الحسن بن الفرات

ولما استقرّ أمر المقتدر بالله في الخلافة فوّض الأمور إلى أبي الحسن ابن الفرات فدبرها أبو الحسن كما يدبرها الخلفاء. وتفرد المقتدر على لذاته متوقفاً واحتشم الرجال وأطرح الجلساء والمغنين وعاشر النساء فغلب على الدولة الحرم والخدم فما زال أبو الحسن يتفق الأموال من بيت مال الخاصة ويبذر تبذيراً مفرطاً إلى أن أتلّفها.

ومن محاسن ابن الفرات أنه افتتح أمره بإخراج أمر المقتدر بمكاتبة العمال في جميع النواحي بإفاضة العدل في الرعيّة وإزالة الرسوم الجائرة عنهم وإخراج أمره لجماعة [73] بنى هاشم بجار^(٢) ثم أخرج أمره بزيادة جميعهم ثم أخرج أمره بالصفح عن جميع من كان خرج عن طاعته ووالى ابن المعتز وإلحاقهم في الصلة بمن لم تكن له جناية وتلطّف في أمر الحسين بن حمدان وإبراهيم بن كيغلق حتى رضى المقتدر عنهما وقلّدهما الأعمال وفعل ذلك بائن عمرويه.

مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی

ذكر التدبير الصواب في ذلك

إنه عرّف المقتدر بالله أنه متى عاقب جميع من دخل في أمر ابن المعتز

١. كذا في الأصل: فوقاه. في مط ومد: فوقاه.

٢. في الأصل: بجار. ما في مط مهمل تماماً. في مد: بجار.

فسدت النيات وكثر الخسارج ومن يخشى على نفسه فيطلبون الحيل
للمخلص بإفساد المملكة، وأشار بإحراق جميع الجرائد التي وجد فيها أسماء
المتابعين^(١) لابن المعتز فاستجاب إلى ذلك، وأمر ابن الفرات بتفريق الجرائد
في دجلة ففعل ذلك وسكن الناس وكثر الشاكرون.

ذكر ما جرى في أمر القاضي أبي عمر

كان القاضي يوسف بن يعقوب شيخاً كبير السن يلزم ابن الفرات ويبكى
بحضرته ويسأله تخليص ابنه أبي عمر من القتل. فيذكر له أبو الحسن أنه لا
يتمكن من ذلك إلا بإطعام المقتدر بالله في مال جليل من جهته. فبذل أبوه
أن يفقر نفسه وابنه طلباً للحياة. فسأل [74] ابن الفرات المقتدر بالله الصفع
عنه وأطعمه في ماله ومال ولده. فسلمه المقتدر إليه فصادره على مائة ألف
دينار، واعتقله في ديوان بيت المال ليؤدى المال، فأدى أكثره ودخل فيما
أداه وديعة. قيل إنها كانت عنده للعباس بن الحسن، مبلغها خمسة وأربعون
ألف دينار فلما أدى تسعين ألف دينار أمر ابن الفرات بإطلاقه إلى منزله وترك
له العشرة الآلاف الدينار وأمره بملازمة منزله. وأن لا يخرج منه.

ذكر خيانة واتفاق سبي اتفق فيه

كان سليمان بن الحسن بن مخلد متحققاً بأبي الحسن ابن الفرات ومدلاً^(٢)
بأحوال كانت بين أبيه وبين والده الوزير أبي جعفر محمد بن موسى بن
الفرات. وكان سليمان يختص لذلك بأبي الحسن ابن الفرات. ووجد أبو
الحسن كتباً في البيعة لعبد الله بن المعتز بخط سليمان لتحققه كان بمحمد بن

١. في مط: المتابعين.

٢. في مط: وملا بأحوال.

داود بن الجراح وللقرابة بينهما فلم يظهر أبو الحسن ذلك للمقتدر ولا ذكره، ونوّه باسم سليمان وقلّده مجلس العامة رئاسة.

ثم إن سليمان جنى على نفسه بالسمي لأبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الحميد في الوزارة، وعمل في ذلك نسخة بخطه عن نفسه إلى المقتدر بالله [75] يسمي فيها بأبي الحسن وبأمواله وضياعه وكتابه وأسبابه وكانت الرقعة في كتفه ودخل دار ابن الفرات وهي معه وقام ليصلي صلاة المغرب مع جماعة من الكتاب في دار ابن الفرات، فسقطت الرقعة من كتفه وظفر بها الصقر بن محمد الكاتب لأنّه كان يصلي إلى جنبه. فأقبل بها مبادراً إلى الوزير من وقته، فقبض عليه وأحدره في زورق مطبق إلى واسط، ووكل به وصور وجرى على طبعه وشاكلته، فأحسن إليه وقلّده.

وفيها كوتب أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان في قصد أخيه الحسين ومحاربه وأمد بالقاسم بن سيماء في أربعة آلاف، فاجتمعا ولقيا الحسين فانهزما وانحدر إبراهيم بن حمدان لإصلاح أمر أخيه الحسين، فأجيب إلى ما التمس. وكتب للحسين أمان وصار إلى الحضرة ونزل في الصحراء من الجانب الغربي ولم يدخل دار السلطان، وقلّد أعمال الحرب بقم وحملت إليه الخلع، فلبسها ونفذ إلى قم وانصرف عنها العباس بن عمرو.

وفيها قدم بارس غلام إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان في أربعة آلاف غلام أتراك وغيرهم وصار إلى بغداد مستأمناً وكان مولاه اتبعه إلى الري مظهراً الاستيحاء من قبول السلطان غلامه. فكاتبه [76] ابن الفرات بما سكّن منه حتّى عاد إلى خراسان وقلّد بارس دار ربيعة فأنفذه إليها وقلّد يوسف بن أبي الساج أعمال أرمينية وأذربيجان وعقد له عليها وضمنه إياها بمائة ألف وعشرين ألف دينار في كلّ سنة محمولة إلى بيت مال العامة بالحضرة، فسار من الدينور إليها.

ودخلت سنة سبع وتسعين ومائتين

وفيها أدخل طاهر ويعقوب ابنا محمد بن عمرو بن الليث بغداد أسيرين
في قبة على بغل وقد كشف جلالها وهما بين يدي أبي الفضل عبد الرحمان
بن جعفر الشيرازي كاتب سُبُكْرِي المتقلد فارس ووصل إلى حضرة المقتدر
ووصلا معه بعد أن حُلَّت قيودهما وخلع على عبد الرحمن بن جعفر ورُتِبَ
في الفوج الأول وركب عبد الرحمان في الخلع وأنزل في دار في مربعة
الحُرْسِي^(١) وحُبِس طاهر ويعقوب في دار السلطان.

وكان سُبُكْرِي متغلباً على فارس. فلما قدم عبد الرحمن كاتبه قرّر أمر
سُبُكْرِي مع السلطان على شيء يحمله عن فارس، ثم عاد إلى صاحبه.
فورد الخبر بعد ذلك بأن الليث بن عليّ خرج من سجستان وقصد فارس،
فدخلها وخرج سُبُكْرِي، فتدب مونس الخادم للشخص [77] إلى فارس
وخلع عليه، وسار فوجد سُبُكْرِي براهمرمز واجتمع مع مونس وسار بمسيره
وسار الليث إلى أرجان ليلقي مونساً.

ذكر عجلة واتفاق سَيِّ

ثم إنه بلغ لينا أن الحسين بن حمدان قد سار من قم إلى البيضاء فخاف
أن تؤخذ منه شيراز. فوجه أخاه مع قطعة من جيشه إلى شيراز ليحفظها
وأخذ هو دليلاً يده على طريق مختصر قريب إلى البيضاء ليوقع بالحسين بن
حمدان. فأخذ به الدليل في طريق الرجالة وهو طريق صعب ضيق لا يحمل
الجيوش، فلقى في طريقه مشقة عظيمة حتى تلفت دوابه وتلف رجاله فقتل

١. في مط: الحرسى وجلس طاهر. بدل «الحرسى وحبس طاهر».

الدليل وعدل عن الطريق فخرج إلى خوابذان^(١) وقد وصل إليها مونس. فلما أشرف الليث على عسكر مونس قدّر أنّه عسكر أخيه الذي أنفذه إلى شیراز. فكبّر أصحابه فخرج إليه مونس فأوقع به وأخذه أسيراً. فلما حصل في يده أشار عليه قوّاده بالقبض على سُبكرى. فلم يفعل وألحّ عليه أصحابه فأظهر القبول منهم وقال :

« إذا صار إلينا في غدٍ قبضنا عليه. »

وكان سُبكرى كلّ يوم يركب من مضربه إلى مونس. فيسَلِّم [78] عليه. فوجّه إليه مونس سرّاً وعرفه ما أشار عليه قوّاده وأشار عليه بالمسير إلى شیراز والإسراع. ففعل سُبكرى بما أشار به. فلما أصبح وتعالى النهار قال :

« يا قوم ما جاءنا سُبكرى اليوم فوجهوا إليه وتعرفوا خبره. »

وعاد الرسول وعرفه أن سُبكرى قد سار إلى شیراز من أوّل الليل. فعاد باللوم على قوّاده وقال لهم :

« من جهتكم شاع الخبر وبلغه فاستوحش. »

وسار مونس ومعه الليث راجعاً إلى مدينة السلام. وانصرف الحسين إلى

قم.

ذكر تدبير فاسد وما آل إليه

لما حصل سُبكرى بشيراز كان معه قائد يقال له القتّال، فضربه على كاتبه عبد الرحمن بن جعفر وأعلمه أنه في جنبه^(٢) السلطان وأنّه قد أحلف قوّاده كلّهم للسلطان وأخذ له البيعة عليهم، وليس يتعذّر عليه متى شاء أن يُورد كتاباً من السلطان بالقبض عليه. ففرع سُبكرى من هذه الحال وقبض على

١. ما في مط مهمل تماماً.

٢. في مط: في حثّة السلطان.

عبد الرحمن بن جعفر واستكتب مكانه رجلاً يعرف بإسماعيل بن إبراهيم البقمي،^(١) فحملة إسماعيل هذا على الخلاف وقال له :

« قد أنصرف عنك عسكر السلطان وليس يمكنه أن يعود إليك سريعاً، فأربح ما كنت تحمله إلى السلطان وأصلح أمورك [79] وأرض جندك، ثم تنظر.»

واحتال عبد الرحمن بن جعفر من محبسه حتى كتب إلى ابن الفرات بخبره وما جرى عليه وبخلاف سُبُكْرَى على السلطان، فكتب ابن الفرات إلى مونس وقد صار إلى واسط كتاباً يقول فيه :

« إن كنت فتحت فقد أغلقت، وإن كنت قد أسرت فقد أطلقت، ولا بد من أن تعود فتحارب سُبُكْرَى.»

فعاد مونس إلى الأهواز وأخذ سُبُكْرَى في ملاطفة مونس ومهاداته ومسألته أن يبذل للسلطان عن أعمال فارس وكرمان زيادة على ما كان مقاطعاً عليه القاسم بن عبيد الله في أيام المكتفى بالله، فإنه كان مقاطعاً على أربعة آلاف ألف. ففعل مونس ذلك وبذل عنه سبعة آلاف ألف، فلم يرض بذلك ابن الفرات. فلم يزل يزيد ألف ألف حتى بلغ تسعة آلاف ألف خالصة للحمل، وذكر أن باقى الإرتفاع يحتاج إليه سُبُكْرَى لإعطاء الجند بفارس وكرمان وأعلمه كثرة المؤن هناك. فأقام ابن الفرات على أنه لا يقنع إلا بثلاثة عشر ألف ألف فأشار مونس على سُبُكْرَى بأن يقارب السلطان والوزير، فأبى سُبُكْرَى أن يزيد على عشرة آلاف ألف شيئاً. فاغتاظ الوزير من تمانن سُبُكْرَى، وأتهم مونساً بالميل إليه. [80]

١. في مط: التيمى.

ودخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين
 ذكر ما جرى على سُبُكْرَى من الأسر
 ثم إنه عدل إلى إنفاذ وصيف كاهه^(١) مع عدة قواد من مدينة السلام،
 وإنفاذ محمد بن جعفر العبرتاي معهم وعول عليه في فتح فارس.
 وكتب إلى مونس: أنه لا يثق بأحد سواه في حفظ الليث، وأن سبيله أن
 يوافي به إلى مدينة السلام ويدع أكثر قواده وأصحابه مع محمد بن جعفر
 بالقرب من نواحي فارس، لئلا ينجذبوا بأسرهم إلى بغداد قبل أن يتقرر الأمر
 مع سُبُكْرَى في مال المفارقة، فيطمع سُبُكْرَى في السلطان.
 فخرج مونس عن الأهواز وكتب الوزير حسيند إلى محمد بن جعفر
 العبرتاي والقواد بالمبادرة إلى شيراز مع جماعة من بالأهواز من القواد،
 وانضم إليه وصيف كاهه^(٢) ثم أمده بسيماء الخزري وفاتك المعتضدى ويمن
 الطولوني.

فلما تكامل الجيش لمحمد بن جعفر سار إلى سُبُكْرَى وواقعه على باب
 شيراز فانهزم سُبُكْرَى إلى بتم وتحصن بها، وتسبعه إلى هناك فهزمه أيضاً،
 ودخل مفازة خراسان وأسر القتال.
 وورد الكتاب بالفتح، فخلع السلطان على الوزير عند ذلك، وقلد محمد
 بن جعفر العبرتاي فتيحاً خادماً الأفشين أعمال الحرب والمعاون بفارس
 وكرمان وكان يعيل إلى فتيح [81] لحسن وجهه.
 وفيها ورد كتاب أحمد بن إسماعيل صاحب خراسان بفتحه سجستان
 وأسر محمد بن علي بن الليث.

١. كاهه: كذا في الأصل ومط ومد.

٢. في مد: كاهه.

ثم ورد كتابه بأسره سُبُكْرَى، فكتب إلى أحمد بن إسماعيل بحمل سُبُكْرَى ومحمد بن عليّ بن الليث إلى الحضرة.

فلما كان في شوال من هذه السنة أدخل سُبُكْرَى ومحمد بن عليّ بن الليث مُشْهَرَيْن على فيلين. فخلع على الوزير ابن الفرات، ثم على المرزباني خليفة صاحب خراسان، وحمل مع الرسل الذين حملوا سُبُكْرَى ومحمد بن عليّ بن الليث هدايا وخلع وطيب وجواهر إلى صاحب خراسان.

وفيها ورد الخبر بوفاة القَبَزَتَايَ ثم بوفاة فُستِيح،^(١) وقلد عبد الله ابن إبراهيم المسمّى أعمال المعاون بفارس.

وفيها غرقت فاطمة القهرمانة في طيارها تحت الجسر في يوم ربح عاصف وكانت زوجت ابنتها من بُنَيّ بن نفيس وقيصر،^(٢) فحضر جنازتها وحضرها خلق من القوّاد والقضاة، وجعلت السيّدة مكانها أم موسى الهاشميّة قهرمانة، فكانت تؤدّي رسائلها ورسائل المقتدر إلى ابن الفرات.

ودخلت سنة تسع وتسعين ومائتين

القبض على الوزير ابن الفرات

وفيها قبض على الوزير ابن الفرات، ووكل بداره، وهتك حرمة أقبح هتك، ونُهبت داره [82] ودور كتابه وأسبابه. واقتنت بغداد ونُهبت الناس، وكان مونس الخازن يلي شرطة بغداد وتحت يده برسمها تسعة آلاف فارس وراجل. فكان يركب إذا اشتدت الفتنة وزاد النهب فيسكن الناس ويكفّ النهب هيبه له. فإذا نزل من ركوبه عادت الحال إلى ما كانت عليه. فلقى الناس من ذلك شدّة شديدة ثلاثة أيام بلياليها ثم سكنت الفتنة.

١. في مط: قبيح.

٢. في مط: فنصر.

فكانت مدة وزارة أبي الحسن ابن الفرات هذه الأولى ثلاث سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً.

وزارة أبي علي محمد بن عبيد الله

بن يحيى بن خاقان

وقلّد أبو عليّ محمّد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الوزارة، وذلك في ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين.

فقلّد أصحاب الدواوين ورتّبهم في مجالسهم وردّ مناظرة أبي الحسن ابن الفرات وأسبابه وكتّابه إلى أبي الحسن أحمد بن يحيى بن أبي البغل، وقلّده ديوان المصادرين وديوان الضياع العباسيّة وديوان زمام الفرائيّة.

استتار أصحاب ابن الفرات

واستتر من أصحاب ابن الفرات أبو عليّ محمّد بن عليّ بن مقلة وأبو الطيب الكلواذى وأبو القاسم هشام وأبو بشر ابن فرجويه^(١) وقبض على الباقيين ونهبت دورهم وهُدمت، واعتقل هؤلاء الباقيون وناظرهم أحمد بن أبي البغل وعذبهم وناظر ابن الفرات، غير أنّه [83] لم يمكّن من إيقاع مكروه به ومكّن من جميع أسبابه وكتّابه.

مركزتي ما ديّره ابن أبي البغل وانعكاسه عليه

كان أبو الحسن بن أبي البغل مبعداً في أيام ابن الفرات بإصبهان، فلما افتتنت بغداد وقلّد أخوه مناظرة ابن الفرات وأسبابه سفر أخوه لقا تمكّن من

١. كذا في الأصل ومد: فرجويه. في مط: فرجويه (بالحاء المهملة).

ملاقة أم موسى في الوزارة وبذل فيها مالاً جليلاً ينيره ويوقره. فأطمع المقتدر في ذلك فأرجف له بها وكاتبه أخوه بالإسراع إلى الحضرة ونفذ إليه أبو بكر أخو أم موسى، فخاطبه قوم بالوزارة في طريقه، وتلقاه القواد وغيرهم عند ورود بغداد.

فركب أبو علي الخاقاني في عشية من العشايا إلى دار السلطان والتمس الإذن في الوصول فأذن له وأوصل إلى المقتدر بالله فوصف له :
أن الأمور قد اضطربت، والأموال قد تأخرت، والدنيا قد خربت بكثرة الأراجيف به. لأن ابن أبي البغل يذكر أنه قد استحضر للوزارة.
فخاطبه المقتدر بجميل، وأذن له في إبعاد ابن أبي البغل وأخيه عن الحضرة. فقبض عليهما وأبعدهما وتكررت أم موسى القهرمانة للوزير أبي علي الخاقاني، فخافها وأشفق أن تفسد عليه أمره، فأرضاهما بأن قلّد أبا الحسين منها^(١) [84] أعمال الخراج والضياع بإصيهان، وقلّد أبا الحسن أخاه أعمال الصلح والمبارك.^(٢)

الخاباني يناظر ابن الفرات

١ وكتب الوزير بإطلاق أبي الهيثم العباس بن ثوبة وكان معتقلاً بالموصل وكان ابن الفرات نقله إليها في نكبة محمد بن عبدون لقراءة بينهما، وكان ابن ثوبة هذا يكتب لمحمد بن ديوداذ وكان من الموصوفين بالشر، فورد بغداد في سنة ثلاثمائة وقلّده الوزير أبو علي الخاقاني ديوان المصادرين والضياع العباسية والفراتية، وردّ إليه مناظرة أبي الحسن ابن الفرات وأسبابه وكتّابه. فأسرف ابن ثوبة في إيقاع المكروه بهم وعذبهم بأنواع العذاب، فجرت بينه

١. في مط: أبا الحسن منهما. في مد: في مد: أبا الحسين منهما. وفي الأصل: منها.

٢. في الأصل إعمال وغموض. في مط: المبارك.

وبين أبي الحسن ابن الفرات مناظرات هاتر في بعضها ابن الفرات وشتمه بحضرة أم موسى، فردّ عليه ابن الفرات أقبح ردّ، وشتمه أغلظ شتيمة، ونسبه في نفسه إلى كلّ حال قبيحة.

فراسل ابن ثوابة المقتدر بأنّ ابن الفرات لم يقدم على هذا إلا لشدة بطره وكثرة أمواله واستأذن في معاقبته، فبسط يده عليه فقيدته وغلّله وألبسه جبّة صوف، وأقامه في الشمس مدّة أربع ساعات فكاد يتلف. فأنهى بدر الحرّمي في حاله إلى المقتدر، فأنكرها وأمر بنقله إلى بعض الحُجر التي في يد زيدان [85] القهرمانه للحُرّم الخواصّ، وأحسن إليه ورقّه. وذلك بعد أن حلف له ابن الفرات بأغلظ يمين بأنّه لم يبق له مال ولا ذخيرة ولا متاع فآخر إلا وقد أقرّ به وقت مناظرة ابن أبي البخل، فقبل المقتدر بالله قوله ومنع ابن ثوابة من مناظرته.

ابن الفرات مشاوراً

ثمّ صار المقتدر بعد ذلك يشاور ابن الفرات في الأمور ويقرأه رقاع الوزراء إليه ويجيبهم عنها برأيه ثمّ كثرت السعيات بأبي عليّ الخاقاني وتمكّن أبو القاسم ابن الحوارى.

ذكر فساد تدبير الخاقاني لأمر الوزارة

كان أبو عليّ الخاقاني متشاغلاً بخدمة السلطان ومراعاة أعداءه، لا يقرأ الكتب الواردة عليه ولا النافذة، واعتمد على ابنه أبي القاسم عبد الله، وقلّده مع العرض على الخليفة خلافته على الأعمال والتنفيذ للأمور. وكان ابنه هذا متشاغلاً بالشراب، إنّما يراعى أمر القوّاد والجيوش والولايات للعُمّال ويدع ما سوى ذلك، وكان قد نصب لقراءة الكتب الواردة أبا نصر مالك بن الوليد،

ولقراءة الكتب النافذة أبا عيسى يحيى بن إبراهيم المالكي.

وكانت لأبي علي الخاقاني وابنه الجوامع بما يرد وينفذ، فلا يقرأها أحد منهم [86] إلا بعد فوت الأمر الذي وردت فيه الكتب، وتبقى الكتب بالحمول والسفاتيح في خزائنها، لا تفض ولا يُعرف حال ما فيها. ففسدت الأمور بولاية أبي علي الخاقاني وضاعت.

وكان يقلد في أسبوع واحد الكورة عدة من العمال، حتى قيل: إنه قد قلد أعمال ماء الكوفة في مدة عشرين يوماً سبعة من العمال، واجتمعوا في خان بحلولان وقلد أعمال قردي وبريدي^(١) خمسة من العمال اجتمعوا في خان بُعْكُبرا في يوم واحد وسبب ذلك ارتفاع أولاده وكتابه من العمال الذين يولونهم. فسُطرت الأحاديث وحُفظت له النوادر.

وأطلق يده بالتوقيعات وفي الزيادات والنفل والإثبات^(٢) يوقع بذلك هو وابناه وبنان ويحيى بن إبراهيم المالكي وأحمد ومحمد ابنا سعيد.

وكان أبو علي الخاقاني يتقرب إلى قلوب الخاصة والعامة، فمَنعَ خدم السلطان ووجوه القواد أن يترجموا رقاعهم بالتعبّد، ويتقرب إلى العامة بأن يصلّي معهم في المساجد التي على الطرق، فكان إذا رأى جمعا من الملاحين أو غيرهم من العامة يصلّون في مسجد على الشط قدم طيّاره وصعد وصلّي معهم. فاتضعت الوزارة بأفعاله وذلت.

وكان [87] إذا سأله إنسان حاجة دق صدره وقال:

«نعم وكرامة.» فسُقي: دق صدره.

وضاقت الأموال فقُصّر في إطلاق أموال أصحاب التفاريق والقواد القدماء ومن يجري مجراهم، فشغبوا عليه وقصدوا المصلّي فأقاموا فيه وأخرجوا

١. ليس الأصل واضحا تماماً. في مط: فردى و يد يدي. في مد: قردي بزيدي.

٢. في مط: والنقل الأثبات. في الأصل: والنفل والإثبات.

معهم أكثر القواد واستفحل أمرهم وبسطوا فيه أسنتهم.
فأمره المقتدر بإطلاق أرزاقهم فاعتذر بقصور الأموال ونقصان الإرتفاع،
وذكر أن الأموال المستخرجة من ابن الفرات وأسبابه قد حصلت في بيت مال
الخاصة، وأنه ليس يُنفذ له صاحب بيت مال الخاصة أمراً فيها، فأمر بإخراج
خمسمائة ألف دينار من بيت مال الخاصة لينفق في الجند المشغبين.
وقلّد ديوان البريد بمدينة السلام والإشراف على الوزير وعلى الجيش
وأصحاب الدواوين والقضاة وأصحاب الشرطة شفيح اللؤلؤي^(١).
فلما رأى ابن ثوابة ضعف أمر الوزير تقرب إلى المقتدر برقاع أوصلتها أم
موسى يذكر فيها أنه يستخرج من العمال أموالاً جلييلة أهملها الخاقاني، وذكر
أنه يستخرج من محمد بن عليّ الماذرائي وأخيه إبراهيم وحدهما سبعمائة
ألف دينار. فخرج الأمر إلى الخاقاني بتقوية يد ابن ثوابة، ففعل ذلك [88]
واستخرج أموالاً بالعسف، وتغلب على الأمور، وكان يصرف عمال الوزير
ولّى من يرى، وتوصل الأشرار إلى كتب الرقاع على يد أم موسى إلى
المقتدر يخطبون^(٢) الأعمال ويتضمنون الأموال. فخرج الأمر إلى الخاقاني
بتقليدهم ذلك، فانتشر أمره وشاركه الأشرار في النظر واستخرجوا الأموال
من كلّ وجه بكلّ عسف.
وكان حامد بن العباس قد تضمن أعمال واسط ونواحيها أربع سنين فعمل
الكتاب له عملاً وحصلوا عليه في كلّ سنة مائتين وأربعين ألف دينار وألفين
وأربعمائة كُرّ بالمعدّل شعيراً للكراع في كلّ سنة يستوفى منه مع المال الذي
ذكرنا مبلغه. وإتّما كان حامد ضمن على عبدة السنة المتقدمة وزيادة يسيرة،
وكان التقصير والإضاعة والتخليط يقع من الخاقاني.

١. في مد: اللؤلؤي (بضمّ الياء) والفتح أوجه.

٢. في مط: يحطون.

وذلك أنَّ الخاقاني كان يتقلد في أيام عبيد الله بن سليمان وما بعدها إلى وقت استتاره في أيام وزارة ابن الفرات الأولى أعمال البريد والمظالم والخرائط بما سبذان. فلما ولي الوزارة تحيّر لقلّة الدربة ونقصان المعرفة بالأعمال، فشرع مونس في تقليد عليّ بن عيسى.

ودخلت سنة ثلاثمائة [89]

يرتأى المقتدر في إعادة ابن الفرات إلى الوزارة

ولما رأى المقتدر بالله اضطراب الأمور وفساد التدبير وانتقاض المملكة، شاور مونساً الخادم، وعرفه أنَّ الصورة تقود إلى ردّ أبي الحسن ابن الفرات وتقليده الوزارة.

وكان مونس مستوحشاً من ابن الفرات لأمر حكيما بعضها في حكاية أمره مع سُبُكْرَى وتقريره أمر فارس ونقض ابن الفرات عليه. فقال مونس للمقتدر بالله :

- «إنّه يقبح أن يعلم أصحاب الأطراف أنَّ السلطان صرف وزيراً ثم اضطُرَّ إليه وردّه بعد شهور من صرفه، ثم لا ينسبون ذلك إلّا إلى المطمع في ماله فقط.»

وقال : إنَّ كتاب الدنيا الذين دبروا المملكة دواوينها منذ أيام المعتضد بالله، هما ابنا الفرات، وأبو العباس منهما قد مات، وتقلد الآخر الوزارة إلى أن صرف عنها، ومحمّد بن يزداد^(١) ومحمّد بن عبدون وقد قُتلا في فتنة ابن المعتز، وعليّ بن عيسى بن داود بن الجراح، ولم يبق من يصلح لتدبير المملكة غيره.

١. كذا في الأصل : يزداد. وصححه في مدب «داود»، وهو ساقط من مط.

ووصفه بالثقة والأمانة والديانة والنزاهة والصيانة والصناعة.
فأمره المقتدر بانفاذ يلبق إليه ليحمله إلى الحضرة، وأظهر للخاقاني أنه
يحضره ليستخلفه لابنه عبد الله على الدواوين.
وكان الخاقاني يقول في مجلسه:
- «إني قد كتبت بحمل عليّ بن عيسى [90] إلى الحضرة لأستخلفه لعبد
الله.»

فلما كان يوم الإثنين لعشر خلون من المحرم سنة إحدى وثلاثمائة ركب
الخاقاني إلى دار السلطان، فقُبض عليه وعلى ابنه عبد الله وعبد الواحد
وأبي الهيثم ابن ثوابة ويحيى بن إبراهيم المالكي وأحمد ومحمد ابني سعيد
الحاجبين وبُنان وسعيد بن عثمان النقاط واعتقلوا في يد نذير الحرمي. وكان
سعيد بن عثمان النقاط أحد من سعى للخاقاني في الوزارة، ففُضِيَ حَقُّهُ بأن
قلَّده أعمالاً كثيرة جليلة.

وفي هذه السنة صُرف عبد الله بن إبراهيم المسمعي عن أعمال المعاين
بفارس وتقلَّدهما بدر الحمامي وكان بدر يتقلَّد أعمال المعاين بإصبهان فتُقل
إلى أعمال فارس وكرمان وقُلِّد مكانه عليّ بن وهسودان الديلمي.

ودخلت سنة إحدى وثلاثمائة

وزارة أبي الحسن عليّ بن عيسى الوزارة

وفيها تقلَّد أبو الحسن عليّ بن عيسى الوزارة وقت قدومه من مكة وخُلع
عليه، وركب من دار السلطان إلى داره، وركب معه مونس الخادم وغريب
الخال وسائر القواد والغلمان، وسُلِّم إليه في يوم الخلع محمد بن عبيد الله
الخاقاني وابناه، وجميع من سميتهم [91] فيما تقدَّم، فصادرهم مصادرات
قرية الأمر، واستخرج منهم جميع ما صادرهم عليه.

ثم أطلق الخاقاني إلى منزله، ووكل به فيه، وصان حُرْمه أتم^(١) صيانة، وأوقع بأبي الهيثم ابن ثوبة مكروهاً.

ثم صار ينظر في أمر الأعمال في دار الوزارة بالمخرم ييكر إليها في كل يوم، ويعمل فيها إلى آخر أوقات صلاة العشاء الآخرة ثم ينصرف إلى داره. وكتب إلى كل واحد من العمال بما جرت العادة به من تشريف أمير المؤمنين إياه بالخلع، وردّ أمر الدواوين والمملكة إليه، ويقرّرهم على مواضعهم ويأمرهم بالجدّ والاجتهاد في العمارة، ويقول في آخر كتابه:

- «وهذا عنفوان السنة وأول الإفتتاح ووقت حموم الخراج، ولست أعلم ما يجب أن أطلبك به فاذكّره وأخاطبك عليه، ولكنني أملك أن تحمل صدراً من المال يتوفّر مقداره، وتنفذ الرسائل بذلك مع الجواب عن كتابي هذا عند نظرك فيه وتكتب إليّ بشرح الحال في أمور نواحيك وتنفذ موافقة نقف عليها وبها على موقع أثرك فيها ومخائل تديريك في توفيرها وتتميرها، وتتوقف عن إمضاء التسيبيات وما يجري مجراها إلى أن ترد عليك كتبي وتوقيعاتي في استماراتك^(٢) [92] عما يكون عملك عليه، وتمكّن في نفسك أنه لا رخصة عندي ولا هواة في حقّ من حقوق أمير المؤمنين أغضى عنه، ولا درهم من ماله أسامح فيه ولا تقصير في شيء من أمور العمل أصبر لقريب أو بعيد عليه، ولا تكون بإظهار أثر جميل في ذلك أشدّ عناية منك بانصاف الرعيّة والعدل عليها ورفع صغير المؤمن وكبيرها عنها، فأني أطلبك بذلك كما أطلبك بتوفير حقوق السلطان وتصحيحها وصيانة الأموال وحياطتها. وتابع كتبك بما يكون منك وقتاً وقتاً لأعرفه إن شاء الله.»

وقلّد بعد ذلك الدواوين جماعة وعزل جماعة، وفعل مثل ذلك بالعمال،

١. في مط: أتم صيانة.

٢. في مط: في استثناء رأيك. في مد: في استتار رأيك. والرسم في الأصل لا يحتمل ذلك.

ونظر إلى من تعود اقتطاع الأموال السلطانية، وإقامة مروّات نفسه منها، وقصر في العمارة، واعتمد غيره، فعزل أمثال هؤلاء.

ثمّ عمر الثغور والبيمارستانات وأدرّ الأرزاق لمن ينظر فيها وأزاح علل المرضى والقوّام، وعمر المساجد الجامعة، وكتب إلى جميع البلدان بذلك ووقع إلى العمّال به، وكتب إلى العمّال في أمر المظالم كتاباً نسخته :

«بسم الله الرحمن الرحيم، سبيل ما يرفعه إليك كلّ واحد من المتظلمين قبل النوروز من مظلمته، ويدّعى أنّه تلف بالآفة من غلّته، أن تعتمد في كشف حاله على أوثق ثقاتك^(١) [93] وأصدق كفاتك حتّى يصحّ لك أمره، فتزيل^(٢) بالظلم فيه، فترفعه وتضع الإنصاف موضعه، وتحتسب من المظالم بما يوجب الوقوف عليه حسبه، وتستوفي الخراج بعده، من غير محاباة للأقوياء ولا حيف على الضعفاء، فاعمل فيما رُسم لك ما يظهر ويذيع ويشتهر ويشيع، ويكون العدل به على الرعيّة كاملاً، والإنصاف لجميعهم شاملاً، إن شاء الله.»

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

وكتب في إسقاط مال التكملة بفارس كتاباً وفي جميع ما يشبه ذلك كتباً مشهورة مستحسنة.

فساس أبو الحسن عليّ بن عيسى الدنيا أحسن سياسة، ورسم للعمّال

١. في مط: أوثق ثقتك.

٢. في الأصل: فيزيل. والتصحيح من مط.

الرسوم^(١) الجميلة وأنصف الرعيّة، وأزال السنن الجائرة، ودبّر أمر الوزارة والدواوين وسائر أمور المملكة بكفاية تامّة، وعفاف وتصوّن وديانة، ونظر في المظالم وأبطل المكس بمكّة، والتكملة بفارس وسوق بحر بالأهواز، وجباية الخمور بديار ريعة فبانت بركته على الدنيا، وعمر البلاد وتوفّر الإرتفاع، واستقام أمر السلطان وعادت هيبة الملك، وصلاح أمر الرعيّة. ثمّ أسقط عليّ بن عيسى الوزير أكثر ما زاده الخاقاني في وزارته في دواوين الجند وإقطاعاتهم، وكانت هذه الزيادة قد لحقت القوادر وسائر أصناف الجند، ولحقت الخدم والحاشية [94] وجميع الكتاب والمتصرّفين، وكانت كثيرة.

فلما أسقطها عاداه أكثر الناس وشنّوا عليه بالضيق والشحّ وقطع الأرزاق، وإنّما اضطرّ إلى ذلك لما رأى نفقات السلطان زائدة على دخله زيادة مفرطة تحوج إلى هدم بيوت الأموال وصرفها في نفقات يستغنى عنها.

مناظرة بين عليّ بن عيسى وابن الفرات

وحكى ثابت بن شيبان^(٢) عن عليّ بن عيسى أنّه قال: كنت عملت عملاً لإرتفاع المملكة وما عليّ من الخرج، فكان الخرج زائداً على الدخل بشيء كثير، فقال لي ابن الفرات يوماً بعد صرفه إتيّ وقد أخرجت إليه في دار السلطان لينظرني:

- «أبطلت الرسوم وهدمت الإرتفاع»

فقلت له:

- «أيّ رسم أبطلت؟»

١. في مط: الرسالة الجميلة.

٢. كذء في مط: سنان. وما في الأصل ومد: شيبان، والرواية موجودة في كتاب الوزراء: ٣٢٣.

قال : «المكس بمكة والتكملة بفارس.»
 فقلت : «وهذا وحده أبطلت؟ وقد أبطلت أشياء كثيرة فمنها ومنها
 - وعددت أشياء مبلغ جميعها خمسمائة ألف دينار في السنة - ولم أستكثر
 هذا المقدار في جنب ما حططته عن أمير المؤمنين من الأوزار وغسلت به
 عن دولته من الدرن والعار. ولكن انظر مع ما حططت وأبطلت إلى ارتفاعي
 وارتفاعك ونفقاتي ونفقاتك.»

قال ثابت : فقلت : [95]

- «فبأي شيء أجابك؟»

فقال : «خرج الخادم ففرّق بيننا قبل أن يجيب.»
 قال : وحدّثنى أحمد بن محمد بن سمعون وكان ينظر في أعمال
 النهروانات، قال :

- «مسحنا على الناس غلاتهم فإذا بعض الثناء قد ذهب إلى باب الوزير
 عليّ بن عيسى ونحن لا نعلم، فتظلم أنا زدنا عليه في مساحة قراح له، فلم
 نشعر بشيء إلا وقد جاءنا عامل يعرف بابن البّذال ومعه فوج^(١) من مسّاح
 بادوريا وفرسان ورجالة، فلم نشكّ في أنّه صارفّ لنا، فقال لي صاحبي :
 أحبّ أن تتلقاه وتتسّم الخبر. ففعلت وتلقّيته وعرفت خبر المتظلم، فعرفت
 صاحبي ذلك، فقال لي وزير علوم^(٢) :
 - «لا تدري كيف جرى أمر مساحته؟»

فقلت : «لا.»

قال : «فاخرج حتّى تواقف وتجتهد.»
 قال : فخرجت ومعى مسّاح البلد الذين مسحنا بهم واستقصيت معهم، وما

زلت أطف إلى أن تقررت المساحة، وكنا مسحنا القراح باثنين وعشرين جريباً فخرجت مساحته احدى وعشرين جريباً وقفيز، فاحتججت بأن القراح مسح وفيه غلة قائمة ومسح في هذا الوقت بعد الحصاد، وليس بمنكر أن يكون بين^(١) المساحتين في العالتين هذا المقدار وانصرف ابن البذل^(٢). [96]

وورد عليه كتاب علي بن عيسى بالصواعق في الإنكار والتوعد، بأنه إن وقف على أن أحداً من الرعية حيف عليه في معاملة أو مساحة فعل وصنع. قال: فما جسرنا أن نستقصى على أحد في معاملة، فلمّا كان في السنة القابلة زاد الإرتفاع في العشرة ثلاثة لأنّ الخبر انتشر بالعدل وقيل: قد رُفع الحيف والظلم فنشط الناس للإزدياد من العمارة وفعل مثل ذلك في المظالم. وحكى ابن المشرف أن بعض عمّال بادوريا طالب بالخراج وبقايا عليهم وحبس أهلهم فصبروا على الحبس فقيدهم فصبروا على القيد ولم يجسر أن يوقع بهم خوفاً من علي بن عيسى، فكتب بحضرتهم إلى علي بن عيسى يُضربه عليهم غاية التضريب ويقول:

- «إنّ هؤلاء قوم يُدّلون بالجلد، وعليهم أموال وقد أَلطّوا وصبروا على الحبس والقيد، ومتى لم تطلق اليد في تقويمهم واستخراج المال منهم كسروه وتأسى بهم أهل السواد فبطل الإرتفاع والوزير أعلى عيناً وما يراه^(٣)». قال القوم: فجزعنا وخفنا أن يطلق يده فينا فيتلفنا لما كان في نفسه علينا، وهممنا بأن ندعن له. ثمّ اجتمع رأينا على التوقّف إلى أن يرد الجواب. قال: فورد وإذا هو قد وُقّع بخطه على ظهر الرقعة:

١. بين، سقطت من مط.

٢. في مط: البقال.

٣. في مط: والوزير عبثاً وما يراه.

- «الخراج - عافاك الله - دين وليس يجب فيه غير الملازمة فلا تتعدّ [97] ذاك إلى غيره، والسلام.»

قالوا: ففرّج عنا وأدّينا الصحيح ممّا علينا. فلمّا كانت السنة القابلة زاد ارتفاع بادوريا في العشرة اثنين وزرعنا حتّى السطوح ثقة بالعدل والإنصاف.

تزوير توقيعات الوزير المصروف

ولمّا صُرف أبو عليّ الخاقاني عن الوزارة أكثر الناس التزويرات عليه وعُرضت توقيعاته على عليّ بن عيسى، فأنكرها وجمعها وأنفذ بها إلى أبي عليّ الخاقاني وقال:

- «أنظر في هذه التوقيعات وعزّفني الصحيح منها والباطل الذي زوّر عليك.»

واتفق^(١) أن حضر رسوله وأبو عليّ الخاقاني يصلّي. فوضع الرسول التوقيعات بين يدي أبي القاسم ابنه وأدّى الرسالة، فأخذ أبو القاسم يميّزها ويفرد الصحيح منها، فأومأ إليه أبوه بالتوقّف فتوقّف، فلمّا فرغ من الصلاة أخذها فتصفّحها، ثمّ خلطها ودفعها إلى الرسول وقال:

- «تقرأ على الوزير السلام وتعزّفه أنّ هذه التوقيعات كلّها صحيحة وأنا أمرت بها فما رأيت أنّ تمضيّه أمضيته وما رأيت إبطاله أبطلته.»
فلمّا انصرف الرسول قال لابنه:

- «يا بُنَيّ، أردت أن تبغضنا إلى الناس بلا معنى ويكون الوزير قد التقط الشوك بيدك؟ نحن قد صُرفنا فلم لا تتحبّب إلى الناس بإمضاء كل ما زوّر علينا، فإن أمضاه كان الحمد لنا والضرر عليه، وإن أبطله كان الحمد لنا والذمّ

له .»

فاستحسن الناس هذا الفعل [98] من أبي عليّ، إلّا أنّ عليّ بن عيسى تذرّم إلى الخلق من الخاصّة والعامة والحاشية بإسقاطه^(١) الزيادات التي صارت عند أصحابها كالأصول وأطراحه النفقات التي تعود بتمزيق الأموال بغير فائدة، فثقلت وطأته وكره الناس أيامه وقصدوا التشنيع عليه، وثلبوه عند المقتدر بالله، وسعى قوم لأبي الحسن ابن الفرات في الوزارة.

القبض على الحسين بن منصور الحلاج بالسوس

وفي هذه السنة قبض على الحسين بن منصور الحلاج بالسوس، وأدخل بغداد مشتهراً على جمل،^(٢) وكان حُمل إلى عليّ بن أحمد الراسبي، فحمله عليّ إلى الحضرة، فصُلب وهو حيّ، وصاحبه وهو خال ولده معه في الجانبين جميعاً، وحُبس الحلاج وحده في دار السلطان وظهر عنه بالأهواز وبمدينة السلام أنّه ادّعى أنّه إله وأنّه يقول بحلول اللاهوت في الأشراف من الناس.

حوادث أخرى

وفيها أطلق الوزير أبا عليّ الخاقاني وأزال عنه التوكيل. وفيها مات عليّ بن أحمد الراسبي بدور الراسبي، وتقدّم مونس الخادم بمشورة عليّ بن عيسى لقبض أمواله، وكتب إلى النعمان بن عبد الله بالمصير إليه والاجتماع معه على ذلك، فكتب أنّه حصل منها نحو ألف ألف دينار. وفيها خُلع على الأمير أبي العباس بن المقتدر بالله، وقُلّد أعمال الحرب

١. في مط: بانتقاصه.

٢. في مط: مشتهراً على الحمل.

بمصر والمغرب واستُخلف [99] له على مصر مونس الخادم.
وقُلِّد الأمير على ابن المقتدر بالله الصلوات وأعمال المعاونة والأحداث
والحرب بكور الرئ ودنباوند وقزوين وزنجان وأبهر والظرم.
وفيها ورد الخبر بقتل^(١) إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان على شاطئ
نهر بلخ، قتله غلمانه، وقام مقامه أبو الحسن نصر ابنه، فنفذ العهد إليه من
المقتدر بالله والكتاب بتقليده خراسان مكان أبيه.

قتل أبي سعيد الجنابي

وفيها ورد الخبر بأنّ خادماً لأبي سعيد الجنابي الحسن بن بهرام المتغلب
على هَجَرَ قتله. ثمّ إنّ ذلك الخادم خرج بعد قتله مولاه، فدعا رجلاً من
رؤساء أصحابه وقال :
- «السيد يدعوك.»

فلما دخل قتله وما زال يفعل ذلك بواحد واحد إلى أن قتل أربعة من
الرؤساء. ثمّ دعا بالخامس فأحسّ الخامس بالقتل، فصاح وأطلع النساء عليه
وصيخن، فقبض على الخادم قبل أن يقتل الخامس. وقتل الخادم وكان
صقلايا وقد كان أبو سعيد عهد إلى ابنه سعيد فلم يضطلع بالأمر فغلبه أخوه
الأصغر أبو طاهر سليمان بن الحسن.

وقد كان القرامطة وافوا إلى باب البصرة في سنة تسع وتسعين ومائتين،
وكان المتقلّد لأعمال المعاونة بالبصرة محمد بن إسحاق بن كُنداجيق وكان
يوم الجمعة والناس في الصلاة، فصاح صائح : [100]

- «القرامطة القرامطة.»

فخرج إليهم الموكّلون بالباب فوجدوا فارسين قد نزل أحدهما عند الميل، فنظر إليه البوّابون جالساً متكئاً قد وضع إحدى رجليه على الأخرى والآخر بإزائهم فصاحوا به، وبدر إليه رجل من الخوّل، فطعنه القرمطي وقتله وتراجعوا، فبكى أخوه فقالوا له:

- «ارجع فجزّ برجله وخذه لعنكما الله.»

قالوا: «ومن أنتما؟»

قالوا: «نحن المؤمنون.»

ثم تنحّى فحبا حتّى أخذ أخاه ودخلوا فأغلقوا الباب، وركب ابن كنداجيق بمن معه من الجيش حتّى صار إلى الموضع فنظر الديذبان عند صهاريج الحجاج إليهم فقالوا:

- «إنهم نحو ثلاثين فارساً.»

فخرج إليهم عطارذ ابن شهاب العنبري وخواصّه وغلمان من شحنة البصرة والمطوّعة، فقتل أكثرهم ولم ينجّ منهم إلّا من هرب قبل المعاينة، وسلبوهم ولم يتركوا عليهم شيئاً إلّا السراويلات بغير تكك ثمّ ضربوهم ضربات قبيحة ورجع ابن كنداجيق وغلق الباب وجنّه الليل.

فلما أصبح لم ير منهم أحداً، فكتب إلى ابن الفرات - وكان هو الوزير في الوقت - يستجده، فأمدّه بمحمّد بن عبد الله الفارقي في جيش كثيف وقائد من الرجال يُعرف بقورويه، وجعفر الزرنجى في نفر من الرجال معونة لابن كنداجيق.

علّى بن عيسى الوزير والقرامطة

فلما تقلّد أبو الحسن [101] علّى بن عيسى الوزارة شاوره المقتدر في أمر القرامطة فأشار بمكاتبة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنّابي، فتقدّم إليه

بمكاتبتة وإنفاذ الكتاب على يدى من يرى، فكتب كتاباً طويلاً جداً يذكرهم بالله ويدعوهم إلى الطاعة ويقول فى آخره:

«إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَ كِتَابَهُ هَذَا ظَهْرِيًّا^(١) عَلَيْكَ وَحُجَّةً مِنْ اللَّهِ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَقَاطِعاً لِعِلْمِكَ، وَبَاباً يَعْصَمُكَ إِنْ صَدَقْتَ عَمَّا أَرَادَهُ مِنَ الْخَيْرِ بِكَ، وَعَظَمْتَ النِّعْمَةَ فِيمَا بَذَلَهُ مِنَ الْعَهْدِ لَكَ.»

ونفذ الرسل، فلما وصلوا إلى البصرة انتهى إليهم قتل أبى سعيد، فتوقفوا عن المسير وكاتبوا الوزير على بن عيسى بذلك واستطلعوا رأيه، فعاد الجواب إليهم بالمسير إلى أولاده ومن قام بعده مقامه، فتعموا المسير وأوصلوا الكتاب وأدوا الرسالة، فأجابوا عن الكتاب وأطلقوا الأسرى الذين تكلم فيهم الرسل، وعاد بهم الرسل إلى بغداد.

ودخلت سنة اثنتين وثلاثمائة

وفىها قبض على أبى عبد الله الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص الجوهري وأنفذ إلى داره جماعة حتى حملوه إلى دار السلطان فأخذ منه من المال والجوهر ما قيمته أربعة آلاف^(٢) [102] وكان هو يدعى أكثر من ذلك بكثير ويتجاوز فى ذلك عشرين ألف ألف دينار وأكثر.

وفىها خرج الحسين بن على العلوى^(٣) وتغلب على طبرستان ولقب الداعى فوجه إليه أخو صعلوك جيشاً فلم يثبتوا له وانصرفوا فعاد العلوى إليها.

١. فى الأصل: ظهرياً. والصواب «ظهرياً» كما جاء فى حواشى مد.

٢. والمبلغ كان ستة آلاف ألف دينار. انظر، صلة عريب، ص ٤٨. وربما سقط من الأصل: «ألف». ومط هنا ناقصة.

٣. هو الأطروش. انظر، صلة عريب: ٤٧.

ودخلت سنة ثلاث وثلاثمائة
خروج الحسين بن حمدان عن طاعة السلطان
وما كان من عاقبته

وفيها ورد الخبر بأن الحسين بن حمدان قد خالف وخرج عن طاعة السلطان. وكان مونس الخادم غائباً قد أُخرج إلى مصر لمحاربة العلوي صاحب المغرب^(١) لَمَّا قصد مصر في تَيْف وأربعين ألفاً.

فندب له الوزير علي بن عيسى رائقاً الكبير وخلع عليه، وكتب إلى مونس يعرفه الخبر ويأمره بالمسير إلى ديار مُضَرَ إذا انصرف من مصر، وأن يجذب معه أحمد بن كيغلغ وعلي بن أحمد بن بسطام والعبّاس بن عمرو ليصلح الديار فيزيل الإختلال ويحفظ الثغور وخاصة الخززية منها. فقد كان جرى على حصن منصور من قصد الروم إتياء وسيبهم كلّ من كان في نواحيه أمر عظيم لتشاغل الناس بالحسين بن حمدان عن الغزاة الصائفة.

ولَمَّا صار رائق إلى الحسين بن حمدان أوقع به الحسين، فصار رائق إلى مونس واتصلت [103] كتب علي بن عيسى الوزير إلى مونس بالإسراع نحو الحسين، فجَدَّ مونس في المسير، ولَمَّا قَرَّب من الحسين جاءه مروان^(٢) كاتب الحسين وجرت بينه وبينه خطوب، كتب بها مونس إلى علي بن عيسى، وذكر أن مروان أوصل إليه كتاباً من الحسين يتضمّن خطاباً طويلاً قد افتتحه وختمه وكرّر القول في فصوله :

«إنّ السبب في خروجه عمّا كان عليه من الثقة والطاعة عدول الوزير

١. هو المهدي أبو القاسم عبيدالله. انظر حواشي مد.

٢. في الأصل: مَرَوْن (بالضبط) فقرئ في مد: «هرون» ثم: هارون (دون توجيه) فأثبتناه «مروان» كما يقرأ من رسم الأصل.

- أيده الله - عمّا كان عليه فى أمره إلى ما أوحشه وأنه لم يف له بضمانات ضمنها له. »

وذكر أنه قد اجتمع له من قبائل العرب ورجال العشيرة ثلاثون ألف رجل، وأنه سأل الرسول عمّا حمّله الحسين من الرسالة إليه، فذكر أنه يسأله المقام بحرّان إذ كانت تحمل عسكره، وأن يكاتب الوزير - أعزّه الله - فى أمره ويسأله صرفه عمّا يتقلّده من الأعمال، وتركه مقيماً فى منزله وتقليد أخيه ديار ربّعة، وأنه عرّفه أن هذا متعذّر غير ممكن، إذ كانت كتب الوزير متّصلة إليه بالإنجذاب، وأن مخالفته غير جائز وأنه لا يدع الكتاب فيما سأل، ولا يثنيه ذلك عمّا رسمه الوزير - أعزّه الله - فإن عزم على اللقاء فبالله يستعين على كلّ من خالف السلطان - أعزّه الله - وجحد نعمته وإن انقاد للحقّ وسلك سبيله وصار [104] إليه فنزع عمّا هو عليه كان ذلك أشبه به، وإن أبى وأقام على حاله من التعرّز والمخرقة لقيه بمضر بأسرها، وصان رجال السلطان مع وفور عددهم عن التعرّض لطغامه، لا لنكول عنه منه، لكن لاستهانته بأمره، وأنه وكّل بكاتبه هذا المترسّل عنه، وأنه لا يأذن له فى الإنصراف إلّا بعد أن يعرف خبر الحسين.

ثم وردت الأخبار برحيل مونس حتى نزل بإزاء جزيرة بنى عمر ورحيل الحسين نحو أرمينية مع ثقله وأولاده وأمواله.

ثم انفلّ عسكر الحسين وصاروا إلى مونس أولاً أولاً.

وورد كتاب مونس بأنّه قد صار إليه من أقرباء^(١) الحسين وغلمانته وثقاته ووجوههم سبعمائة فارس، وأنه خلع على أكثرهم ونقد ما كان معه من الخلع والمال، وأنه فى احتيال باقى ما يحتاج إليه.

١. كذا فى الأصل: أقرباء: فى مد: أمراء (خلفاء للأصل).

ثم ورد كتابه بأسر الحسين بن حمدان وجميع أهله وأكثر من صحبه، وقبض على أملاك بني حمدان بأسرهم ودخل مونس ومعه الحسين وابنه بغداد.

فلما كان بعد يومين حُمل الحسين من باب الشَّمَّاسِيَّة إلى دار السلطان مصلوباً على نَقِيق^(١)، منصوباً بأعلى ظهر فالح^(٢) وابنه مشهور على جمل آخر والبرانس على رؤوسهما، وسار بين يديه الأمير أبو العبَّاس ابن المقتدر بالله، [105] والوزير أبو الحسن علي بن عيسى، والأستاذ مونس الخادم وأبو الهيجاء عبد الله بن حمدان وإبراهيم بن حمدان وسائر القوَّاد والجيش والفيلة، فلما وصلوا إلى دار السلطان وقف الحسين بين يدي المقتدر بالله، ثم أمر بتسليمه إلى زيدان القهرمانة وحُبس عندها في دار السلطان.

وشغَّب الرِّجَالَة والحجرية بعد حصول الحسين بن حمدان، وأحرقوا اصطبل الوزير وطالبوه بالزيادة في أرزاقهم، فزید بكلِّ غلام ثلاثة دنانير في كلِّ شهر من شهورهم، وزید الرِّجَالَة كلِّ راجل^(٣) نصف وربع دينار في كلِّ شهر، فسكن الشغِب.

وقُبِض على أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان وجميع أخوته وحُبسوا في دار السلطان. وكان هرب ابن للحسين^(٤) بن حمدان في جماعة من أصحابه وبلغت هزيمته أمد، فأوقع بهم الجزري وقتل ابن الحسين وجماعة من أصحابه، وحملت رؤوسهم إلى الحضرة وُصِّل قوم من أصحاب الحسين بن حمدان.

١. نَقِيق: كذا في الأصل ومط: نَقِيق.

٢. كذا في الأصل: فالح (بالحاء المهملة). في مط ومد: فالح.

٣. كذا في الأصل: راجل. في مط ومد: راجل.

٤. في مط: أبو الحسين، بدل «ا».

ودخلت سنة أربع وثلاثمائة

غلام وهسودان يقتل أحمد بن سياه

وفيهما لقي بإصبهان غلام لعلّ بن وهسودان الديلمي وكان يتقلّد أعمال
المعاون بها أحمد بن سياه عامل الخراج بها، أنفذه صاحبه إليه في حاجة،
واتفق أنّه لقيه وهو [106] راكب، فكلّمه في الحاجة، فاشتدّ ذلك على أحمد
بن سياه، وقال له :

« يا مؤاجر تخاطبني في حاجة على ظهر الطريق؟ »

فانصرف الغلام إلى مولاه محفظاً، وحادثه بما جرى، فقال له :

« صدق فيما قال، ولولا أنّك مؤاجر لضربت رأسه بالسيف لمّا خاطبك
بذلك، فعاد الغلام ووجد أحمد بن سياه منصرفاً فعلاه بالسيف وقتله، فأنكر
السلطان ذلك عليه وصرف علّ بن وهسودان لأجل ذلك من إصبهان بأحمد
بن مسرور البلخي، فاستأذن علّ بن وهسودان في الإنصراف إلى بلد الديلم،
فأذن له، ثمّ سأل بعد ذلك في أمره مونس الخادم فرضى عنه وأقام بنواحي
الجبيل.

وفيهما قدم محمد بن علّ بن صعلوك مدينة السلام وهو ابن عمّ صاحب
خراسان مستأمناً فخلع عليه.

زُبَرْبُ عَلَى السطوح

وحيلة للسلطان

وفيهما في فصل الصيف تفرّعت العامة من حيوان كانوا يسمّونه الزُّبَرْب،^(١)

١. في الأصل ومط: الزُّبَرْب (بالرأيتين المهملتين، في مط ومد: الزُّبَرْب (بالإعجام)، والزُّبَرْب: دابة
كالسَّور، أي الهُرّ. والزُّبَرْب: قطع من بقر الوحش.

ذكروا أنهم يرونه في الليل على سطوحهم، وأنه يأكل أطفالهم. قالوا: وربما قطع يد الإنسان إذا كان نائماً، أو ثدى المرأة فيأكله. وكانوا يتحارسون طول الليل ولا ينامون ويتزاعقون ويضربون الطسوت والصوانى والهواوين ليفزعوه. وارتجت بغداد لذلك، حتى أخذ السلطان حيواناً غريباً أبلق، كأنه من كلاب الماء، وقال:

- «هو الزبذب، وأنه صيد.»

فصُلب [107] على تقني عند الجسر الأعلى، وبقي مصلوباً إلى أن مات. فلم يغن ذلك إلى أن انبسط القمر، وتبين للناس أنه لا حقيقة لما توهموه، فأمسكوا. إلا أن اللصوص وجدوا فرصتهم بتشغل الناس في سطوحهم، فكثر النقوب.

الوزير يصلى على جنازة

شار على أنها جنازة ابن الفرات

وفيها تقرر عند أبي الحسن على بن عيسى الوزير أنه قد سعى لابن الفرات في الوزارة وتحققه، فاستعفى منها، ولم يُعفه المقتدر، وأظهر في دار السلطان أن ابن الفرات عليل شديد العلة.

واتفق أن مات الشاري الذي كان محبوساً في دار السلطان، والتدبير في أمر الشراة^(١) أن يكتم موت من يؤخذ منهم، ممن تسميه الشراة إماماً، فإنه ما دام حياً فليس ينصبون إماماً غيره، فإن صحَّ عندهم موته نصبوا غيره. فأظهر في دار السلطان أن ابن الفرات مات، وكُفن الشاري وأخرجت جنازته على أنها جنازة ابن الفرات، وصلى عليه الوزير على بن عيسى، ثم انصرف

١. الشراة: الخوارج.

إلى منزله متوجّعاً وقال لخواصه :

- «اليوم ماتت الكتابة.»

ثم مضت الأيام ووقف على بن عيسى من جهات كثيرة على تمام السعى لابن الفرات، وأنه حي، فقال لخواصه :

- «ليس ينبغي للإنسان أن يتحدث بكل ما يسمعه.»

صرف على بن عيسى عن الوزارة

وكان يضجر في أوقات من سوء [108] أدب الحاشية والمطالبة بالمحالات، واستغنى عن الوزارة ويخاطب المقتدر في ذلك، فينكر عليه استغفائه.

إلى أن اتفق يوماً أن صارت إليه أم موسى القهرمانة في آخر ذي القعدة من سنة أربع وثلاثمائة لتواقفه^(١) على ما يطلق في عيد الأضحى للحرم والحاشية، وكان على بن عيسى محتجباً، فلم يجسر سلامة حاجبه عليه أن يستأذن لها فصرفها صرفاً جميلاً. فغضبت من ذلك وعلم على بن عيسى بحضورها وانصرافها، فأمر أن تُلتمس ويُعتذر إليها لترجع، فأبت أن تعود، وصارت إلى المقتدر والسيدة، فأغرت به وتخرّصت عليه الأحاديث، فصرفه المقتدر بالله وقبض عليه غداة الإثنين لثمان خلون من ذي الحجة سنة أربع وثلاثمائة عند ركوبه إلى دار الخلافة، ولم يعرض لشيء من أملاكه وضياعه وضياع أسبابه، ولا لأحد من أولاده، واعتقل عند زيدان القهرمانة.

فكانت مدة وزارته هذه ثلاث سنين وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً.

١. كذا في الأصل : لتواقفه . في مط : لتواقفه .

وزارة أبي الحسن علي بن محمد ابن الفرات الثانية

وفيها تقلد أبو الحسن الوزارة والدواوين لثمان خلون من ذي الحجة،
وخُلع عليه وصار [109] إلى داره بالمخَرَّم^(١) التي كان أقطعها في وزارته
الأولى، وكتب إلى الأطراف والبلدان عن المقتدر بالله بخبر إعادته إلى الوزارة
على نسخة أنشأها أبو الحسين محمد بن جعفر بن ثوابة، وفي فصل منه:

- «ولمّا لم يجد أمير المؤمنين غنى عنه ولا للملك بُدّاً منه،
وكان كتاب الدواوين على اختلاف أقدارهم وتفاوت ما بين
أخطارهم مقرّين برئاسته معترفين بكفايته متحاكمين إليه إذا
اختلفوا واقفين عند غايته إذا استبقوا مذعنين بأنّه الحوّل القلب
المحتك المجرب العالم بدرّة المال كيف تُحلب ووجوهه كيف
تُطلب، انتضاء من غمده، فعاد ما عُرف من حدّه، فنفّذ الأعمال
كأن لم يغب عنها، ودبر الأمور كأن لم يخل منها. ورأى أمير
المؤمنين ألا يدع سبباً من أسباب التكرمة كان قديماً جعله له
إلا وقاه إتياء، ولا نوعاً من أنواع المثوبة والجزاء كان أخره عنه
إلا حباه به وآتاه.»

فخاطبه بالتكنية وكان وكان.

وقبض ابن الفرات على أسباب علي بن عيسى واخوته وكتّابه وجميع

١. في مط: المحرم (بالحاء المهملة).

عمّاله بالسواد وبالمشرق والمغرب، وصادرهم سوى أبي الحسين وأبي الحسن إبنى أبي البغل، فإنه أقرهما على ما كانا يتولّيانه من أعمال إصبهان والبصرة، لعناية أم موسى [110] بهما. وقبض على أبي عليّ الخاقاني وتتبع أسبابه، وألزم جميعهم مصادرة ثانية أدوها، وطالب العمّال المصروفين بالمصادرة وأن يظهروا المرافق ويؤدّوها، ونصب ديواناً للمرافق، وكان ضمن للمقتدر ووالدته من هذه الجهة كلّ يوم ألفاً وخمسمائة دينار، وكانت تُنسب إلى مال الخريطة، فكان يحملها ولا يمكنه الإخلال بها وكان منها للمقتدر في كلّ يوم ألف دينار، وللسيّدة في كلّ يوم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ديناراً، وثلاث، وللأميرين أبي العباس وهارون ابني المقتدر في كلّ يوم مائة وست وستون ديناراً وثلاثاً.

وكان ابن الفرات قد اتّسع بما كان استسلفه^(١) عليّ بن عيسى من الخراج، فإنه قد كان جبي قطعة منه قبل الإفتتاح وابتدأ بذلك قبل صرفه بعشرة أيّام، وأعدّ المال في بيت المال لينفقه في العيد في إعطاء الحشم والفرسان والأترّك، فقويت نفس ابن الفرات به وانضاف إلى ذلك جملة عظيمة راجت له من مال المصادرات والضمانات، وأموال سفاتج وردت من فارس وإصبهان ونواحي المشرق في درج كتب بحمول كتبت على أنها تصل إلى عليّ بن عيسى، فأطلق جميع ذلك في الفرسان والحشم والخدم ومهمّ النفقات.

وكان الغالب [111] على أمر الدواوين والأعمال في أيّام وزارة ابن الفرات هذه من بين سائر كتّابه أبو بشر عبد الله بن فرجويه، وكان السبب في ذلك أنّه سلم من النكبة وقت القبض على ابن الفرات في الدفعة الأولى، واستتر

مدة وزارة الخاقاني وعلي بن عيسى، وواصل بعد ما مضت سنة واحدة من وزارة علي بن عيسى مكاتبة ابن الفرات علي يد عيسى المتطبب، وكان ابن الفرات يجيبه عن رقاعة ويرسم له ما يكاتب به المقتدر عن نفسه، في معاييب علي بن عيسى وكتابه وعماله، وأنه ليس يصادر أحداً من عماله ويقول:

- «لا أخون عاملاً بعد أن ائتمنته.»

ويذكر تأخر أرزاق الولد والحرم والحشم، حتى إنه اقتصر بالولد والحرم على جاري ثمانية أشهر في السنة، والخدم والحشم بستة أشهر من السنة، واقتصر بالفرسان من مائة وخمسين ألف دينار تُطلق لهم في الشهر على خمسين ألف دينار.

وكان المقتدر يواقف ابن الفرات على تلك الرقاع، فيعرفه أن ابن فرجويه خبير بالأمور، وأنه صادق في كل ما ذكره فيهم المقتدر بصرف علي بن عيسى، فإذا شاور مونساً في ذلك أشار عليه أن لا يفعل. ووصف علي بن عيسى بالديانة والأمانة.

فلما خرج مونس إلى مصر لمحاربة العلوي [112] صاحب المغرب، تمكن ابن فرجويه من الجد في السعي على علي بن عيسى، وكان غريب الخال ونصر الحاجب يدفعان عن علي بن عيسى لما غاب مونس. فلما تبين ابن^(١) فرجويه دفع غريب ونصر عن علي بن عيسى، كتب رقعة بخطه إلى المقتدر، يذكر فيها أنه إن صرف علي بن عيسى عن الوزارة، وقلد مكانه علي بن محمد ابن الفرات، أطلق للولد والحرم والحشم ولمن بالحضرة من تفاريق الفرسان مثل ما كان يطلقه في أيام وزارته الأولى على التمام

١. كذا في الأصل ومط: ابن. في مد لابن.

والكمال والإدراة، وأن^(١) يوفر بعد ذلك من مال مصادرات العتال ومال مراقفهم والاستثبات فى النواحي فى كل شهر من شهور الأهلة خمسة وأربعين ألف دينار.

فواقف المقتدر ابن الفرات على هذه الرقعة، فذكر أن جميع ما تضمنته صحيح، وبذل خطه بضمانه جميع ذلك. فكانت هذه الرقاع من أكبر أسباب التحاقه على ابن فرجويه فى وزارته هذه واختصاصه به.

واتفق له مع ذلك أن ابن الفرات أودع على يده عند جماعة من التجار والكتّاب أموالاً جليلة، ولم يقرّ ابن الفرات بما كان أودعه ابن فرجويه، لأنه لم يكن يعرف أسماء من أودع ذلك عنده. فلما عاد إلى الوزارة استخرج له ابن فرجويه جميع ما كان أودعه له من غير [113] أن يذهب له شىء منه. وكان أبو على بن مقلة متعطلاً فى أيام وزارة الخاقانى، وعلى بن عيسى ملازماً منزله واستتر أيام الخاقانى، ثم آمنه على بن عيسى، فلزم منزله فشكر له ابن الفرات واختصّ به لهذه الحال.

ذكر ما جرى من ابن أبى الساج عند

تداول الوزارة الأيدى الكثيرة

لما وقف يوسف بن أبى الساج على الخبر فى صرف على بن عيسى عن الوزارة، وكان مقيماً بأذربيجان ومتقلداً أيام وزارة ابن الفرات الأولى أعمال الصلاة والحرب والمعاون والخراج والضيااع العامة بأرمينية وأذربيجان، ومقاطعاً على مال يحمله فى كل سنة عنها إلى بيت المال بالحضرة، وكان يزيع العلة فى ذلك المال مدة أيام وزارة ابن الفرات الأولى. فلما ولى أبو

١. أن: تبدو زائدة. وهى موجودة فى كل من الأصل ومط.

علی الخاقانی الوزارة ثم علی بن عیسی، طمع فأخّر أكثر المال الذي كان يقاطع عليه، واجتمع له من ذلك ما قوى به وحمله علی العصيان.

ذكر ما دبّره ابن أبي الساج واحتال به

أظهر أنّ علی بن عیسی أنفذ إليه اللواء والعهد عن المقتدر بالله بتقليده أعمال الحرب [114] بالرئى وقزوين وأبهر وزنجان قبل صرفه عن الوزارة، وسار مبادراً إليها. فلما قرب منها انصرف عنها محمد بن علی صعلوك،^(١) وهرب إلى نواحي خراسان، وكان محمد بن علی هذا متغلباً علی هذه النواحي، ثم قاطع عن الضياع والخراج مقاطعة خفيفة ولم يف بذلك أيضاً. فلما وقف ابن الفرات علی ما فعله ابن أبي الساج أنهى ذلك إلى المقتدر، ثم ورد كتاب ابن أبي الساج بعد أيام يعتدّ بما فعله من إخراج محمد بن علی صعلوك عن الرئى وما يليها، ويبشّر السلطان بفتحه هذه النواحي، ويصف أنّه لما ورد عليه العهد واللواء من جهة علی بن عیسی سار إليها فرزقه الله الفتح والنصر، فاغتاز المقتدر بالله من ذلك وتقدّم إلى ابن الفرات بمواقفة علی بن عیسی علی ما كتب به ابن أبي الساج، فأخرجه من محبسه^(٢) ورفق به وخاطبه بجميل وقال له :

« قد يجوز أن تكون دبّرت بهذا الفعل علی صعلوك وهذا غير منكر. »

فحلف أنّه ما ولّاه ولا أنفذ إليه لواء ولا عهداً وقال :

« لا بدّ للواء والعهد أن يُنفذ مع خادم من خدم السلطان، أو قائد من

قوّاده. وهؤلاء الخدم والقوّاد بين أيديكم، سلوهم عن ذلك، ولديوان الرسائل

١. فى مط : علی بن معلوك.

٢. فى مط : مجلسه.

[115] كاتب يتقلده بكتب العهود والولايات، سلوه هل كتب بشيء؟
فأخذ منه ابن الفرات خطأً بما حكاه وعرضه على المقتدر بالله فازداد
المقتدر غيظاً على ابن أبي الساج.

وكتب ابن الفرات عن المقتدر بالله وعن نفسه إلى ابن أبي الساج في هذا
المعنى أغلظ كتب وتوعده، وأنفذ إليه من الحضرة لمحاربته خاقان المفلحى،
وضم إليه الرجال، وأنفذ بعده عدّة من القوّاد مدداً له وأنفق الأموال فيهم.
وكان فيهم مثل محمّد بن مسرور^(١) البلخى وسيما الخزرى ونحير الصغير
وجماعة أمثالهم، فواقعه ابن أبي الساج وهزمه وأسر جماعة من أصحابه
وأدخلهم مشهّرين إلى الرى.

وقدم مونس الخادم من الثغر، فندب لحرب ابن أبي الساج وشخص إليه،
وكتب إلى جميع القوّاد فى طريقه بالإنضمام إليه واستأمن إليه أحمد ابن على
صعلوك^(٢) فأحسن قبوله، وصرف خاقان المفلحى عمّا كان إليه من أعمال
الجبل، وقلّد مكانه نحير الصغير.

واتصلت كتب ابن أبي الساج يلتمس الرضا عنه ويبدل سبعمائة ألف دينار
عن أعمال الخراج والضياح بكورة الرى وما يليها خالصة، سوى أرزاق
الأولياء فى تلك الأعمال، وسوى النفقات [116] الراتبية، فلم يجبه المقتدر
بالله إلى ما التمس فكتب يبدل أن يقيم بالرى متقلداً أعمال معاون والحرب
بها فقط حتّى ينفذ السلطان إلى تلك النواحي من يتقلّد أعمال الصلاة
والخراج والضياح والأحكام والبريد والخبر والخرائط والصدقات. فأقام
المقتدر على أنّه لو بذل كلّ بذل لما أقرّه على الرى يوماً واحداً لإقدامه على
أن سار إليها بغير أمر.

١. كذا فى الأصل ومط. فى مد: سرور.

٢. فى مط: على بن صعلوك.

فلما رأى ابن أبي الساج هذه الحال انصرف عن الرى وأعمالها بعد أن أخربها وجبى مالها لسنة أربع وثلاثمائة فى مدّة قريبة، وقدّ مونس الرى وقزوين وصيفاً البكتمرى، ورضى ابن أبي الساج بأن يجدّد له العهد والولاية للأعمال التى كانت إليه أولاً، وأشار ابن الفرات بقبول ذلك منه وضمن أن يلزمه بهذا السبب حمل جملة من المال إلى بيت المال يحسن موقعها، فعارض ذلك نصر الحاجب وابن الحواري وقالوا:

- «لا يجوز أن يقرّ على أرمينية وأذربيجان إلّا بعد أن يرد الحضرة ويطأ البساط.»

ونسبوا ابن الفرات إلى مواطأته، فأقام المقتدر على أنّه لا بدّ من محاربته، أو يرد الحضرة، وكتب إلى مونس بالتعجّل إليه لمحاربته. [117]

فلما رأى ابن أبي الساج أنّ دمه على خطر، حارب مونساً بسراة من بلد أذربيجان فانهزم مونس إلى زنجان، وقتل من قوّاد السلطان سيما، واستأسر ابن أبي الساج جماعة من قوّاد مونس فيهم هلال بن بدر، وأدخلهم إلى أردبيل مُشهرين وأقام مونس بزنجان يجمع ليوسف، وهو مع ذلك يكتابه ويراسله، وابن أبي الساج يلتمس منه الصلح ومونس لا يقبل منه إلّا المصير إلى الحضرة.

وكان ابن أبي الساج أبقى على مونس لما انهزم حتّى سلم فى ثلاثمائة غلام، ولو أراد ابن أبي الساج لأسره فكان مونس يشكر^(١) ابن أبي الساج على هذه الحال.

فلما كان فى المحرم بعد ذلك فى أيام وزارة حامد بن العباس واقع مونس يوسف بن أبي الساج الواقعة الأخرى بأردبيل، فأسر يوسف وبه

١. فى مط: يشكو.

ضربات، وانصرف به مونس إلى بغداد. فلما كان سنة سبع وثلاثمائة حُمِلَ يوسف بن أبي الساج على جمل من باب الشَّامَاسِيَّة وأُدْخِلَ بِغَدَادَ مُشْهَرًا، على رأسه بُزْنُسٌ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْجَيْشُ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى دَارِ السُّلْطَانِ وَوُقِفَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَقْتَدِرِ، ثُمَّ حُبِسَ فِي دَارِ السُّلْطَانِ فِي يَدِ زَيْدَانَ الْقَهْرْمَانَةِ، وَوُسِّعَ عَلَيْهِ ثُمَّ خُلِعَ عَلَى مونس وَطَوَّقَ وَسُورَ [118] وَخُلِعَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ قَوَّادِهِ وَزَيْدِ الرِّجَالِ نِصْفَ دِينَارٍ لِكُلِّ وَاحِدٍ فِي الشَّهْرِ.

ولما بعد مونس من أذربيجان وأنكفأ راجعاً إلى مدينة السلام ومعه يوسف بن ديوداذ^(١) غلب سُبُكْ غَلامُ يوسُفَ عليها، فَأَنْفَذَ مونس إِلَيْهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْفَارْقِيَّ وَقَلَّدَهُ الْبَلَدَ، وَكَانَ فِي حُدُودِ أَرْمِينِيَّةٍ، فَسَارَ إِلَى سُبُكْ وَحَارَبَهُ فَانْهَزَمَ الْفَارْقِيُّ وَصَارَ إِلَى بَغْدَادَ وَتَمَكَّنَ سُبُكْ مِنَ الْبَلَدِ. ثُمَّ كَتَبَ إِلَى السُّلْطَانِ يَسْأَلُ أَنْ يَقَاطِعَ عَنِ النَّاحِيَةِ، فَأُجِيبَ وَفُورِقَ^(٢) عَلَى أَنْ يَحْمَلَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَائَتِينَ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَأَنْفَذَتْ إِلَيْهِ الْخُلْعَ وَالْعَقْدَ وَلَمْ يَفْ بِمَا وَوُقِفَ عَلَيْهِ.

وَكَانَ مونس لَمَّا ظَفَرَ بِيُوسُفَ بْنِ أَبِي السَّاجِ وَقَبْلَ انْصِرَافِهِ عَنْ أَذْرَبَيْجَانَ قَلَّدَ بْنَ وَهْسُودَانَ أَعْمَالَ الْحَرْبِ بِالرَّيِّ وَدَنْبَاوَنْدَ^(٣) وَقَزْوِينَ وَزَنْجَانَ وَأَبْهَرَ وَسَلَّمَهَا إِلَيْهِ وَجَعَلَ أَمْوَالَهَا لَهُ وَلِرِجَالِهِ، وَقَلَّدَ أَحْمَدَ بْنَ عَلِيٍّ صَعْلُوكَ أَعْمَالَ الْمَعَاوِنِ بِإِصْبَهَانَ وَقَمَ وَجَعَلَ مَالَ الْخِرَاجِ وَالضِّيَاعِ بِقَمٍ وَسَاوَةَ لَهُ وَلِرِجَالِهِ، مَبْلُغُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَكْثَرَ مِنْ مَائَتِي أَلْفِ دِينَارٍ.

ثُمَّ وَثَبَ أَحْمَدُ بْنُ مَسَافِرٍ صَاحِبُ الطَّرْمِ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ وَهْسُودَانَ وَهُوَ مَعَهُ مَقِيمٌ بِنَاحِيَةِ قَزْوِينَ فَقَتَلَهُ عَلَى فَرَّاشِهِ [119] وَهَرَبَ فِي الْوَقْتِ إِلَى

١. في مط: ديوداذاد.

٢. في مط: فأجيب بورق.

٣. كذا في الأصل ومط: دنباوند. جاء في مد: ديناوند، وهو خطأ.

بلده وكان أحمد بن عليّ أخو صعلوك مقيماً بقم، فسار منها إلى الريّ ودخلها فأنكر عليه السلطان فعله، وقتل وصيف البكتمريّ أعمال عليّ بن وهسودان وقتل محمد بن سليمان صاحب الجيش أعمال الخراج والضياح وكوتب أحمد بن عليّ بالإنصراف إلى قم، ففعل.

ثم جرت بينه وبين محمد بن سليمان وحشة، فأظهر الخلاف وصرف عمال الخراج والضياح عن قم، وأخذ في الاستعداد للمسير إلى الريّ.

وكوتب تحرير الصغير وهو متقلّد همذان بالمسير إلى الريّ والاجتماع مع وصيف البكتمريّ ومحمد بن سليمان عليّ دفع أحمد بن عليّ. وسار أحمد بن عليّ إلى باب الريّ فواقعه، وانهزم وصيف وتحرير إلى همذان، وقتل محمد بن سليمان في الواقعة، وحصلت الريّ في يد أحمد بن عليّ، فشرع في إصلاح ما بينه وبين السلطان وعنى به نصر الحاجب فقاطع عن أعمال الخراج بالريّ ودنباوند وقزوین وزنجان وأبهر على مائة وستة وستين ألف دينار محمولة في كلّ سنة إلى الحضرة، وقتل الناحية، وقتل محمد بن خلف النيرمانی الضياح بهذه النواحي وأخرج أحمد بن عليّ عن قم فقتل من نظر فيها.

مركز تحقيق كتاب تاريخ طبرستان
مرکز تحقیق کتاب تاریخ طبرستان
[120]

لما تبين الوزير أبو الحسن ابن الفرات عداوة نصر الحاجب وأبي القاسم ابن الحواري وشفيع اللؤلؤي ونسبهم إياه إلى مواطاة ابن أبي الساج عليّ العصيان عاداهم ومنعهم أكثر حوائجهم وصرف نصراً وشفيعاً عن أكثر أعمالهم.

وكان ابن الفرات قلّد أبا عليّ ابن مقلة كتابة نصر الحاجب، ثم استوحش أبو عليّ ابن مقلة من ابن الفرات لأجل استخدامه سعيد بن إبراهيم التستري،

فذكر لنصر أن ابن الفرات قد استخرج من ودائع التي سلمت له خمسمائة ألف دينار بعد أن حلف في وقت نكبته أنه ما بقيت له وديعة لم يقرّ بها، فذكر نصر للمقتدر ذلك ليغيظه على ابن الفرات وغرّ نصر وابن الحوارى أبا على ابن مقلّة وأطمعاه في الوزارة ليستخرج ما عنده من أخبار ابن الفرات التي يضربون بها المقتدر عليه، حتّى ظهر الأمر في ذلك واشتهر وكثرت به الأراجيف، فذهب أبو الخطّاب ابن أبي العبّاس ابن الفرات إلى عمّه فشرح له ما يتحدّث به الناس فقال له :

- «إن شككت في أبي على ابن مقلّة مع تربيتي له ورفعي^(١) منه شككت في ولدي وفيك.»

ثمّ تبين ابن الفرات بعد ذلك صحة ما نُسب إلى ابن مقلّة وأطلع [121] أبا على ابن مقلّة على بعض ما وقع إليه من الخوض في أمره على طريق التعجّب ليصرفه عمّا شرع فيه، فاستوحش أبو علىّ منه وخاف معاجلته إيّاه بالنكبة، فجذّ في السعى عليه واعتصم بنصر الحاجب.

ودخلت سنة خمس وثلاثمائة
ورود رسولين لملك الروم بهدايا وألّطاف كثيرة
مركز تحقيق تكملة تاريخ الدولة المملوكية

وفيهما ورد رسولان لملك الروم إلى مدينة السلام على طريق الفرات بهدايا عظيمة وألّطاف كثيرة يلتمسان الهدنة.

وكان دخولهما يوم الإثنين لليلتين خلّتا من المحرّم، فأنزلا في دار صاعد بن مخلد، وتقدّم أبو الحسن ابن الفرات بأن يُفرش لهما ويُعدّ فيه كلّ ما

١. ويحتمل أن يقرأ: ودفعي، كما قرئ في مد.

يحتاجان إليه من الآلات والأواني وجميع الأصناف، وأن يُقام لهما ولمن
معهما الأنزال الواسعة والحيوان الكثير والحلاوة، حتى يتسع بذلك كل من
معهما، والتمسا الوصول إلى المقتدر بالله ليلبغاه الرسالة التي معهما.
فأعلمنا أن ذلك متعذر صعب لا يجوز إلا بعد لقاء وزيره ومخاطبته فيما
قصد إليه وتقرير الأمر معه والرغبة إليه في تسهيل الإذن على الخليفة [122]
والمشورة عليه بالإجابة إلى ما التمسها.

فسأل أبو عمر عدى بن عبد الباقي الوارد معهما من الثغر أبا الحسن ابن
الفرات الإذن لهما في الوصول إليه فوعده بذلك في يوم ذكره له.
وتقدّم الوزير بأن يكون الجيش مصطفاً من دار صاعد إلى الدار التي
أقطعها بالمخزّم، وأن يكون غلماناه وحده وخلفاء الحجاب المرسومين بداره
منتظمين من باب الدار إلى موضع مجلسه، وبُسط له في مجلس عظيم
مذهب السقوف في دار منها يعرف بدار البستان بالفرش الفاخر العجيب،
وعُلقت الستور التي تشبه الفرش واستزاد في الفرش والبسط والستور ما بلغ
ثمنه ثلاثين ألف دينار، ولم يبق شيء تجمّل^(١) به الدار ويفخّم به الأمر إلا
فُعل، وجلس على مصلى عظيم من ورائه مسند عال والخدم بين يديه
وخلفه وعن يمينه وشماله، والقوادر والأولياء قد ملأوا الصحن، ودخل إليه
الرسولان فشاهدوا في طريقهما من الجيش وكثرة الجمع ما هالهما.

ولمّا دخلا دار العامة أجلسهما الحاجب في رواقها والرجال قد امتلأت
بهم الدار، ثم أخذ بهما في ممرّ طويل من وراء هذا الرواق حتى أخرجهما
إلى صحن البستان، ثم عدل بهما إلى المجلس الذي كان [123] الوزير
جالساً فيه، فشاهدا من بهاء المجلس والفرش الذي فيه وكثرة الجمع منظراً

عجيباً جليلاً.

وكان معهما أبو عمر بن^(١) عبد الباقي يترجم عنهما ولهما.
وحضر نراد بن محمد صاحب الشرطة في جميع رجاله فأقيما بين يدي
الوزير أبي الحسن ابن الفرات، فسَلَّما وترجم لهما، ابن عبد الباقي ما قالَا
فأجابهما بما ترجمه لهما ورغبا إليه، في إيقاع الفداء ومسألة المقتدر بالله
الإجابة إليه فأعلمهما أنه يحتاج إلى مخاطبته فيما ذكره، ثمَّ العمل فيه بما
يرسمه، والتمسا منه إيصالهما إليه فوعدهما به.

وأخرجَا من بين يديه وأخذ بهما في الطريق الذي دخلا منه وعادا إلى
دار صاعد والجيش منتظم طول الطريق بأحسن زىٍّ وأكمل هيئة. وكان
زيهما دراريع ديباج ملكية ووقايات وفوق الوقايات قلانس ديباج محدودة
الرؤوس.

وخاطب ابن الفرات المقتدر بالله في إيصالهما إليه، وواقفه على ما
يجيبهما به، وتقدَّم إلى سائر الأولياء والقواد وسائر أصناف الجند بالركوب
إلى دار السلطان، وأن يكونوا منتظمين للظَّهر من دار صاعد إلى دار
السلطان.

فركبوا ووقفوا في الطريق على هذا الترتيب [124] في الزى الحسن
والسلاح التام، وتقدَّم بأن تُشحن رِحاب^(٢) الدار والدهاليز والممرات
بالرجال والسلاح وأن يُفرش سائر القصر بأحسن الفرش ولم يزل يراعى ذلك
حتى فرغ من جميعه.

ثمَّ أنفذ إلى الرسولين بالحضور، فركبا إلى الدار على الظهر وشاهدا في
طريقهما من الجيش وكثرته وحسن زيِّه وتكامل عدته أمراً عظيماً، ولمَّا

١. في مط: أبو عمران عبد الباقي.

٢. في مط: رجات.

وصلا إلى الدار أخذ بهما في ممرّ يقضى إلى صحن من تلك الصحن، ثمّ عدل بهما إلى ممرّ آخر، وأخرجنا منه إلى صحن أوسع من الأول، ولم تزل الحجاب يخترقون بهما في الصحن والممرّات حتّى كلاً من المشى وانبهرا. وكانت تلك الصحن والممرّات محشوة بالغلمان والخدم.

إلى أن قربا من المجلس الذى فيه المقتدر بالله والأولياء وقوف على مراتبهم، والمقتدر جالس على سرير ملكه، وأبو الحسن ابن الفرات واقف بالقرب منه، ومونس الخادم، ومن دونه من الخدم وقوف عن يمينه ويساره. فلما دخلا إلى المجلس قبّلا الأرض ووقفوا حيث استوقفهما نصر الحاجب، وأدّيا إليه رسالة صاحبهما فى الفداء، ورغبيا إليه فى إيقاعه فأجابهما الوزير عنه بأنّه يفعل ذلك رحمة للمسلمين ورغبة فى فكّهم وإيناراً لطاعة الله عزّ وجلّ [125] وخلاصهم، وأنّه ينفذ مونساً لحضور ذلك.

ولما خرجا من حضرته خلّع عليهما مطارف خزّ مذهبة وعمائم خزّ، وخلّع على أبى عمر أيضاً وانصرف على الظهر معهما والجيش على حاله منتظم للفداء.

فتأهب لذلك وابتيع من التمس الرسل ابتياعه من الروم المطلوبين وأطلق له وللقواد الشاخصين معه من بيت المال بالحضرة مائة ألف وسبعون ألف دينار. وكتب إلى العمّال فى طريقه بإزاحة علّته فيما يلتمسه، وحمل إلى كلّ واحد من الرسولين عشرون ألف درهم صلاة لهما، وخرجنا مع مونس ومعهما أبو عمر وتمّ الفداء فى هذه السنة على يد مونس.

وفىها أطلق أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان وإخوته من الحبس فى دار السلطان وخلع عليهم خلعة الرضا.

وفىها مات العباس بن عمرو الغنوى، وكان مثقلاً أعمال الحرب والمعاون

بديار مصر،^(١) فقلّد مكانه وصيف البكتمرى فلم يضبط العمل فقلّد مكانه جنى الصفوانى فضبطه أحسن ضبط.

ودخلت سنة ست وثلاثمائة

القبض على ابن الفرات وانتهاء وزارته الثانية

وفيهما قبض على الوزير أبى الحسن ابن الفرات وكانت مدة وزارته هذه الثانية سنة واحدة [126] وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً.

ذكر السبب فى ذلك

كان السبب الظاهر فى صرف ابن الفرات عن وزارته هذه الثانية، أنّه أخر إطلاق أرزاق الفرسان الذين مع القوّاد واحتجّ بضيق الأموال، لأجل ما احتجّ^(٢) إليه من صرفها إلى محاربة ابن أبى الساج، وأيضاً لأجل نقصان الإرتفاع بأخذ يوسف مال الرىّ، فشغب الفرسان فى أول سنة ست وثلاثمائة شغباً عظيماً، وخرجوا إلى المصلّى. والتمس ابن الفرات من المقتدر بالله إطلاق مائتى ألف دينار من بيت مال الخاصّة ليضيف إليها مائتى ألف دينار يتفق فى الفرسان، فغلظ ذلك على المقتدر وراسله بأنّه قد كان ضمن له أن يقوم بسائر النفقات على رسمه كان فى وزارته الأولى، وبحمل ما ضمن حمله إلى حضرته مفرداً، وأنّه لم يظنّ أنّه يقدم عليه بطلب مال. فاحتجّ ابن الفرات بما ذكرته فلم يسمع حجّته وتكرّر له.

وكان عبد الله بن جبير لمّا أقام فى وزارة على بن عيسى بواسط، وقد عرف مقدار ارتفاع أعمالها وما يحصل لحامد بن العباس من الفضل على

١. فى مط: بديار مصر.

٢. فى مط: احتج.

الضمان، شرح ذلك لابن الفرات [127] وبيّن له وجوهه لما عاد إلى بغداد وعند عوده إلى مجلس الأصل في ديوان السواد. فعظم ذلك في نفس ابن الفرات. فلما أتى على ذلك مدّة استأذن ابن جُبَيْر ابن الفرات في أن يُكاتب حامداً في بعض ما كان أنياه إليه من ضمان حامد، فأذن له فيه إذناً ضعيفاً فكتب من مجلسه - وهو مجلس الأصل في ديوان الخراج - إلى حامد وأجاب حامد وتردّت بينهما مكاتبات في هذا المعنى.

وتبع ذلك كتب بشر بن على، وهو خليفة حامد، يعتب على ابن جُبَيْر لما كان يتكلّم به في مجلسه، فاستوحش حامد من ذلك وتخوّف أن يكون ما يظهره ابن جُبَيْر عن مواطاة الوزير ابن الفرات ولشيء قد عرفه من نيّته، فأنفذ من يسفر له في الوزارة ويخاطب له نصراً الحاجب، فسعى له في ذلك وعُرف نصر سعة نفس حامد وضمن له تصحيح أموال جليّة من جهة ابن الفرات وأسبابه، وراسل أيضاً السيّد في هذا الباب.

ووافق ما سعى له فيه وما بذله له سوء رأى نصر في ابن الفرات وتخوّفه منه والإضاقة التي عرضت في الوقت حتّى طلب ما طلب، فتمّ لحامد ما قدّره بما اجتمع من هذه الأحوال. فروسل حامد بالخروج إلى الحضرة من واسط [128] وأن يكتب كتاباً بخروجه على أجنحة الطير.

فلما وقف عليه المقتدر أنفذ نصراً الحاجب وشفيعاً المقتدرى فقبضا على ابن الفرات وعلى ابنه المحسن وموسى بن خلف وعيسى بن جُبَيْر وسعيد بن إبراهيم التستري وأمّ ولد له وابنها منه، وحملوا إلى دار السلطان فاعتقل أبو الحسن ابن الفرات وحده في يد زيدان القهرمانّة واعتقل الباكون في يد نصر. ووصل حامد إلى مدينة السلام وأقام ليلته في دار الحجبة من دار السلطان، وتحقّق به أبو القاسم ابن الحوارى. وجلس حامد يتحدّث، فبان للقواد وجميع خواصّ المقتدر حدّته وقلة خبرته بأمر الوزارة.

وَحُدِّثَ الْمُقْتَدِرُ بِذَلِكَ فَاسْتَدْعَى أَبَا الْقَاسِمِ ابْنَ الْحَوَارِيِّ وَعَاتَبَهُ عَلَى مَشُورَتِهِ بِهِ، فَوَصَفَهُ ابْنُ الْحَوَارِيِّ بِالْيَسَارِ الْعَظِيمِ وَبِاسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ وَهَيْبَتِهِ عِنْدَ الْعَمَّالِ وَنُبْلِ النَّفْسِ وَكَثْرَةِ الْغُلَّامَانِ، وَكَانَ مَعَ حَامِدٍ لَمَّا قَدِمَ أَرْبَعُمِائَةَ غَلَامٍ يَحْمِلُونَ السِّلَاحَ فِيهِمْ عِدَّةٌ يَجْرُونَ مَسْجَرِي وَجْوهِ الْقَوَادِ وَأَكَابِرِ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ.

وَأَشَارَ ابْنُ الْحَوَارِيِّ عَلَى الْمُقْتَدِرِ فِي عَرْضِ كَلَامِهِ بِإِطْلَاقِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى وَتَقْلِيدِهِ الدَّوَاوِينَ بِأَسْرِهَا لِيُخْلَفَ حَامِداً عَلَيْهَا فَامْتَنَعَ الْمُقْتَدِرُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَلْتَمِسَهُ حَامِدٌ [129] مِنْهُ، فَأَحْتَالَ ابْنُ الْحَوَارِيِّ عَلَى حَامِدٍ وَقَالَ لَهُ: «الْتَمَسْ ذَلِكَ مِنَ الْمُقْتَدِرِ إِذَا وَصَلْتَ إِلَى حَضْرَتِهِ وَعَظَّمْ عَلَيْهِ أَمْرَ الْأَعْمَالِ وَالِدَّوَاوِينَ وَحَوَائِجِ الْحَاشِيَةِ وَخَوْفَهُ مِنْ سُوءِ أَدْبِهِمْ^(١) وَصَوِّرْ لِحَامِدٍ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَعَلَّ مَرَاغِمَةً لَهُ.»

وَحَلَفَ أَنَّهُ نَاصِحٌ لَهُ. فَلَمَّا وَصَلَ حَامِدٌ إِلَى الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ وَتَقَلَّدَ وَزَارَتَهُ قَبْلَ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبَعَثَ ذَلِكَ سَأْلَهُ إِطْلَاقِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى وَالْإِذْنَ لَهُ فِي اسْتِخْلَافِهِ عَلَى الدَّوَاوِينَ وَالْأَعْمَالِ. فَقَالَ لَهُ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ:

«مَا أَحْسَبَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى يَجِيبُ إِلَى ذَلِكَ وَلَا يَرْضَى أَنْ يَكُونَ تَابِعاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مَتَبَوِّعاً رَئِيساً.»
فَقَالَ حَامِدٌ بِحَضْرَةِ النَّاسِ:

«لَمْ لَا يَسْتَجِيبُ إِلَى ذَلِكَ وَإِنَّمَا مِثْلُ الْكَاتِبِ مِثْلُ الْخِيَّاطِ يَخِيطُ ثَوْباً قِيمَتُهُ أَلْفُ دِينَارٍ وَيَخِيطُ ثَوْباً بِعَشْرَةِ دِرَاهِمٍ.»
فَضَحِكَ النَّاسُ مِنْهُ.

١. في مط: من سوادهم. بدل «من سوء أدبهم».

وزارة حامد بن العباس

ولمّا خلع على حامد خلع الوزارة صار إلى دار الوزارة بالمخرم، فنزلها وجلس فيها للتهنئة ولم يقرّر شيئاً من الدواوين فتركها مختومة ذلك اليوم، وتحقّق به أبو عليّ بن مقلّة واختصّ به واستحضر حامد أبا عبد الله زنجيّ الكاتب فألزمه داره وردّ إليه مكاتبة العمّال عنه على رسمه مع ابن الفرات. وتحقّق بجميع الأمور ابن الحواري [130] وصار هو السفير بين حامد وبين المقتدر بالله، وكتب عن المقتدر إلى جميع أصحاب الأطراف وعمّال المعاون بخبر تقليده حامداً الوزارة، أنشأ ذلك أبو الحسن محمّد بن جعفر بن ثوابة. ثمّ قرّر حامد وعليّ بن عيسى أمر الدواوين على اتفاق منهما جميعاً ثمّ ابتدأ بعد ذلك يغيّر ما رأى تغييره.

وكان عليّ بن عيسى في أوّل أيام وزارة حامد بن العباس يحضر دار حامد في كلّ يوم دفعتين^(١) مدّة شهرين، ثمّ صار يحضر في كلّ أسبوع دفعة واحدة ثمّ سقطت منزلة حامد عند المقتدر بالله أوّل سنة سبع وثلاثمائة وتبيّن هو وخواصّه أنّه لا فائدة في الإعتماد عليه في شيء من الأمور، فتفرّد حينئذ أبو الحسن عليّ بن عيسى بتدبير سائر أمور المملكة، وأبطل حامداً فصار لا يأمر في شيء بتّة حتّى قيل فيه :

هذا وزير بلا سواد وذا سواد بلا وزير

فلمّا رأى حامد بن العباس نفسه لا يأمر ولا ينهى ولا يزيد على لبس السواد والركوب في أيّام المواكب إلى دار السلطان، فإذا حضر لم يدخله المقتدر في شيء من التدبير، وكان الخطاب كلّّه مع عليّ بن عيسى، شرع

فى تضمّن أعمال الخراج والضياح [131] والخاصّة والعامة المستحدثة والعباسيّة والفراتيّة بالسواد والأهواز وإصبهان، وتردّدت بينه وبين علىّ بن عيسى فى ذلك بحضرة المقتدر مناظرات إلى أن تضمّن هذه الأعمال.

فضمّن حامد أبا علىّ أحمد بن محمّد بن رستم إصبهان بزيادة مائة ألف دينار فى كلّ سنة على ما كان يرتفع به على يده ويد ابن أبى البغل ويد أحمد بن سياه، ولمّا زال ضمان حامد عقد علىّ بن عيسى على أبى علىّ ابن رستم إصبهان بهذه الزيادة ثمّ شرح أبو الحسين ابن أبى البغل عظيم ما يرتكب^(١) أبو علىّ ابن رستم من الظلم لأهل إصبهان، فبحث عنه علىّ بن عيسى حتّى تحقّقه، فاستشار ابن أبى البغل فأشار بعقد الضمان على صاحبين له كانا يتولّيان له بإصبهان مدّة تقلّده إياها وهما أبو مسلم محمّد بن بحر وأبو الحسين أحمد بن سعد. فعقد ذلك عليهما بثمانين ألف دينار زيادة وحطّ من جملة المائة الألف عشرين ألفاً، ليكون فى ذلك ترفيه للرعيّة، وسلّم إليهما ابن رستم.

ولمّا تبينّ حامد اتّضاع^(٢) حاله عند المقتدر ورأى أنّه لا يأمر ولا ينهى فى شىء من أمر المملكة استأذن فى العود إلى واسط ليدبّر أمر ضمانه الأوّل، فأذن له [132] المقتدر فى ذلك وأقام بواسط وله إسم الوزارة فقط.

مركز تحقيق كتاب تواريخ علوم اسلامی

ذكر ما عامل به حامد بن العباس علىّ

بن محمّد بن الفرات وأسبابه

ركب حامد بن العباس وعلىّ بن عيسى ثالث يوم تقلّد حامد الوزارة إلى

١. فى مط: ما يركب.

٢. فى مط: اقطاع.

المقتدر ووصل الناس ووصلاً^(١) إليه، والتمس حامد الإذن لرجل من الجند وذكر أنه وجدته قبل تقلده الوزارة وأقر له بأنه كان رسول ابن الفرات إلى يوسف بن أبي الساج في العصيان، فأحضره كتاباً منسوباً إلى ابن أبي الساج من ابن الفرات فغلظ ذلك على المقتدر واغتاظ على ابن الفرات وأقبل على أبي عمر القاضي وقال له :

- « ما عندك في هذا الفعل من ابن الفرات ؟ »

قال له :

- « يا أمير المؤمنين لئن صحَّ أنه أقدم على هذا الفعل لقد سعى في إفساد أمر المملكة. »

ثم أقبل بعده على أبي جعفر ابن البهلول القاضي فقال له :

- « ما عندك في هذا ؟ »

قال له :

- « عندي أن الله عز وجل قد أمر بالتثبت ونهى عن قبول قول الفاسق. »

ثم ناظر ابن البهلول الرجل مناظرة أدت إلى أنه كذب، فأقر الرجل بالكذب فيما ادّعاه فسُلم الرجل إلى صاحب الشرطة وأمر بضربه مائة سوط، فضُرب [133] وحُبس في المطبق ثم نُفي إلى مصر.

ثم إن حامداً وعلي بن عيسى أحضرا أبا علي الحسين بن أحمد المادرائي مناظرة ابن الفرات في دار السلطان، فكاشف الحسين بن أحمد المادرائي ابن الفرات بأنه حمل إليه في وزارته الأولى أربعمئة ألف دينار من مال المرافق بأجناد الشام وإنَّ أبا العباس بن بسطام وأبا القاسم ابنه بعده حملاً إليه ثمانمئة ألف دينار من مال الاستثناء والمرافق بكور مصر حساباً في كل

١. قرئ الكلمة في مد: ودخلا، في مط: ووصلا، كما أثبتناه.

سنة مائتي ألف دينار.

وحضر المناظرة القضاة والكتاب وجلس المقتدر بحيث يسمع ما يجرى ولا يراه أحد واحتجّ ابن الفرات بأن قال :

« إنَّ هذا العامل قد تولّى أعمال مصر والشام في أيّام وزارة عليّ بن عيسى وقد اعترف بأنّ هذه أموال واجب استخراجها وادّعى أنّه حمل بعضها إلّى حيث كان متقلّداً أعمال أجناد الشام وأنّ ابني بسطام حملاً إلّى ما ذكره. »

وقد ولي عليّ بن عيسى الوزارة مدّة أربع سنين وليس يخلو هذا المال من أن يكون حملة إلّى عليّ بن عيسى فهو واجب عليه أو لم يحمله فهو واجب على هذا العامل في نفسه.

ثمّ قد اعترف أنّه قد جبي في أيّام وزارتي الأولى ما قال وهو أربعمائة ألف دينار [134] وادّعى حملها إلّى فصار مقرّراً على نفسه ومدّعيّاً عليّ وأنا أقول إنّ كاذب في ادّعائه عليّ وحكم الله تعالى ورسوله والفقهاء معروف في أمثاله. فأسمعه حامد ما يكره وشتمه شتماً قبيحاً، فقال له ابن الفرات :

« أنت على بساط السلطان وفي دار المملكة وليس هذا الموضع ممّا تعرفه من بيدر تقسمه ^(١) ولا هو مثل أكار تشتّمه ولا عامل تلاكمه. »

ثمّ أقبل عليّ شفيع اللؤلؤي وقال له :

« يجب أن تكتب عنّي بما أقوله إلى مولانا، أيّده الله : إنّ حامداً إنّما حمّله على الدخول في الوزارة وليس من أهلها أنّي أوجبت عليه أكثر من ألف ألف دينار من فضل ضمانه أعمال واسط وجدّدت في مطالبتّه بها فقدّر بدخوله في الوزارة أن يفوز بذلك الفضل وبما يُحصّله مستأنفاً وقد كان ينبغي

١. في مط: من بيدر بقسمه.

له وهو وزير أمير المؤمنين أن يدع ضمان أعمال واسط حتى يتبين أمره هو أم مُخسر^(١) فيدبره أبو الحسن عليّ بن عيسى فإنه لا يشكّ أحد في بعد ما بينه وبين حامد في الصناعة والإحتياط، فأما وهو وزير وهو ضامن فهذا أول خيائته واقتطاعه.

فأمر حامد بن العباس أن تُنتف لحيته فلم يمتثل أحد أمره، فوثب هو بنفسه إليه وجذب لحيته.

وكان [135] الخطاب قد انتهى أن بذل الحسين بن أحمد المادرائي خطه بخمسمائة ألف دينار سلّم إليه ابن الفرات، وكان ذلك قبل شتمة حامد له ومدّ يده إلى لحيته. وكان حامد أحضر أبا عليّ ابن مقلة وواقفه على أن يواجه ابن الفرات بأنه قد استخرج من ودائعته التي كتمها في وزارته خمسمائة ألف دينار فلم يُبرز أبو عليّ صفحته لابن الفرات وراسله حامد في المجلس أن^(٢) يفي بوعدده ويواقفه في وجهه فقال أبو عليّ:

«أنا أكتب خطي بذلك فأما أن أواجه ابن الفرات فلا أفعل.»

فغلظ ذلك على حامد وتكرّر لابن مقلة منذ هذا اليوم.

وكان عليّ بن عيسى لا يزيد على أن يكلم ابن الفرات في مواضع الحجّة بكلام جميل وحامد مشغول بالسفه والشتم. وكان ابن الحواري يرى ابن الفرات أنه متوسّط بينه وبين حامد وتبين في خطابه أنه متحامل على ابن الفرات ولما سمع المقتدر شتم حامد لابن الفرات و^(٣) وقف على مدّ يده إلى لحيته أنفذ خادماً^(٤) أقام ابن الفرات من مجلسه وردّه إلى محبسه، فقال عليّ

١. في مط: أمير، أم يخسر.

٢. تكررت «أن» في الأصل.

٣. في مط: وقف (دون الواو).

٤. كذا في الأصل: خادماً. وفي مط: حامداً.

بن عيسى وابن الحواري لحامد :

- «قد جنيت علينا بما فعلته باين الفرات.»

وكان الحسين بن أحمد المادرائي بعد مكاشفته لابن الفرات قال له :

- «إن تأذى إلى المصادرة [136] تحملت عنك خمسين ألف دينار.»

فلما خرج من المجلس قال له نصر الحاجب وعلى بن عيسى وابن

الحواري :

- «دخلت لتناظر الرجل فلم تبرح حتى بذلت له مرفقاً وصانعته.»

فقال لهم :

- «أدخلتموني إلى رجل قال لي بعضكم لماً دخلت إليه : أنظر لمن

تخاطب. وقال آخر : أنظر بين يديك. وقال آخر : الله الله في نفسك. فلم

أجد شيئاً أقرب إلى الصواب ممّا فعلته بعد أن سمعت كلامه.»

فمن جميل ما عمله ابن الفرات أنّه لمّا تقلّد بعد هذا الوقت الوزارة وهي

وزارته الثالثة قبض على ابن الحسين بن أحمد^(١) المادرائي وهو أكبر أولاده

فأخذ خطّه بخمسة^(٢) وعشرين ألف دينار كانت واجبة عليه من مال

السلطان ولم يطالبه بها واعتقله إلى أن وافى أبوه الشام، فذكره ابن الفرات ما

كان بذله من الخمسين الألف الدينار التي تحمّلها عنه وقال له :

- «قد كنت مخيراً أن تفعل وأن لا تفعل وإنما وعدت وعداً وهذه رقعة

بخط ابنك بخمسة وعشرين ألف دينار وهي واجبة عليه حاصلة قبله ولا

حجة له ولا لك فيها وقد رددتها عليك مكافأة لك على ما بذلت.

وقد كان أنفذ أبو أحمد بن حمّاد لمناظرة ابن الفرات بحضرة شفيع

اللولؤي وغيره فافتتح ابن حمّاد الخطاب بأن قال :

١. سقط من مط «بن أحمد».

٢. في مط : بخمس.

- «إِنَّ [137] الوزير والرئيس أدام الله عزَّهما يقولان لك : أصدق نفسك فقد وصل إليك من ضياعك وغلاتك في كلِّ سنة ألف ألف ومائتا ألف دينار ومن وجوه ارتفاعاتك مثلها وهذا مال عظيم، فاكتب خطَّك بألف ألف دينار معجَّلة تقدِّمها إلى أن يُنظر في أمرك حتَّى تسلم نفسك وإلا سُلِّمت إلى من يعاملك بما يعامل به مثلك من الخونة الذين دَبَّروا على المملكة فقد صحَّ عند السلطان أنَّك كاتب ابن أبي الساج وأمرته بالعصيان.»

فقال له ابن الفرات :

- «قد كان ينبغي أن يشغلك أمرك وما عليك في نفسك عن تحمُّل الرسائل قد تصرَّفت لعلِّي بن عيسى أربع سنين واقتطعت أموالاً، فلمَّا نظرت في الأمر استترت عني وكتبت إليَّ مَنْ تصرَّف مكانك باستدراكات عليك وارتفاعات لك كثيرة والكتب بأعيانها في ديوان السلطان محفوظة.»

فأقبل شفيع على ابن حمَّاد فقال له :

- «لست من رجال ابن الفرات، فقم إلى ابنه المحسن فناظره.»

فقام وأخذ خطَّ المحسن بثلاثمائة ألف دينار. ثمَّ ناظر موسى بن خلف وسأله عن ودائع ابن الفرات وأمواله فقال له موسى :

- «ما له عندي وديعة ولا أعرف أخبار ودائعه ولا [138] له على يدي مال ولا وليت له عملاً سلطانياً وإِنَّمَا كنت أنظر في نفقات داره.»

وكان موسى بن خلف شيخاً كبيراً قد أتت عليه نحو تسعين سنة وكان مع ذلك عليلاً به ذرب لا فضل فيه^(١) للمكروه فشتمه ابن حمَّاد. وكان يتردَّد بعد ذلك إلى أصحاب ابن الفرات ويناظرهم فلا يرتفع له شيء. وكان علَّق المحسن بفرديد من حبل الستارة فلم يصح له من جهته شيء. فلمَّا رأى

١. في مط: درب لا فضل فيه. وفي مد: لا فضل له (خلفاً للأصل).

ذلك استعفى منهم فأعفى وأحضر حامد موسى بن خلف فقال له :
 - « دُلّ على أموال ابن الفرات فإنك تعرفها ولا تحوج إلى مكروه يقع
 بك. »

فقال له : « أحلف بما شئت من الأيمان إنّي لا أعرف شيئاً من ودائعهم. »
 فأمر بصفعه فصّفع إلى أن سأل عليّ بن عيسى فيه وأشار إلى الغلمان
 بالكفّ. ثمّ عاوده حامد بالمكروه مرّات حتّى أحضره ليلة بين يديه وضربه
 حتّى مات تحت الضرب فقيل له :
 - « إنّه قد تلف ^(١). »

فقال : « اضربوه. »

فصُرب بعد موته سبعة عشر [سوطاً] ^(٢) فلمّا علم بموته أمر بجُزّ رجله،
 فجُزّ وتعلّقت أذنه في زرّ عتبة الباب فانقلعت وحُمل إلى منزله ميتاً.
 واستحسن من فعل موسى بن خلف ووفائه أنّه كان يقف على أموال مودعة
 لصاحبه عند جماعة فلم يقرّ عليه [139] إلى أن تلف.

وأحضر حامد المحسّن وطالبه فذكر المحسّن أنّه لا يقدر على أكثر من
 عشرين ألف دينار فأمر بصفعه فصّفع فرأى على رأسه شعراً كثيراً فقال :
 - « هذا لا يتألم بالصفع، هاتوا من يحلق شعره. »

فأخرج من بين يديه فحلق شعره ثمّ أعيد ^(٣) إليه فصّفعه حتّى كاد يتلف
 وذلك بين أيدي جماعة كثيرة، فشفع إليه عليّ بن عيسى وسأله أن يقتصر
 منه على خمسين ألف دينار، فحلف أنّه لا يقنع منه بدون سبعين ألف دينار،
 فبذل خطّه بها وألبسه جبّة صوف وعدّبه ألواناً ثمّ سلّمه إلى أبي الحسن

١. في مط : أتلف.

٢. زدناه كما زيد في مد.

٣. كذا في الأصل : أعيد. وفي مط : اعتد.

الثعباني فأدى ستين ألف دينار بعد أن استمأح الناس وأسعفه علي بن عيسى بعشرة آلاف درهم وأقام شهوراً كثيرة يستمأح الناس حتى صحح ما بذل خطئه به وكثرت الشفاعات فيه فردّه حامد إلى منزله.

وجهد حامد في أن يسلم إليه ابن الفرات فقال المقتدر :

« أنا أسلمه إليك وأوكل به خادماً يحفظ نفسه. »

فقال حامد :

« إذا علم ابن الفرات أنّه يُحرس من المكروه تماثّن. »

فقال المقتدر :

« أنا أسلمه^(١) إلى علي بن عيسى أو إلى شفيع اللؤلؤي فإنني أثق بهما. »

وكان المقتدر يروى^(٢) في أمر ابن الفرات فتارة تشره نفسه إلى [140]

المال وتارة يكره أن يتلف في يد حامد. فعرفت زيدان القهرمانه هذه الحالة من المقتدر وأعلمتها ابن الفرات، فأظهر ابن الفرات أنّه رأى أخاه أبا العباس في النوم ووصّاه وقال له :

« أدّ المال فإنّ القوم ليس يريدون نفسك وإنما يريدون مالك. »

وأنه قال :

« قد أدّيت إليهم جميع مالي. »

وأنّ أخاه أجابه بأن قال^(٣) :

« لم تؤد إليهم المال الفلاني. »

فقلت : « إنّ معظم ذلك لورثتك. »

فقال : « أدّه فإننا جمعناه من أسلافهم وأدّخرناه لمثل هذا اليوم. »

١. أسلمه: كذا في الأصل. وما في مط: أصله.

٢. يروى في أمر ابن الفرات: العبارة سقطت من مط، ولا بدع.

٣. في مد: قال له: بزيادة «له» على الأصل.

ثم كتب إلى تاجرين بحمل ما عندهما وهو سبعمائة ألف دينار إلى حضرة المقتدر. وكتب إلى أبي بكر ابن قرابة بشيء آخر وإلى ابن إدريس الحمّال بشيء آخر، فأنفذ المقتدر رقاعه إلى حامد وعليّ بن عيسى فغلظ ذلك عليهما ويثسا معهما^(١) من تسلّم ابن الفرات وقال عليّ بن عيسى وابن الحواري لحامد:

- «أى شيء عندك فيما فعله ابن الفرات؟»

فقال حامد:

- «هذا من إقبال مولانا أمير المؤمنين.»

فقال له عليّ بن عيسى:

- «هذا لا شكّ فيه كما قال الوزير، أيده الله، ولكن ما أشكّ أنّ ابن الفرات ما فعل هذا حتّى توثّق بنفسه ولا سمح بهذا المال العظيم عفواً بغير مكيدة^(٢) وقد كان يجوز أن يقنع^(٣) منه [141] ببعضه إلّا لشروعه في تضمّن أنفسنا وأحوالنا.»

فقال حامد وابن الحواري:

- «هذا لا شكّ فيه.»

ثم تشاغل حامد وعليّ بن عيسى باستحضار من عليه المال وأوصلوا إليهم رقاع ابن الفرات فاعترفوا بصحته سوى ابن قرابة فإنه قال فى عشرة آلاف دينار كان أودعه إياها:

- «قد كان أودعنى^(٤) هذا المال ثمّ ابتاع منى فى أوّل سنة ستّ وثلاثمائة

١. فى مد: معها (تفسيراً للأصل).

٢. فى مط: عفواً بغير تعيين مكروه. بدل «عفواً بغير مكيدة».

٣. فى الأصل: يقنع (بشيء من الغموض) فى مط أيضاً: يقنع. فى مد: يقع.

٤. فى مط: أوجعنى. بدل «أودعنى».

عنبراً ومسكاً كثيراً أهدى أكثره إلى المقتدر بالله واليسير منه لنفسه ومعى توقيعاته بخطه بتواريخ أوقاته.»

واستدعى أن يجمع بينه وبين ابن الفرات فأنفذه حامد إلى دار السلطان وأوصله مفلح إلى ابن الفرات حتى ذكر له ذلك فصدقه وقال له :

- «لا تلمنى على ما كتبت به فقد كنت أنسيت ما جرى فيه ولعمري لقد كنت جعلت مال الوديعة محسوباً لك فى ثمن العطر.»

وكتب ابن الفرات خطه بصحة ما قاله ابن قرابة فسلمت الدنانير لابن الفرات وكان هذا الفعل من ابن قرابة أوكد أسباب تحققه فيما بعد ذلك بابن الفرات. وقد كان ابن الفرات أودع القاضى أبا عمر مالاً لابنه الحسن بن دولة فلحقت أبا عمر رهبة شديدة من حامد لبسطه يده على القضاة والشهود [142] فاعترف أبو عمر القاضى أن لابن الفرات عنده وديعة لَمَّا سألَه حامد هل عنده وديعة. فأمر بإحضاره فأحضره وأداه وبلغ ذلك ابن الفرات فتنكر لأبى عمر.

فحكى أن أبا بكر ابن قرابة قال : لَمَّا خلع على ابن الفرات للوزارة الثالثة كنت أول من لقيه فى دهليز الحجة المتصل بباب الخاصة فقال :

- «يا با بكر تقرب أبو عمر بوديعتى وعرضنى^(١)»

قال : فقلت : كايوزير علومى

- «الوزير أيده الله صادق فمن أخبره؟»

فأوماً إلى زيدان القهرمانة وأن القاضى أبا عمر عرف تنكر الوزير له. ووصل إلى منزله وقت العشاء الآخرة فإذا بأبى عمر وابنه جالسين فى مسجد على^(٢) بابه فأكبر ذلك ونزل إليهما فحلفا عليه أن يدخل إلى منزله

١. فى مط: وغرضى.

٢. على: سقطت من مط.

ودخلاه بدخوله فقالا له :

- «خبر المجلس عندنا، فما الذي ترى؟»

فقال لهما :

- «إزالة الإعتذار والإحتجاج وردّ المال.»

فاستجابا، وكان مبلغ المال ثلاثة آلاف دينار وسألاه التسكين عنهما لثلا

يعاجلا فبكر ابن قرابة إلى ابن الفرات، فقال له :

- «قد جاءني أبو عمر القاضي وابنه قَلَقَيْن، وذكرنا أنّ المال بحاله.»

فقال :

- «الحمد لله ربّ العالمين.»

فلَمَّا كان في اليوم الثاني من ذلك حمل أبو بكر الثلاثة الآلاف الدينار في

برنيّة^(١) كانت ضُمِنَت الوديعة فلَمَّا رآها ابن الفرات عجب [143] وأمر

بتسلّمها :

وعدنا إلى خبر حامد في وزارته

ولَمَّا رأى حامد وعليّ بن عيسى تمكّن ابن الحواري من المقتدر بالله

خرج توقيع حامد بخطّ عليّ بن عيسى بتقليد ابن الحواري جميع أعمال

الاعطاء^(٢) في العساكر لسائر نواحي المغرب من حدّ هيت إلى آخر حدود

مصر، وأن يقام له من الرزق مثل ما كان يقام لجميع من كان ينظر في ذلك

في آخر أيام وزارة ابن الفرات الثانية، وأن يقلّد ابنه - وكانت سنّه في الحال

نحو عشر سنين - ويجرى عليه ما مبلغه في الشهر مائة وخمسون دينار

وقلّد ابنه هذا بيت مال الاعطاء بالحضرة بحقّ الأصل بجاري مائة وثمانين

١. الكلمة مهملّة تماماً في مط.

٢. كذا في الأصل: الاعطاء.

ديناراً في الشهر واستخلف له عليه المعروف بقاظمير الكاتب.

وزاد بعد ذلك اختصاص ابن الحواري وخدمته له في خلواته وكان يشاوره في أموره فقلّد أعمالاً آخر وأجرى عليه واستخلف له عليها. فكان يصل إليه مال عظيم ولا يباشر شيئاً من الأعمال ولا يدرى ما يجري فيها. وصرف نزار عن الشرطة بمدينة السلام وقلّد نجح الطولوني واستخلف عليها وأقام في الأرباع فقهاء يعمل أصحاب الشرط في أمر الجناة بما يفتون به في أمرهم فضعفت هيبة الشرطة بذلك واستلان^(١) اللصوص والعيّارون جانب نجح [144] فكثر الجراحات والفتن وتفاقم الأمر في التلصص وكان العيّارون يقولون :

أُخْرِجْ وَلَا تُبَالِي مَا دَامَ نُجَحُ وَالِي.

ودخلت سنة سبع وثلاثمائة

كان غرض حامد في الضمانات على النواحي التي ذكرناها تفرد على ابن عيسى بتدبير المملكة وإبطاله أمر حامد. فتضمّن حامد بهذه النواحي ليكون له بالحضرة أمر ونهى وليوقر من هذه الأعمال ما يبطل به السوق التي قامت لعلّ بن عيسى عند المقتدر بالكفاية والعفاف. وإنما لم يدخل أعمال فارس في ضمانه لأنها كانت في ضمان أبي القاسم ابن بسطام وكان النعمان يشير على حامد بترك الدخول في الضمان فإنه زعم أنه تسقط هيئته عند الناس ويصير علّ بن عيسى المطالب له بالأموال والمتحكّم عليه.

وكان أبو عيسى أخو أبي صخرة قديم الصداقة لحامد وكان يشير عليه بالضمان ليتبين أثره وأن يتضمّن بعبرة سني علّ بن عيسى خاصّة ليكون ما

١. في مط: واستيلاء.

يشيره - وهو شيء كثير وافر - استدراكاً على عليّ بن عيسى . فمال حامد إلى هذا الرأي وخاطب عليّ بن عيسى بحضرة المقتدر وقال له :

- « قد تفرّدت بتدبير الأمور دوني وليس ترى أن تشاورني في شيءٍ تعمله ولا بدّ من صدق أمير المؤمنين . فقد أضعت بالسواد والأهواز وإصبهان أربعمئة [145] ألف دينار في كلّ سنة وأنا أضمن هذه الأعمال أربع سنين بعبرة المحمول والمسبّب^(١) في سني وزارتك وزيادة أربعمئة ألف دينار في كلّ سنة .»

فأجابه عليّ بن عيسى بأنّه لا يستصوب تضمينه هذه الأعمال لأنّ مذهبه في خبط^(٢) الرعيّة وإحداث السنن وضرب الأبصار معروف ومن عمل بهذه السيرة فهو لا محالة يوفّر سنة أو أكثر ثمّ تخربّ خراباً لا يتلافى في سنين فيُيطل الإرتفاع ويسىء الذكر . فتخاصما خصومة طويلة فقال المقتدر :

- « هذا توفير من حامد ولا يجوز تركه فإنّ ضمنت أنت هذه النواحي بما ضمنه حامد ضمّنتك .»

فقال عليّ بن عيسى :

- « أنا كاتب ولست بعامل وحامد أولى بالضمان لا سيّما وقد بذل ما بذل راغباً والأثر في ذلك يا أمير المؤمنين ، لأنّي قد عمرت البلدان لرفقي بالرعيّة وتقليدي من العمّال من أزال المؤن عنهم ، وسنة سبع قد تناهت عمارتها وليس يقدر أن يقول إنه يتضمّن لها ليستزيد في عمارتها لأنّ أيام العمارّة قد انقضت منذ مدّة .»

فأمر المقتدر بعقد الضمان على حامد وأخذ خطّه به فخرجا .

وتقدّم عليّ بن عيسى إلى أصحاب الدواوين بإخراج العبر من دواوينهم

١. ما في الأصل نصف مطموس . وما أثبتناه هو من دول . في مد أيضاً : المسبّب .

٢. في مط : خط الرعيّة .

بعبّر السنين القريبة لأنها أوفر [146] فأخرج عبرة المحمول والمسبب مع مال النفقات الراتبية في نواحي السواد والأهواز لسنة من ثلاث سنين أولاهن سنة ثلاث وأخراهن^(١) سنة خمس وثلاثمائة - ثلاثة وثلاثين ألف ألف درهم. وأخرج عبرة الضياع الخاصة والمستحدثة والعباسية والفراتية للمحمول والمسبب ثمانية آلاف ألف درهم وثمانمائة ألف درهم وأخرج عبرة مال إصبهان مع النفقات الراتبية بقسط سنة واحدة من ثلاث سنين ستة آلاف ألف وثلاثمائة^(٢) ألف درهم تصير الجميع لسنة واحدة ثمانية وأربعين ألف ألف درهم ومائة ألف درهم والزيادة التي بذلها حامد وهي عن قيمة أربعمائة ألف دينار خمسة آلاف ألف وثمانمائة ألف درهم مبلغ الجميع ثلاثة وخمسون ألف ألف وتسعمائة ألف درهم.

والتمس حامد بن العباس من المقتدر بالله أن يأمر بتسليم جماعة من الكتاب إليه ليوليهم كتابته على ديوان ضمانه واختار عبيد الله بن محمد الكلواذي وأحمد بن محمد بن زريق وغيرهما، فتقدم المقتدر بإجابته إلى ما سأله بعد أن عقد علي بن عيسى عليه الضمان باسم صاحبه محمد بن منصور وأخذ خط حامد بتضمّنه عنه ما عقده باسمه واعتمد حامد بن العباس على عبيد الله بن محمد الكلواذي فكان ينظم الأعمال التي يخرجها كتاب حامد ويتولّى الموافقة عن [147] حامد في دار السلطان ويرفق في المناظرة ويستعمل الحجّة فقط.

واعتمد علي بن عيسى على الصقر بن محمد في مناظرة كتاب حامد، فكان حامد إذا حضر لا يزيد على الشتم والسبّ لعلي بن عيسى وذكره بالقبيح في نفسه وأسلافه واستعمل في ذلك ما فضح به المملكة وشاع في

١. في مط: أخواهن، وهو تصحيف.

٢. في مط: ستمائة ألف.

الخاصّ والعامّ الخبر به ثمّ أصلح المقتدر بينهما بحضرته.

وأسرف عليّ بن عيسى في الإلحاح على حامد في حمل المال واحتاج حامد إلى أن يستأذن في الخروج إلى الأهواز فأذن له وذكر أبو القاسم الكلواذى أنّه يضعف عن مقاومة عليّ بن عيسى عند غييبته، فنصب حامد صهره أبا الحسين محمّد بن أحمد ابن بسطام للنيابة عنه في دار السلطان عند المناظرة وإعزاز^(١) الكلواذى ليستوفى حجّته وظهرت في ذلك الوقت صناعة الكلواذى وكفايته وصحة عمله فكان ذلك من أكبر أسباب نباهته.

وجرى خلاف كثير بين كتاب حامد وبين كتاب عليّ بن عيسى يطول ذكرها، ورضى حامد بوساطة النعمان فيها وكتب بذلك وتوسّط النعمان وقرّر الأمر من سائر أبواب الخلاف على مائة ألف دينار بقسط سنة واحدة.

وكتب ابن بسطام والكلواذى إلى حامد وهو [148] بالأهواز بصورة ما تقرّرت عليه الحكومة، فدبر حينئذٍ حامد في ذلك تدبير الشيوخ المجريين. فكتب إلى المقتدر كتاباً وأنفذ مع غلام له فأوصل نصر الكتاب مختوماً إلى المقتدر فوجده قد ذكر فيه أنّه لم يدخل في هذا الضمان لاستجلاب فائدة لنفسه ولا للربح على السلطان وإنما أراد أن يبيّن عن خبرته بالأعمال وحفظ الأموال وقبح آثار عليّ بن عيسى فيما تولّاه قديماً وحديثاً وأنّه كان بذل زيادة أربعمئة ألف دينار في كلّ سنة، وأنّه لما صار بالأهواز لاحت له زيادة مائتي ألف دينار في سنة سبع على أربعمئة ألف دينار، فوفّر ذلك وكتب كتابه بخطّه حجّة عليه لينضاف ذلك إلى الزيادة الأولى ويثبت في الدواوين.

فسرّ المقتدر بذلك وأمر بتقوية يد حامد وأن يقتصر بعليّ بن عيسى على

١. لم تتأكّد من صعّة القراءة. ما في مط مهمل دون أيّ نقط. وقرئ في مد: اغرار. والنقطة في الأصل على الراء بفاصلة غير معتادة. والإعزاز: الإعانة.

النظر فى حوائج القوَاد والحاشية والإحتياط فيما يُطلق من الأموال فى النفقات فإنه بذلك أبصر من حامد، وبإفراد حامد بجباية الأموال والنظر فى النواحي.

وخاف علىّ بن عيسى أن تقوى يد حامد فيسلم إليه. واتفق بعقب ذلك أن تحرّكت العامّة ثمّ الخاصّة بسبب زيادة السعر وشغبوا [149] شغباً عظيماً متصلاً أشفى به المُلْك على الزوال وبغداد على الخراب. فادّعى كُتّاب حامد وأسبابه ومن يميل إليه أنّ علىّ بن عيسى حمل العامّة وأكثر الخاصّة على الشغب لأنّ السعر لم يكن زاد زيادة توجب ما خرجوا إليه وإنّما بلغ الخبز الحواري ثمانية أرطال بدرهم.

ذكر ما اضطرب لأجله أمر حامد بن

العبّاس حتّى فُسخ ضمانه

تجمّع الناس وقوم من أمائل العامّة فتظلموا من زيادة السعر وضجّوا فى وجه علىّ بن عيسى لمّا ركب، ثمّ نهب العامّة دكاكين الجماعة من الدقّاقين ببغداد ثمّ اجتمعوا إلى باب السلطان فضجّوا.

فتقدّم المقتدر إلى ابن الحواري بأن يكتب إلى حامد بأن يبادر إلى الحضرة^(١) وينظر فى أمر الأسعار فيزيل الترتّص ببيع الغلات لتنحط الأسعار، فنفذ الكتاب بذلك فخرج حامد من الأهواز وأنفذ المقتدر ماهر^(٢) الخادم لاستعجاله.

وخرج أصحاب الدواوين والقوَاد لتلقّيه وخرج نصر وابن الحواري فتلقّياه وخرج علىّ بن عيسى فتلقّاه، ووصل إلى المقتدر بالله فخاطبه بجميل وعرفه

١. فى مد: الحضور (تغييراً للأصل).

٢. فى مط: ما هو.

إحماده إياه على ما قرره وأمر بأن يُخلع عليه فخلع عليه وحُمِل على شهرى
وانصرف إلى منزله. [150]

وتحرك الجند لغد^(١) ذلك اليوم فى دار السلطان وضجّوا لارتفاع السعر،
وتحرّكت العامة فى المساجد الجامعة ببغداد وكسروا المنابر وقطعوا الصلاة
بعد الركعة الأولى واستلبوا الثياب ورجموا بالآجر وكثرت الجراحات واجتمع
منهم فى المسجد الجامع الذى فى دار السلطان عدد كثير على نصر الحاجب
فوثبوا عليه ورجموه بالآجر.

ثم صاروا فى ذلك اليوم إلى دار حامد بن العباس فأخرج إليهم غلمانهم
فرمّوهم بالآجر والنشاب وقتل خلق من العامة فحملوا على الجنائز وشنّوا
بهم.

ووجه حامد جماعة من غلمانهم ومعهم ديوداذ بن محمد وهو ابن أخى
يوسف بن أبى الساج، فدخلوا المسجد الجامع بالجانب الغربى على دوابهم
فقتلوا جماعة وقتل أيضاً من الجند عدّة وبات الناس ليلة السبت على صورة
قبيحة من الخوف على أنفسهم وأموالهم وخُرّمهم وضعف صاحب الشرطة عن
مقاومتهم لكثرة من تجمع من العامة.

فلما أصبحوا يوم السبت صار من العامة عدد كثير إلى الجسور فأحرقوها
وفتحوا السجون ونهبوا دار صاحب الشرطة ودار غيره، فأنفذ المقتدر جماعة
من الغلمان الحجرية [151] فى شذاءات عدّة لمحاربة العامة وركب هارون
بن غريب^(٢) الخال فى جيش عظيم إلى باب الطاق فأحرق مواضع وتهارب
العامة من بين يديه إلى المسجد الجامع بباب الطاق ووكل هارون بباب
المسجد وقبض على جميع من وجده ولم يفرّق بين المستور والعتار وحملهم

١. قرئ الأصل فى مد: بعد.

٢. فى مط: غريب الحال.

إلى مجلس الشرطة فضرب بعضهم بالسوط وبعضهم بالدرّة وقطع أيدي قوم عُرِفوا بالإفساد.

ثمّ ركب يانس^(١) الموققى يوم الأحد فسكّن الناس ونادى فيهم وزالت الفتنة، ثمّ ركب حامد فى طيّاره يريد دار السلطان فقصدته العامّة ورجموه بالآجر، فأمر المقتدر شفيعاً المقتدرى بالركوب لتسكين العامّة، فركب وسار فى الجانب الغربى وفيه كانت الفتنة، فسكّن الناس ثمّ قبض على جماعة من العامّة فضرب بعضهم بالسوط وقطعت أيدي قوم عُرِفوا بالرجم.

وضجّت الرّجالة المصافية^(٢) فى دار السلطان من زيادة السعر فتقدّم المقتدر بالله بفتح الدكاكين والبيوت التى لحامد وللسيدة والأمراء أولاد الخليفة والوجوه من أهل الدولة وبيع الحنطة بنقصان خمسة دنائير فى الكُرّ وبيع الشعير بحسب ذلك وبمطالبة التجار والباعة أن يبيعوا بمثل هذا [152] السعر فركب هارون بن غريب ومعه إبراهيم بن بطحاء المحتسب فسُغّر الكُرّ المعدّل بخمسين ديناراً وتقدّم إلى الدقّاقين بذلك فرضى العامّة وسكنوا وانحلّ السعر.

فسخ الضمان عن حامد بن العباس

وخرج توقيع المقتدر إلى حامد بن العباس بفسخه عنه الضمان لأجل الفتنة وضجيج العامّة من زيادة السعر وتوقيع إلى على بن عيسى بأن يدبّر هو الأعمال بالسواد والأهواز وإصبهان ويقلّدها^(٣) العمّال من قبله وأن يكتب عنه كتاباً إلى العامّة يقرأ فى الشوارع والأسواق ثمّ على المنابر بأنّه قد زال

١. ما فى مط: مهمل من دون نقط.

٢. فى مط: المصافة.

٣. قرئ الأصل فى مد: وتقليدها.

ضمان حامد بن العباس وحُظِر على جميع الوجوه والقواد والغلمان أن يتضمّنوا بشيء من الأعمال. وكتب حامد إلى عمّاله بالإنصراف من الأعمال وتسليمها إلى عمّال عليّ بن عيسى وانخزل حامد بن العباس لذلك.

ودخلت سنة ثمان وثلاثمائة

وفيها ورد الخبر من مصر بحركة الفاطمي إليها فأخرج مونس الخادم إليها.

وفيها خلّع على أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان وقُلّد طريق خراسان والدينور وخلّع على أخويه أبي العلاء وأبي السرايا. وفيها ورد رسول أخى صعلوك^(١) بالمال والهدايا فخلّع [153] عليه.

ودخلت سنة تسع وثلاثمائة

وفيها وردت الكتب وقُرأت على المنابر بهزيمة المغربي واستباحة عسكره.

وفيها لقّب مونس: المظفر، وأنشئت^(٢) الكتب به عن المقتدر بالله إلى أمراء النواحي وعُقد له على مصر والشام. وفيها دخل رسول صاحب خراسان برأس ليلي بن النعمان الديلمي الذي خرج بطبرستان.

وفيها اشتهر أمر الحلاج واسمه الحسين بن منصور حتّى قُتل وأُحرق.

١. والعبارة في مط: وفيها وصل أخى صعلوك (بتفسير وإسقاط).

٢. في مط: وأنشئت.

ذكر خبر الحسين بن منصور الحلاج وما آل إليه أمره من القتل والمثلة

إنتهى إلى حامد بن العباس في أيام وزارته أنه قد موّه على جماعة من الحشم والحجّاب وعلى غلمان نصر الحاجب وأسبابه وأنه يُحيى الموتى وأنّ الجنّ يخدمونه فيُحضرونه ما يشتهيّه وأنه يعمل ما أحبّ من معجزات الأنبياء. وادّعى جماعة أنّ نصرأ مال إليه وسعى قوم بالسمرى وبعض الكتاب وبرجل هاشمى أنه نبيّ الحلاج وأنّ الحلاج إله - عزّ (١) الله وتعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

فقُبض عليهم وناظرهم حامد فاعترفوا بأنّهم يدعون إليه وأنه قد صحّ عندهم أنه إله يُحيى الموتى وكاشفوا الحلاج بذلك [154] فجحدّه وكذبهم وقال :

- «أعوذ بالله أن أدعى الربوبية والنبوّة وإنّما أنا رجل أعبد الله عزّ ذكره وأكثّر الصوم والصلاة وفعل الخير ولا غير.»

واستحضر حامد بن العباس أبا عمر القاضي وأبا جعفر ابن البهلول القاضي وجماعة من وجوه الفقهاء والشهود واستفتاهم في أمره، فذكروا أنّهم لا يفتون في قتله بشيء إلى أن يصحّ عندهم ما يوجب عليه القتل وأنه لا يجوز قبول قول من ادّعى عليه ما ادّعاء - وإن واجهه - إلاّ بدليل وإقرار منه.

فكان أوّل من كشف أمره رجل من البصرة تنصّح فيه وذكر أنّه يعرف أصحابه وأنّهم متفرّقون في البلدان يدعون إليه وأنه كان ممّن استجاب له ثمّ

١. في مط: أعز الله.

تبين مخرقته ففارقه وخرج عن جملته وتقرب إلى الله بكشف أمره. واجتمع معه على هذه الحال أبو عليّ هارون بن عبد العزيز الأوارجي^(١) الكاتب الأنباري وقد كان عمل كتاباً ذكر فيه مخاريق الحلاج وحيله فيه وهو موجود في أيدي جماعة والحلاج حينئذ مقيم في دار السلطان موسّع عليه مأذون لمن يدخل إليه وهو عند نصر الحاجب. وللحلاج إسمان: أحدهما الحسين بن منصور والآخر محمد بن أحمد الفارسي، وكان استهوى [155] نصراً وجاز عليه تمويهه وانتشر له ذكر عظيم في الحاشية فبعث به المقتدر إلى عليّ بن عيسى لينظره فأحضر مجلسه وخاطبه خطاباً فيه غلظة فحكى أنّه تقدّم إليه وقال له فيما بينه وبينه: «قف حيث انتهيت ولا تزد عليه شيئاً وإلا قلبت عليك الأرض.» وكلاماً في هذا المعنى. فتهيب عليّ بن عيسى مناظرته واستعفى منه ونقل حينئذ إلى حامد بن العباس.

الحلاج وبنت السمرى

وكانت بنت السمرى صاحب الحلاج قد أدخلت إلى الحلاج وأقامت عنده في دار السلطان مدة وبعث بها إلى حامد ليسألها عمّا وقفت عليه من أخباره وشاهدته من أحواله. ^(٢) زنجى^(٣) أنّه حضر دخول هذه المرأة إلى حامد بن العباس وأنّه حضر ذلك المجلس أبو عليّ أحمد بن نصر البازيار من قبل أبي

١. في مط: الأوراحي (بالهاء المهملة).

٢. في الأصل ومط: أبو القاسم الزنجى. وفي المواطن الآتية: أبو القاسم بن زنجى، فوحدنا الضبط. وهو يوافق ما في صلة عريب: ٨٨، ٩١.

٣. الزنجى: كذا في الأصل ومط. في مد: زنجى.

القاسم ابن الحواري ليسمع ما تحكيه. فسألها حامد عما تعرفه من أمر الحلاج، فذكرت أن أباه السمرى حملها إليه وأنها لما دخلت إليه وهب لها أشياء كثيرة عددت أصنافها.

قال أبو القاسم: وهذه المرأة كانت حسنة العبارة عذبة الألفاظ مقبولة الصورة فكان ممّا أخبرت عنه أنّه قال لها:

- «قد زوّجتك من سليمان ابني وهو أعزّ أولادى على [156] وهو مقيم بنيسابور وليس يحلو أن يقع بين المرأة والرجل^(١) كلام أو تنكر منه حالاً من الأحوال وأنت تحصلين عنده وقد وصّيته^(٢) بك فإن جرى منه شيء تنكرينه فصومى يومك واصعدى آخر النهار إلى السطح وقومى على الرماد والملح الجريش^(٣) واجعلى فطرك عليهما واستقبلينى بوجهك واذكرى لى منه ما تنكرينه منه، فإننى أسمع وأرى.»

قالت: وأصبحت يوماً وأنا أنزل من السطح إلى الدار ومعى ابنته وكان قد نزل هو فلما صرنا على الدرجة بحيث يرانا ونراه قالت لى ابنته:

- «اسجدى له.»

فقلت لها:

- «أو يسجد أحد^(٤) لغير الله؟»

قالت: فسمع كلامى لها فقال: رى

- «نعم، إله فى السماء وإله فى الأرض.»

قالت: ودعانى إليه وأدخل يده فى كمّ وأخرجها مملوءة مسكاً ودفعه

١. فى مط: الزوج، بدل «الرجل».

٢. فى مط: قصته.

٣. فى مط: وملح الحريش.

٤. أحد: الكلمة سقطت من مط.

إلى ثم أعادها ثانية إلى كتمه وأخرجها مملوءة مسكاً ودفعه إلى وفعل ذلك مرات ثم قال :

- « واجعلي هذا في طيبك فإن المرأة إذا حصلت عند الرجل احتاجت إلى الطيب. »

قالت : ثم دعاني وهو جالس في بيت علي بواري فقال :
- « ارفعي جانب البارية من ذلك الموضع وخذي ممّا تحته ما تريد. »
وأوماً إلى زاوية البيت فجئت إليها ورفعت البارية فوجدت تحتها الدنانير مفروشة [157] ملء البيت، فبهرنى ما رأيت من ذلك. فأقيمت المرأة وحصلت في دار حامد إلى أن قُتل الحلاج.

الجدّ في طلب أصحاب الحلاج

وجد حامد في طلب أصحاب الحلاج وأذكى العيون عليهم وحصل في يده منهم حيدرة والسمري ومحمد بن عليّ القنّاي^(١) والمعروف بأبي المغيث الهاشمي، واستتر ابن حمّاد وكبس منزله فأخذت منه دفاتر كثيرة وكذلك من منزل محمد بن عليّ القنّاي فكانت مكتوبة في ورق صيني وبعضها مكتوب بماء الذهب مبطن بالديباج والحرير مجلّدة بالأدم الجيد. ووجد في أسماء أصحابه ابن بشر وشاكر. فبئال حامد من حصل في يده من أصحاب الحلاج عنهما فذكروا أنّهما داعيان له بخراسان.

قال أبو القاسم بن زنجي : فكتبنا في حملهما إلى الحضرة أكثر من عشرين كتاباً فلم يرد جواب أكثرها. وقيل فيما أجيب عنه منها: إنّهما يطلبان ومتى حصلّا حملاً، ولم يُحملا إلى هذه الغاية.

١. في مط: القنّاي.

وصاياه للدعاة إليه

وكان في الكتب الموجودة له عجائب من مكاتبات أصحابه النافذين إلى النواحي وبوصيته إياهم بما يدعون إليه الناس وبما يأمرهم به من نقلهم من حال إلى حال أخرى ومرتبة إلى مرتبة حتى يبلغوا الغاية القصوى وأن يخاطبوا [158] كل قوم على حسب عقولهم وأفهامهم وعلى قدر استجابتهم وانقيادهم وجوابات لقوم كاتبوه بألفاظ مرموزة لا يعرفها إلا من كتبها ومن كتبت إليه.

كلام غريب من غلام حامد في الحلاج

وحكى أبو القاسم بن زنجي قال : كنت أنا وأبي يوماً بين يدي حامد إذ نهض من مجلسه وخرجنا إلى دار العامة وجلسنا في رواقها وحضر هارون بن عمران الجهبذ بين يدي أبي ولم يزل يحادثه فهو في ذلك إذ جاء غلام حامد الذي كان موكلًا بالحلاج وأوماً إلى هارون بن عمران أن يخرج إليه فنهض مسرعاً ونحن لا ندري ما السبب، فغاب عنا قليلاً ثم عاد وهو متغير اللون جداً فأنكر أبي ما رأى منه فسأله عن خبره فقال :

« دعاني الغلام الموكل بالحلاج فخرجت إليه فأعلمني أنه دخل إليه ومعه الطبق الذي رسمه أن يُقدَّم إليه في كل يوم فوجده قد ملأ البيت بنفسه فهو من سقفه إلى أرضه وجوانبه حتى ليس فيه موضع. فهاله ما رأى ورمى بالطبق من يده وعدا مسرعاً وأن الغلام ارتعد وانتفض وخم.

فبينما نحن نتعجب من حديثه إذ خرج إلينا رسول حامد وأذن في الدخول إليه فدخلنا وجرى حديث الغلام فدعا به وسأله عن خبره فإذا هو محموم، وقص [159] عليه قصته فكذبه وشتمه وقال :

- «فزعت من نيرنج الحلاج - وكلاماً في هذا المعنى - لعنك الله اعزب عني.»

كيف حلّ دم الحلاج

فانصرف الغلام وبقي على حالته من الحمى مدة طويلة. ثم وجد حامد كتاباً من كتبه فيه :

- «إنّ الإنسان إذا أراد الحجّ فلم يمكنه أفرد في بيته بناء مربعاً لا يلحقه شيء من النجاسات ولا يتطرّقه أحد. فإذا حضرت أيام الحجّ طاف حوله وقضى من المناسك ما يُقضى بمكة، ثمّ يجمع ثلاثين يتيماً ويعمل لهم أسرى^(١) ما يمكنه من الطعام ويحضرهم ذلك البيت ويقدم لهم ذلك الطعام ويتولّى خدمتهم بنفسه، ثمّ يغسل أيديهم ويكسو كلّ واحد منهم قميصاً ويدفع إلى كلّ واحد سبعة دراهم أو ثلاثة دراهم - الشكّ من أبي القاسم بن زنجي - وإنّ ذلك يقوم له مقام الحجّ.»

قال : وكان أبي يقرأ هذا الكتاب فلما استوفى هذا الفصل التفت أبو عمر القاضي إلى الحلاج وقال له :

- «من أين لك هذا.»

قال : «من كتاب الإخلاص للحسن البصري.»

قال له أبو عمر :

- «كذبت يا حلال الدم.»

قد سمعنا كتاب الإخلاص للحسن البصري بمكة وليس فيه شيء ممّا ذكرت. فكلّمنا^(٢) قال له أبو عمر : «يا حلال الدم» قال له حامد :

١. الأسرى: الأسخى. من قولهم: سرا، أى كان سرياً، أى صاحب مروءة وسخاء.

٢. فكلّمنا: كذا في الأصل ومط: وقرئ في مد: فكلما.

- «أكتب ما قلت..»

فتشاغل أبو عمر بخطاب الحلاج فلم يدعه حامد يتشاغل [160] وألح عليه إلحاحاً لم يمكنه معه المخالفة، فكتب بإحلال دمه وكتب بعده من حضر المجلس. فلما تبين الحلاج الصورة قال :

- «ظهرى^(١) حمى ودمى حرام وما يحلّ لكم أن تتأولوا علىّ بما يبيحه. اعتقادي الإسلام، ومذهبي السنة، ولى كتب في الوراقين موجودة في السنة، فالله الله في دمي..»

كتاب القوم وجواب المقتدر

ولم يزل يردّد هذا القول والقوم يكتبون خطوطهم حتى كمل الكتاب بخطوط من حضر فأنفذه حامد إلى المقتدر بالله. فخرج الجواب :

- «إذا كان فتوى القضاة فيه بما عرضت فأحضره مجلس الشرطة واضربه ألف سوط، فإن لم يمت فتقدّم بقطع يديه ورجليه، ثمّ اضرب رقبتة وانصب رأسه وأحرق جثته..»

فأحضر حامد صاحب الشرطة وأقرأه التوقيع وتقدّم إليه بتسلم الحلاج وإمضاء الأمر فيه. فامتنع من ذلك، وذكر أنّه يتخوّف أن ينتزع من يده. فوقع الاتفاق على أن يحضر بعد العتمة^(٢) ومعه جماعة من غلمانهم وقوم على بغال يجرون مجرى الساسة^(٣) ليُجمل على بغل منها ويدخل في غمار القوم. وأوصاه بأن لا يسمع كلامه. وقال له :

١. في مط: طهرى. وضبط العبارة من الأصل.

٢. في مط: المعتمد بدل «العتمة».

٣. في مط: الثلة، بدل: الساسة.

- «لو قال لك: أجرى لك دجلة والفرات ذهباً وفضة فلا ترفع عنه [161] الضرب حتى تقتله كما أمرت.»

تنفيذ أمر المقتدر في الحلّاج

ف فعل محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة ذلك وحمله تلك الليلة على الصورة التي ذكرت وركب غلمان حامد معه حتى أوصلوه إلى الجسر وبات محمد بن عبد الصمد ورجاله حول المجلس.

فلما أصبح يوم الثلاثاء لست بقين من ذى القعدة أخرج الحلّاج إلى رحبة المجلس واجتمع من العامة خلق كثير لا يحصى عددهم وأمر الجلّاد بضربه ألف سوط فضرب وما تأوّه ولا استعفى.

قال: فلما بلغ ستمائة سوط قال لمحمد بن عبد الصمد:

- «ادعُ بي إليك فإنّ عندي نصيحة تعدل عند الخليفة فتح قسطنطينية.» فقال: «قد قيل لى إنك ستقول هذا وما هو أكثر منه، وليس إلى رفع الضرب عنك سبيل.»

فسكت حتى ضرب ألف سوط ثمّ قطعت يده ثمّ رجله ثمّ يده ثمّ رجله^(١) ثمّ ضرب عنقه وأحرقت جثته ونصب رأسه على الجسر، ثمّ حمل رأسه إلى خراسان.

وادّعى أصحابه أنّ المضروب كان عدوّاً للحلّاج ألقي شبهه عليه. وادّعى بعضهم أنّه رآه وخاطبه في هذا المعنى بجهالات لا يكتب مثلها. وأحضر الوراقون وأحلفوا أن لا يبيعوا شيئاً من كتب الحلّاج [162] ولا يشتروها.

١. ثم يده ثمّ رجله. جاء في الأصل أيضاً بال تكرار. وليس هذا من خطأ الناسخ. بل للتعبير عن ترتيب القطع. وحذف التكرار في مد ظناً أنّه تكرار زائد.

ودخلت سنة عشر وثلاثمائة

إطلاق يوسف بن أبي الساج والعقد له على أعمال

وفيهما أطلق يوسف بن أبي الساج بعسالة مونس المظفر من الحبس وشفاعته ثم حمل إليه مال وكسوة ثم وصل إلى المقتدر بالله وكان ركب في سواد فقيل البساط ثم يد المقتدر وخلع عليه خلع الرضا وحمل على فرس بمركب ذهب.

ثم جلس المقتدر في دار العامة بعد أيام وعقد له على أعمال الصلاة والمعاون والخراج والضياح بالرى وقزوين وأبهر وزنجان وأذربيجان وركب معه مونس المظفر ونصر الحاجب وشفيع ومفلح وجميع من بالحضرة من القواد والغلمان وكانت الدار قد شحنت له بالرجال والسلاح واحتشد له.

واستكتب يوسف بن أبي الساج محمد بن خلف النيرمانى وقوطع عن الأعمال التى تقلدها على خمسمائة ألف دينار محمولة فى كل سنة على أن عليه القيام بمال الجيش الذى فى هذه الأعمال والنفقات الراتبية. وخلع على وصيف البكتمرى وعلى طاهر ويعقوب ابنى محمد بن عمرو بن الليث.

من بعض حوادث السنة

وفيهما قلد نازوك الشرطة ببغداد وخلع عليه وعزل عنها محمد بن عبد الصمد وخلع عليه وعزل عنها محمد بن عبد الصمد وخلع على وصيف البكتمرى خلعة أخرى [163] وضم إلى يوسف بن أبي الساج وشخص يوسف بن أبي الساج إلى عمله على طريق الموصل، فلما وصل إلى أربيل وجد غلامه شبك قد مات.

وفيهما وصل إلى بغداد هدية أبى زنبور الحسين بن أحمد المادرائى من

مصر وفيها بغلة معها فُلُو^(١) وكان يتبعها ويرتضع منها و غلام طويل اللسان يلحق طرف أرنبته.

وفيها قُبْض على أم موسى القهرمانة وعلى أختها وأخيها
ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن أم موسى زوّجت بنت أخيها أبي بكر أحمد بن العباس من أبي العباس بن محمد بن إسحاق بن المتوكل على الله، وكان من أولاد الخلفاء النجباء وكانت له نعمة حسنة ظاهرة وكان حسن المروءة واللبسة والدواب والمراكب، وكان صديقاً لعلّى بن عيسى حتى قيل: إنه كان يرشّحه للخلافة.

فلما وقعت المصاهرة بينه وبين أم موسى أسرفت فيما نثرت من المال وفيما أنفقت على دعوات دعت فيها الصغير والكبير من أهل المملكة في بضعة عشر يوماً. فتمكن أعداؤها من السعي عليها ومكنوا في نفس المقتدر بالله ووالدته السيدة أنها إنما صاهرت ابن المتوكل ليزيلوا المقتدر بالله عن [164] الخلافة وينصبوا فيها ابن المتوكل.

فتمت النكبة عليها وسلمت إلى ثمل القهرمانة مع أختها وأخيها. وكانت ثمل موصوفة بالشعر لأنها كانت قهرمانة أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف وكان أحمد يسلم إليها من يسخط عليه من جواريه وخدمه فاشتهرت بالقسوة والسرف في العقوبات.

واستخرجت ثمل منها ومن أختها وأخيها أموالاً عظيمة وجواهر نفيسة ومن الثياب والكسوة والفرش والطيب ما يعظم مقداره حتى نصب علّى بن عيسى لذلك ديواناً وسمّاه: ديوان المقبوضات عن أم موسى وأسبابها، أجرى

١. كذا في الأصل: فُلُو. ما في مط مهمل. والفُلُو: ولد الجعش والمهر والبغل في سن سنة.

فيها أمر ضياعهم وأملاكهم وقلّده أبا شجاع المعروف بابن أخت أبي أيوب
أبي الوزير وقلّد الزمام عليه أبا عبد الله اليوسفي الكاتب. ويقال: إنه حصل
من جهتهم نحو ألف ألف دينار.

ولما قبض على أم موسى صرف عليّ بن عيسى ابن أبي البغل عن أعماله
بفارس وقلّدها أبا عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي وصادره. ثمّ لما تقلّد
ابن الفرات الوزارة الثالثة كتب إلى الكرخي بتجديد مصادرة ابن أبي البغل
واعتقاله.

ذكر وفاة محمد بن جرير الطبري

وفيها توفي محمد بن جرير الطبري وله نحو تسعين سنة، ودُفن ليلاً، لأنّ
العامّة اجتمعت ومنعت من دفنه نهاراً، وادّعت عليه الرّفص [165] ثمّ ادّعت
عليه الإلحاد.

وفيها دعا المقتدر مونساً المظفر فشرب بين يديه وخلع عليه خلع منادمة
وكانت مثقلة بالذهب.

ودخلت سنة إحدى عشرة وثلاثمائة

وفيها صرف حامد بن العباس عن الوزارة وعليّ بن عيسى عن الدواوين.

ذكر صرف حامد وعليّ بن عيسى

وردة الوزارة^(١) إلى ابن الفرات

كانت لذلك أسباب كثيرة منها أنّ حامداً شرع^(٢) في تضمن عليّ بن

١. هي الوزارة الثالثة لابن الفرات.

٢. في مط: أنّ حامداً أسر.

عيسى لما فُسخ ضمانه لتلك الأعمال والبلدان التي ذكرناها وبذل أن يقوم بالأمور ويدبّر الأعمال. وكان الذي حمله على ذلك ما كان يبلغه من عزم المقتدر بالله على تقليد ابن الفرات لما كثر ضجيج الحاشية من على بن عيسى لتأخيرهم عنهم أرزاقهم وأرزاق الحُرْم والولد، واقتصر بالخدم والحاشية والفرسان على البعض من استحقاقاتهم وحرط من أرزاق العمال شهرين في كل سنة ومن أرزاق المنفقين وأصحاب الأجناد والبرُد^(١) والقضاة أربعة أشهر فزادت عداوة الناس له وخشى حامد بن العباس من ابن الفرات لما سلف [166] منه إليه ولما عامل به ابنه المحسن وسائر كتّابه وأسبابه.

فأمره المقتدر أن يكتب رقعة بخطه بما يضمنه ويبدله وبتسمية من يقلّده الدواوين، ففعل حامد ذلك وعرض المقتدر بالله رقعته على ابن الفرات وهو في حبسه وشرح له أمره.

فقال ابن الفرات :

- «لو اجتمع مع حامد بن العباس الحسن بن مخلد وأحمد بن إسرائيل وسائر من شهر بالكفاية لما كان موضعاً لتدبير المملكة ولا لضبط أعمال الدواوين وأنه إن قلّد ذلك انخرقت الهيبة وزالت الحشمة وإن على بن عيسى على تصرف أحواله أقوم منه وأعرف بالأعمال والتدبير.»

ثم إنه قال : *مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی*

- «أنا أتضمن خمسة أضعاف ما ضمنه حامد إن أعاده ومكّنه ممّا يريد.» فوعده المقتدر بذلك. وكان حامد مقيماً ببغداد لا يُدخل نفسه في شيء من الأمور ولا يزيد على أن يحضر في أيام المواكب وينصرف. وضجر حامد من مقامه ببغداد لقبح حاله في الذلّ، ولأنّه افتضح بما كان يعامله به على

١. ما في الأصل: البرّد، بفتح الباء. والبرّد جمع البريد.

بن عيسى فى توقيعاته، وذلك أنه كان يوقع إلى كتاب الوزير حامد وإلى كتاب الدواوين إذا ذكره بما لا صبر له عليه، وكان يوقع :
 - «ليطالب جهيد الوزير - أسعده الله - بحمل وظيفة واسط» .
 - «وليكتب إلى الوزير - أسعده الله - بأن يبادر بحمل شعر الكراع» .
 [167]

وإذا تظلم إليه متظلم من أعمال حامد وعماله وقع على ظهر رقعة :
 - «هذا مما ينظر فيه الوزير، أسعده الله» .
 وذكر على بن عيسى أنه يحتج فى ذلك برسم قديم كان للوزراء .
 فاستأذن حامد المقتدر فى الخروج إلى واسط والمقام بها لينظر فى أمور ضمانه بنواحيها فأذن له وخرج .
 ومنها^(١) ما جرى من أم موسى وما ذكرناه من خبرها وما تحدث به الناس من أمر ابن المتوكل وأن ابن الحواري دبر ذلك لميل أم موسى إليه وكشفها له أسرار الخلافة .
 وكان بعض أسباب ابن الفرات طرح رقعة فى دار المقتدر فيها بيت شعر :
 يُهْنِكَ يُهْنِكَ هَذَا يَا دِيكَ دَارِ الْخَلِيفَةِ^(٢)
 ولم يُذكر فى الرقعة غير هذا البيت وهى أبيات فاحشة ليست فيها أصلح من هذا البيت، وتعهد أن جعلت الرقعة فى ممر الخليفة إلى دار حُرمة له .
 فقرأ المقتدر الرقعة وقبّحت عنده صورة ابن الحواري جداً واعتقد فيه ذلك اليوم استحلال دمه وسفكه ونكبة أم موسى، ويظن أن هذا البيت كان من أوكد أسباب نكبتها ونكبته .
 ومنها أن مفلحاً الأسود كان شديد التحقق بالمقتدر مثابراً على خدمته ثم

١. فى مط : وفيها .

٢. فى مط : ناديك دار الخلافة .

عظم أمره حتّى [168] أقطع الإقطاعات ومُلّك الضياع الجليلة ووقعت بينه وبين حامد مباحكة وذكر مفلح حامداً بالقبيح وقال حامد :
 - «لقد هممت أن أشتري مائة خادم أسود وأسمّى كلّ واحد منهم مفلحاً وأهبهم لغلماني.»

فحقّد مفلح ذلك عليه ووقف على ذلك المحسن وعلى ما يشبه ذلك، فوجّه إلى كاتب مفلح واجتمع معه وضمن له الأعمال والأموال والولايات حتّى عقد حالاً بينه وبين مفلح.

تضريب من ابن الفرات عند المقتدر

وكتب المحسن رقعة إلى المقتدر بالله على يد مفلح يذكر فيها أنّه إن سلم منه حامد وعليّ بن عيسى ونصر الحاجب وشفيع اللؤلؤى وابن الحواري وأمّ موسى وأخوها والمادرائيون استخرج منهم سبعة آلاف ألف دينار، وكان أبو الحسن ابن الفرات لا يقصّر وهو في الحبس في التضريب على هؤلاء وإطماع المقتدر فيهم.

وكان من طريف ما عمله وعجيبه أن راسل المقتدر يوماً على يدى زيدان القهرمانه يلتمس منه قيمة اثني عشر ألف دينار أو هذا المقدار دنانير بعينها لشيء من أمره، فتدبّر المقتدر مع ما أخذه من أمواله أن يمنعه. فحملها إليه، ثمّ سأله أن يدخل إليه إذا اجتاز بموضعه ليُلقي إليه شيئاً لا تحتمله المكاتبه ولا المراسلة، وكان المقتدر كثيراً [169] ما يدخل إليه ويشاوره فدخل إليه. فلمّا رآه ابن الفرات قام وأخذ الكيس الذي فيه الدنانير، ففتحته وفرّغه بين يديه وقال له :

- «يا أمير المؤمنين قد عرّفتك أن أموالك تنتهب وتضيّع وتقضى بها الذمامات. ما تقول في رجل واحد يرتزق في كلّ شهر من شهور الأهلة هذا

المقدار من مالك وهو اثنا عشر ألف دينار؟»

فاستعظم المقتدر ذلك واستهوله وقال :

- «ويحك، من هذا الرجل؟»

قال له : «عليّ بن محمّد ابن الحواري، وهذا سوى ما يصل إليه من المنافع لمكانه منك وموضعه من الإختصاص بك، وسوى ارتفاع ضياعه وسوى المرافق التي تصل إليه من الأعمال التي يتولاها وسوى وسوى.»
وردّ الدنانير إلى المقتدر بالله وقال :

- «إنّما أردت أن تشاهد ما يُصنع بك وتراه بعينك فليس الخبر كالمعاينة.»

فقام المقتدر بالله وقد عظم عنده أمر ما يجري واعتقد لابن الحواري غاية المكروه.

خرج المحبوس وزيراً

فلما اجتمعت هذه الأسباب قوى عزم المقتدر على ردّ الوزارة إلى ابن الفرات. فلما كان يوم الخميس لتسع^(١) بقين من شهر ربيع الآخر وقد انحدر عليّ بن عيسى إلى دار السلطان قبض عليه وحُبس عند زيدان القهرمانة في الحجرة التي كان فيها ابن الفرات، فأخرج منها [170] ابن الفرات ليقلّد الوزارة.

ابن الفرات يتحدّث في أيام وزارته الثانية

قال أبو محمّد عليّ بن هشام : كنت حاضراً مع أبي مجلس أبي الحسن

ابن الفرات فسمعته يتحدث في وزارته الثانية قال :

- «دخل إلى أبو الهيثم العباس بن محمد بن ثوبة الأنباري في محبسى^(١) من دار المقتدر بالله فطالبنى أن أكتب خطي بثلاثة عشر ألف ألف دينار.»
فقلت : «ما جرى قدر هذا على يدى للسلطان فى طول ولايتى فكيف أصادر على مثله؟»

فقال : «إنى حلفت بالطلاق أن تكتب خطك بذلك.»
فكتبث بثلاثة عشر ألف ألف من غير أن أذكر ما هى أو ضماناً فيها.
فقال :

- «فاكتب ديناراً لتبرئنى من يمينى.»
فلما كتبت ديناراً ضربت عليه وأكلت الرقعة وقلت :
- «قد برئت عن يمينك ولا سبيل لك إلى غير هذا.»
فاجتهد جهده فلم أجبه إلى شىء، فلما كان من الغد دخل إلى الحبس ومعه أم موسى فطالب بذلك وأسرف فى سبى وشتمى ورمانى بالزنا، فحلفت بالطلاق والعناق والأيمان المغلظة أتى ما دخلت فى شىء من محذور هذا الجنس منذ نيف وثلاثين سنة وسُمْتُه^(٢) أن يحلف بمثل ذلك إن غلامه القائم على رأسه لم يأت فى ليلته تلك. فأنكرت أم موسى هذه الحال وغطت وجهها حياءً منه.
فقال لها ابن ثوبة :

- «هذا إنما تبطره الأموال التى وراءه، ومثله فى ذلك [171] مثل المزين مع كسرى والحجّام مع الحجّاج بن يوسف، فاستأمرى السادة فى إنزال المكروه به حتى يذعن بالأموال.»

١. فى مط: فى مجلس.

٢. سُمْتُه: كذا فى الأصل. وفى مط: شتمه. سامة الأمر: كلفه إياه.

قال أبو الحسن : يعنى بالسادة المقتدر ووالدته وخالته وخاطف ودستنبويه أم ولد المقتدر^(١) لأنهم إذ ذاك يدبرون الأمر معاً لحدائثة المقتدر.

قال ابن الفرات : فمضت أم موسى ثم عادت فقالت لابن ثوابة :

- « يقولون لك قد صدقت ويدك مطلقة فيه وكنتُ فى حجرة ضيقة وحرٌّ شديد فأمر بكشف البوارى حتى صرتُ فى الشمس ونُحى الحصر من تحتى وأغلقت أبواب البيوت حتى حصلت فى الشمس ثم قيّدنى بقيد ثقيل وألبسنى جبّة صوف قد نُقّعت فى ماء الأكارع وغلّنى بغلّ وأقفل باب الحجرة وانصرف فأشرفت على التلف. فلما مضت نحو أربع ساعات إذا صوت غلمان مجتازين فى الممرّ الذى فيه الحجرة التى أنا فيها محبوس. »
فقال لى الخدم الموكّلون :

- « هذا بدر الخادم الحرّمى وهو لك صنيعة. »

فاستغشت به فصحت :

- « يا أبا الخير، الله الله فىّ، لك مكان من السادة ولى عليك حقوق، وقد ترى حالى والموت أسهل علىّ ممّا أنا فيه. »

فخاطب السيّدة^(٢) وذكرهم حرمتى وخدمتى فى تثبيت دولهم إذ خذلهم الناس وافتتاحى [172] البلدان المنغلقة وإثارتى الأموال المنكسرة فإن كان ذنبى يوجب القتل فالموت أرواح.

فرجع إليهم فخاطبهم ورقّهم ولم يبرح حتى حلّ الحديد كلّهُ عنيّ ثم أذنوا فى إدخالى الحمام وأخذ شعرى وتغيير لباسى وتسليمى إلى زيدان وترفيهى فجاءنى مبشراً بذلك فلم يبرح حتى فعل جميع ذلك وقال :

- « يقولون لك : لن ترى بعدها بوئساً. »

١. لعلّ الصحيح : المعتضد، كما أشار إليه مد.

٢. كذا فى الأصل ومط : السيّدة. ولعلّ الصحيح : السادة، كما اقترح فى مد.

ذكر الخبر عن وزارة أبي الحسن ابن الفرات الثالثة

وتقلّد أبو الحسن عليّ بن محمّد بن الفرات الوزارة الثالثة فى ذلك اليوم وخُلع عليه واستدعى المقتدر بالله المحسن ابنه من منزله بسوق العطش فخلع عليه مع أبيه^(١) ولم يوصل المقتدر بالله إليه فى ذلك اليوم أبا القاسم ابن الحوارى وظهر أولاد ابن الفرات وأسبابه واستتر بعض أسباب حامد وقبض المحسن فى طريقه على جماعة من أسباب حامد.

وكان أبو عليّ ابن^(٢) مقلّة يتقلّد لعلّى بن عيسى زمام السواد طول أيام وزارة حامد، فلمّا تقلّد ابن الفرات هذه الوزارة تجلّد ولم يستتر وصار إليه وظهر من إعراض ابن الفرات عنه ما غصّ منه ولم يقبض^(٣) عليه للموّدّة التى بينه وبين [173] ابن الحوارى فلمّا قبض بعد ذلك على ابن الحوارى قبض عليه.

وانتقل ابن الفرات إلى داره الأولى التى بالمخرم وركب إليه ابن الحوارى ليهنّئه فأطال عنده وأنسه ابن الفرات وشاوره وخلا به فتحقق به وأظهر السرور بولايته مع ما يبطنه من الخوف الشديد منه.

وكان أسباب أبي القاسم ابن الحوارى قد أشاروا عليه بالإستتار وقالوا له : - «إنّ المقتدر بالله لم يأذن لك عند تقليده ابن الفرات مع علمه بالعداوة بينكما إلّا لسوء رأيه فيك.»

فقال ابن الحوارى :

١. فى مط : ابنه.

٢. فى مط : وكان عليّ بن مقلّة، بإسقاط «أبو».

٣. فى مط : ولم يقبض عليه الموّدّة.

- «لو كان كذلك لقبض علىّ قبل تقليد ابن الفرات.»

فلما كان يوم الإثنين ركب ابن الفرات وركب ابن الحواري إلى دار السلطان فأذن لابن الفرات ولم يؤذن لابن الحواري فاستوحش ابن الحواري.

ثم صرف الأمر إلى ابن الفرات وقد كان شرط على ابن الفرات أن يجريه على رسمه في وزارته الثانية، فإنه لم يكن يصل مع ابن الحواري ظاهراً وإنما كان يصل سراً. فلما خرج ابن الفرات من عند المقتدر بالله وانفرد دخل إليه ابن الحواري فأقبل عليه وشاوره في جميع أموره وقال:

- «قد غبت عن مجاري الأمور منذ خمس سنين وأنت عارف بها وأريد أن تعاضدني وتستعمل ما يلزمك بحق المودة.»

فتلقى ابن الحواري [174] قوله بالشكر وإظهار المناصحة وأنشأ ابن الفرات معه حديثاً طويلاً ونهض قبل أن يستتمه^(١) ونزل إلى طيَّاره وأنزل معه ابن الحواري وأحمد بن نصر البازيار ابن أخيه ومحمد بن عيسى صهره وعليّ بن مأمون الإسكافي كاتبه وعليّ بن خلف النيرمانى.

وكان أخوه محمد بن خلف مصاهراً له وأظهر لجماعتهم الإكرام والإختصاص وما زال يضاعفهم إلى أن حصل في داره. ثم أسرّ إلى العباس الفرغانى حاجبه بأن يقبض على ابن الحواري وجميع أسبابه، فقبض عليهم واعتقلهم في حجرة الدار واستحضر ابن الفرات في الوقت شفيعاً اللؤلؤى فأنفذه إلى دار ابن الحواري ليحفظها من النهب وضمّ إليه جماعة من الفرسان والرجالة وأمر بمعاملته بالجميل في مطعمه ومشربه وأفردت له دار واسعة وفرشت بفرش نظيف وأفردته عن كتابه ومن يأنس به وراسله ابن الفرات في

١. في مط: فتفردت.

المصادرة وتوسط ابن قرابة بينهما.

وكان ابن قرابة متحققاً بابن الفرات وشديد الأُنس بابن الحوارى، فتقرّرت^(١) مصادرته بعد خطاب كثير على سبعمائة ألف دينار فى نفسه دون كتابه وأسبابه واشترط إطلاق أحمد بن نصر البازيار لينصرف فى أداء مال التعجيل [175] وهو مائتان وخمسون ألف دينار فأطلق وأزيل التوكيل^(٢) عن دار ابن الحوارى وأسبابه وسُلم جميعها إلى أحمد بن نصر.

وأمر ابن الفرات بكبس مواضع فيها أسباب حامد وكتابه فأثارهم، وكان المحسن يسرف فى المكروه الذى يوقعه بمن يحصل فى يده منهم حتى إنه أحضر ابن حمّاد الموصلى وأخذ خطّه بمائتى ألف دينار وسلّمه إلى مستخرجه، فصفعه المستخرج صفعاً عظيماً فلم يرض المحسن ذلك وأخرجه إلى حضرته وصفعه على رأسه حتى خرج الدم من أنفه وفمه ومات ولم ينكره المقتدر وقد كان أشفق المحسن من إنكاره وخافه خوفاً شديداً.

فلما كان بعد أيام أنفذ المقتدر إلى المحسن خِلعَ منادمته وأجرى عليه من الرزق كلّ شهر ألفى دينار زيادة على رزق الدواوين، فضرى المحسن على مكاره الناس وأسرف المقتدر فى استصابة أفعاله إلى أن بلغ الأمر فيه إلى أن غنى الجوارى بحضرته :

مركز تحقيق كتاب أحسن المحسن أحسن

وكان استتر أبو الحسين محمد بن أحمد بن بسطام صهر حامد بن العباس فاستخرجه واستخرج منه ستين ألف دينار وأخذ خطّه بمائتى ألف دينار بعد مكروه غليظ وغضبه على خادم يُعرف بموج^(٣) كان مشهوراً بالميل [176]

١. فى مط: فتقرّدت.

٢. فى مط: التوكيد.

٣. كذا فى الأصل ومط: موج. فى مد: مرج.

إليه وقبض على جماعة فأخذ خدمهم وغلمانهم الرُّوقَة وأوقع بهم المكاره.

ذكر الخبر عن قبض الوزير ابن الفرات

على حامد بن العباس

كان المقتدر قد شرط على ابن الفرات أن لا ينكب حامداً وأن يناظره على ما يجب عليه من فضل الضمان فإذا وجب عليه شيء بقول الكتاب والقضاة أخذ بعضه وقال :

- «قد خدمني ولم يأخذ مني إلا رزق سنة واحدة وشرط عليّ أن لا أسلمه لمكروه ولا أدع عليه حقاً.»

فاضطّر ابن الفرات إلى إقراره على أعمال واسط وخاطبه بأجلّ دعاء، ثم عمل له الأعمال واستقصى عليه الحجة وخرج عليه أموالاً عظيمة وكاتب أصحابه بمطالبته والإلحاح عليه فإن تقاعد بها وكُل به من يطالبه بالمال الواجب عليه للمصالح والبذور إذ كان ممّا لا سبيل إلى تأخيرها، فإن أمير المؤمنين ليس يأذن في تضمينه مستأنفاً.

فأظهر صاحب الوزير ابن الفرات هذا الكتاب في مجلسه وبلغ حامداً^(١) الخبر في الوقت فأظهر بواسط أن كتاب المقتدر ورد عليه يأمر فيه بالمسير إلى بغداد وخرج من واسط مع جميع كتّابه وحاشيته ورجّالته وحمل معه من الفرش والآلات والكسوة جميع ما كان يُخدم به بعد أن احتاط [177] في أمواله وأمتعته الفاخرة وأودعها عند ثقاته بواسط وضرب عند خروجه بالبوقات وأجلس غلمانه وحاشيته بأسرهم في الزواريق والسُميريّات وبادر بخبره على أيدي الفيوج^(٢) وعلى أجنحة الطير إلى ابن الفرات وقاد دوابّه

١. في الأصل : حامد (من دون الالف).

٢. الفيوج : جمع فَيَج، فارسيّ معرّب، أصله الفارسيّ «پيك»، وأصبح بالإنجليزية : «page». الفيح :

ودواب حاشيته. وأصحابه على الشط فوصل خبره إلى ابن الفرات فاستشار ابنه المحسن ومن يختصه فيما يعمل به فأشاروا عليه بأن يبادر إلى المقتدر ويقرئه^(١) كتاب حامد ففعل ذلك.

وقال المقتدر :

« ما وقفت على ما عمله حامد ولا كتبت بشيء مما ادّعه على. »

فقال ابن الفرات :

« فإن كان كذلك فالصواب أن يُنفذ نازوك في جمع من الغلمان الحبرية والفرسان والرجالة بعضهم في الماء وبعضهم في الظهر حتى يقبض على حامد وأسبابه. »

فأذن له في ذلك فانصرف ابن الفرات إلى داره وأنفذ نازوك وتقدم إليه بالمبادرة حتى يقبض على حامد وعلى أسبابه حتى لا يفوته أحد منهم. فسار نازوك وأخطأ بأن قبض على أول من لقيه من أسباب حامد وعلى دوابه وغلمانه وبلغ حامداً خبره فاستتر من الطريق ونهب أسباب نازوك بعض ما كان مع القوم [178] من الأمتعة واستظهر نازوك على الكتب والحسابات والأعمال وصار بالجميع إلى الحضرة.

فأمر المقتدر بتسليم جميع الكتب والأعمال إلى ابن الفرات وفرّق الأمتعة في خزائنه والدواب في اصطبلاته، ووجد ابن الفرات في الكتب المحمولة إليه عجائب من كتب من تقرب إليهم فقبض عليهم، وكان حين ورد كتاب حامد بالمسير من واسط واستظهر بالتوكيل بجهنم إبراهيم الذي كان بالحضرة.

→

رسول السلطان الذي يسمى على رجله.

١. يقرئه: كذا في الأصل ومط. وعُيِّر في مد إلى «ويقرأ» وليس بصحيح.

فلما تمّ قبض نازوك على أسباب حامد أمر ابن الفرات هشاماً بالرفق بهذا الجيهذ مرة وبالغلظة أخرى ويسأل عن ودائع حامد، ففعل هشام به ذلك فأقرّ عفواً أنّ لحامد عنده مائة ألف دينار عيناً ثمّ حلف على أنّه ليس عنده لحامد ولا لأحد من أسبابه وديعة غيرها. فأمنه ابن الفرات على نفسه وأن لا يسلمه^(١) إلى المحسن ولم يطلع ابن الفرات المقتدر بالله على خبر هذه المائة الألف إلا بعد أن تسلم^(٢) حامداً.

وانتشر الخبر في رجب أنّ حامداً إنّما استتر لأنّ المقتدر كتب إليه ينكر خروجه من واسط على تلك الحال التي خرج عليها ويأمره أن يستتر ويوافي بغداد حتّى يتوثّق منه ويأخذ خطّه بما بذل أن يضمن [179] به ابن الفرات والمحسن وكتّابهما وأسبابهما ليسلم الجماعة إليه فاستتر المحسن والفضل والحسين والحسن أولاد أبي الحسن ابن الفرات وحرّمهم وأكثر الكتّاب ولم يبق في دار ابن الفرات من كتّابه الذين يحضرون مجلسه إلا أبو القاسم ابن زنجي وحده.

وكانت مدّة سعادة حامد قد انقضت فصار إلى دار السلطان في زى الرهبان ومعه يونس خادمه وصعد إلى دار الحجابة^(٣) التي فيها نصر الحاجب فاستأذن له فارس بن رنداق^(٤) على نصر وقال :

- «حامد بن العباسي قد حضر الباب وهو يستأذن على الاستاذ.»

فقال :

- «قل له يدخل.»

١. في مط : يسأله ، بدل «يسلمه».

٢. في الأصل ومط : يسلم.

٣. في مط : دار الحجة.

٤. في مط : ريداق.

فلما دخل قال له قبل أن يجلس :

- «إلى أين جئت؟»

قال : «جئت بكتابك.»

فقال له :

- «فإلى ها هنا كتبت إليك أن تجيء.»

ولم يقم له، واعتذر إليه أنه تحت سخط الخليفة، ووجه نصر إلى مفلح يسأله الخروج إليه، وكان مفلح يتولى الإستئذان على المقتدر إذا كان عند حُرْمه. فخرج مفلح وكلمه نصر في أمر حامد وقال له :

- «هو في هذا الوقت في حال رحمة ومثلك من استعمل معه الجميل ولم يواخذه بما كان منه في تلك الأمور.»

ثم قال حامد لمفلح :

- «تقول لمولانا أمير المؤمنين [180] عني، بأنني أَرْضَى أن أكون معتقلاً في دار أمير المؤمنين كما اعتُقل فيها عليّ بن عيسى وينظرني الوزير والمحسّن والكتاب بحضرة الفقهاء والقضاة ووجوه القوّاد، فإن وجب عليّ مال خرجت منه بعد أن أكون مالكا لاستيفاء حجبي^(١) ومحروساً في نفسي ولم يمكن المحسّن من دمي فيجازيني على المكاره التي كنت أوقعها به في طاعة مولانا أمير المؤمنين وهو شاب وأنا شيخ قد بلغت هذه السنّ العالية واليسير من المكروه يتلفني.»

فوعده مفلح بذلك ودخل على المقتدر بالله فخاطبه في أمره بضدّ ما وعده به، فتكلّمت السيّدة في أمر حامد وقالت :

- «لا يضرّ أن يُعتقل في الدار ويُناظر حتّى تُحرس نفسه.»

١. كذا في الأصل ومط : حجبي، في مد : حجّتي.

فقال مفلح :

- «إن فعل هذا لم يتم لابن الفرات عمل، لأن الأراجيف قد كثرت به
وخربت الدنيا وبطلت الأموال.»

فقال المقتدر لمفلح :

- «صدقت.»

وأمره أن يخرج إلى نصر فيأمره أن يُنفذ حامداً إلى ابن الفرات. فخرج
مفلح إلى نصر بذلك فأخذ نصر يطيب نفس حامد بأن يقول :

- «لا بد من أن تصير إلى حضرة الوزير مع ثقة لى ثم أردك إلى دار أمير
المؤمنين.»

فالتمس حامد من نصر ثياباً يغير بها ما عليه من زيّ الرهبان، فامتنع
مفلح من الإذن له فى ذلك وقال :

- «قد أمرنى مولاي أن أوجه به [181] فى الزى الذى حضر فيه.»

فما زال نصر يشفع له حتى أذن له فى تغيير زيّه وأنفذه مع ابن رُنداق
الحاجب وبادر مفلح بإنفاذ كاتبه إلى ابن الفرات يبشّره بحصول حامد وما
أمر به المقتدر من تسليمه إليه.

وكان ابن الفرات على قلق وانزعاج لما وقف على حصول حامد فى دار
السلطان واستتر كتابه وأولاده كلهم. فلما جاءته رسالة مفلح سكن بعض
السكون وصلى الظهر وجلس وليس بين يديه غير ابن زنجى وهو ينظر فى
العمل نظراً خفيفاً إلى أن ذكر بعض الغلمان أن طياراً من طيَّارات الخدمة قد
أقبل، ثم قدّم عند درجة داره وبادر البوابون بخبره ودخل ابن الرنداق ومعه
حامد بن العباس فلما رآه ابن الفرات قال له :

- «لم تركت عملك وجئت؟»

قال : «بكتابك جئت.»

قال : « فلم لم تقصد داري إن كنت جئت بكتابي ؟ »

قال : « حرمت التوفيق . »

ولم يزل يخاطبه بالكاف^(١) من غير ذكر الوزارة . وأخرج ابن الرنداق رقعة نصر الحاجب إلى الوزير بإنفاذ حامد إليه فألقاها إلى ابن زنجي وقال :
- « اكتب بوصوله . »

فكتب وسلم الجواب إلى ابن رنداق فنهض من المجلس . فلما انصرف ضعفت نفس حامد وأقبل يخاطب ابن الفرات بالوزارة ولأن كلامه وبان فيه [182] الخضوع .

وأمر ابن الفرات يحيى بن عبد الله قهرمان داره بأن يفرد لحامد داراً واسعة في داره ، ويفرشها فرشاً حسناً ويتفقده في طعامه وشرابه وطيبه ، حتى يُخدم^(٢) بمثل ما^(٣) كان يُخدم به وهو وزير ، وأن يقطع له كسوة فاخرة ويجعل معه لخدمته إذا كان خالياً خادمين أسودين أعجميين ، وأمره أن يؤنسه عند الأكل وأن يخدمه في تلك الحال من الخدم والفرّاشين من يُوثق به . ففعل يحيى ذلك .

ذكر ما عومل به حامد وما عمله هو

دخل إلى حامد وقت العصر من ذلك اليوم عبد الله بن فرجويه وأحمد بن الحجاج بن مخلّد صهر موسى بن خلف وقد كان حامد استعمل معهما في أيام وزارته من المكاره ما لم يُسمع بمثله قطّ . فوبّخاه على ما فعل بهما فوجد أن يكون رأهما أو وقع بصره عليهما . فلما أكثرا عليه قال لهما :

١. الكاف : كاف الخطاب : « ك » ، مثل قوله : بكتابك جئت .

٢. في مط : حتى يخدمه بمثل ما كان يخدمه به وهو وزير .

٣. ما : ساقطة من الأصل ، وهي موجودة في مط ومزيدة في مد ، كما هو الصحيح .

- «قد أكثرتما عليّ، وأنا أجمل القول لكما. إن كان ما استعملته من الأحوال التي تصفان وما عاملت الناس به قد أثمر لى خيراً فاستعملاً مثله وزيدا عليه، وإن كان قبيحاً وهو الذي أصارنى إلى أن تمكّنتم منى فتجنّبوه. فإن السعيد من وعظ بغيره.» [183]

فذهب وأعاد ذلك على ابن الفرات فاسترجع حامداً وقال :
- «ما أدفع رُجلته^(١) ولا أنكر دُربته ولكنّه رجل من أهل النار يُقدم على الدماء ومكّاره الناس.»

قال ثابت^(٢) فى كتابه فى التاريخ : ومن أعجب العجب أن يقول أبو الحسن ابن الفرات هذا القول ويصدّق قول حامد ويستجيده ويقول إنّه بأفعاله القبيحة من أهل النار وهو لا ينكر مع كرم طبعه وجلالة قدره وسلامة أخلاقه وإيثاره الإحسان إلى كلّ أحد على المحسن ابنه طرائقه^(٣) المنكرة وأفعاله العظيمة التى أنكرها على حامد بن العباس وقد زاد عليها للواحد واحداً ولا ينهاء ولا يعظه بما لحق حامداً فيرجع ويكون السعيد الذى وعظ بغيره فإن من يُقدم على الله تعالى على بصيرة وبعد التنبيه والتذكير خلاف من يُقدم وهو مغترّ غافل.

ثمّ راسل ابن الفرات حامد بن العباس فى الإقرار بماله بمائتى ألف دينار منها المائة التى كانت له عند إبراهيم جهبذه، لأنّه قد كان وقف على حصول هذا المال من جهة الجهبذ فى يد ابن الفرات.

وأخذ المحسن شيئاً آخر من جهة مونس خادمه إلى حضرة المقتدر بالله، وكتب إليه أنّه أخذ ذلك عفواً بغير مناظرة ولا مكروه [184] وأطمع المقتدر

١. فى مط : رحلته.

٢. فى مط : فأنت !

٣. فى مط : طرائفه المنكرة !

من جهة حامد في أموال كثيرة واستخرج من مونس بعد ذلك بعد مكروه كثير أربعين ألف دينار وصودر جماعة من حاشيته بأموال آخر^(١).

واستحضر ابن الفرات حامد بن العباس بحضرة الفقهاء والقضاة والكتاب وناظره مناظرة طالت واستوفى حامد حججه إلى أن أخرج ابن الفرات عملاً وجده في صناديق غريب غلام حامد. وكان هذا الغلام يتولى لحامد بيع غلاته في القرصة، فواقف حامداً عليه وأحضر غريباً فاعترف بذلك العمل وكان حمله سهواً منه، لأن حامداً كان في كل سنة يجمع جميع حساباته ويغرقها في دجلة.

فلما جرى المقدار على حامد بما جرى أنسى أن يطلب من هذا الغلام هذا العمل وكان في جملة الظهور. فكان ما ثبت في ذلك العمل من أثمان الغلات لسنة واحدة خمسمائة ألف دينار وثيقاً وأربعين ألف دينار سوى شعير الكراع المحمول إلى الحضرة.

فبان أن في الضمان من الفضل أكثر من الضعف وظهر أيضاً أن أسعار تلك السنة الثانية في العمل أسعار ناقصة وأن أسعار السنين التي بعدها بأسرها أزيد، واتجهت حجة ابن الفرات على حامد وأخذ ابن الفرات خطوط القضاة والكتاب وشفيع اللؤلؤي بما ظهر من الحجة على حامد.

وكان [185] ابن الفرات يرفق في المناظرة ولا يُسمعه^(٢) ولا يخرق به ولا يزيد على إيجاب الحجة عليه ويدعه حتى يستوفى منه لنفسه الحجة. وكان المحسن ابنه يشتمه بحضرة الناس أقبح شتم ويقول:

«ليس يخرج المال منك إلا مثل المكاره التي كنت تجريها على

الناس.»

١. وغیره فی مد إلى «أخرى».

٢. في مط: ولا يمنعه.

ويقول : «إني أعطى خطي إن سلّم مني أن أستخرج منه ألفي ألف دينار معجلة ويبذل دمه إن لم يف بذلك.»

ويستكفه^(١) أبوه وينهاه عن الشتم فلا ينتهي. فقال حامد :

- «أيها الوزير قد أكثر من شتمى واحتملته وليس الإحتمال له وإنما أكرم مجلس الوزير وليس بعد الحال التي أنا فيها شيء يُخاف أعظم من القتل فلو لا ما يلزمني من توقير مجلس الوزير لرددت عليه.»

فحلف أبو الحسن لئن عاد المحسن لشم حامد ليستعفين الخليفة من مناظرته. فحينئذ أمسك عن الشتم ثم أعاده إلى المناظرة مرّات وكان يحصل في آخره أنّه لا مال له وكان قد باع ضياعه ومستغلاته وفرشه وداره ولم يبق له حيلة.

فلما أعييت^(٢) ابن الفرات الحيلة فيه خلا به في دار من دور حُرّمه من حيث لم يحضر معهما أحد من خلق الله ورفق به وحلف له على أنّه إن صدقه عن أمواله وذخائره لم يسلمه إلى المحسن ولم يُخرجه عن داره [186] وحفظ نفسه. فإمّا أقام في داره مكرماً وإمّا خرج إلى فارس متقلداً لها أو إلى أيّ بلد أحبّ مع خادم من خدم السلطان يحفظ نفسه، ووكد اليمين على ذلك. ثم قال له :

- «أنت تعلم أنّك ضمننتني من أمير المؤمنين لأسلم إليك فافتديت نفسي بسبعمائة ألف دينار وأقررت بها عفواً من مالي حتّى سلّمت منك وأنت فقد تناسيت كلّ جميل فعلته وفعله أخى بك، والخليفة الآن مقيم على أن يسلمك إلى المحسن وهو حدث وقد أسلفته من المكاره ما لم يستعمله أحد مع وزير ولا مع ولد وزير، وأنا أرى لك أن تفتدي نفسك بمالك حتى تلحقك الصيانة

١. في مط : وسكّته أبوه.

٢. في مط : أحبّ.

من التسليم إلى المحسن.»
ووكّد له الإيمان.

فعند ذلك ركن حامد إلى قوله ويمينه وأقرّ له من الدفائن في البلايع احتفرها وتولّى هو بنفسه دفن المال فيها بخمسمائة ألف دينار، وأقرّ بأنّ له عند جماعة من الوجوه والشهود نحو ثلاثمائة ألف دينار وأقرّ بأنّ له كسوة وطيباً مودعة بواسط.

فأخذ ابن الفرات خطّه بذلك وبادر بالركوب إلى المقتدر من غير أن يحضر معه المحسن ولا عرفه شيئاً من الخبر.
فسرّ المقتدر بذلك ووعدّه أن يسلم إليه كلّ من ضمنه من نصر الحاجب وشفيع اللؤلؤى وغيرهما وأشار ابن الفرات [187] بإنفاذ شفيع لتسلم هذا المال بواسط. فخرج شفيع فوجد تلك الأموال المدفونة واستخرج تلك الودائع وصار بها إلى المقتدر بالله.

وما زال حامد في دار ابن الفرات مصوناً إلى أن توصل المحسن إلى المقتدر بالله على يد مفلح، فالتمس منه أن يوقع إلى أبيه بأن يستخلفه على سائر الدواوين وجميع أمر المملكة. فتردّد^(١) مفلح برسائل من المقتدر بالله إلى أبي الحسن ابن الفرات وتذكّر ابن الفرات لابنه وجرت فيه ألوان مناظرات إلى أن خلع على المحسن وركب معه أبوه والقواد ثمّ انصرف أبوه إلى داره ومضى المحسن إلى داره.

ثمّ ركب المحسن مع أبيه إلى دار السلطان وخاطب الخليفة بحضرة أبيه وقال :

«قد بقيت على حامد جملة وافرة من مال مصادرتة، وإن سلّم إليّ

استخرجت منه خمسمائة ألف دينار.»

فأمر المقتدر أبا الحسن بتسليمه إليه. فقال ابن الفرات :

- «قد عاهدته أن لا أسلمه إليه.»

فراجع المحسن المقتدر إلى أن أمر المقتدر أمراً لم يمكن أبا الحسن مخالفته فيه. فسلمه إليه وحمله المحسن إلى داره وطالبه وأوقع به مكروهاً وأقام حامد على أنه لم يبق له مال ولا حال، فأمر بصفعه فصّع خمسين صفقة وسقط كالمغشى عليه وما زال [188] يُصّع إلى أن تكلم وقال :

- «أى شئ تريد^(١) منى؟»

قال : «أريد المال.»

قال : «ما بقى غير ضيعتى.»

قال : «فاكتب بوكالة لابن مُكرم - وكان أحمد بن كامل القاضى حاضراً -

تقرّ فيها أنك قد وكلته فى بيعها.»

فكتب ذلك ووقعت الشهادة على حامد.

ثم إن المحسن عامله بعد ذلك بمعاملة تجرى مجرى السُخف من إذلاله والوضع منه. ثم سلمه إلى خادم له مع خمسة من الفرسان وعشرة من الرجال ليُحْدروا به إلى واسط، ويبيع ضياعه وأملاكه.

وشاع بينَ غداة أن حامداً طلب ليلة انحداره بيضاً فحُمِل إليه وتحسّى منه وقت إفطاره عشر بيضات، وأنّ خادم المحسن الموكل به طرح فيه سقاً فما استقرّ فى جوفه حتّى صاح ولحقه ذرب عظيم ودخل واسط وهو لمآبه^(٢).

فسلمه الخادم إلى محمّد بن علىّ البرزوفرى وجعله فى داره وبادر الخادم بالإنصراف، وقام حامد أكثر من مائة مجلس ولم يتغذّ إلا بسويق السّلت.

١. فى الأصل: تريدن، وهو سهو. فى مط: تريدون، وله وجه من الصّحّة.

٢. فى الأصل ومط ومد: لمآبه، والتصحيح منّا، أى دخل واسط وهو مشرف على الموت.

وأراد البزوفري الإستظهار لنفسه فاستحضر القاضى والشهود بواسط وكتب كتاباً يقول فيه :

- «إنَّ حامداً وصل إلى واسط وتسلمه البزوفري وهو عليل من ضرب شديد لحقه فى طريقه بين بغداد وواسط وإنه إن تلف من ذلك الذرب فإنما مات [189] حتف أنفه، ولا صنع للبزوفري فى شيء من أمره.»

ووجه بالكتاب إلى حامد فأظهر له حامد الإستجابة إلى الإشهاد على نفسه بما فيه. فلما دخل إليه القاضى والشهود قال لهم:

- «ابن الفرات الكافر الفاجر المجاهر بالرفض عاهدنى وحلف لى بأيمان البيعة والطلاق، على أنى إن أقررت بجميع أموالى لم يسلمنى إلى ابنه المحسن وصاننى عن كل مكروه وأطلقنى إلى منزلى وولانى أجل الأعمال، فلما أقررت له بجميع ما ملكته سلمنى إلى ابنه المحسن فعذبنى بأصناف العذاب وأخرجنى مع فلان الخادم واحتال علىّ وسقانى بيضاً وطرح فيه سمّاً فلحقنى الذرب^(١) ولا صنع للبزوفري فى دمي فى هذا الوقت، ولكنه فعل وصنع. ثم أخذ قطعة من أموالى وأمتعتى وجعل يحشوها فى المساور^(٢) البزيون المخلفة^(٣) فقباع المسورة بخمسة دراهم وفيها أمتعة تساوى ثلاثة آلاف دينار فيشتريها هو فاشهدوا على ما شرحته لكم.»

وتبين البزوفري حينئذ أنه أخطأ فيما فعله.

وكتب صاحب الخبر بواسط إلى ابن الفرات بجميع ما تكلم به حامد. وتوفى حامد بن العباس ليلة الثالثة عشر من شهر رمضان سنة إحدى

عشرة وثلاثمائة. [190]

١. كذا فى الأصل: الذرب. فى مط: الكرب.

٢. المسور: متكأ من جلد.

٣. والمبارة فى مط: وجعل نحوها فى المساور النريون المخلفة.

ما جرى فى أمر على بن عيسى وتسليمه إلى ابن الفرات

لما قبض المقتدر على على بن عيسى وجعله فى يد زيدان القهرمانه،
راسله بأن يقرّ بأمواله. فكتب رقعة يقول فيها: إنه لا يقدر على أكثر من
ثلاثة آلاف دينار.

واتفق أن ورد الخبر بدخول أبى طاهر سليمان بن الحسن الجنابى إلى
البصرة سحر يوم الإثنين لخمس بقين من شهر ربيع الآخر فى ألف وسبعمائة
راجل، وأنه وصل إليها بسلام نصبها بالليل على سورها وصعد إلى أعلى
السور، ثم نزل إلى البلد وقتل البوأيين الذين على أبواب السور وفتح الأبواب
وطرح بين كل مصراعين منها حصى ورملاً كان معه على الجمال لئلا يمكن
إغلاق الباب عليه، وأنه لم يعرف سبك المفلىحى والى البصرة إلا فى سحر
يوم الإثنين ولم يعلم أنه ابن أبى سعيد الجنابى، وقدّر أنهم أعراب. فركب
مغتراً ولقيه وجرت بينهم حرب شديدة وقتل سبك ووضع أبو طاهر فى أهل
البصرة السيف وأحرق المريد وبعض المسجد الجامع ومسجد قبر طلحة ولم
يعرض للقبر.

وهرب الناس إلى الكلاء^(١)، فكانوا يحاربونهم عدّة أيام ثم أخذهم السيف
فطرحوا أنفسهم فى الماء فغرق أكثرهم. وأقام أبو طاهر بالبصرة [191] سبعة
عشر يوماً ويحمل على جماله كل ما يقدر عليه من الأمتعة والنساء
والصبيان، ثم انصرف إلى بلده فأنفذ إلى ابن الفرات فى الوقت الذى ورد فيه

١. فى الأصل: كلاً (دون مد). وما فى مط دون تشديد. كلاء: محلّة مشهورة وسوق بالبصرة
(مراسد الإطلاع).

خبر القرمطي بُنَيَّ بن نفيس وجعفرًا الزرنجى إلى البصرة وقُلَّد محمد بن عبد الله الفارقى أعمال المعاونة بالبصرة وخُلع عليه وانحدر فى الطيَّارات والشذاءات. وورد الخبر بوصولهِ إليها بعد انصراف أبى طاهر الجنابى عنها فأقام فيها الفارقى رجاله وانصرف بُنَيَّ والزرنجى.

وكان بُنَيَّ بن نفيس أنفذ جماعة من القرامطة إلى بغداد ذكر أنهم استأمنوا إليه وأنهم زعموا أن على بن عيسى كاتبهم بالمصير إلى البصرة وأنه وجَّه إليهم فى عدَّة أوقات بهدايا وسلاح فوافوا بغداد وأنهى ابن الفرات الحال فى ذلك إلى المقتدر بالله.

ذكر مناظرة ابن الفرات على بن عيسى

وعرض الكتاب بعينه عليه فأمره المقتدر بإخراج على بن عيسى إليه لينظره، والجمع بينه وبين القرامطة حتَّى يواجهوه بما قالوا فيه، ففعل ابن الفرات فاحتجَّ على بن عيسى بأن قال :

«إنَّه من كان فى مثل حالتى وتحت سخط السلطان كاشفه الناس بالكذب [192] والباطل لاسيَّما إذا كان الوزير منحرفاً^(١) ومغتاضاً».

ثمَّ أخذ ابن الفرات يخاطبه فى أمر الأعمال وكان فيما ناظره عليه أمر المادرائين وقال بتحقيق كتاب تاريخ علوم العربى

«قد كان^(٢) أخذ ابن بسطام خطوطهما فى أيام وزارتى الثانية صلحاً عمَّا وجب عليهما من خراج ضياعهما بمصر والشام وما أخذه من المرافق بها مدَّة تقلَّدهما فى أيامك الأولى بألف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار وأدَّى

١. كذا فى الأصل ومط ومد: منحرفاً. ولعله «منحرفاً».

٢. قد كان: ساقط من مد.

فى أيامى نحو خمسمائة ألف دينار فصرفت على ابن^(١) بسطام ساعة وليت الدواوين وقلدت هذين العاملين المجاهرين باقتطاع مال السلطان وأنشأت إليهما كتاباً عن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه بإسقاط ذلك بأسره عنهما، ثم ادّعت أن أمير المؤمنين أمر بذلك وقد أنهيت هذه الحال إلى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه. فقال :

« لم أمر بشيء من هذا ولا ظنّ أن أحداً يقدم عليه بمثلها. »

فأجاب على بن عيسى بأنه كان فى الوقت [كاتباً]^(٢) لحامد بن العباس يخلفه على العمل، وكان أمير المؤمنين أمرنى بقبول قوله وأنّ حامداً ذكر أن أمير المؤمنين أمر بإسقاط هذا المال عن هذين العاملين ووقع بذلك توقيعاً فوقعت تحت توقيع حامد بامتنال أمره كما يفعل خليفة الوزير فيما يأمره به صاحبه.

فقال [193] ابن الفرات :

« أنت كنت تعارض حامداً وتخاصمه أبداً فى اليسير تخرجه عليه فى عبرة ما كان ضِعْمُهُ حَتَّى جرى بينكما ما تحدّث به الناس. فكيف تركت أن تستأذن أمير المؤمنين فى هذا المال العظيم الجسيم ؟ »
فقال على بن عيسى :

« كنت فى أول الأمر كاتباً لحامد مدّة سبعة أشهر، ثمّ بان لأمر المؤمنين ما أوجب أن يعتمد علىّ، وكان الذى جرى من أمر المادرائيين فى صدر أيام حامد. »

فقال له ابن الفرات :

« فلمّا اعتمد عليك أمير المؤمنين ألا صدّقته عن خطأ حامد فى هذا

١. فى الأصل : بن. وفى مط : ابن.

٢. ما بين المعقوفتين غير موجود فى الأصل، أضفناه من مط.

الباب وتلافيته ؟»

فقال : «أغضيت عن ذلك لأننى كنت فى ذى القعدة سنة ست أوصلت الحسين بن أحمد إلى حضرة أمير المؤمنين وأخذت خطه فى مجلسه بما عقدته عليه من ضمان أعمال الخراج والضياح لمصر^(١) والشام فى كل سنة^(٢) بعد النفقات الراتبية وإعطاء الجيش فى تلك النواحي وهو ألف ألف دينار فى كل سنة خالصة للحمل إلى بيت المال لا ينكسر منه درهم واحد وذلك بعد أن أخذت خطه بجميع ما تصرف فيه من عطاء الجيش والنفقات الراتبية فى ناحية ناحية ووقفت عليه أيضاً فى كل سنة لما ينكسر ويتأخر فى هذه الأعمال مائة وثلاثين ألف دينار [194] وخطه بذلك فى ديوان^(٣) المغرب وهذا غاية ما قدرت عليه..»

فقال ابن الفرات :

«أنت تعمل أعمال الديوان منذ نشأت وقد وليت ديوان المغرب سنين كثيرة ثم توليت الوزارة ودبرت أمر المملكة مدة طويلة هل رأيت من يدع مالاً واجباً يؤدى معجلاً ويأخذ عوضاً منه مالاً مؤجلاً يُحال به على ضمان، وهَبَكَ أغضيت كما ذكرت ورأيت ذلك صواباً فى التدبير، فهل استوفيت مال هذا الضمان من هذا الضامن^(٤) فى مدة خمس سنين دبرت فيها المملكة؟» فأجاب عن ذلك بأنه قد كان ورد من مال الضمان للسنة الأولى جملة. ثم سار العلوى من أفريقية حتى تغلب على أكثر النواحي بمصر فنفذ مونس المظفر إلى مصر لمحاربته فانصرف أكثر المال إلى أعطيات الجند ونفقات

١. كذا فى الأصل : لمصر. وفى مط ومد : بمصر.

٢. فى كل سنة : العبارة سقطت من مد.

٣. فى الأصل : الديوان.

٤. فى مط : الضمان.

العساكر وانكسر باقيه لأجل استخراج العلوى ما استخرجه من أموال النواحي المجاورة لمصر.

فقال ابن الفرات :

- «فقد انهزم العلوى منذ صفر سنة تسع ووجب على هذا الضامن مال ستين كاملتين بعد هزيمة العلوى فهل استخرجت من هذا الضامن ألفى ألف دينار؟»

فأجاب عن ذلك ما لم يُحفظ.

ثم قال له فى آخر خطابه :

- «فقد [195] أمر أمير المؤمنين بمطالبتك بالأموال التى جمعتها وخنته فيها فينبغى أن تقرّ بها عفواً وتصون نفسك عن المكروه.»

فقال على بن عيسى :

- «لست من ذوى المال وما أقدر على أكثر من ثلاثة آلاف دينار.»

ثم ناظره على أموال الحاشية، فقال لعلى بن عيسى :

- «أنت قد أسقطت من أرزاق الحرم والولد والحشم والفرسان الذين كنت أوفّهم أرزاقهم على الإدرار فى أيامى الأولى والثانية مدّة خمس سنين دبرت فيها أمر المملكة ما يكون مبلغه فى كلّ شهر مع ارتفاع الضياع التى هى ملك خاصّة خمسة وأربعين ألفاً يكون فى السنة خمسمائة وأربعين^(١) ألف دينار وفى هذه المدّة ستّة آلاف ألف دينار ولست تخلو من أن تكون احتجنتها^(٢) لنفسك أو أضعتها.»

فقال على بن عيسى :

- «ما استغللت من هذه الضياع، ووفّرت من أرزاق من يستغنى عنه تمّمت

١. فى الأصل ومط ومد: أربعون (فى كلا الموضعين).

٢. كذا فى الأصل: احتجنتها. وفى مط: احتجنتها. احتجن المال: ضمّه إلى نفسه واحتواه.

به عجز الدخل عن النفقات المسرفة حتى اعتدلت الحال فلم أمدّ يدي إلى بيت مال الخاصة فأما الخمسة والأربعون ألف الدينار التي كنت تحملها من أموال المرافق فإني ما استصوبت^(١) ما استصوبته أنت من أخذها والإذن للعمال في أن يرتفقوا، بل حضرتها ورفعتها فلم أعرض لها، لأنها كانت طريقاً إلى تلف أموال السلطان وظلم الرعية [196] وخراب البلاد، وأنت كنت تعول في النفقات على ما كنت تحوِّله من بيت مال الخاصة إلى بيت مال العامة، فترضى به الحاشية وتخرب به بيت المال.»

وتكرّر الخطاب في هذا المعنى.

ثمّ ناظره على ما حمّله إلى القرامطة من الهدايا والسلاح وما تردّد بينه وبينهم من المكاتبات مرّة والمقاربات أخرى فقال :

«أردتُ استمالتهم وإدخالهم في الطاعة وكففتهم عن الحاجّ وأعمال الكوفة والبصرة مدّة ولايتي دفعتين، وأطلقوا من الأسارى الذين كانوا من المسلمين عدّة.»

فقال له ابن الفرات :

«فأى شيء أعظم من أن تشهد أنّ أبا سعيد وأصحابه الذين جحدوا القرآن ونبوّة النبي عليه السلام واستباحوا عُمان وقتلوا أهلها وسبّوهم مسلمين وتكاتبتهم بذلك وتؤخّر إطلاق أرزاق من يحفظ السور بالبصرة حتى أخلوا بمراكزهم فدخلها القرمطي وقتل أهلها.»

فاحتجّ بحجج يطول شرحها.

فسأل نصر الحاجب والمحسّن أبا الحسن ابن الفرات أن يدعهما يخلوان به، فخلوا وأشارا عليه بالمصادرة فاستجاب إليها، وألزمه ثلاثمائة ألف دينار

١. كذا في الأصل ومط: ما استصوبت. وفي مد: ما استصوب.

يعجل منها في مدة شهر مائة ألف دينار^(١) أولها يوم خروجه من دار السلطان إلى حيث يأمن فيه على نفسه ويصل إليه الناس. [197] فأخذ ابن الفرات خطه بذلك وأنفذه إلى المقتدر بالله فأمضاه.

ثم كتب ابن الفرات كتاباً عن نفسه إلى كل واحد من أصحاب الدواوين يذكر فيها خيانة علي بن عيسى وسرقته وما واجهه به وما بذله من المصادرة.

وحكى أبو الفرج ابن هشام عن ابن المطوق أن أبا الحسن علي بن عيسى كان سأل أبا الحسن ابن الفرات أن يتجافى له عن ارتفاع ضيعته لسنة إحدى عشرة وثلاثمائة ليؤديه من جملة المصادرة وأن ابن الفرات قال له :
- « هو خمسون ألف دينار. »

فقال علي بن عيسى :

- « قد رضيت بعشرين ألف دينار. »

وذكر أنه دون ذلك. فلما نفى إلى مكه وجد في ضيعته نحو الخمسين الألف الدينار^(٢).

قال أبو الفرج : فسمعت الهماني الواسطي يقول : سمعت أبا الحسن علي بن عيسى يوبخ أبا عبد الله البريدي ويقول له :

- « يا أبا عبد الله، أما خفت الله حيث حلفت بما حلفت به ونحن مجتمعون في دار السلطان أطال الله بقاءه أن استغلاك واستغلال إخوتك من ضيعتكم بواسطة عشرة آلاف دينار وقد وجدته من حساب رفعه إليّ - يعني الهماني^(٣) - ثلاثين ألف دينار. »

١. في مط: ألف دينار. بإسقاط «مائة».

٢. في مط: الألف الألف الدينار.

٣. في مط: اليهما في. بدل «الهماني».

فقال أبو عبد الله :

- « افتديتُ بسيدنا - أيده الله - حيث سأله أبو الحسن ابن الفرات عن ارتفاع ضيعته فلم يصدقه وساتره [198] وعلمت أنه مع ديانتته لو لم يعلم أن التقية مباحة عند من يُخاف ظلمه، لما حلف بتلك اليمين. »
فكأنه ألقم عليّ بن عيسى حجراً.

ونعود إلى تمام خبر عليّ بن عيسى مع ابن الفرات

امتنع المقتدر من تسليم عليّ بن عيسى إلى ابن الفرات. فذكر عليّ بن عيسى أنه لا يمكنه أن يؤدي مال مصادرتة إلا بعد أن يخرج من دار الخليفة. وأحضره المحسن دفعتين وطالبه ورفق به فلم يؤدي إلا ثمن دار باعها فقيدته المحسن، فلما رأى نصر ذلك نهض عن المجلس وطالب المحسن عليّ بن عيسى فقال :

- « لو كنت أقدر ها هنا على أداء المال لما قيدت. »

فألبسه جبة صوف وأقام على أمره فحينئذ صفعه عشر صفعات.

فقام نازوك من المجلس، فقال المحسن :

- « إلى أين تقوم ؟ »

فقال : « ما أحب أن أحضر مكروه هذا الشيخ. »

وأعيد عليّ بن عيسى إلى محبسه، وبلغ أبا الحسن ابن الفرات ما عامل به

المحسن عليّ بن عيسى فأقلقه ذلك وقال لابنه :

- « قد جنيت علينا بما فعلته، كان يجب أن تقتصر على القيد. »

ابن الفرات يشفع لعليّ بن عيسى

ثم كاتب المقتدر بالله يشفع لعليّ بن عيسى وذكر أنه لما وقف على ما

جرى عليه لحقه من الغم أمر لا يذكر مثله وأنه لم يطعم طعاماً منذ عرف خبره، لأنه شيخ من مشايخ الكتاب وقد خدم أمير المؤمنين [199] وتحرم بداره ومثله يخطئ وأمير المؤمنين أولى بالصفح، وسأل أن يُزال عنه القيد والجبّة الصوف.

فأجابه المقتدر بأنّ عليّ بن عيسى مستحقّ لأضعاف ما جرى عليه وأنّ المحسن قد أصاب فيما عامله به، وأنه قد شفعه في أمره، وأمر بحلّ قيده ونزع جبّة الصوف عنه، وتقدّم بعد ذلك بتسليم عليّ بن عيسى إلى ابن الفرات ليؤدّي مال التعجيل من مصادرتة.
فلما حُمل إليه [قال] ^(١):

- «لست أحبّ أن يكون في دارى لئلاً يلحقه مرض وهو شيخ فينسب إليّ، وأنا أسأل أمير المؤمنين أن يأذن في تسليمه إلى شفيح.»
فقبل للمقتدر ذلك. فقال:

- «أنا أسلمه إليك لأنك الوزير فاحفظ نفسه ولا تسلّمه إلى المحسن، فأما غير هذا فأنت أولى وما تراه.»

فأنفذ ابن الفرات إلى شفيح وأحضره. وأخذ ابن الفرات في توبيخ عليّ بن عيسى وعاتبه على أمر وقوف وقع أمير المؤمنين بردها عليه وأنّ مالها كان ينصرف إلى أشياء يتقرّب بها إلى الله - عزّ وجلّ - وينصرف بعضها إلى ولده وغلمانها وأنّ ما فعله لا يجوز في الدين ولا في المروءة.

فأخذ عليّ بن عيسى يعترف بالتفريط الذي وقع منه وسأله قبول عذره، وكان المحسن حاضراً [200] فأطنب في توبيخه وتقريعه على هذا الباب، فأجابه بمثل ما أجاب به والده وزيادة. وقال في عرض كلامه:

١. ما بين المعقوفين ساقط في الأصل، فأضفناه من مط.

- «أنا والله أستحليك»^(١).

فقامت على المحسن القيامة من هذه الكلمة وغلظت على أبيه أيضاً، فأجابه المحسن بجواب فيه غلظة وأقبل أبوه يسكنه ويرفق به، ثم قال لعلي بن عيسى:

- «أبو أحمد كاتب أمير المؤمنين وصنيعته».

وأخذ يصف محله منه وتفويضه إليه. وأخذ علي بن عيسى في الاعتذار من تلك الكلمة. ونهض علي بن عيسى مع شفيع فأجلسه شفيع في صدر طياره وحمله إلى داره.

وحكى أبو الحسن ابن أبي هشام أنه كان حاضراً المجلس وأنه رأى الحسن بن دولة ابن أبي الحسن ابن الفرات خرج في تلك الحال، فقام له علي بن عيسى وقبّل رأسه وعينيه فاستكثر ذلك ابن الفرات وقال له:

- «لا تفعل يا أبا الحسن، هذا ولدك».

ثم فتح دواته ووقع إلى هارون بن عمران الجهبذ أن يحمل إلى أبي الحسن علي بن عيسى بلا دعاء ألفي دينار يستعين به على أمره في مصادرتة، وقال لابنه المحسن:

- «وقع أنت أيضاً بشيء».

فوقع بألف دينار، ثم أحضرا بشر^(٢) بن هارون وكتب قبضاً لعلي بن عيسى من مال مصادرتة بهذه الثلاثة الآلاف الدينار. [201] فأنصرف علي بن عيسى شاكراً.

ولم يقبل علي بن عيسى من أحد من الكتاب معونة في مصادرتة مع بذل جماعتهم له وحملهم إليه ما أطاق كل واحد منهم، إلا من ابن فرجويه وابني

١. كذا في الأصل: استحليك. في مط: استحكك. والمثبت في مد: يستجليك.

٢. في مط: بر (بالسين المهملة).

أبى الحسن بن الفرات الفضل والحسين، فإنه قبل من كل واحد منهما خمسمائة دينار وحمل إليه أبو الهيجاء ابن حمدان عشرة آلاف دينار، فردّها وقال :

- «لو كنت متقلداً فارس لقبيلتها منك ولكنى أعلم أنّ هذه جميع حالك^(١) وما أحبّ أن أثلمك.»

فحلف أبو الهيجاء أن لا يرجع إلى ملكه، ففرقت فى الطالبين وفى الصدقة على الضعفى وبذل له شفيح اللؤلؤى ألفى دينار، فامتنع من قبولها وقال :

- «لا أجمع عليك مؤونتى ومعونتى فى مصادرتى.»
وقبل من هارون بن غريب ومن نصر الحاجب وشفيح المقتدرى.

إبعاد على بن عيسى إلى مكّة ثم إلى صنعاء

فلما أدّى على بن عيسى أكثر مال مصادرته قال ابن الفرات للمقتدر :
- «إنّ فى مقام على بن عيسى فى دار شفيح ضرراً عليه، فإنّ الأراجيف قد كثرت وإن رُدّ إلى دار السلطان زاد الإرجاف.»
والتمس الإذن فى إبعاده إلى مكّة فأذن له المقتدر فى ذلك، فأطلق ابن الفرات لما قدر^(٢) له من نفقته وما يحتاج إليه سبعة آلاف درهم، فخرج إليها. ثم كتب ابن الفرات بإبعاده إلى صنعاء اليمن [202] فأبعد إليها.

ابن الفرات وأسباب على بن عيسى

ثم استخرج ابن الفرات من أسباب على بن عيسى وعمّاله وكتّابه مالا

١. ما فى الأصل يشبه أن يكون «حلك». وفى مط : حالك. ما فى مد : مالك.

٢. فى مط : ورد، بدل «قدر».

عظيماً بالمكارة وبسط يد ابنه فأنكر الناس أخلاقه وما كان يُعرف من كرمه ونبله.

فأمّا أبو عليّ ابن مقلّة فإنّه كتب إلى أبي عبد الله محمد بن إسماعيل [بن] ^(١) زنجي رقعة وكانت بينهما مودة وضمّنها أبياتاً له ما أثبتتها لأنّي لم أستجدها. وكتب رقعة إلى ابن الفرات يذكره بحرمة وقديم خدمته ويستعطفه وجعلها في درج تلك الرقعة وسأله إيصالها فلمّا وقف ابن الفرات عليها تقدّم بحلّ قيده وتقرّير مصادرتة على ما ينهض به ثمّ خفّف عنه بعد ذلك وأطلقه.

فأمّا ابن الحواري فإنّ ابن الفرات سلّمه إلى ابنه المحسن فصفعه صفعاً عظيماً في دفعات وضربه بالمقارع ثمّ أخرجه إلى الأهواز مع مستخرج له، فلمّا وصل إليها قتله المستخرج.

فأمّا المادرائيّان فإنّه كتب بإشخاصهما، فحمل الحسين بن أحمد وهو أبو زنبور ^(٢) فاعتقله ابن الفرات في داره واستحضر القضاة وأصحاب الدواوين إلى داره وحضر المحسن وأحضروا أعمالاً عملوها لأبي زنبور وناظره ابن الفرات عليها وأخذ خطّه من الأبواب التي نواظر عليها بألف وأربعمائة ألف دينار. ثمّ استكثر [203] ابن الفرات هذا المال فقرر مصادرتة على ألف ألف وسبعمائة ألف دينار وعرض خطّه بذلك على المقتدر بالله فاستصاب فعله. وتناهى ابن الفرات في معاملته بالجميل، وكان يسترجله ويصف فهمه ويقول: إنّ ما خاطب عاملاً أفهم منه ولا أجلد، وسامه أن يواجه عليّ بن

١. ما بين المعقوفين ساقط في الأصل ومط، وأضيف في مد أيضاً.

٢. في مط: أبو دينور.

عيسى بأنه أرفقه في أيام تقلّده ديوان المغرب وفي أيام وزارته فاستعفاه من ذلك.

فقال له ابن الفرات :

- « فكيف واجهتنى أنا بأمره ولا تواجهه بأمرى ؟ »

فقال : « ما حدثت معه تلك الحال ولا أستحسنها إلى أحد مع الظاهر من إساءة الوزير إلىّ بتسليمه إتيّاي إلى ابن بسطام وبسطه يده علىّ في أيام وزارته الثانية، فكيف تستحسنون لى هذه الحال فى معاملة علىّ بن عيسى مع قديم وحديث إحسانه إلىّ. »
فأعفاه ابن الفرات من ذلك.

ثمّ قدم محمّد بن علىّ المادرائى ولم يكن تقلّد فى أيام وزارة حامد ابن العبّاس شيئاً من الأعمال، فناظره ابن الفرات على المال الباقي عليه وعلى الحسين بن أحمد من ضمان أجناد الشام ومصر وعن حقّ بيت المال فى ضياعه^(١) وهو حيثنّ شريك للحسين بن أحمد فى الضمان فاحتجّ فى بعضه.
فقال له ابن الفرات :

- « لست بأفهم من الحسين وقد احتجّ بأكثر ما ذكرت [204] فلم تثبت له

حجّة. »
وأخذ خطّه بلا تهديد ولا مكروه بألف ألف وسبعمائة ألف دينار، ثمّ سلّمه إلى المحسنّ وكان فى داره على أتمّ صيانة، وأقام فيها يوماً واحداً. وكان المحسنّ يتناول عليه^(٢) إذا حضر. ثمّ أطلقه وكان السبب فى ذلك أنّه حمل إليه مالاً جليلاً وثياباً فاخرة وجواهر نفيسة وخدماً روقاً.

١. كذا فى الأصل ومط : ضياعه. وما فى مد : ضمانه.

٢. فى الأصل : يتناول عليه له. فى مط : يتناول له.

ذكر ما دبّره ابن الفرات في أمر مونس حتى أبعدَه

كان ورد مونس من الغزو بعد أن ظفر بالروم ظفراً حسناً، فتلقاه المحسن ونصر الحاجب وشفيع ومفلح وسائر القواد ولقي المقتدر بالله، فتحدث الناس أن مونساً أنكر ما جرى على الكتاب والعمال من المكروه العظيم من ابن الفرات والمحسن وما ظهر من وفاة حامد بن العباس، وأن أكثر الفرسان التفريق بالحضرة قد عملوا على الانضمام إلى عسكر مونس المظفر لتروج أرزاقهم.

فغلظ ذلك على ابن الفرات وصار إلى المقتدر بالله بعد أسبوع من قدوم مونس المظفر فخلاً به وأعلمه ما عمل مونس عليه من ضمّ الرجال إليه، وأنه إن تمّ له ذلك صار أمير الأمراء وتغلب على أمر المملكة ولاسيما والقواد [205] والغلمان منقادون له. وعظم عليه الأمر وأغراه به إغراء شديداً. فلما ركب مونس المظفر إلى دار المقتدر بالله، قال له المقتدر بحضرة ابن الفرات :

- « ما شيء أحبّ إليّ من مقامك، لأنّي أجمع إلى الأئس بك والتبرّك برأيك الانتفاع بحضورك في أمر الحضرة كلّه، ولكن أرزاق الفرسان برسم التفريق عظيمة، وما يتهيأ أن تطلق أرزاقهم على الإدرار ولا النصف من استحقاقهم وليس يطيعون في الخروج إلى نواحي مصر والشام، لأنهم يحتجّون بقصور أحوالهم عن ذلك. وقد علمت أن الرى وأبهر وزنجان متعلّقة بأخي صعلوك وكذلك أرمينية وأذربيجان بيوسف بن أبي الساج، وإن أقمت ببغداد التمس الرجال الانضمام إليك، فإن لم أجبههم شغبوا وأفتنوا البلد، وإن

أَقَمْتُ لَمْ يَرْجُحُ^(١) مِنْ مَالِ دِيَارِ رِبِيعَةَ وَمُضَرَ^(٢) وَالشَّامَ شَيْءً، وَلَيْسَ يَفِي مَالِ السَّوَادِ وَالْأَهْوَازِ وَفَارِسَ بِنْفَقَاتِ الْحَضْرَةِ وَمَالِ عَسْكَرِكَ. وَالْوَجْهَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَى الرِّقَّةِ وَتَتَوَسَّطَ عَمَلِكَ وَتُنْفِذَ عَمَّا لَكَ فِي اقْتِضَاءِ الْأَمْوَالِ وَتَسْتَخْرِجَ مَا يَجِبُ عَلَى الْمَادَرَاتِيِّينَ مِنَ الْأَمْوَالِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي بَذَلُوا بِهَا خَطُوطَهُمْ وَتَهَابَكَ^(٣) عَمَّالُ الْمَعَاوِنِ وَالْخَرَاجِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ فَيَسْتَقِيمُ أَمْرُ [206] الْمَلِكِ. «
وَرَسَمَ لَهُ الشَّخْصُ مِنْ وَقْتِهِ^(٤) فِي سَائِرِ الْغُلَمَانِ الْحَجَرِيَّةِ وَالسَّاجِيَّةِ بِرَسْمِهِ.

فَعَلِمَ مُونِسُ أَنَّ هَذَا مِنْ رَأْيِ ابْنِ الْفَرَاتِ وَتَدْبِيرِهِ وَعَرَفَ شِدَّةَ عِدَاوَتِهِ لَهُ، فَسَأَلَ الْمُقْتَدِرَ بِاللَّهِ أَنْ يَأْذُنَ لَهُ فِي الْمَقَامِ بَقِيَّةَ شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى يَعِيدَ بِبَغْدَادَ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ. فَلَمَّا عِيدَ صَارَ إِلَى ابْنِ الْفَرَاتِ لوداعه، فَقَامَ لَهُ قِيَامًا تَامًا فَاسْتَعْفَاهُ مُونِسُ وَحَلَفَ عَلَيْهِ أَنْ يَجْلِسَ فِي الْمَصْلَى فَاْمْتَنَعَ، وَسَأَلَهُ مُونِسُ فِي عِدَّةِ أُمُورٍ فَوَقَّعَ لَهُ بِجَمِيعِ مَا التَّمَسَّهُ وَأَرَادَ الْقِيَامَ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ حَضْرَتِهِ فَاسْتَحْلَفَهُ بِرَأْسِ الْخَلِيفَةِ الْأَيْفَعَلِ، ثُمَّ وَدَّعَ الْخَلِيفَةَ وَخَرَجَ إِلَى مَضْرَبِهِ فِي يَوْمٍ مَطِيرٍ.

مَا دَبَّرَهُ ابْنُ الْفَرَاتِ بَعْدَ مُونِسَ

فِي أَمْرِ الْحَاشِيَةِ

وَلَمَّا فَرَّغَ ابْنُ الْفَرَاتِ مِنْ مِصَادِرَةِ جَمِيعِ الْكُتَّابِ وَأَخْرَجَ مُونِسًا شَرَعَ فِي الْقَبْضِ عَلَى نَصْرِ الْحَاجِبِ وَشَفِيعِ الْمُقْتَدِرِ. فَوَصَفَ لِلْمُقْتَدِرِ مَا فِي جَنْبِ

١. الضبط من الأصل.

٢. ما في الأصل يحتمل «مِصْر» و «مُضَرَ» في مط: مصر. وفي مد: مُضَرَ.

٣. كذا في الأصل: تهابك.

٤. في الأصل ومط: من وقته. في مد: من رقة.

نصر خاصّة من الأموال والضياع وكثرة ما يصل إليه من الأعمال التي يتولّاها، ثمّ من سائر وجوه مرافقه فأجابه المقتدر إلى تسليمه إليه، واتّصل الخبر بنصر فلجأ إلى السيّدة واستغاث إليها. [207]
فكلّمت ابنها وقالت له :

« قد أبعد ابن الفرات مونساً عنك وهو سيفك وثقتك ويريد الآن أن ينكب حاجبك ليتمكّن منك فيجازيك على ما عاملته به من إزالة نعمه وهتك حرّمه. فليت شعري بمن تستعين عليه إن أراد بك مكروهاً من خلّعتك والتدبير عليك، لاسيّما مع ما أظهر من شرّه وإقدام ابنه المحسن على كلّ عزيمة. »

وقد كان نصر مضى إلى منزله واستظهر بتفريق ماله في الودائع واستتره فراسلته السيّدة بالرجوع إلى داره، فوثق وعاد وهو مع ذلك شديد التذلّل لابن الفرات وابنه وابن الفرات يُعرّف المقتدر من أحواله ومن إفساده ابن أبي الساج حتّى ضيّع على الخلافة خمسة آلاف ألف دينار من ارتفاع نواحيه ما يهّمّ معه المقتدر بتسليمه إليه.

فلما كان في ذي الحجة من هذه السنة ورد الخبر على ابن الفرات بإيقاع ابن أبي الساج بأحمد بن عليّ أخى صعلوك وقتله إيّاه وأنّه أخذ رأسه وهو على حمّله إلى بغداد.

فركب المحسن إلى المقتدر والتمس من مفلح أن يوصله إليه من غير حضور نصر الحاجب فأوصله وبشّره بالفتح وأعلمه أنّ نصرأ الحاجب يكره ذلك وأنّه عدوّ لابن أبي الساج وهو الذي [208] أفسده على السلطان فلذلك كتّمه الخبر.

ودخلت سنة اثنى عشرة وثلاثمائة

فلما كان بعد أيّام ظهر في دار للسيّدة كان المقتدر يُكثر الجلوس فيها

عند والدته رجل أعجمي على سطح مجلس من مجالسها وعليه ثياب فاخرة وتحتها ممّا يلي بدنه قميص صوف ومعه محبرة ومقدحة وسكين وأقلام وورق وسويق وحبل، يقال إنه دخل مع الصنّاع فحصل في الموضع وبقي أَيْاماً فِعْطَش وخرج ليطلب الماء فظفر به وسُئِلَ عن خبره فقال:

- «ليس يجوز أن أخطب غير صاحب الدار.»

فأخرج إلى الوزير أبي الحسن ابن الفرات فقال له:

- «أنا أقوم مقام صاحب الدار فقل ما شئت.»

فقال: «ليس يجوز غير خطابه في نفسه ومسألته عمّا احتاج إليه.»

فرفق به فلم يغن الرفق. فلمّا لم تكن فيه حيلة أخذ الخدم يقرّرونه بالضرب والعنف فعدل عن الكلام بالعربية فقال بالفارسية:

- «ندائِم^(١).»

ولزم هذه اللفظة فلم يزل عنها في كلّ ما يخاطب به، وأُخرج فعُوقِبَ حتّى تلف وهو لا يزيد على:

- «ندائِم.»

فصُلب ولُفَّ عليه حبل من قُنْبٍ ومساقة^(٢) ولُطِخَ بالنفط وضُرب بالنار.

وخاطب ابن الفرات نصرّاً الحاجب بحضرة [209] المقتدر في أمر هذا

الرجل، وقال له: كَافِيَرِ عِلْمِ رَدِي

- «ما أحسبك ترضى لنفسك أن يجرى عليك في دارك مثل هذا الذي

جرى على أمير المؤمنين وأنت حاجبه وحافظ داره وما تمّ مثل هذا على أحد من الخلفاء في قديم ولا حديث وهذا الرجل هو صاحب أحمد بن عليّ أخى صعلوك لا محالة، والدليل على ذلك أنّه أعجمي، فإمّا أن يكون أحمد

١. ندائِم: الضمة من الأصل. ولا ضمة في مط. ندائِم: لست أعرف.

٢. كذا في الأصل ومط: مساقة. في مد: مشاقة (بإعجام الثاني).

بن عليّ - قبل أن يُقتل - واطأك^(١) حتّى أوصلته إلى هذا الموضع وإمّا أن تكون أنت دسته ليقّتك بأمر المؤمنين لتخوّفك على نفسك منه ولأجل عداوتك لابن أبي الساج وصداقتك لأحمد بن عليّ ولأجل عظيم ما وصل إليك من أحمد بن عليّ من الأموال.»

فقال له نصر الحاجب :

- «ليت شعري أدبر عليّ أمير المؤمنين لأنّه أخذ أموالى وهتك حرّمي أو قبض ضياعي أو حبسنى عشر سنين؟»
فقال المقتدر :

- «لو تمّ هذا على بعض العوامّ لكان عظيماً.»

وتمكن ابن الفرات منه واندفع عنه المكروه بما ورد به الخبر ممّا جرى على الحاجّ من القرمطى وسنشرحه فيما بعد. فشغل ابن الفرات بنفسه وقوى أمر نصر وسلم من ابن الفرات.

وفى هذه السنة ورد الكتاب بشرح الخبر فى مصير ابن أبي الساج من أذربيجان إلى الرىّ ومحاربته [210] أحمد بن عليّ وحُمل رأس أحمد بن عليّ وجنّته إلى مدينة السلام.

تفريق المال على طلاب الأدب

وفىها فرّق ابن الفرات على طلاب الأدب مالاً وعلى من يكتب الحديث مثله، وكان السبب فى ذلك أنّه جرى حديثهم فى مجلسه فقيل لعلّ الواحد منهم ييخل على نفسه بدائق^(٢) فضّة أو دونها ويصرفه إلى ثمن ورق وحرير.

١. فى مط: واصلك. بدل «واطأك».

٢. كذا فى مط ومد. وما فى الأصل: بدنى.

وكان ابن الفرات موصوفاً بسعة الصدر وحسن الخلق، وكان فرَّق في الشعراء مالاً. فقال لما جرى حديث هؤلاء:

- «أنا أولى من عاونهم على أمرهم.»

وأطلق لهم لما يصرفونه إلى ذلك عشرين ألف درهم.

فذكر أنه لم يسبق ابن الفرات إلى ذلك إلا ما حدث به الضبعي عن رجاله أن مسleme بن عبد الملك أوصى عند وفاته بالثلث من ثلثه لطلاب الأدب وقال:

- «هم مجفوؤن^(١)».

وكان يستعمل كل يوم في مطبخ ابن الفرات من لحوم الحيوان وفي دوره من الثلج الكثير ومن الأشربة التي تعرض على كل من دخل ومن الشمع ومن القراطيس ما لم يستعمله أحد قبله ولا بعده. وكان إذا ولي الوزارة ارتفعت أسعار الشمع والثلج والقراطيس خاصة وإذا عزل رخصت.

وكان أهدى إلى مونس [211] المظفر عند موافاته من المغرب وإلى بشرى ويليق وإلى نازوك وغيرهم من الغلمان والخدم لما حضر النوروز هدايا عظيمة لم تسمع نفس أحد بمثلها وقدّر أنهم يستكفهم بها فلم يقع موقعه الذي أراد.

مركز تبيين كاپيتولر علوم اسلامی

ذكر السبب في ضعف أمر ابن الفرات

بعد تناهيه في القوة والاستقامة

اتَّفَق أن ورد الخبر إلى بغداد على ابن الفرات بأن أبا طاهر ابن أبي سعيد

الجنّابى ورد إلى الهبير ليستلقى حاجّ سنة إحدى عشرة وثلاثمائة فى رجوعهم، فأوقع^(١) بقافلة فيها خلق كثير من أهل بغداد وغيرها واتّصل خبره بهم وهم بقيد^(٢) فأقاموا حتّى فنى زاد من فيها وضاق بهم البلد فارتحلوا على وجوههم.

وأشار عليهم أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان - وكان إليه طريق الكوفة وطريق مكة وبذرقة الحاجّ - لمّا بلغهم خبر الهجرى، أن يعدل بهم من قيد إلى وادى القرى لئلاّ يجتازوا بالهبير فضجّوا من ذلك وامتنعوا عليه وساروا وسار معهم ضرورة إلى الهبير.

فلمّا قربوا من الهبير عارضهم أبو طاهر ابن أبى سعيد الجنّابى وقاتلهم فظفر بهم وقتل [212] منهم خلقاً كثيراً وأسر أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان وأحمد بن كشمزد وجرير العمرى وأحمد بن بدر عمّ السيّدّة أمّ المقتدر وجماعة من خدم السلطان وخرمه.

وأخذ أبو طاهر جمال الحاجّ فى سائر القوافل وسبى ممّن كان فيها من اختار من النساء والرجال والصبيان وسار بهم إلى هجر وترك باقى الحاجّ فى مواضعهم بلا زاد ولا جمال. وكانت سنّ أبى طاهر فى ذلك الوقت سبعة عشر سنة ومات أكثر من خلف من الحاجّ بالعطش والخفا والرّجلة.

وانقلبت بغداد وطرقها فى الجانبين وخرج النساء حفاة منشّرات الشعور مسوّدات الوجوه يلطمن ويصرخن فى الشوارع وانضاف إليهن حُرّم المنكوبين الذين نكبهم ابن الفرات وذلك فى يوم السبت لسبع خلون من صفر فكانت صورة فظيعة^(٣) قبيحة شنعاء لم يُر مثلاً.

١. والمبارة فى مط: ما وقع قفابله فيها..

٢. فى مط: يفيد.

٣. فى مط: فضيعة.

وتقدّم ابن الفرات إلى نازوك بالركوب إلى المساجد الجامعة في الجانبين ببغداد بسبب حركة العامّة فركب في جميع جيشه من الفرسان والرجّالة والنقاطين حتّى سكّن العامّة.

ثمّ قدم سائق الحاجّ فشرح الصورة [213] لابن الفرات، فركب ابن الفرات آخر هذا اليوم وقد ضعفت نفسه إلى المقتدر وشرح له الحال واستدعى نصراً الحاجب وأدخله في المشاورة وتمكّن نصر من خطاب ابن الفرات بحضرة المقتدر وانبسط لسانه عليه وقال له :

- «الساعة تقول: أيّ شيء الرأي، بعد أن زعزعت أركان الدولة وعرضتها للزوال بإبعادك مونساً الذي يناضل الأعداء ويدفع عن الدولة، فمن يمنع الآن هذا الرجل عن السرير ومن الذي أسلم رجال السلطان وقوّاده وحُرّمه وخدمه إلى القرمطي سواك وقد ظهر الآن أمر الأعجميّ الذي وُجد في دار السلطان وأنه إنّما كان صاحب القرمطي.»

وأشار نصر على المقتدر بمكاتبة مونس بالتعجّل إلى الحضرة، فأمر أن يُكتب بذلك. ووثبت العامّة على ابن الفرات ورجمت طيّاره بالآجر، وركب المحسّن من داره يريد طيّاره فرجموه وضجّت العامّة في الطرقات بأنّ :
- «ابن الفرات القرمطي الكبير وليس يقنعه إلّا إتلاف أمة محمّد.»

وتحرّكت العامّة فامتنعت من الصلاة في المساجد الجامعة ذلك اليوم وارتجّت بغداد بأسرها من الجانبين. [214]

وأشار ابن الفرات بإنفاذ ياقوت إلى الكوفة لضبطها لئلاّ تردها الهجرية^(١) ويضمّ الغلمان الحبريّة ووجوه القوّاد إليه وإن كان الهجري مقيماً سار لمحاربتة.

١. هَجَرَ (= الهَجَرَ): هي قاعدة البحرين، أو ناحية البحرين كلّها (مراد الإطلاع).

فتقدّم المقتدر إلى ياقوت بالشخص، وإلى ابن الفرات بإزاحة علته فالتزم ابن الفرات له ولولديه وهما المظفر ومحمد وللزيادة في إقطاعهم وموائدهم ولمن ضمّ إليه أموالاً عظيمة.

وخرج ياقوت بمضربه إلى باب الكناسة، وورد الخبر على ابن الفرات بانصراف الهجري إلى بلده. فوقّع إلى ياقوت بالرجوع فرجع وبطل نفوذه إلى الكوفة.

وأصلح المقتدر بين ابن الفرات وبين نصر وأمر الجماعة بالتضاfer على ما فيه الصلاح للدولة وكفاية الهجري.

دخول مونس بغداد

ودخل مونس بغداد وتلقاه الناس فلم يتأخّر عنه أحد وركب إليه ابن الفرات للسلام عليه ولم تجر له بذلك عادة ولا لأحد قبله. فلما عرف مونس خبره خرج إلى باب داره وتلقاه وسأله أن ينصرف فلم يفعل، وصعد إليه من طيّاره حتّى هنا بمقدمه. فلما خرج لينصرف خرج معه مونس إلى أن نزل إلى طيّاره. [215]

ما عامل به المحسن المنكوبين لئلا
اضطرب أمره وأمر أبيه

استوحش المحسن بعد إيقاع الهجري بالحاج من المنكوبين ونظر إلى سقوط حشمته^(١)، فخاف أن يظهر ما أخذه وارتفق به وما أسقطه من أداء المصادرين وفاز به، فنصب أبا جعفر محمد بن عليّ السلمغاني المعروف

١. في مط: خشيته.

بابن أبي العزاقر^(١) وكان هذا يدعى من حلول اللاهوت فيّة ما ادّعاء العلاج. وكان المحسن قد غنى بهذا الرجل فاستخلفه بالحضرة لجماعة من العمال وكان له صاحب يعرف بملازمته مقدام على الدماء من أهل البصرة. فسلم المحسن إلى صاحب ابن الفرات هذا البصري جماعة فيهم النعمان بن عبد الله وعبد الوهاب ابن ما شاء الله ومونس خادم حامد وأظهر أنه يطالبهم بما بقى عليهم من المال، فلمّا حصلوا في يده ذبحهم كما يُذبح الغنم. وكان جماعة مستترين، فكتب ابن الفرات إليهم كتباً جميلة حتى ظهروا، ثمّ صادرهم واستخرج منهم أموالاً كثيرة.

ذكر القبض على أبي الحسن ابن الفرات

وهرب ابنه المحسن [216]

واشتدّ الإرجاف بابن الفرات حتى استتر أولاده وكتابه فراسله المقتدر على لسان نسيم.

فحكى أبو القاسم ابن زنجي أنه كان بين يديه إذ جاءه نسيم فتقدّم إليه فأدّى الرسالة التي كانت معه، فسمعتة يقول في جوابها:

- «قل له: أنت تعلم يا أمير المؤمنين أنني عادية في استيفاء حقوقك الصغير والكبير واستخرجت لك المال من الدنيا والشريف وبلغت غاية ما أمكنني في تأييد دولتك ولم أفكر في أحد مع سلامة تبتك وما قربني منك واجتلب لي حسن رأيك، فلا تقبل في قول من يريد إبعادي عن خدمتك ويغريك بما لا فائدة فيه ويدعوك إلى ما تُدّم^(٢) عواقبه.

١. في الأصل ومط: الغواقر، وهو تصحيف. تجد ذكره في إرشاد الأريب ٢٩٨:١ وذكر قصّة للوزير

المهلبى مع العزاقريّة بالبصرة، عند ابن الأثير في حوادث سنة ٣٤٠ (مد).

٢. في مط: ندّم.

«وبعد فطالعي وطالعك واحد وليس يلحقني شيء ولا يلحقك مثله، فلا تلتفت إلى ما يقال، فقد علمت الخاصة والعامة أنني أطلقت للرجال النافذين إلى طريق مكة ما لم يطلقه أحد تقدمني واخترت رؤساء الجند والقواد وشجعان الرجال وأزحت العلة في كل ما التمس مني، فحدث من قضاء الله عز وجل على الحاج ما قد حدث مثله في أيام المكتفي بالله رحمه الله فما أنكره [217] على وزيره ولا ألزمه جريرته ولا أفسد عليه رأيه.»

وتكلم في هذا المعنى بما يشاكله وانصرف نسيم والغلمان بانصراف نسيم. واحتدت الأراجيف وكثرت بأبي الحسن ابن الفرات والمحسن ابنه، وأراد المقتدر أن يسكن منهما فكتب إليهما رقعة يحلف فيها على ما هو عليه لهما وما يعتقد من الثقة بهما، وأنه ينبغي لهما أن يثقا بما تقرّر في نفسه من موالاتهما وأمرهما أن يظهر رقعته إليهما لأهل الحضرة ويكتب بنسختها إلى جميع عمّال الحرب والخراج في البلدان.

ثم ركب بعد ذلك ابن الفرات والمحسن إلى الدار، فوصلا إلى المقتدر في شهر ربيع الأول سنة اثنى عشرة، ولما خرجا أجلسهما نصر الحاجب وكان راسل الغلمان الحبرية المقتدر في القبض عليهما فدخل مفلح برسالتهم، ثم أشار عليه بتأخير الأمر وقال له:

- «إنّ صرف^(١) الوزير بكلام الأعداء خطر وخطأ في التدبير وإطماع للغلمان.»

فأمره أن يتقدّم إلى نصر بإطلاقهما ويعرف الغلمان أنّ الأمر يجري فيما راسلوه على محبتهم فتقدم مفلح وقال:

- «لينصرف الوزير.»

١. في مط: انصرف، بدل «إنّ صرف».

فأذن نصر للوزير وابنه في الإنصراف [218] فقام^(١) ابن الفرات في الممرات كالمهزول حتى وصل إلى طيَّاره وكذلك ابنه المحسن. فلما وصلا إلى دار الوزير دخل إليه المحسن فسارَه سراراً طويلاً ثم خرج من عنده وانصرف إلى منزله وجلس فيه ساعة وتقدّم بما أراد ثم خرج فاستتر. وجلس أبوه غير مكترث ينظر في العمل وبين يديه وجوه الكتاب وانصرفوا آخر النهار وقد تشكَّكوا فيما بلغهم من صورة الأمر لما رأوه من نشاطه وانبساطه وجريه على رسمه في الحديث والأنس والأمر والنهي. وتحذت بعض خواصّه قال: سمعته يقول في آخر الليل وهو في مرقده يتمثل بهذا البيت:

وَأَصْبَحَ لَا يَدْرِي وَإِنْ كَانَ حَازِماً أَلَدَامُهُ خَيْرٌ لَهُ أَمْ وَرَاؤُهُ^(٢)

فدلّ ذلك على سهره وتفكره في أمره، وجلس من الغد ينظر في أمره. قال أبو القاسم ابن زنجي: فبينما هو كذلك إذ وردت رقعة لطيفة مختومة فقرأها فما عرفت ممّن هي في الوقت ثم عرفت أنّها كانت من مفلح. ثم وردت رقعة أخرى من رجل يجري مجرى الجند كان ملازماً لدار السلطان. فلما قرأها أمسك [219] قليلاً ثم دعا يحيى قهرمانه فأسرّ إليه بشيء وانصرف. ثم صرف الناس وواعدهم البكور ونهض ابن الفرات عن مجلسه إلى دور حُرْمه وتفرّق الناس.

فلما صرت إلى الرّوشن ذكرت شغلاً علىّ كان شغلني به فانصرفت وجلست لذلك، فإذا بنازوك قد دخل عليه سيفه ويده دبّوس وإذا بيليق

١. في مط: مقام.

٢. في مط: أو مراؤه.

يتلوه وهما بخلاف ما أعهدهما^(١) من الإنبساط ومع كل واحد منهما نحو خمسة عشر غلاماً بسلاح. فلما لم يجدوه في مجلسه دخلوا إلى دار حُرْمه فأخرجوه منها حاسراً وأجلس في طيَّار وحُمِل إلى دار نازوك وقُبِض معه على ابنه الفضل والحسين ومن وُجد من كتَّابه.

ومضى نازوك^(٢) ويلقى إلى مونس المظفر وعرفاه الخبر وكان قد خرج إلى باب الشَّعْاسِيَّة وأظهر أنه خرج للنزهة، فانحدر معه هلال بن بدر وجماعة من قَوَّاده وذهب يلقي إلى دار نازوك وأخرج ابن الفرات من هناك مع ولديه وأسبابه وأخرج نازوك من داره رداء قصيب وطرحه على رأسه لأنه كان حاسراً. فلما رأى ابن الفرات مونساً أظهر الإستبشار [220] بحصوله في يده فأجلسه معه في الطيَّار وخاطبه بجميل مع عتاب وتذلل ابن الفرات وخاطبه بالأستاذية فقال له مونس:

- «الساعة تخاطبني بالأستاذية وبالأُمس تخرجني على سبيل النفي إلى الرقة والمطر يصب على رأسي ثم تذكر لمولانا أمير المؤمنين أني أسعى في فساد مملكته!»

وانحدر به إلى دار السلطان وتقدَّم بحمل ولديه وكتَّابه إليها وتسليمهم إلى نصر. فتكاثر العامة على ابن الفرات ومعهم أسباب المنكوبين يدعون عليه ويضجون واجتهد مونس في دفعهم فما قدر على ذلك ورجموا طيَّار مونس لمكان ابن الفرات فيه وصاحوا:

- «قد قبض على القرمطي الكبير وبقي القرمطي الصغير.»

ولما وصلوا إلى باب الخاصة صعد جمع عظيم من السُميريَّات لرجم ابن الفرات وولديه وكتَّابه بالآجر حتَّى حوربوا واحتيج إلى رميهم بالسهام وجرح

١. في مط: أعهدهما.

٢. في مط: باروك.

بعضهم فأنصرفوا وتسلمهم نصر.

فكانت مدة ابن الفرات في هذه الوزارة الثالثة عشرة أشهر وثمانية عشر يوماً.

تسليم ابن الفرات إلى شفيح اللؤلؤى

ثم اجتمع وجوه القواد إلى دار السلطان وأقاموا [221] على أن ابن الفرات إن حُبس^(١) في دار الخلافة خرجوا بأسرهم إلى المصلّى وأسرفوا في التهذّب. فدعا المقتدر مونساً ونصراً وشاورهما فأشارا بتسكين القواد وبأن يُخرج ابن الفرات ويُسلم إلى شفيح اللؤلؤى ويُعتقل عنده. فاستُحضر شفيح وسُلم إليه.

ذكر توصّل أبى القاسم عبد الله بن محمّد

بن عبيد الله الخاقاني إلى الوزارة

كان أبو القاسم عبد الله بن محمّد الخاقاني استتر في أيام وزارة ابن الفرات الثالثة وأبوه أبو عليّ شديد العلة وقد أسنّ وتغيّر فهمه^(٢) ولمّا اضطرب أمر ابن الفرات عندما جرى على الحاجّ ما جرى، سعى عليه أبو القاسم الخاقاني وعليّ ابنه المحسن وعمل لهما عملاً وسعى له في ذلك نصر الحاجب وتعلّق القهرمانه وغيرهما^(٣). وكان مونس أشار بأبى القاسم الخاقاني قبل ذلك.

فقال المقتدر :

«أبوه خرّب الدنيا وهو شرّ من أبيه ولكن نقلد الحسين بن أحمد

١. في الأصل ومط: جلس. انظر صلة عريب: ١٢٠.

٢. في مط: ويغرفهم، بدل «وتغيّر فهمه».

٣. كذا في الأصل ومط ومد: وغيرهما، ولعله: وغيرها.

المادراني.

فعرّفه مونس أنّه قد نفذ إلى مصر وأنّ استحضاره يبعد. ثمّ ساعده نصر وابن الخال [222] في ذلك، ثمّ استحضره المقتدر وشافهه بتقليده الوزارة والدواوين وخلع عليه وركب معه مونس المظفر وهارون بن غريب إلى داره.

ذكر ما جرى عليه أمر ابن الفرات وأسبابه

بعد تقلّد أبي القاسم الخاقاني الوزارة

ذكر أبو الحسن أنّه سلّم إلى شفيع كما ذكرنا فراسله شفيع على يد المعروف بالجمل كاتبه، فيما يبذله من المصادرة عن نفسه ليسلم من أعدائه ومن تسليمه إلى الخاقاني وأبي العباس ابن^(١) بعد شرّ وهو كاتب الخاقاني فأجابه ابن الفرات بأنّه لا يفعل أو يثق من المقتدر بالله في حفظ نفسه من تسليمه إلى أحد من هذه الطبقة. وقال للكاتب الملقّب بالجمل:

«قل لصاحبك إنّني قد خلّفت في يد هارون الجهبذ وابنه مائة ونيّفاً وستين ألف دينار حاصلة قبيلهما من المصادرين ليعرف الخليفة ذلك ويتقدّم بحملها إلى بيت مال الخاصّة من وقته هذا حتّى لا يوهمه الخاقاني أنّه هو استخرجه ثمّ يصرفه في النفقات التي سبيلها أن ينفق من بيت مال العامّة.»

فركب شفيع للوقت وأنهى ذلك إلى المقتدر [223] فوجّه إلى الجهبذين وكانا في دار الخاقاني لم يكلمهما بعد لتشاغله بالتهنئة فأحضرا واعترفا بالمال وحملاه وصحّحاه في بيت مال الخاصّة.

وتقدّم المقتدر إلى نصر الحاجب بتسليم أولاد ابن الفرات وكتّابه وأسبابه إلى الخاقاني، فسلمهم إليه وأخذ خطّه بتسلمهم وسلمهم الخاقاني إلى أبي

١. ابن: ساقطة في مط. وأقيت في مد أيضاً.

العبّاس ابن بعد شرّ فقيدهم وأجلسهم على الأرض في الحرّ الشديد ثم أخذ خطّ كلّ واحد من ولدى ابن الفرات بمائة ألف دينار وخطّ سعيد بن إبراهيم بمائتى ألف وخطّ أبى غانم كاتب المحسن بمائتى ألف دينار، ووقع النداء على المحسن وهشام وابنى فرجويه والتهديد لمن وجدوا عنده بعد النداء بالنهب وإحراق المنازل وضرب ألف سوط. وواقف أبو الحسن شفيعاً على أن يضمن عنده مالا إن رُدّ إلى دار السلطان ولم يُسلم إلى أحد.

فذهب شفيع فخطب في ذلك المقتدر فقال له المقتدر :

- «إنّ مونساً ونصراً وهارون بن غريب قد أجمعوا^(١) على أنّه لا يمشى للخاقانى أمر إلّا بتسليم ابن الفرات إليه وضمن أن يستخرج منه ومن ابنه وأسبابه [224] ألفى ألف دينار.

فانصرف شفيع ووجّه إلى ابن الفرات بكاتبه يشرح الصورة له.

كلام لابن الفرات فى وزارة الخاقانى

فقال هذا الكاتب وهو الملقّب بالجمّل : كنت أدخل إلى ابن الفرات فى كلّ يوم لتفقّد أحواله. فكنت أجده أقوى الناس نفساً وأصبرهم على نوائب الدهر. قال :

ولقد سألتني : عمّن تقلّد الوزارة؟

فعرّفته أنّه أبو القاسم بن أبى على الخاقانى.

فقال : «السلطان نُكَب وما نكبت أنا.»

وسألني : «عمّن تقلّد الديوان - يعنى ديوان السواد، فقلت :

- «محمّد بن جعفر بن حفص.»

١. كذا فى الأصل ومط: أجمعوا. فى مد: اجتمعوا.

فقال : «رُمى بحجره^(١)».

وسألني : عمّن تقلّد باقى الدواوين .

فعرّفته أنّهم يحيى بن نعيم المالكي ومحمّد بن يعقوب المصرى وإسحاق بن علىّ القنّاي . فقال :

« لقد أيد الله هذا الوزير بالكفاة . »

مناظرة ابن الفرات لاستخراج ماله

وكان المناظر لابن الفرات ابن بعد شر فرفق به فوعده أن يتذكّر ودائعـه ويعرّفه إياها فعاوده بالرفق فأقرّ أن له عند التجّار مائة وخمسين ألف دينار . وكان المقتدر رسم أن يكون مال مصادرة ابن الفرات وحده يحصل فى بيت مال الخاصّة ومال مصادرة أسبابه فى بيت مال العامّة .

ولمّا [225] استخرج ما ذكره ابن الفرات من التجّار أعاد ابن بعد شر مطالبة ابن الفرات ، فذكر أنّه لم يبق له مال فأوقع به مكروهاً يسيراً ، ولم يكن ابن الفرات ممّن يستجيب بالمكروه فتقاعد وامتنع دفعة واحدة من أداء شىء .

فمضى هارون بن غريب إلى المقتدر وعرّفه أن الخاقانى جنى على السلطان بتسليمه ابن الفرات إلى ابن بعد شر وأنّه كان ينبغي أن يرفق به ويداريه ، فإنّه ممّن لا يستجيب بالمكروه . فتقدّم المقتدر إلى الخاقانى بأن تكون مناظرة ابن الفرات بحضرة هارون بن غريب وأن يرفق به . وكان ابن بعد شر قد ضيق على ابن الفرات فى مطعمه ومشربه حتّى أنّه أدخل إليه خبز خُشكار^(٢) وقتّاء وماء الهواء ، فوجّه إليه بطعام واسع وشراب وثلج كثير

١. كذا فى الأصل ومط : رُمى بحجره . فى مد : بحجره رُمى (بالنقديم والتأخير) .

٢. فى الأصل : خُشكار . وفى مط ومد : خشكار . وهى فارسية . خبز من دقيق غير منخول .

وفاكهة واعتذر إليه عما جرى وحلف أنه لم يعلم بما عومل به.
ثم إن الخاقاني راسله على يد خاقان بن أحمد بن يحيى برفق ومدارة
بأن يقر بماله ولا يلاج السلطان فليس ذلك بمحمود. فأجابه بأن قال:
- «قل للوزير لست حدثاً غزراً فتحتال عليّ في المناظرة، ولست [226]
أقول إنّي لا أقدر على المال ولكن إذا وثقت لنفسى بالحياة فديتها بالمال.
وإنما أثق بذلك إذا كتب أمير المؤمنين بخطه لي أماناً وشهد الوزير والقضاة
بخطوطهم ويكتب لي الوزير أيده الله أماناً بخطه ويسلمني إلى أحد رجلين:
إما مونس المظفر وإن كان عدوى وإما شفيع اللؤلؤي فإن لم يفعل ذلك فقد
وطئت^(١) نفسي على التلف.»
فوجه إليه الخاقاني:

- «بأنّي لو قدرت على التوثق لك لتوثقت، ولكن إن تكلمت في هذا
المعنى عاداني خواص الدولة لأجلك، ثم لم تنتفع أنت بذلك وقد ردّ الخليفة
أمرك إلى هارون بن غريب.»

فتواعدوا إلى دار الخاقاني بالمُخَرَّم واستحضر ابن الفرات وناظره ابن
بعد شرّ بحضرته فتماتن ابن الفرات. فبدأ ابن بعد شرّ يُسمعه المكروه فأنكره
هارون وزبره^(٢) وقال:

- «بهذا تريد أن تستخرج مال ابن الفرات؟»

وأقبل هو على ابن الفرات وداراه وخاطبه بجميل وقال له:

- «أنت أعرف بالأمور من كلّ من يخاطبك والخلفاء لا يلاجهم وزراؤهم

إذا سخطوا عليهم.»

فقال له ابن الفرات:

١. كذا في الأصل ومط: وطئت. في مد: وطئت.

٢. زبره: منعّه.

- «أُشِرَ عَلَى أَيُّهَا الْأَمِيرُ فَإِنْ مِنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِي عَزَبَ عَنْهُ الرَّأْيُ.» فلم يزل معه في مناظرات إلى أن أخذ [227] خطّه بمصادرة أَلْفَيْ دينار على أن يعجّل منها الربع وعلى أن يُحتسب له من الربع بما أَدَّاه وما أُخِذَ بعد ذلك ممّا لعلّه اسْتُخْرِجَ من ودائعِهِ بغير إقرار منه ويطلق له بيع أملاكه وما يستبيع من ضياعه وأمتعته ويُنقل إلى دار شفيح اللؤلؤى أو غيره من ثقات السلطان ويطلق الكلوذاني ليتصرّف في جمع أمواله ويُطلق له الدواة ليكتب من يرى مكاتبتَه فأخذ هارون بن غريب خطّه بجميع ما كتب به وحمله إلى المقتدر بالله.

ذكر اتفاق سيّئ اتفق على المحسن

حتى ظفّر به وصودر وقتل

كان المحسن استتر عند حماته حِزَابَةٌ وهى حماتُه ووالدة الفضل بن جعفر بن الفرات فكانت تحمله كلّ يوم، بكرة إلى المقابر فى زىّ النساء وتردّه إلى المنازل التى يثق بها بالليل.

فمضت به يوماً إلى مقابر قريش فى زىّ النساء على رسمه وأمست فبعد عنها الطريق إلى الكرخ فوصفت لها امرأة كانت معها منزل امرأة تثق بها ليس معها رجل لأنّ زوجها مات منذ سنة، فصارت حِزَابَةً^(١) مع النسوة والمحسن [228] إلى هناك فقالت لصاحبة الدار:

- «إنّ معنا امرأة لم تتزوّج بعد، وقد عادت من ماتم وضافت عليها^(٢) فأفردى لها بيتاً.»

١. فى مط: جبرانه.

٢. كذا فى الأصل ومط ومد.

فأفردت لها^(١) بيتاً في صُفَّة وأدخلت إليه المحسن ثم ردت عليه الباب وجلس النسوة مع المحسن في البيت. فجاءت جارية سوداء بسراج معها فوضعت في الصُفَّة وأدخلت حنزابة إلى المحسن بسويق وسكر وكان المحسن قد نزع ثيابه فاطلعت الجارية السوداء من حيث لا يشعر المحسن ولا حنزابة في البيت، وعلمت أنه رجل، فانصرفت وأخبرت مولاتها.

فلما جنّ الليل جاءت مولاتها وطالعت البيت فرأت المحسن وكان ذلك من نحس المحسن وخذلان الله إياه، لأنّ تلك المرأة كانت زوجة لمحمد بن نصر وكيل عليّ بن عيسى وكان المحسن طلبه فأدخل إلى ديوانه فرأى ما يلحق الناس من المكاره بحضرة المحسن فمات من الفزع فجأة من غير أن يكلمه المحسن.

فمضت المرأة في الوقت إلى دار السلطان حتّى وصلت إلى دار نصر الحاجب أوشرحت له الصورة فأنهاي نصر الحاجب الخبر إلى المقتدر بالله، فتقدّم بالبعثة إلى نازوك ليركب إلى الموضع ويقبض على المحسن.

فركب [229] نازوك من وقته إلى الموضع وكبسه وقبض على المحسن، وضربت الدبادب لذلك نصف الليل عند الظفر به حتّى ارتاع الناس ببغداد وظنّوا أنّ القرمطي قد كبس بغداد.

وحمل المحسن إلى دار الوزارة بالمخرم وتسلمه ابن بعد شر [وجزّعه]^(٢) في وقته مكروهاً عظيماً وأخذ خطّه بثلاثة آلاف ألف دينار. وحضر هارون بن غريب دار المخرم وناظر المحسن فوعده أن يتذكّر ودائعته ويقرّ بها ولحقه في يومين متواليين مكروه عظيم فلم يذعن بدرهم واحد وقال:

- «ليس يجمع بين نفسي ومالي.»

١. التأنيث بناءً على أنّ المحسن امرأة.

٢. زيادة من مط.

وحضر بعد ذلك هارون بن غريب ومعه شفيح اللؤلؤى وأحضر المحسن والكتاب وابن بعد شرّ وناظر المحسن وأوقع به مكروهاً عظيماً وقال له :
 - «هيك لا تقدر أن تؤدّي المال الذى أخذ خطك به^(١) لا تقدر أن تؤدّي
 مائة ألف دينار.»

فقال له :

- «بلى إذا أمهلت وزال عني المكروه.»

فقال له :

- «نحن نمهلك فاكتب خطك بمائة ألف دينار.»

وكتب^(٢) بذلك خطه وأنه يؤديها فى مدّة ثلاثين يوماً.

فلما قرأ هارون بن غريب الرقعة قال :

- «كأنك ترجو أن تعيش ثلاثين يوماً.»

فخضع له المحسن وقال له : [230]

- «أفعل ما يأمر به الأمير.»

قال : «أكتب بأنك تؤديها فى مدّة سبعة أيام.»

فارتجع الرقعة ليكتب بدلها. فلما حصلت فى يده مضغها وبلعها وامتنع أن يكتب غيرها. فقيّد وغلّ وألبس جبّة صوف وضرب على رأسه بالدبابيس على أن يكتب ما كان كتبه فلم يكتب. فأعيد إلى محبسه وعُذّب فيه بأنواع العذاب فلم يذعن بدرهم واحد.

الخاقانى يناظر ابن الفرات

فلما كان بعد ذلك حضر الأستاذ مونس ونصر الحاجب والقضاة والكتاب

١. فى مط : ولا تدر ، بزيادة الواو .

٢. كذا فى الأصل ومط : وكتب . وفى مد : وثبت .

مجلس الوزير الخاقاني وأحضر أبو الحسن ابن الفرات وناظره الخاقاني ولم يكن الخاقاني من رجاله، فكاد أبو الحسن ابن الفرات أن يأكله فكان فيما قال له :

- «إِنَّكَ استغللت ضياعك في مدّة أحد عشر شهراً ألف ألف دينار.»

فقال : «قد كانت هذه الضياع في يد عليّ بن عيسى عشر سنين أيّام وزارته وأيّام وزارة حامد بن العباس وما ارتفع له منها إلا أربعمئة ألف دينار فقد ادّعت لي^(١) المعجزات.»

فقال له :

- «أضفت حقوق ضياع السلطان إلى ضياعك.»

فقال : «الدواوين لا يمكن أن يُكتم ما فيها فتتظر في ارتفاع النواحي السلطانية في أيّام نظري فيها وفي ارتفاعها أيّام عليّ بن عيسى ووزارة [231] حامد بن العباس ووزارة أبيك التي دبرتها أنت حتّى تعلم هل زادت ارتفاع ضياع السلطان في أيّامي أم نقصت.»

ونوظر فيمن قُتل وشُنع عليه بهم فقال :

- «ليس يخلو من ذلك من أحد أمرين: إمّا أن يقال إنّي أنا قتلتهم فلم أغب عن الحضرة والقتل لا ينسب إليّ والمدعى قتله بالبعد منها، وإمّا أن يقال كتبت خطّك بقتلهم وهؤلاء أصحاب معاون وثقات السلطان وعمّال الخراج ووجوه متصرّف في عمّال السلطان قد حكّمهم على نفسي.»

فقال له :

- «قد قتلهم ابنك.»

فقال : «أنا غير ابني وأنتم تناظروني.»

١. في مط: في المعجزات.

فقال له ابن بعد الشر^(١) :

- «إذا قتل ابنك الناس فأنت قتلتهم.»

فقال له ابن الفرات :

- «هذا غير ما حكم الله ورسوله، فإنه عز وجل يقول : ولا تزرز وازرة^(٢) ويزر أخرى^(٣). وقال النبي عليه السلام لرجل من أصحابه : أهذا ابنك ؟ فقال : نعم. قال : أما إنه لا يجنى عليك ولا تجنى عليه، ومع هذا فهو في أيديكم سلوه فإن وجب عليه قود بادعاء قتل^(٤) في موضع ناء عنه يقال فيه إن غيره تولى قتله فالحكم في هذا معروف.»

فتحير القوم في الجواب.

فقال عثمان بن سعيد صاحب ديوان الجيش لنصر الحاجب :

- «إن رأى الحاجب أن يقول له حيث كنت تقول لمن تطالبه : إن أدبت وإلا سلّمتك [232] إلى المحسن، أكنت تسلمه ليسقيه^(٥) السويق والسكر أو ليعذبه ؟ ومن أطلق التعذيب فقد أطلق القتل، لأن الإنسان قد يتلف بمقرعة واحدة يضرب بها فضلاً عن غيرها.»

فخاطبه نصر بذلك فقال في الجواب :

- «إن الخليفة أطال الله بقاءه ولّى المحسن وأنا إذ ذاك محبوس وهو مطلق فضمن ما ضمنه وجرى ذلك على يد مفلح وتوسطه جماعة من ثقات السلطان. ثم لما تقلدت الأمر كنت أحب الرفق بالناس وإذا ناظرتهم ورفقت بهم لم يذعنوا بما يلزمهم فإذا أقاموا على الإمتناع سلّمتهم إلى من نصبه

١. بعد الشر : كذا في الأصل. بعد الشر. وفي مط : بعد شر. كما هو في سائر المواضع.

٢. الأنعام : ١٦٤، ١٧ الإسراء : ١٥، ٣٥ فاطر : ١٨، ٣٩ الزمر : ٧، ٥٣ النجم : ٣٨.

٣. في الأصل : قيل. وفي مط : قبل، وكلاهما خطأ.

٤. في مط : ليسفه.

السلطان وأمر بتسليمهم إليه.»

فقال له مونس :

- «كأنك تحيل على الخليفة في قتل الناس فإنّ الخليفة قال : ما أمرت بقتل أحد سوى ابن الحواري فقط.»

ثمّ أقبل نصر عليه فقال له :

- «معى رسالة من الخليفة إليك فتسمعها وتجيّب عنها.»

قال : «وما هي ؟»

قال : «يقول : سلّمت إليك قوماً بمال ضمنته لى وأريد منك أحد أمرين : إمّا وفيتنى المال أو رددت علىّ القوم.»

فقال ابن الفرات :

- «أمّا المال فقد صحّ فى بيت المال، وأمّا الرجال فما ضمننت أرواحهم ولا بقاءهم وقد تلفوا حتف آنافهم.»

فقال له مونس المظفر :

- «هب^(١) أنّ لك فى كلّ شىءٍ عذراً وحجّة، أىّ عذر [233] لك فى إخراجى إلى الرقّة حتّى كأتى من العمّال المصادرين أو من أعداء دولة أمير المؤمنين ؟»

قال : «أنا أخرجتك ؟»

قال : «فمن أخرجنى ؟»

قال : «مولاك^(٢) أمرنى بإخراجك.»

قال : «مولاي لم يأمر بذلك.»

قال : «معى حجّة بخطّه كتب إلى رقعة احتفظت بها لأنّها بخطّه يشكو

١. فى مط : هب لك أنّ لك.

٢. كذا فى الأصل ومط : مولاك. وفى مد : مولانا.

فيها أفعالك وقتاً بعد وقت وفتحك البلدان بالموئن الغليظة ثم إغلاقك إيّاها بسوء تدبيرك وآثارك القبيحة.»

قال: «وأين الرقعة؟»

قال: «في أيديكم في جملة المهمّات التي أمرت بحفظها في السفط الخيزران المكتوب عليه بخطّي بالتحفّظ به من المهمّات وفيها الأمر بإخراجك إلى الرقّة والتوكيل^(١) بك حتّى تخرج.»

فأمر الخاقاني بإحضار السفط فوجده مختوماً بخاتم ابن الفرات ووجد فيه الرقعة بعينها وفيها جميع ما ذكر ابن الفرات بخطّ المقتدر فأخذها. ومضى مونس من وقته إلى المقتدر حتّى لقيه وأقرأه الرقعة فاغتاظ المقتدر على ابن الفرات غيظاً شديداً، فأمر هارون بضربه بالسوط. فمضى هارون حتّى ضرب ابن الفرات بين الهنبازين خمس درر فقط وقال له:

«يا هذا أذعن بمالك.»

فأعطى خطّه بعشرين ألف دينار وقال:

«هذا مالي.»

ثمّ أخرج المحسّن [234] في الوقت فضربه ضرب التلف، فلم يذعن بشيءٍ بتّة.

فصار هارون بن غريب إلى المقتدر بالله واستعفى من مناظرة ابن الفرات وابنه وقال:

«هؤلاء قوم ليس في عزمهم أن يؤدّوا شيئاً البتّة وقد استقتلوا.»

فأمر بتسليمهما إلى نازوك وبسط المكره عليهما فأوقع نازوك بالمحسّن أنواع المكاره حتّى تدوّد بدنه ولم يبق فيه فضل لمكرهه. وضرب أبا الحسن

١. في مط: التوكّل.

ابن الفرات ثلاث دفعات بالقلوس^(١) فلم يذعن بدرهم واحد.
واستبطأ المقتدر بالله أبا القاسم الخاقاني الوزير وقال له :
- «ما رأيت شيئاً ممّا ضمنت من أموال ابن الفرات وابنه صحّ.»
فقال : «لأنّه لم يترك والتدبير.»

وإنّ ابن الفرات لمّا عدل به عن مناظرة الكتّاب وسُلم إلى أصحاب
السيوف يش من الحياة فضنّ^(٢) بالمال ونظر إليه ابنه فاقتدى به.
وقال نازوك للمقتدر :

- «قد انتهيت بهؤلاء القوم من المكاره إلى الغاية حتّى إنّ المحسن مع
ترفه^(٣) قد تدوّد بدنه وصبر بعد ذلك على مكاره عظام لم يُسمع بمثلها وقد
مضت له الآن أيام لم يطعم طعاماً وإنّما يشرب الماء شرباً يسيراً وهو في
أكثر أوقاته مغشّى عليه.»
فقال المقتدر بالله :

- «إذا كان الأمر كذلك فلا بدّ من حملهما إلى داري.»
فأظهر مونس [235] والجماعة :

- «إنّ الصواب في ذلك.»

وقال الخاقاني :

- «قد وفق الله^(٤) أمير المؤمنين.»

وخرجت الجماعة من حضرته.

فأسرّ الخاقاني إليهم وهم بعد مجتمعون في دار السلطان وقال :

١. في مط : بالقلوس. والقلس : حبل للسفينة ضخمة.

٢. في مط : نص. بدل «فضنّ» وهو تصحيف.

٣. في مط : ترفه.

٤. وزاد في مد : رأى.

- «إن حُمِل ابن الفرات إلى دار الخليفة بذل أسبابه^(١) عنه وعن ابنه الأموال، وإذا وثق مع ذلك بالخليفة وحصل في داره أخرج أمواله وتوثق لنفسه ولابنه، فإذا أمن على نفسه تَضَمَّن الجماعة وحمل الخليفة على تسليمها إليه ويطمعه في أن يوفر أرزاقها وإقطاعاتها وضياعها ويجمع له أموالاً جلييلة خطيرة. والوجه أن يقع التجمع من القواد واليمين على أنهم إن وقفوا على أن ابن الفرات وابنه حُمِلا إلى دار الخليفة^(٢) خلعوا الطاعة.» فقال مونس:

- «هذا شيء إن لم تفعله لم يصف لنا عيش.»

وتجرد لهذه الحال هارون بن غريب ونازوك فجمعا القواد ووجوه الغلمان الحجرية وكان يليق^(٣) يستحلفهم.

ذكر مقتل أبي الحسن ابن الفرات وابنه المحسن

ثم اجتمعوا بأسرهم إلى مونس ونصر وأظهروا ما في نفوسهم. فأشار مونس بأن يلتبس القواد نقل ابن الفرات وابنه إلى دار مونس فإن مات المحسن استبقى أبوه. فقال له [236] هارون بن غريب:

- «إذا مات المحسن لم يصلح أن يستبقى أبوه وكيف يوثق به وقد قُتل ابنه حتى يؤمن على الملك؟»

ثم كاشفوا المقتدر بالله وقالوا بأجمعهم:

- «إن لم يُقتل ابن الفرات وابنه خلع الأولياء بأسرهم الطاعة.»

١. في مط: اشابه، وهو تصحيف.

٢. في مد: دار الخليفة.

٣. في مط: يليق.

وواصل هارون بن غريب مخاطبة المقتدر في قتل هذين وقال :
 - «لست آمن أن يجتمع الأولياء على البيعة لبعض بني هاشم، ثم لا يتلافى الأمر.»

وأرادت الجماعة من الوزير الخاقاني التجريد في ذلك فقال :
 - «لست أدخل في سفك الدماء وإنما أشرت بآلا يُحملا إلى دار السلطان، فأما قتله فخطأ، لأنه ليس ينبغي أن يُسهل على الملوك ولا يُحسن لهم قتل أحد، فإنهم متى فعلوا ذلك خفّ عليهم قتل خواصهم حتى يأتوا عليهم بأدنى ذنب وخطيئ يكون منهم.»

فلما كان يوم الأحد لإثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر قُدم إلى ابن الفرات طعامه فأمر برفعه وقال :
 - «أنا صائم.»

وحضر وقت الإفطار فقُدم إليه لما حضر وقت الطعام فقال :
 - «لست أفطر الليلة.»

فحضر عنده من اجتهد به أن يفطر فقال :
 - «أنا مقتول في غد لا محالة.»

ف قيل له : [237]

- «أعبدك بالله.»

فقال : «بلى رأيت البارحة أخى أبا العباس رحمه الله في النوم وقال لي : أنت تفطر عندنا يوم الإثنين بعد غد وما قال قط في النوم^(١) شيئاً إلا صحَّ وغداً الإثنين وهو اليوم الذي قُتل فيه الحسين بن عليّ صلوات الله عليه^(٢).» فلما كان من الغد وهو يوم الإثنين انحدر الناس إلى دار الخليفة، فلم

١. في الأصل: اليوم. وفي مط: النوم، كما أثبتناه.

٢. في مط: رضى الله عنهما.

يصلوا^(١) فكتب هؤلاء الرؤساء بقتل ابن الفرات وابنه فأجابهم المقتدر أن:
- «دعوني أنظر في ذلك.»

فكتبوا إليه: أنه إن تأخر قتل ابن الفرات وابنه عن هذا اليوم جرى على المملكة ما لا يتلافى.

وكتب المقتدر إلى نازوك بأن يضرب أعناقهما ويحمل رؤوسهما إلى حضرته فقال نازوك:

- «هذا أمر عظيم لا يجوز أن أعمل فيه بتوقيع.»

فأمر المقتدر الأستاذين والخدم بالخروج إليه برسالته بإمضاء ما كتب به فخرجوا إليه بذلك فقال:

- «لا أعمل على رسالة ولا بد من مشافهة بذلك.»

وابن الفرات يراعى الخبر فلما قيل له إن الناس قد انصرفوا وإن نازوك انصرف إلى منزله سكن قليلاً ثم قيل له:
إن نازوك قد عاد إلى دار السلطان.

فاضطرب جداً وصار نازوك إلى دار الوزارة بعد الظهر من ذلك اليوم فجلس [238] في الحجرة التي كان ابن الفرات معتقلاً فيها ووجهه بعجيب خادمه ومعه السودان حتى ضرب عنق المحسن وصار برأسه إلى أبيه فوضعه بين يديه فارتاع لذلك ارتياحاً شديداً وعرض هو على السيف فقال لنازوك:
- «يا با منصور ليس إلا السيف؟ راجع أمير المؤمنين في أمرى فإن لي أموالاً عظيمة وودائع كثيرة وجواهر جليلة.»

فقال له نازوك:

- «قد جلّ الأمر عن هذا.»

وأمر به فضربت عنقه وحُمل رأسه ورأس ابنه إلى المقتدر بالله فأمر بتغريقهما، فغرقا في الفرات وغرقت الجثتان في التمارين^(١) ببغداد. وكانت سنّ أبي الحسن ابن الفرات رحمه الله يوم قُتل إحدى وسبعين سنة وشهوراً وسنّ ابنه المحسن ثلاثاً وثلاثين سنة.

حكم المنجم في ابن الفرات وابنه

وقد كان حكم العاصمي المنجم في تلك السنة أنّه يخاف فيها على ابن الفرات نكبة وتلفاً بالسيف وذكر ذلك في مولده الذي كان بين يديه، وحكم على مولد المحسن أنّ عمره ثلاث وثلاثون سنة، فصَحَّ حكمه.

إطلاق القرمطي الحاجّ الأسرى عنده

وفي هذه السنة ورد كتاب الفارقي من البصرة يذكر أنّ كتاب أبي الهيجاء ابن حمدان ورد عليه من هجر يذكر أنّه كلّم أبا طاهر القرمطي في أمر من استأسر من الحاجّ [239] وسأل إطلاقهم فوعده بهم وأنه أحصى من عنده منهم فكانوا من الرجال ألفين ومائتين وعشرين رجلاً ومن النساء نحو خمسمائة امرأة.

ثمّ وردت الأخبار بوصول قوم بعد قوم إلى أن كان آخر من ورد منهم أبو الهيجاء وأحمد بن بدر عمّ السيّدة. وقدم بقدم أبي الهيجاء رسول أبي طاهر القرمطي يستدعي الإفراج عن البصرة والأهواز ونواح آخر فأُنزل الرسول وأكرم وأقيمت له الأنزال الواسعة ثمّ صُرف ولم يقع إجابة إلى شيء ممّا التمس.

١. كذا في الأصل ومط: التمارين. في مد: الثمانين.

عدة حوادث

وفيها خُلع على نجح الطولوني ورُدَّ إلى إصبهان لولاية أعمال معاون بها.
 وفيها ورد رسول ملك الروم ومعه أبو عُمير ابن عبد الباقي ووصل إلى
 السلطان وأوصله معه هدايا والتمس الهدنة والفداء فأجيب إلى ذلك بعد الغزاة
 الصائفة وخُلع عليهما ورجع الرسول إلى بلد الروم.
 وفيها خُلع على جنّي الصفواني وكان ورد من ديار مُضر واستدعى
 معاربة أبي طاهر القرمطي.

قدوم سليمان وابن مقلّة

وعليّ بن عيسى إلى بغداد

وكان سليمان بن الحسن بن مخلد وأبو عليّ ابن مقلّة مبعدين بشيراز في
 يد أبي عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي. فذكر أبو عليّ أنّه كان مجتمعاً مع
 سليمان في دار [240] واحدة مصونين مكرمين، فورد عليه الخبر بالقبض
 على ابن الفرات، وكان أبو الحسن ابن أبي البغل معتقلاً في يد صارقه جعفر
 بن القاسم الكرخي. قال: فاطلعت الجماعة على الخبر وكان ابن أبي البغل
 قد وقف على ما كان رثمه ابن الفرات والمحسن في أمره فحين وقف على
 الخبر وقع في حاشية التقويم:

«وفي هذا اليوم وُلد محمّد بن أحمد بن يحيى وله إحدى وثمانين

سنة.»

ولمّا وقف الكرخي على الخبر أطلق أبا عليّ ابن مقلّة وسليمان بن
 الحسن وهنّأهما بالسلامة قبل أن يرد عليه كتاب بإطلاقهما، ثمّ ورد كتاب
 الخاقاني على المسمعي والكرخي بإطلاقهما ومراعاتهما حتّى لا يخرجوا من

شيراز فأقام سليمان مدة أسبوع حتى أحكم أمره.

ودعا المسمى جعفر بن القاسم الكرخي دعوة عظيمة وأقام على حال سرور^(١) يومين متواليين، فخفي عنهما الخبر في خروج سليمان وكان خرج في زى الفيوج. فلما كتبنا إلى الخاقاني بهرب سليمان عظم عليه واشتدت الأراجيف بوزارة سليمان ودخل سليمان بغداد مستتراً وأقام أبو علي ابن مقله بشيراز إلى أن توصلت زوجته إلى أسباب الخاقاني وعنى به شفيع المقتدرى وأمر الخاقاني بإطلاقه [241] والإذن له في المصير إلى الأهواز، وكتب له بإجراء مائتي دينار في كل شهر عليه ومنعه من الخروج، فأقام مدة ثم أذن له في قدوم بغداد بشفاعات الناس له^(٢).

وفيهما خاطب مونس المظفر الوزير الخاقاني في أمر علي بن عيسى وأن يكتب إلى أبي جعفر صاحب اليمن بالإذن له بالرجوع إلى مكة فكتب إليه بذلك فأذن له أبو جعفر وحمل إليه طيباً وكسوة وآلات نحو خمسين ألف دينار وعاد علي بن عيسى إلى مكة مع حاج اليمن.

فلما حصل بها قلده الخاقاني بمسألة مونس الإشراف على مصر والشام. وكتب علي بن عيسى لما وصل إلى مكة وقبل تقلده الإشراف على مصر والشام إلى الوزير الخاقاني كتاباً يهتئ فيه بالوزارة ويعزيه بأبي علي أبيه ويسأله صيانة أهله وولده والعناية بهم في ضيعته ومعيشتهم. فأجابه الخاقاني بجواب جميل وأنه قد رعى^(٣) حقه في أهله وولده وحاشيته غير معتد عليه ولا متحمّد به.

١. كذا في الأصل: سرور. وفي مط: مرور.

٢. في مط: إليه.

٣. كذا في الأصل ومط: يديه. وفي مد: بدنه.

ذكر الأسباب التي اتفقت على الخاقاني حتى صرف عن الوزارة

كان أبو العباس ابن الخصيبى وقف على مكان زوجة المحسن بنت حنزابه فسأل أن يولى النظر [242] فى أمرها واستخراج مالها. ففعل ذلك واستخرج منها سبعمائة ألف دينار وصححها فى بيت مال الخاصة. فتمهدت له بذلك حال جليلة عند المقتدر ورشحه للوزارة وبلغ ذلك الخاقاني فحمل ابن بعد شر على أن بذل خطه أنه يستخرج من الخصيبى^(١) مائة ألف دينار معجلة وصلت إليه من مال المحسن وزوجته زيادة على ما صححه من هذه الجهة.

وعرض الخاقاني الرقعة فلم تقع موقعها واتصل الخبر بأبى العباس الخصيبى فكتب إلى المقتدر رقعة يذكر فيها معائب الخاقاني وابنه وكتابه وضياع الأموال وفساد التدبير وسلمها إلى من يعرضها على المقتدر والسيدة. وبلغ ذلك الخاقاني واشتدت به الأراجيف وضعفت نفسه وكان عليلاً فزادت عليه حتى أقام شهوراً لا يقدر على أكل لحم حمل ولا طائر وكان يأكل كل يوم وزن أربعين درهماً خبزاً، ثم صار عشرين درهماً، وظهر به ورم فى يديه^(٢) ورجليه ووجهه وكان يتجلد ويركب فى كل شهر مرة أو مرتين إلى دار السلطان وينوب عنه ابنه فى أيام المواكب. فشغب الفرسان لطلب أرزاقهم وخرجوا إلى المصلّى فوعدوا به وتأخر عنهم [243] فعادوا وطمعوا فى النهب.

وأشرفت بغداد على فتنة عظيمة وخرج إليهم ياقوت بتوقيع المقتدر بالله

١. فى مط: الحصنى.

٢. كذا فى الأصل ومط: يديه. وفى مد: بدنه.

إلى الخاقاني بإطلاق رزقة تامة لهم وضمن ياقوت ذلك. فراسل المقتدر الوزير الخاقاني بإطلاق نفقاتهم، فذكر أنه لا يقدر على ذلك وكان عليلًا، فعاوده برسالة يأمره فيها أن يحتال في مائة ألف دينار ليضيف إليها مائتي ألف دينار ينفق فيهم. فأقام على أنه لا يقدر على احتيال مائة ألف درهم وأن له في توجيه مال النوبة للرجالة ومال الغلمان الحجرية والحشم وخلفاء الحجاب شغلًا طويلًا. فتقدم المقتدر بإخراج ثلاثمائة ألف دينار من بيت مال الخاصة واعتمد على ياقوت في تفرقتها.

وكان مونس المظفر بواسط فاستدعاه المقتدر لما شغب الفرسان فوافي^(١) وتلقاه الأمير أبو العباس والوزير الخاقاني ونصر وسائر الأستاذين والقواد ولقى المقتدر فعرفه ضيق الأموال وتبلىح الخاقاني وشاوره في صرفه، فأشار عليه بالتوقف ليلقاه ويواقفه. فلقيه مونس فعرفه الخاقاني أنه لا حيلة له في شيء يصرفه في المهم واحتج بأنه عليل لا فضل فيه للعمل.

فأشار مونس [244] لما رأى تبلىح الخاقاني الشديد باستحضار علي بن عيسى وتقليده الوزارة، فاستبعد المقتدر ذلك فأشارت السيدة والخالة بأبي العباس الخصيبى فقبض على الخاقاني واستتر ابنه عبد الوهاب وإسحاق بن علي القنای وأخوه وابن بعد شر وخاقان بن أحمد بن يحيى بن خاقان وظهر الباقون. مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی
فكانت مدة وزارته سنة واحدة وستة أشهر.

ذكر سبب وزارة أبي العباس الخصيبى

واستحضر المقتدر أبا العباس الخصيبى وهو أحمد بن عبيد الله يوم

الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان. فقلّده الوزارة والدواوين وخلع عليه وركب معه هارون بن غريب وياقوت ونازوك وأكثر القواد، واستكثبت ثمل القهرمانة مكانه على ديوان ضياع السيّدة أبا يوسف عبد الرحمن بن محمّد وكان قد تاب من عمل السلطان. فلمّا أسند إليه هذا العمل الجليل كسر التوبة فسّمّاه الناس المرتد، واستدرك أموالاً جلييلة كان الخصيبي أضاعها، فتنكرت ثمل للخصيبي في الباطن.

وكان أبو العباس الخصيبي يواصل شرب النبيذ بالليل والنوم [245] بالنهار في أيام وزارته كلّها، وإذا انتبه يكون مخموراً لا فضل فيه للعمل، فردّ فضّ الكتب الواردة من عمّال الخراج والمعاون وقرائنها والتوقيع عليها وإخراجها إلى الدواوين، وقراءة الكتب النافذة والتسليم عليها إلى مالك بن الوليد، ويعمل جوامع مختصرة للمهمّ ممّا يرد وينفذ فيعرضه عليه إذا انتبه فربّما قرأه وربّما لم يقرأه فيقرأه أبو الفرج إسرائيل ويوقع فيه على حسب رأيه.

وكانت الجوامع تعمل بخطّ أبي سعيد وهب بن إبراهيم بن طازاذ فستبقى أيّاماً بحضرته فإذا كثرت تقدّم بأن يقرأ عليه ويتقدّم بالتوقيع تحت كلّ فصل بما عنده فيه ويخرج ذلك الجامع إلى مالك بن الوليد فيبقى عنده يوماً أو يومين ثمّ يخرج إلى صاحب الديوان فيقرأه ويوقع تحته بما يراه ويُجاب عن الكتاب من الديوان بما ينفذ إلى صاحب الديوان فيقرأه ويعلم عليه وإلى أن ينفذ الجواب ما قد تمرّدت البثوق واتسعت^(١) الفتوق واحتملت الأعراب الغلّات وحدثت الحوادث المفسدة لمعنى ذلك الكتاب.

فلمّا رأى الكلوزاني ذلك ورأى الضرر يزيد والخطأ لا يتلافى كتب إلى العمّال بأن ينفذوا نسخة لما يكتبونها إلى الوزير إليه [246] فكانوا يكتبون

إليه نسخاً بما ينفذ منهم إلى الوزير فيوقع على ظهرها بما يجابون به وتخرج إليه الكتب المكتوبة عن الوزير بعد جمعة وأكثر.

وتقدم الوزير الخصيبى إلى الحسن بن ثوابة بأن يقرأ قصص المتظلمين ويوقع عنه فيها فى غير يوم المظالم ويجمع القصص فى يوم المظالم ويختصر ما فى الرقعة فإذا قرأها وقع بحسبه وكان أكثر اعتماده على أموال المصادرين. وكان أول المصادرين أبو القاسم الخاقانى واعتنق مونس أمره وذكر للمقتدر أنه لا فضل فيه للحركة^(١) وأنه قد قرّر أمر مصادرتة عن نفسه وابنه وكتابه المختصين به على مائتى ألف وخمسين ألف دينار. فأمضى المقتدر ذلك وأنفذ خطّه به إلى الخصيبى ووضع الخصيبى يده على العمال والكتاب وجازفهم^(٢) فيما صادرهم عليه، فصادر جعفر بن قاسم الكرخى على مائة وخمسين ألف دينار وقبض على المالكى وعلى هشام وعلى بن الحسين بن هندى وورثة أبى أحمد الكرخى والحسن بن أبى الحسن ابن الفرات ويحيى بن عمرويه وأبى الحسن بن مابنداذ وإسحاق بن إسماعيل النوبختى ومحمد بن يعقوب المصرى وورثة نصر بن الفتح صاحب بيت المال [247] وابن عبد الوهاب وعبد الله بن جبير.

وكثرت الأراجيف بالخصيبى وأنه مصروف عن الوزارة، لأنه حمار لا يحسن شيئاً غير المصادرات وهو مشغول بالشرب واللعب وأن الأمور كلّها ضائعة والمهمات واقفة، وأرجف بالوزارة لجماعة.

وفىها كانت وقعة أبى طاهر سليمان بن الحسن القرمطى بالكوفة وأسر قواد السلطان.

١. فى مط: لا فضل للحركة.

٢. فى مد: جاذمهم، خلافاً للأصل ومط.

ذكر الخبر عن دخول القرمطي الكوفة

كان جعفر بن ورقاء يتقلد أعمال الكوفة وطريق مكة. فلما شخص الحاج من بغداد تقدّمهم خوفاً من أبي طاهر القرمطي وكان معه ألف رجل من بني عمّه من بني شيبان، ثم خرج في القافلة الأولى ثمل صاحب البحر وفي قافلة الشمسة^(١) جنى الصفواني وطريف الشبكري وسياشير الديلمي. فكانت عدّة من بذرق بالقوافل من أصحاب السلطان ستة آلاف رجل^(٢). فتلقاهم أبو طاهر الجنابي وكان أول من لقي جعفر بن ورقاء فناوشه قليلاً، ثم طلع على جعفر قوم من أصحاب أبي طاهر على نجب يقودون خيلاً فنزلوا عن النجب وركبوا الخيل وخالطوا جعفر بن ورقاء فلم يثبت لهم وانهمز [248] بمن معه من بني شيبان فلقى القافلة وقد نزلوا من العقبة فردّهم وأخبرهم الخبر فولّوا مبادرين حتّى دخلوا الكوفة.

وتبع أبو طاهر رجال السلطان والقوافل حتّى بلغ باب الكوفة فخرج قوّاد السلطان الذين ذكرناهم، فأوقع بهم وهزمهم وأسر جنيّاً الصفواني، وأقام أبو طاهر بظاهر الكوفة ستة أيّام يدخل البلد بالنهار ويخرج بالليل فيبيت في معسكره ويحمل كلّ ما قدر على حمله. فكان في جملة ما حمل أربعة آلاف ثوب وشي وثلاثمائة راوية زيت. فلما حمل كلّ ما قدر عليه رحل إلى بلده.

ودخل جعفر بن ورقاء وجماعة المنهزمين إلى بغداد فتقدّم المقتدر بالله إلى مونس بالخروج إلى الكوفة لمحاربة القرمطي، واضطرب أهل بغداد اضطراباً شديداً وانتقل أكثر أهل الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي ودخل

١. وفي صلة عريب (ص ١١٩): وأسر مازج الخادم صاحب الشمسة... وأخذت القرامطة الشمسة.

٢. في مط: في ألف رجل، بدل «ستة آلاف رجل».

مونس الكوفة وقد رحل أبو طاهر الجنّابي عنها فاستخلف مونس بها ياقوتاً وسار هو إلى واسط ولم يتمّ الحجّ لأحد.

ودخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة [249]

وفيهما ورد الخبر بمسير^(١) عليّ بن عيسى إلى مكّة حاجّاً في هذه السنة من مصر وورد سلامة حاجب بغداد ومعه سفائح بمائة ألف وسبعة وأربعين ألف دينار وبآثار واستدراكات أثرها. وكان الخصيبى قد أقرّ عليّ بن عيسى على ما كان إليه من الإشراف على مصر والشام. وفيها فتح إبراهيم المسمعى ناحية القفص^(٢) وأسر منهم خمسة آلاف إنسان وحملهم إلى فارس.

وفى هذه السنة كثرت الأرطاب ببغداد حتّى عمل منها التمور وحُمِلت إلى البصرة فنُسبوا إلى البغى.

وفيهما كتب ملك الروم إلى أهل الثغور يرسم لهم أداء الخراج إليه ويقول: «إن فعلتم ذلك طائعين وإلا قصدتكم فقد صحّ عندى ضعفكم».

ودخلت سنة أربع عشرة وثلاثمائة

وفيهما دخل الروم ملطية فأخربوا وسبوا وأقاموا ستّة عشر يوماً. وفيها وصل ثمل إلى عمله من الثغور عند انصرافه من بغداد. وفيها مات أبو القاسم عبد الله بن محمّد الخاقاني وكان أُطلق إلى منزله. فلما ارتفعت الصرخة [250] بوفاته كُبست داره لطلب عبد الوهاب ابنه فلم

١. في الأصل: بمصير. في مط: بمصر. والأنسب والأصح: بمسير.

٢. القفص (= القفص): جبل بكرمان أهله كالاكراد. يصفه صاحب المراصد بقلة الرحمة والفساد في الأرض.

يُوجد.

وفيها دخل أهل ملطية بغداد مستغيثين ممّا نزل بهم من الروم.
 وفيها خرج أهل مكّة منها ونقلوا حرمهم وأموالهم لاتصال خبر القرمطي
 بهم وأنّه قريب منهم فتخوّفوا على أنفسهم وأموالهم منه.
 وكتب الكلّوذاني^(١) إلى الخصيبى بأنّ أبا طالب زيد بن عليّ النوبندجاني
 قد صار يجرى مجرى أصحاب الأطراف وأنّه قد تغلّب على ضياع السلطان
 وأنّه يلزمه ممّا استغلّه منها ثلاثة آلاف ألف درهم.
 وعمل بذلك عملاً أحال فيه على ما كان كتبه أبو القاسم عليّ بن أحمد
 بن بسطام وقت تقلّده فارس. وكتب إلى الحسن بن إسماعيل وكان شخص
 ليقرّر خلافاً كان بين المسمعى والكرخى بأن يصادره على مائة ألف دينار
 فاستدعى الحسن بن إسماعيل أبا طالب زيد بن عليّ وأخذ خطّه بمائة ألف
 دينار.

ذكر تدبير سيّ دبره الخصيبى أخرج به
 أكثر الممالك عن يده ولم يمكن تلافيه

دبر الوزير أبو العباس الخصيبى أن يقلّد يوسف بن ديوداذ جميع نواحي
 المشرق ليسلم أموالها إليه فيكون مع مال ضمانه أرمينية وأذربيجان مصروفة
 إلى قوّاده وجنده [251] وغلماناه، وكاتبه في المصير إلى واسط لينفذه إلى
 هجر لمحاربة أبي طاهر الجنّابي وأشار بتكنيته وبأن يكون مونس المظفر
 ببغداد ليقوى بمكانه أمر الخلافة وتعظم الهيبة في قلوب الأعداء.
 فلمّا قرب^(٢) ابن أبي الساج من واسط وكان فيها مونس المظفر رحل

١. في مط: الكلّوذاني.

٢. في مط: خرب.

مونس إلى بغداد ودخل ابن أبي الساج واسط وأنفذ قبل وصوله إليها أبا علي الحسن بن هارون كاتبه وكان يخدمه في خاص أمره على سبيل الخلافة لأبي عبد الله محمد بن خلف النيرمانى كاتبه واختص به وخف على قلبه، فصار إلى بغداد ليوافق الخصيبى على مال رجاله وأموال الأعمال التى كانت معقودة عليه والأموال التى جعل مالها مصروفاً إلى رجاله زيادة على الأموال المتقدم ذكرها، فإن الخصيبى جعل أموال الخراج والضياح بنواحي همذان وساونة ورونة وقم وماء البصرة وماء الكوفة والإيغارين^(١) وماسبذان ومهرجانتقذ لابن أبي الساج لمائدته لمحاربة الجنابى.

فأمضى المقتدر ذلك وتقدم بتقليده أعمال الصلاة والمعاون والخراج والضياح بسائر كور^(٢) الجبل وأنفذ إليه اللواء وكناه. فكان يوسف يستكنى [252] على جميع الناس إلا على الوزير ومونس المظفر.

والتمس الحسن بن هارون أن يجعل لابن أبي الساج مائدة مبلغها فى الشهر خمسة ألف دينار وقال :

« ليس هو بدون أحمد بن صعلوك. »

وكان قد جعلت له مائدة فى أيام وزارة حامد بن العباس مبلغها ثلاثة آلاف دينار فى الشهر وجعل له عشرة آلاف دينار فى كل شهرين من شهور الممالك لأرزاق غلمان لا يحضرون. وسام الكتاب الحسن بن هارون أن يشرط على نفسه أن ينفذ السلطان مُنفقاً أموال تلك النواحي فى رجاله غلمان^(٣)، فاستجاب إلى جميع ما طالبوه به وأعطى خطه إلا أمر المنفق^(٤)

١. الإيغاران: سُميا بذلك، لأنهما أوعرا ليعسى ومَقِيل، وهما: الكَرْج والبُرْج (مراسد الإطلاع).

٢. فى مط: كون.

٣. فى مد: رجاله وغلمان. وما أثبتناه مطابق لما فى الأصل ومط.

٤. كذا فى الأصل: أمر المنفق. فى مط: الأمر المنفق. وفى مد: إلا يأمر المنفق.

فأنه زعم أن صاحبه لا يصور نفسه عند أصحاب الأطراف بصورة من لم يوثق به على مال رجاله.

ولما عقد لابن أبي الساج على الجبل ونذب لمحاربة القرمطي عقد لصاحب خراسان على الرى فصار إلى الرى وأنفذ إليه من يخاطبه على المال الذي ووقف على حمله من الرى. وصار ابن أبي الساج إلى الرى وحمل إليه المقتدر خلعاً سلطانية وسيفاً ومنطقة ذهب وخيلاً بمراكب ذهب وفضة وطيباً وسلاحاً. [253]

ذكر الخبر عن القبض على الخصيبى

وتقليد على بن عيسى الوزارة

أضاق أبو العباس إضاقة شديدة واضطرب أمره وأشار مونس بعلى بن عيسى فأنفذ ضحوة نهار يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة إلى الخصيبى حتى قبض عليه وعلى ابنه وكتباه وحملوا إلى دار السلطان وحبسوا عند زيدان القهرمانه. وفُرق بين الخصيبى وبين ابنه وحمل باقى المعتقلين إلى دار الوزارة بالمخرّم فاعتقلوا فيها، وأنفذ نازوك وقت قبضه على الخصيبى حتى حُفظت داره القديمة من النهب.

واستدعى المقتدر أبا القاسم شبيب الله بن محمد الكلوزانى وأوصله إلى حضرته وعرفه أنه قد قلّد أبا الحسن على بن عيسى الوزارة وأنه قد استخلفه له ويقدم إليه بالنيابة عنه واستحضر سلامة الطولونى وتقدّم إليه بالنفوذ فى البريّة إلى دمشق واستحضر على بن عيسى منها.

وانصرف أبو القاسم الكلوزانى من دار السلطان فى الطيّار الذى قبض على الخصيبى إلى دار الوزارة بالمخرّم ونظر فى الأعمال وكتب إلى العمال فى النواحي وإلى جميع الأمراء وأصحاب البرد والخبر والقضاة بما قلّد على بن

عيسى من [254] الوزارة واستخلاف أمير المؤمنين إياه وأمر ونهى وصرف وولى.

وظهر فى ذلك اليوم أبو على ابن مقله وأبو الفتح الفضل بن جعفر ابن جنزابة وصارا إلى الكلوزانى وسلما عليه.

ذكر خلافة أبى القاسم الكلوزانى لعلى بن عيسى وتمشيته للأمور

قد كان جمع الخصيى عنده جميع رقاع المصادرين وكفالات من كفل منهم وضمانات العمال بما ضمنوا من المال بالسواد والأهواز وفارس والمغرب، وكان عنده خط كاتب المسمى عن مال فارس^(١) بما يعجله عن الزيادة فى ضمانه وهو ألف ألف درهم وخط سليمان بن الحسن بما استدركه على ابن^(٢) عبد الوهاب وهو أربعمئة ألف دينار وكسر، وما ضمن حملة عن أعمال الشام وهو خمسمئة ألف دينار، وخطوط ضمنا واسط والبصرة وطريق خراسان والنهروانات ونهر بوق والذئب الأسفل وجازر والمدينة العتيقة وغيرهم. فحفظ جميع ذلك الكلوزانى إلى أن قدم على بن عيسى فسلمه إليه.

وأدى نصير بن على إليه مائتى ألف درهم وأحمد بن إسحاق بن زريق عشرة آلاف دينار وورد بعد أسبوع من صرف الخصيى قبيح بكتب سليمان بن الحسن وفى درجها سفاتج [255] بثمانين ألف دينار. وورد ما كان حملة على بن عيسى على الظهر من مال مصر ووصل من جهة البرجمالى من قم عشرة آلاف دينار ووردت من جهة أبى على ابن رستم من مال الضمان

١. فى مط: على حال فارس. بدل «عن مال فارس».

٢. كذا فى الأصل ومط: ابن عبد الوهاب. فى مد: ابنى عبد الوهاب.

سفّاتج بأربعمائة ألف درهم فكان ذلك سبب تمشيته الأمور.
 واتفق الكلوزاني في سائر المرتزة وفي الفرسان قبل العيد ولم يزل أبو
 القاسم الكلوزاني يدبّر الأمور وقد تمكّنت الهيبة لعليّ بن عيسى في الصدور
 فاستعان بذلك على أمره.
 وسار عليّ بن عيسى من دمشق إلى جسر منبج^(١)، ثمّ انحدر في الفرات
 إلى بغداد وشخص الناس في استقباله سنة خمس عشرة، فمنهم من أبعده إلى
 الرقة.

ودخلت سنة خمس عشرة وثلاثمائة^(٢)

ذكر ما دبّره عليّ بن عيسى في وزارته هذه
 وما جرى في أيامه

وصل عليّ بن عيسى إلى بغداد وبدأ بدار المقتدر ووصل إلى حضرته بعد
 عشاء الآخرة ومعه مونس. فخاطبه أجمل خطاب وانصرف إلى منزله ووجّه
 المقتدر إليه في ليلته بكسوة فاخرة وفرش ومال يقال إنّ بقيمة عشرين ألف
 دينار، وخلع عليه [256] من الغد، وسار معه مونس المظفر إلى أن بلغ داره
 وحلف عليه عليّ بن عيسى فنزل في داره، وسار بين يديه هارون ابن
 غريب وشفيع ومفلح وتسيم وياقوت ونازوك وجميع القواد حتّى وصل إلى
 داره بباب البستان.

وكان قد ضرب عليّ بن عيسى على هشام فتأخّر عنه واستوحش فكاتبه
 ووئسه حتّى حضر مجلسه ثمّ قال له :

١. منبج: على وزن مسجد، بلد قديم كبير واسع بينه وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وإلى حلب عشرة
 فراسخ (مراصد الإطلاع).
 ٢. السطر ساقط في مط.

- «ما مذهبي أن أذكر إساءة لأحد من الناس ولما خلّصني الله من صنعاء وعدت إلى مكّة عاهدت الله على ترك الإساءة إلى أحد ممّن سعى عليّ في ولايتي ونكبتني ووكلت جميعهم إلى الله ولك خدمة متقدّمة توجب لك^(١) حقاً وعليك أضعافه فإن كنت لا ترعى ذلك فلن أدع رعايته.»
وقلّد عليّ بن عيسى الكلوزاني ديوان السواد وقال له :
- «هذا أجلّ الدواوين ومتى تشاغلّت بخلافتي اختلّ وليس يقوم به أحد كقيامك.»

ثمّ نظّم الأعمال^(٢) وقلّد العمّال ورّتب الدواوين واعتمد على إبراهيم بن أيّوب في إثبات أمر المال^(٣) بحضرته وفي موافقة صاحب بيت المال على ما يطلقه وينفقه في كلّ يوم ومطالبته بالروزنامجات [257] في كلّ اسبوع ليتعجّل معرفة ما حلّ وما قبض وما بقي. وكان الرسم إذا عملت الختمة لم يرفع إلى الديوان للشهر الأوّل إلّا في النصف من الثاني.

وقلّد أبا الفتح الفضل بن جعفر بن حنّابة ديوان المشرق، وأبا بكر محمّد بن جنى ديوان المغرب، وأبا عليّ ابن مقلّة ديوان الضياع الخاصة والمستحدّثة، وأبا محمّد الحسين بن أحمد المادرائي ديوان الضياع الفرائيّة، وأبا محمّد بن روح ديوان زمام الخراج والضياع العامّة بالسواد والأهواز وفارس وكرمان وما يجري فيه.

وقلّد أبا القاسم ابن النّفاط ديوان زمام النفقات والخزائن. وأبا جعفر القمّي ديوان الدار، وأبا أحمد عبد الوهّاب بن الحسن ديوان البرّ وديوان الصدقات، وأبا الفتح محمّد بن أحمد قلنسوة ديوان زمام الجيش، ومحمّد بن عيسى

١. في مط: ذلك، بدل «لك».

٢. في مط: الأموال.

٣. في مط: الحال.

ديوان الحرم، وأبا يوسف ديوان الفصّ والخاتم.
وقلّد أيضاً كفاة العمّال واقتصر في أرزاقهم على عشرة أشهر في كلّ سنة
وبأصحاب البرد والمنفقين على ثمانية أشهر في كلّ سنة. وحطّ من مال
الرجّالة يرسم النوبة ومن مال الفرسان وجميع أرزاق من كان يرتزق بهذين
الرسمين [258] من الكتاب والتجار ومن لا يحمل السلاح. وحطّ أولاد
المرتزقة الذين في المهود وحطّ من مال الخدم والحشم وجميع أرزاق
الجلساء والندماء والمغنيين والتجار وأصحاب الشفاعات، وحطّ أرزاق غلمان
وأسياب أصحاب الدواوين. ولازم النظر بنفسه في العمل ليلاً ونهاراً
والجلوس لأصحاب الدواوين في الليل وكان يسهر أكثر الليل حتّى استقامت
الأموال وتوازن الدخل والخرج.

وكان إلى أبي عبد الله البريدي في الوقت الضياع الخاصّة ضماناً واقطاع
الوزراء. وكان أبو يوسف البريدي يتولّى لعلّ بن عيسى الخراج بمرامهم
سهلها وجبلها.

شرح ما جرى بين الوزير أبي الحسن

علّ بن عيسى وبين أبي العباس

أحمد بن عبيد الله من المناظرة

تقدّم المقتدر إلى أبي الحسن علّ بن عيسى بمناظرة أبي العباس
الخصيّ. فأخرج إليه وناظره في دار السلطان بحضرة الأستاذين والقوّاد
والقضاة مناظرة جميلة وسأله عن مبلغ ما أنفق بالحضرة من بيت المال فلم
يحفظه. وسأله عمّا صحّ له من مال المصادرين وعن رقاعهم [259]
بالمصادرات وعن كفالات من كفل منهم وعن ضمانات ما ضمنه عنهم.
فقال :

- «أما المصادرات فقد صحّ لي منها في مدّة أربعة عشر شهراً تولّيت فيها الوزارة نحو ألف ألف دينار.»
فقال له :

- «كم منها من جهة الخاقاني فإنّ أمير المؤمنين عرّفني أنّك ضمنّتهم بخمسمائة ألف دينار.»

فقال : «دفع^(١) عنه مونس المظفر.»

فردّت الجماعة قوله وقالوا له :

- «قد سلّم إليك حتّى شُنع عليك بأنك سممته ثمّ أطلّفته.»
ثمّ قال له عليّ بن عيسى :

- «لأى شيء استحضرت يوسف بن أبي الساج إلى واسط وسلّمت إليه أعمال المشرق بأسرها سوى إصبهان وكيف وقع لك أنّه يجوز أن يخرج هو مع قوم اعتادوا الجبل والمقام فيه في طريق البرّ يقصدون طريق السواحل في بلدان حوالى^(٢) هَجَرَ؟»

قال : «كان عندي أنّ هذا صواب.»

فقال له :

- «فحيث فعلت ذلك لمّ لم تقتصر على أن تعرض^(٣) رجاله وغلماناه ويُجرى مال عسكره مجرى مال عسكر مونس المظفر، فأنّه يسبّب له مال ويطلق على أيدي منفيين من قبل السلطان ويُرفع الحساب بذلك إلى دواوين الجيش ولا يقتصرون على ديوان منها دون جميعها ولا يُزاد أحد [260] ولا يُنقل عنه من رسم إلى رسم إلّا على استقبال معروف ثمّ يُوفّر المعطون كلّ

١. في مط: أدفع، بدل «دفع» وهو خطأ ليس فريداً من مط.

٢. في مط: حوال.

٣. في مط: تعرض.

شهر من التوفيرات بسبب الغرم ولأجل سقوط من يسقط جملة من المال ولم
لم تترك الأعمال في أيدي عمال السلطان ويسبب له عليهم مال رجاله كما
يسبب مال رجال أبي الحسن مونس المظفر؟»

قال: «لم أفعل هذا لأنه تكلف من هذا الأمر عظيماً احتيج معه إلى فضل
مسامحة.»

فقال له:

- «فلأني سبب ضمنت إبراهيم بن عبد الله المسمعي أعمال فارس
وكرمان؟»

فقال: «لأجل زيادة بذلها.»

فقال له:

- «أما علمت أن حفظ الأصول أولى من طلب الأرباح؟ وهبك رغبت^(١)
في الزيادة لم لم تستدعه إلى الحضرة فإذا وردا وأردت تضمينه أقام بها
واستعمل على العمل خلفاءه وأقام لك الضمناء الثقات بالمال ومضى بعد
ذلك.»

فقال: «إنما رغب في الضمان ليعمله بنفسه.»

فقال علي بن عيسى:

- «أرجو أن يسلم الله.»

ثم قال:

- «لم قبضت جاري إبنك محمد ألفي دينار في كل شهر وهو لا يقرأ كتاباً
ولا يحضر ديواناً ولا يُحسن أن يعمل شيئاً؟»

قال: «سألت أمير المؤمنين له رزق المحسن وعبد الوهاب بن الخاقاني

١. في مط: رغبة، بدل «رغبت».

[261] فأجابني إليه .»

قال : «المحسن رُبِّي في الدواوين ودبر الأمور وكان مع شرّه واستحلاله وقبح ديانتِه كاتباً، وابن الخاقاني كان ينوب عن أبيه ويأمر وينهى ويخدم وهو فهم وابنك لا يجرى مجرى واحد منهما فاكتب خطك أنك تردّ ما قبضه .»

فقال : «كيف أردّ ما لا قبضه ابني وأنفقه ؟»
فقال له :

- «على أيّ شيء أنفقه ؟»

قال : «على ما ينفق مثله الأحداث .»

ثمّ سأله عن أموال المصادرين وما صحّ من جهتهم فقال :

- «لا أحفظه إلّا أنّه ثابت في ديوان المصادرين .»

قال : «فعنه أسألك .»

قال : «هو عند هشام وإن سئل عنه خبر به،^(١) فإنّ رقاع المصادرين والكفالات والأعمال في يده .»
فقال له :

- «ما سبقك أحد إلى تسليم خطوط المصادرين إلى صاحب ديوان المصادرات لأنّ سبيل الخطوط أن تكون في خزائن الوزراء محفوظة يتسلّمها وزير بعد وزير فإن كنت أردت عمارة الديوان فكان ينبغي أن تأخذ^(٢) الخطوط على نسختين : نسخة للديوان ونسخة تكون عندك، فلو باع صاحب الديوان رقاع المصادرين والكفالات وضمّانات الضمّناء هل كان على السلطان مضرة [262] في هذا المال أعظم منك، وإذا كان هذا تدبيرك

١. والعبارة في مط : وإن سأل عنه خبرته . بدل «وإن سئل عنه خبر به» .

٢. في مط : أن أخذ .

فيما لم تكن تحسن سواء فأى شيء دبّرت غيره من أعمال الدواوين؟ فإمّا أن تكون خُنت الأمانة وإمّا أن لم تحسن ضبط شيء من الأعمال؟» وكلّ ذلك يخاطبه به عن غير إسماع مكروه ولا صياح. ثمّ قال:

«غررت المملكة فُضرب النساء والحرم بالمقارع وهُتكت الستور بما فعلت من تسليمهنّ إلى الرجال فلائمة حال سلّمت بنت جعفر بن الفرات إلى أفلح وهو رجل شاب جميل الوجه يتصنّع حتّى تزوّج بها فى حبسك^(١) ولائمة حال ضربت دولة وإنها بحضرتك، ثمّ لم ترض بذلك حتّى اعتقلت الجماعة فى يد غلمانك وحجّابك عدّة شهور؟» ثمّ قال:

«ارتزقت لنفسك خمسة آلاف دينار فى الشهر يكون فى مدّة أربعة عشر شهراً سبعين ألف دينار سوى ما ارتزقه ابنك وأخذت من أقطاعك فى مدّة سنة وشهرين ما ثبت فى الختمات الموجودة لجهيزك^(٢) فى ديوانك مائة وثمانين ألف دينار يصير الجميع مائتين وخمسين ألف دينار.»

ثمّ أخرج عملاً بخطّ علىّ بن محمّد بن رّوح بهذا المبلغ وبأنّه أنفق فى كلّ شهر من النفقات الراتبية ألفى وخمسمائة دينار تكون فى أربعة عشر شهراً خمسة وثلاثين ألف دينار [263] وفى النفقات الحادثة والصّلات والمؤونة مع ثمن^(٣) الطيب والكسوة عشرين ألف دينار وفى ثمن عقارات أضافها إلى داره مع ما أنفقّه على البناء أربعين ألف دينار وفى ثمن الهدايا فى النوروز والمهرجان إلى الخليفة وإلى الأميرين أبى العباس وهارون ابنه وإلى السيدة

١. فى مط: جيشك، بدل «حبسك».

٢. والعبارة فى مط: ما ثبت فى الضمانات الموجودة لجندك.

٣. فى مط: الثمن الطيب.

والخالة وزيدان ومفلح خمسة وثلاثين ألف دينار. وفي ثمن بغال ودواب
وجمال وخدم وغلمان عشرة آلاف دينار.

وفيما يحتاج إلى إنفاقه وصرفه إلى من يرسم^(١) دار الوزارة من خلفاء
الحُجَّاب والبُوابين وأصحاب الرسائل وإنزال الفرسان والرجالة عشرين ألف
دينار.

فقال في الجواب :

- « هذا عمل صحيح وليس كل ما أنفقته كتبته فقد كنت أصوغ لحُرْمِي
وأولادي وأنفق نفقات أسترها عن كاتبِي وما سرقت ولا خُنتُ. »

فقال له عليّ بن عيسى :

- « ما يقول أحد أنك سرقت أو خُنت ولكنك أضعت وأسأت التدبير
ودخلت فيما لا تحسنه ولو أخذت أضعاف ما أخرجناه عليك لما ناظرك
أمير المؤمنين فيه لاسيما وهو منسوب إلى أرزاقك وإقطاعك ونفقات معروفة
لك، وكيف لناظرك في ذلك وما نعيش [264] ولا أحد من كتاب أمير
المؤمنين إلّا في نعمته وإحسانه ولنا ضياع استفدناها في خدمته وخدمة
أسلافه رضي الله عنهم. »

ولم يزل يرفق به إلى أن أخذ خطّه بأربعين ألف دينار يؤدّيها في مدّة
أربعين يوماً بعد أن حلف أنّه لا يتّجه له حيلة في غيرها، وسلّم عليّ بن
عيسى رقعته بها إلى مفلح وقال له :

- « تعرضها على أمير المؤمنين وتقول : إنّ هذا وإن كان قد غرّ^(٢) من
نفسه وأضاع وأهمّل فقد تحرّم بخدمة أمير المؤمنين وحلف بأيمان بيعته على
أنّه غاية ما يقدر عليه وليس له ذنب وإنما الذنب لمن غرّك منه ولم ينصحك

١. في مط : يرسم.

٢. في مط : غير من نفسه.

في أمره..»

ثم كتب رقعة إلى المقتدر بقبول ما بذله الخصيبى ويحمله إلى ثمل
القهرمانة إلى أن يؤدى ما فارق عليه.

ذكر ما دبّره على بن عيسى من الأمور

في وزارته هذه

لما نظر على بن عيسى في الأمور وجد أهم ما يحتاج إليه أمر الرّجالة
المصافيّة وكان مبلغ مالهم في أيّامه ثمانين ألف دينار ومال رجال مونس
المظفرّ وهو ستمائة ألف دينار في كلّ سنة سوى مال الرّجالة معه ومال
الحجريّة برسمه فأنه يطلق [265] مع أرزاق نظرائهم.

وكان يسبّب مال رجال مونس^(١) على نواح اختارها مونس فإذا أزاح
العلّة فيما ذكرناه نظر بعد ذلك في أمر مال خلفاء الحجاب والحشم
والمعتطّبين والفرسان برسم التفاريق والمنجمين والفرّاشين والطبّّاء
والساسة وسائر المرتزقة من الخدم. فخرج على بن عيسى يوماً من حضرة
المقتدر بالله ليركب في طيّاره فوثب به الخدم والحشم بالسنتهم وثوباً قبيحاً.
وورد الخبر على على بن عيسى بأن إبراهيم بن المسمعى اعتلّ علّة حادة
وتوفّى بالنوبندجان فأشار على بن عيسى بتقليد ياقوت أعمال الحرب
والمعاون بفارس وتقليد أبى طاهر محمّد بن عبد الصمد أعمال معاون
بكرمان فخلع عليهما وعقد لهما لواءان.

وكتب على بن عيسى إلى القاسم بن دينار بالمبادرة إلى فارس وقلّده
أعمال الخراج والضيايع بها وقلّد ما كان إليه من أعمال الأهواز أبا الحسن

أحمد بن محمد بن ماينداز وابن السلاسل.

فحكى أبو الفرج ابن هشام قال: لما بلغ أبا عبد الله البريدى ما تقلده هؤلاء من أعمال الأهواز وما حولها قال:

- «يقلد هؤلاء هذه الأعمال ويقتصر بأخى أبى يوسف على سُرْق^(١) وبى على ضمان الضياع [266] الخاصة، خذ يا أبا هشام هذا الكتاب - يعنى الكتاب الوارد عليه بما قلد - وأعطه ابنك حتى يمثل عليه ويتعلم منه الخط، فإن لطبلى صوتاً سوف تسمعه بعد أيام.»

وكان أبو عبد الله البريدى أنفذ أخاه أبا الحسين إلى الحضرة لما بلغه اضطراب أمر عليّ بن عيسى وواقفه على أن يخطب له عمل الأهواز إذا تجددت وزارة لمن يرتفق، فإن عليّ بن عيسى يعف ولا يرتفق.

فلما تمت الوزارة لأبى عليّ ابن مقله صار أبو الحسين إلى أبى أيوب السمسار وبذل له عشرين ألف دينار فقلد أخوه أبو عبد الله البريدى أعمال الأهواز سوى السوس وجنديسابور وقلد أبو الحسين الفراتية وأبو يوسف الخاصة والأسافل على أن يكون المال فى ذمته إلى أن يقع الوفاء لهم فوفى لهم وقبض المال.

وكتب أبو عليّ ابن مقله فى القبض على أبى السلاسل فخرج أبو عبد الله بنفسه إلى تستر حتى حصله وأسبابه ووجد له فى صناديقه وعند جهنذه عشرة آلاف دينار فأخذها وواقفه على أن يصك بما كان عند الجهنذ بنفقات باطلة وأخذ من كاتبه ألفى دينار ومن خليفته ثلاثة آلاف دينار [267] ومن حاجبه ألفى دينار.

وكان أبو عبد الله البريدى أحد دجالى الدنيا وشياطينها.

١. فى مط: على سوق.

ثم كثر على أبي علي ابن مقله بأنه أهله لما لا يستحقه فصرفه بأبي محمد الحسين بن أحمد المادرائي وقلده إشرافاً وقلد الأصل جماعة من العمال فما أحلى أبو محمد ولا أمر وكان كاتبه علي بن يوسف وخليفته صحبته من الحضرة فبان من تجلفه^(١) وسقوطه ما صار به نكالاً وحديثاً. وحسبك أن أبا عبد الله البريدي أخذ عليه الطرقات فكان كل ما كتب به يؤخذ من رسله فما قرئ له كتاب منذ دخل الأهواز إلى أن صرف عنها. ثم صرفه بعد ذلك أبو علي بأبي عبد الله البريدي وقال: .. «اغتررت بطلل ذلك الشيخ وما كل من يصلح للكتابة ينفذ في العمالة^(٢)».

وعدنا إلى تمام حديث علي بن عيسى وما دبّره به المملكة

ولما أخرج إليه الإرتفاعات كان فيه مبلغ ارتفاع لضياع إقطاع الوزراء بعد نفقاتهم الراتبه مائة وسبعين ألف دينار. فكتب إلى المقتدر بأنه غنى عن هذا الإقطاع وأنه قد وفر ماله فإن أمر ضيعته قد صلح وكذلك [268] وقفه^(٣) بإعادته إياه إلى خدمته وأنه يوفر أيضاً رزق الوزارة وهو مع ألفي دينار أجريت لابن الخصيبى سبعة آلاف دينار في كل شهر. وكتب إليه المقتدر بالشكر وأنه لا بد من أن يقبض الرزق على الرسم فحلف علي بن عيسى إنه لا يقبض رزقاً لهذه الخدمة لأن مذهبه ترك التنعم.

١. في الأصل إهمال وغموض (تخلف، تجلفه؟). في مط: تخلفه. ورُجِّع في مد: تجلفه. وهو أنسب للسياق.

٢. الضبط في الأصل: العمالة، بضم العين.

٣. كذا ضبط ما في الأصل.

حوادث أخرى

وفيهما شغب الفرسان برسم التفريق وخرجوا إلى المصلّى فنهبوا القصر المعروف بالترّيّا وذبحوا الوحش الذى فى الحائر وذبحوا البقر التى لأهل القرى التى حوله وخرج إليهم مونس وضمن لهم أرزاقهم فرجعوا إلى منازلهم.

وفيهما خُلع على مونس للخروج إلى الثغر لأنّ ملك الروم دخل سميشاط وضرب فى مسجد الجامع بالنواقيس وصلى فيه الروم صلاتهم.

وفيهما ظهرت وحشة مونس المظفر

ذكر السبب فى ذلك

كان السبب فى ذلك أنّ خادماً من خدم المقتدر بالله حكى لمونس أنّ المقتدر تقدّم إلى خواصّ خدمه بحفر زُبّة^(١) فى الدار المعروفة بدار الشجر من دار [269] السلطان حتّى إذا حصل مونس فيها عند الوداع إذا أراد الخروج إلى الثغر، حُجب الناس وأدخل مونس وحده إلى ذلك الصحن، فإذا اجتاز على تلك الزُبّة وهى مغطاة وقع فيها ونزل إليه الخدم وخنقوه ويظهر أنّه وقع فى سرداب فمات. فامتنع مونس من دار السلطان وركب إليه جميع القوّاد والغلمان والحاشية وعبد الله بن حمدان وأخوته وأكثر العرب وخلت دار السلطان من الجند.

وقال عبد الله بن حمدان :

«نقاتل بين يديك أيّها الأستاذ إلى أن تنبت لك لحية.»

١. الزُبّة: الحفرة تحفر لصيد السباع، أو حفرة يُشتوى فيها ويُخبز.

فوجه إليه المقتدر بنسيم الشرايى ومعه رقعة بخطه إليه يحلف له فيها على بطلان ما بلغه. فصرف مونس جميع من اجتمع إليه من الجيش وأجاب عن الرقعة بما يجب فى مثل ذلك وأنه لا ذنب له فى حضور من حضر عنده، لأنه لم يستدعهم. وامتنع ابن حمدان من الإنصراف وحلف أنه لا يبرح من دار مونس ليلاً ونهاراً إلى أن يركب معه إلى دار السلطان ويطمئن إلى سلامته، ولازم مونساً أياماً كثيرة.

وانضاف إلى ذلك أن إسحاق بن إسماعيل كان سبب عليه مال مونس [270] ومال رجاله فبلح^(١) فيها. وكان على بن عيسى متكرراً له لأشياء بلغته عنه فى غيبته فشغب الفرسان لتأخر أموالهم، فجذ على بن عيسى بإسحاق بن إسماعيل واعتقله وأخذ خطه بخمسين ألف دينار من مال ضمانه واعتقل أحمد بن يحيى الجلخت كاتبه وعدة من أصحابه حتى استوفى ذلك، ثم صرفه عن أعماله وجد بعال السواد حتى صح له فى مدة ثلاثة أيام ما أنفقه فى أصحاب مونس.

وكتب المقتدر إلى جماعة من وجوه القواد بأنه قد صفح عما كان منهم فى نهب الثرى وإحراقها وقرئت عليهم فشكروا وسألوا أن يضم جماعة منهم ممن اتهم بذلك إلى مونس المظفر لينحدر معهم إلى حضرته. فانحدر معهم ووصل إلى المقتدر بالله وقيل الأرض بحضرته وحلف المقتدر له على صفاء نيته وودعه مونس.

وقرأ عليه على بن عيسى كتاباً ورد عليه من وصيف البكتمرى بأن المسلمين عقبوا على الروم وظفروا بهم وبجميع من فى عسكرهم وقتلوا منهم وغنموا غنائم جليلة. وخرج مونس من داره إلى مضره بباب الشماسية

١. بلح: أعيا وعجز ولم يوجد عنده شيء.

وشيعه الأمير أبو العباس والوزير علي بن عيسى ونصر الحاجب وهارون ابن غريب. [271]

وورد رسول ملك الروم ومعه كتاب من وزير الملك وهو اللعيط^(١) إلى الوزير علي بن عيسى يلتبس فيه الهدنة.

ظهور الديلم

وفي هذه السنة^(٢) ظهر الديلم، وكان أول من غلب على الرى منهم بعد خروج ابن أبى الساج منها، ليلى بن النعمان ثم ماكان بن كاكى. ودخل هذا الرجل فى طاعة صاحب خراسان لأنه كتب إليه واستدعاه، فمضى إليه وغلب على الرى أسفار بن شيرويه وكان مرداويج بن زيار أحد قواده.

عاقبة عسف أسفار بن شيرويه

وكان أسفار بن شيرويه لما غلب على قزوين ألزم أهلها مالا جليلاً وعسفهم عسفاً شديداً وخطبهم وأحل بهم من تسليط الديلم^(٣) على مهجهم وأموالهم واستباحتهم وتعذيب عمالهم ما استعظمه هو فى نفسه فضلاً عن غيره، ورقبت القلوب منه وضاقت النفوس وبلغت الحناجر ويش الناس من الحياة وتمنوا الموت. فخرج الرجال والنساء والأطفال إلى المصلى مستغيثين إلى الله تعالى وراغبين إليه فى كشف ضرهم فمضى لهم يوم على ذلك. وأنهى الخبر إلى أسفار فتهاون بالدعاء.

١. كذا فى الأصل: اللعيط (بإهمال العين). وفى مط: اللعيط. وفى مد: اللعيط. (بالعين المعجمة).

٢. سنة ٣١٥.

٣. والعبرة فى مط: وخطبهم وحذرهم من تسليط الديلم.

فلما كان في اليوم الثاني خرج عليه مرداويج فواقعه وهزمه [272] فمرّ على وجهه فتبعه يومه أجمع فلم يظفر به، ولحقت أسفار مجاعة في اليوم الثاني فأوى إلى رحي طحّان في قرية وسأله أن يُطعمه فأخرج إليه خبزاً ولبناً، وكان يأكل وأطلّ مرداويج على الموضع فوجد آثار الحافر قد انقطع هناك، فوقف يتأمل فرأى أكّاراً فتشبّث به وسأله عن أسفار فأنكر وأرهبه فقال له :

« ما أعرفه ولكنّي رأيت فارساً قد دخل إلى هذه الرحي. »

وكبس مرداويج الموضع فوجده يأكل خبزاً فاحتزّ رأسه، وعاد إلى قزوين فسكّن أهلها وتلافاهم وأزال تلك المطالبة عنهم ووعدهم بالجميل وانصرف عنهم ووهب^(١) دعاءهم.

ثمّ أنّ مرداويج ذهب فتغلّب على الرّى وإصبهان وأساء السيرة بإصبهان خاصّة وتبسّط في أخذ الأموال وانتهاك الحرم وطغى وجلس على سرير ذهب دونه سرير فضّة يجلس عليه من يرفع منه وأقام جنده يوم السلام عليه صفوفاً بالبعد منه.

وسام مرداويج رجاله الخسف^(٢) وكانوا يرهّبونه رهبة عظيمة وكان يقول :

« أنا سليمان بن داود وهؤلاء الشياطين. »

وكان يفضّ من الأتراك [273] غصّاً شديداً. فساءت نياتهم له فطلبوا كيداً يكيّدونه به وتمكّنت له في نفوس الخاصّ والعامّ البغضاء وضجروا منه وضعفت نفوس أهل مملكته في أيّامه.

١. في مط: ورهب.

٢. في الأصل: الخشف. وما في مط: الخسف، كما أثبتناه.

مقتل مرداويج

قال : وركب يوماً في موكب عظيم وخرج إلى الصحراء وكان ينفرده عن جيشه ويسير وسطاً لا يجسر أحد على القرب منه فكان العالم يتعجبون منه ومن تمرده وطغيانه إذ اشتق العسكر رجل شيخ لا يُعرف، على دابة، فقال : - « زاد أمر هذا الكافر واليوم تكفونه^(١) قبل تصرّم النهار ويأخذه الله إليه. »

فلحقت الجماعة دهشة وتبلّدوا.

قال أبو مَخلَد عبد الله بن يحيى :

وكننت في الموكب فنظر بعض الناس إلى بعض ولم ينطق أحد منهم بحرف ومَرَّ الشيخ كالريح، ثم قال الناس :

- « لم لا نتبعه ونستعيده الحديث ونسأله من أين علم أو نأخذه ونمضي به إلى مرداويج لئلا يبلغه الخبر فيلومنا على تركه. »

فركضوا يميناً وشمالاً إلى كلّ طريق وسبيل في طلبه فلم يوجد وكان الأرض ابتلعتهم.

ثم عاد مرداويج ولم يلو على أحد ودخل داره ونزع ثيابه، ثم دخل الحمام وأطال، وكان كورتكين قريباً منه وخصّيصه^(٢) يحرسه ويراعيه في خلواته وحمامه فأمره أن لا يتبعه وتأخر عنه مغضباً فتمكن منه الأتراك [274] وهجموا عليه في الحمام فقتلوه بعد أن مانع عن نفسه وقاتل بكرنيب فضة^(٣) كان في يده، فشقّ بعض الأتراك بطنه. فلما خرجت حشوته ظنّ أنّه

١. تكفونه: كذا في الأصل. وفي مط: تكفر به. وفي مد: تكفونه. وليس الأصل كذلك.

٢. في مط: وخصّيصه.

٣. في مط: بكسر فِضة.

قد قتله فلمّا خرج إلى أصحابه قالوا له :
- « أين رأسه ؟ »

فعرّفهم أنّه قد شقّ بطنه . فلم يرضوا بذلك وعادوه لحزّ رأسه فوجدوه قد قام على سريرين فى الحمّام وردّ حشوة بطنه وأمسكها بيده وكسر جامة الحمّام وعاونته قيّم الحمّام وهمّ بالخروج من ذلك الموضع إلى سطح الحمّام . فلمّا رأوه كذلك حزّوا رأسه فظهر أمره بين الظهر والعصر بخروج الأتراك الذين كانوا معه إلى رفقاتهم وإخبارهم إيّاهم بخبره وركوبهم إلى الإصطبلات للنهب .

وفىها ارتفع ذكر أبى جعفر بن شیرزاد

وعنى به علىّ بن عيسى .

ذكر السبب فى ذلك

كان السبب فى ذلك أنّ ابن شیرزاد كان يكتب لهارون بن غريب وينظر فى جميع أموره . فأطمع هارون فيه وقُرف بجنايات عظيمة فقُبض عليه يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الأولى سنة خمس عشرة وثلاثمائة ، وسلّمه إلى خادمه [275] مونس وأمره بالتضييق عليه ومنعه من الدواة فتأخّرت رقعته عن أخيه أبى الحسن زكريّا .

وكان يكتب للخالة علىّ ديوان ضياعها . فعرف الخالة صورة أخيه فشكت الخالة ذلك إلى السيدة فوجّهت السيدة بخادم لها إلى هارون حتّى انتزعه من يده وحمله إلى دار السلطان وتقدّمت بإطلاقه .

وخاطب هارون بن غريب علىّ بن عيسى فى أمر ابن شیرزاد وقال له :

- « قد كان اقترض منى للخاقانى أموالاً كثيرة وأخذ بها تسبيبات وفاز بها وقد عمل له المومّل كاتبى بمال عظيم وأنا أَرْضى بنظر ثقة من ثقات الوزير

فى العمل.»

فتقدم الوزير على بن عيسى إلى أبى يوسف كاتب السيدة بالمصير إلى دار هارون وحضر المؤمل وكتابه فنظروا فى العمل.

فكان أول باب فيه أنه وجد فى دفتر من دفاتر ديوانه ثبت^(١) ما قبض من التسبيبات التى سببها الخاقانى لابن شيرزاد من مال القروض التى اقترضها من مال هارون بن غريب.

وقد حكى فيه أنه قبض خمسة عشر ألف دينار وأنه لم يجد هذا المال فى ختمات الجهيز الثابتة فى الديوان. وكان كاتب ابن شيرزاد على ذلك الديوان ابن أبى الميمون، فقال [276] ابن أبى الميمون :

«قد صح فى ختمة الجهيز ومع صاحبى خط الأمير بقبضه إيّاه، لأنه حمّله إلى حضرته وصرفه فى ثمن دار المحسن التى أبتيعت^(٢) من وكيل الخليفة فى وزارة أبى القاسم الخاقانى.»

فأخرجت الختمة بعينها فوجد ذلك فيها. ووجد محرّر هذه الختمة قد كتب هذا المال كأنه تفصيل المال المتقدم وكان سبيله أن يكون مخرجاً بارزاً عن التفصيل الأول. فوجد أبو يوسف ومحمد بن جنى الأمر على ما قال كاتب ابن شيرزاد وأخرج ابن شيرزاد خط هارون بن غريب بصحة هذا المال منسوباً إلى تلك الجهة وأنه أدى فى بيت المال ثمن الدار وأحضر قبض صاحب بيت المال به.

ثم نظر فى الباب الثانى أن المطلق للفرسان فى عسكر هارون من مالهم فيه الربع الدراهم^(٣) تساوى ستة عشر درهماً بدينار وأنه لم يضع الصرف من

١. ثبت: كذا فى الأصل. وفى مط: ثلث.

٢. فى مط: تتبعت.

٣. كذا فى مط. وما فى الأصل: الربع دراهم.

مال الرجال وأنه يلزمه منه في مدة ولايته كتابة هارون ثياف وعشرون ألف دينار، فأخرجوا الختمات فوجدوا الجهبذ قد احتسب بما صرفه في أعطيات الرجال ورقاً من غير أن يوضع منه شيء لفضل الصرف. فاحتج كاتب ابن شيرزاد بأن فضل [277] الصرف في ختمة تورّد في أصول الأموال في آخر باب من أبواب الأصول وهو ما يتوقّر من هذا الباب وغيره من سائر نفقات هارون بن غريب فأخرج ذلك من الختمات.

فلما بطل هذان البابان وهما معظم ما كان في العمل نهض أبو يوسف ومحمد بن جنى وقام معهما ابن شيرزاد وأقبل عليه هارون فقال:

- «قد هتكني كاتبى هذا الجاهل الناقص قبحه الله وقد جنيت على نفسى بصرفك ولكن إن تصرفت لأحد فعلت وصنعت.»
وتهدّده.

فذهب ابن شيرزاد وشرح لعلّى بن عيسى ذلك فصار ذلك سبباً لعناية علّى بن عيسى به واشتهر حديثه وفاض في الكتاب.

وفيها ورد الخبر وكتاب الفارقي من البصرة بأنه قد اجتاز بباب البصرة ممّا يلي البرية جيش للقرمطي كثير العدد يقصد الكوفة فكتب المقتدر إلى مونس المظفر يأمره بالرجوع إلى بغداد فرجع من تكريت ودخل بغداد بعد صلاة العصر بعد أن أنفذ قطعة من جيشه إلى الثغر.

وخرج ياقوت إلى مضربه بالزعفرانية متوجّهاً إلى عمله بفارس.

القبض على ابن أبي الساج

وتقليد الحسن بن هارون

وفي هذه السنة قبض يوسف بن أبي الساج على كاتبه [278] أبي عبد الله

محمد بن خلف النيرمانى وقد مكانه أبا على الحسن بن هارون وقيد محمد بن خلف بقيود ثقال وأخذ منه يوم قبض عليه من المال والفرش والكسوة والغلمان ما قيمته مائة ألف دينار وأخذ خطه بخمسمائة ألف دينار مصادرة عن نفسه.

ذكر السبب فى ذلك

كان السبب فى ذلك ما استعمله بواسط من السرف فى التكبر والتجبر والتوسع فى النفقات حتى إنه جعل فى داره بواسط فى شراب العامة ثلاثين غلاماً وفى شراب الخاصة عشرين غلاماً وكان يخرج من داره إلى دار صاحبه يوسف ويكر إليه جميع قواد ابن أبى الساج ورؤساء غلمانه ورؤساء العمال ويسلمون عليه كما يفعل الناس ببغداد بالوزراء فى أيام الموابك.

وكان قبل ذلك فى مسير ابن أبى الساج من الرى إلى واسط قد لبس القباء والسيف والمنطقة إلا أنه لم يكن يركب إلى دار صاحبه بسواد فرقاً بينه وبين وزير السلطان واحتمله ابن أبى الساج على ذلك.

ثم أطمع نفسه أيام مقامه بواسط فى الوزارة للسلطان، وتبين [279] عداوة نصر الحاجب لابن أبى الساج فكاتبه ووجه إليه بمن يثق به يلتمس منه أن يشير على المقتدر بتقليده الوزارة مكان على بن عيسى وضمن أن يستخرج من على بن عيسى وأخيه وسليمان بن الحسن وأبى زنبور المادرائى والكلوذانى وأسبابهم ألف ألف دينار ويقوم بنفقات السلطان وأرزاق الأولياء.

سعاية

وسعى بصاحبه وقال: إنه كان يستر عنه مذهبه فى الدين وإنه لما سار

إلى واسط أنس به وانبسط إليه فكشف له أنه يتدين بأن لا طاعة عليه للمقتدر ولا لبني العباس على الناس طاعة وأن الإمام المنتظر هو العلوي الذي بالقيروان وأن أبا طاهر الهجري صاحب ذلك الإمام، وأنه قد صغع عنده أنه يتدين بدين القرامطة وأنه إنما صير العلوي متحققاً به وبجميع أسرارته بهذا السبب، وأنه ليس له نية بالخروج إلى هجر، وأنه إنما يحتال بالوعد بالخروج إلى هجر حتى يتم له أخذ الأموال، وأنه قال في شهر ربيع الآخر:

- «أى شيء بقى لنا على الخليفة ووزيره من الحجة ولم ليس تخرج إلى هجر ولا أراك تستعدّ لذلك؟»

فقال له فى الجواب :

- «لم لا تكون لك معرفة [280] بالأمر من فى نيته^(١) الخروج إلى

هجر».

وأنه قال له :

- «فلم غررت السلطان من نفسك ووعدته بهذه الحال حتى سلم إليك

جميع أعمال المشرق؟»

فأجابه بأنه يرى انتفاض الخليفة وسائر ولد العباس الغاصبين أهل الحق فرضاً لله - عز وجل عليه - وأن طاعته طاغية الروم أصلح من طاعته

الخليفة».

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

وأنه قال :

- «فهبك فعلت ذلك، ما الذى يؤمنك من القرمطى أن يوافى إلى واسط

وإلى الكوفة فلا تجد بداً من لقائه ومحاربته؟»

فقال فى الجواب :

١. كذا فى الأصل: فى نيته. وفى مط: فى بيته.

- «ويحك كيف أحارب رجلاً هو صاحب الإمام وعُدَّة من عُدده؟»
فقال له :

- «فإن أراد هو حربك أى شىء تعمل؟»
فقال له :

- «ليس لهذا أصل، وقد ورد عليه كتاب الإمام من القيروان بأن لا يظاً
بلداً^(١) أكون فيه ولا يحاربنى بوجه ولا بسبب.»
وإنه ختم القول بأن قال :

- «إنى إنما انتظر أن يقبض رجالى بأسرهم أموال سنة أربع عشرة
وثلاثمائة فإذا قووا بذلك منعت أولاً من أعمال واسط والكوفة وسقى الفرات
وأنفذت إليها العمال، فلا بدّ للسلطان أن ينكر حينئذ ما أفعله فأكاشفه
وأخطب للإمام وأظهر [281] الدعوة وأسير إلى بغداد، فإن من بها من الجند
قوم يجرون مجرى النساء قد ألفوا الدور على دجلة والشراب والثلج
والخيش^(٢) والمغنيات فأخذ نعمهم وأموالهم ولا أدع الهجرى يفوز بالإسم
وأكون أنا سائق الدولة إلى الإمام، فإن أبا مسلم خراز النعال لم يكن له أصل
وقد بلغ ما بلغ ولم يكن معه لَمَّا ارتفع النصف مَن معى. وما هو إلا أن أظهر
الدعوة حتّى قد اجتمع مائة ألف ضارب سيف.»

ويقول محمد بن خلف :

- «قد صدقت أمير المؤمنين عن هذا الأمر، فإن ولانى الوزارة انقمع ابن
أبى الساج وبطل عليه تدبيره وأخيب^(٣) حينئذ رجاله وغلماؤه: فإمّا أسروه

١. وفى مط: وقد ورد عليه كتاب ابن المعتز ولا يظاً بلداً» بدل «وقد ورد عليه كتاب الإمام من
القيروان بأن لا يظاً بلداً».

٢. الخيش: الرجل الدنى.

٣. خبيّة: خدعه وأفسده. يقال: «خبّ على فلان صديقه» أى أفسده عليه.

وإما هرب طائراً على وجهه إلى أذربيجان. فأتى إذا توليت الوزارة جدّدت به في المطالبة بالخروج إلى هجر فإن كاشف دبرت عليه.»
فأنهى نصر الحاجب كله إلى المقتدر وعرفه أن محمّد بن خلف قد كتب إليه يحلف له على أنه ما حمله على هذا الفعل إلا الغضب للدين أولاً ثم الأنفة من أن يتم لهذا القرمطى على الخليفة وسائر الخاصة والعامة ما دبره.
وكان الحسن بن هارون يخلف محمّد بن خلف [282] ويقف دائماً بين يديه على رجله ويخدمه كما يخدم ابن أبي الساج. فلما رأى اختصاصه بابن أبي الساج تنكّر له وعمل على القبض عليه وإتلافه وأظهر ذلك لأبي بكر ابن المنتاب وكان قد اختصّ به وغلب عليه. فاتفق أن شرب ابن المنتاب مع جماعة من إخوانه بواسط وفيهم عبد الله بن عليّ الجرجرائي عامل الصلح والمبارك، فسأله عبد الله بن عليّ أن يشكر له أبا عليّ الحسن بن هارون لما يوليه من الجميل وقال له :

- «تعرض لي رقعة على سيّدنا أبي عبد الله محمّد بن خلف أسأله فيها أن يعرفه شكري ويأمره بالزيادة فيما شكرته عليه.»
فقال له ابن المنتاب :

- «أتق الله في نفسك ولا تفعل، فإنّ أبا عبد الله على غاية التنكّر للحسن بن هارون ولن يبعد أن يقبض عليه ويبلغه^(١).»

فحفظ ذلك عبد الله بن عليّ وتقرب به إلى الحسن بن هارون.
ووقعت بين محمّد بن خلف وبين عبد الله بن عليّ مباحكة فيما سبّب عليه لقوم يعتنى بهم محمّد بن خلف فشتمه محمّد بن خلف وهذّده وأمر بإخراجه من مجلسه على أقبح صورة.

١. في الأصل: ويبلغه (بضمّ الغين).

فاجتمع عبد الله بن عليّ والحسن بن هارون على التدبير على محمد بن خلف ونصبا عليه أصحاب الأخبار إلى أن وقفا [283] على ما عمله في السعي في تقلد الوزارة للمقتدر وسعايته بصاحبه. فاطلع عبد الله بن عليّ ابن أبي الساج على ذلك وتقرّب إليه فنصب يوسف بن أبي الساج أصحاب أخبار علي محمد بن خلف إلى أن وقف عليّ أنّ خادماً له يثق به قد أنفذه دفعات إلى بغداد وأظهر أنّه إنّما ينفذه لابتياح كسوة وفرش ودوابّ وغلمان له وأنّه هو السفير بينه وبين نصر الحاجب في التدبير على ابن أبي الساج فتقدّم ابن أبي الساج إلى عبد الله بن عليّ في أخذ الطرق على هذا الخادم وإلى الحسن بن هارون بمراعاة الوقت الذي ينفذ فيه الخادم. فلمّا نفذ من واسط عرّفه الحسن ذاك فوجّه بثقاته وأمرهم أن يرصدوا الخادم في الطريق، فإذا عاد من بغداد قبضوا عليه وسلّموه إلى صاحب عبد الله بن عليّ بجرّجرايا.

وتقدّم إلى عبد الله بن عليّ بأن يوجّه بمن ينتظره بجرّجرايا وأنفذت الكتب التي معه إلى ابن أبي الساج فوجدها بخطّ كاتب نصر جوابات عن كتب محمد بن خلف إليه تدلّ على إشارات ورموز وتراجم وفيها كلّ مكروه وسعى على دم^(١) ابن أبي الساج وحاله وإطماع في ماله وحاله [284] وتحذير من تأخّر القبض على عليّ بن عيسى. فبادر ابن أبي الساج في إنفاذ الحسن بن هارون إلى الحضرة بكتب ورسائل إلى عليّ بن عيسى على رسمه ووجّه بتلك الكتب بعينها وقال له :

- «تقول للوزير عني : قد سعى هذا الرجل على دمي ودمك ودماء أصحابك وأريد أن أقبض عليه وأكثر ذنوبه عندي سعيه عليك.»

فلمّا وقف عليّ بن عيسى على جميع كتبه ورسائله تعجّب وقال له :

١. في مط : ذم (بالذال المعجمة).

- «تقول لأخي أبي القاسم : إن كنت تريد أن تفعل ذلك لتريح نفسك من هذا الرجل الخائن المستحلّ فإله يوفّقك ويحسن معونتك. وإن كنت تفعل هذا بسببي فوالله ما أشكر أحداً كما أشكر من يسعى في صرفي عن الوزارة، فالحبس والنفي أسهل ممّا أقاسيه منها.»

وزور عبد الله بن عليّ عن الخادم كتباً على أنّها من بغداد إلى محمّد بن خلف بأنّه : قد أحكم أكثر ما تحتاج إليه وأنّه سريع العود إلى واسط. فسكنت نفس محمّد بن خلف إلى ذلك. وصار عبد الله بن عليّ إلى محمّد بن خلف وترضاه وبذل له أن يحمل إليه من ماله مائة ألف درهم مرفقاً ليزول ما في نفسه عليه. فظنّ محمّد بن خلف أنّ ذلك صحيح ودعا عبد الله بن عليّ وواكله وشاربه. [285]

ولم يلبث الحسن بن هارون أن عاد من بغداد فبدأ بدار محمّد بن خلف ووقف بين يديه فقال محمّد بن خلف :

- «يا عاضّ^(١)، قد بلغني أنّك شتعت عليّ عند عليّ بن عيسى وذكرت له أنّي أطلب الوزارة مكانه وأنك مع ذلك قد ضربت عليّ حاشية الأمير وغلماناه. ووالله يا كلب لأضربنك خمسمائة سوط ولأخذنّ منك ثلاثين ألف دينار قد أبطرتك.»

والحسن بن هارون لا يزيد عليّ أن يقول له :

- «الله بيني وبين من أغرى مولاي ومن أنا عبده وغرسه.»

ومحمّد بن خلف يشتمه إلى أن قال له :

- «لقيت الأمير؟»

فقال الحسن بن هارون :

- « ما لقيته بعد. »

فقال له :

- « فامض إلى لعنة الله فالفه وعذ إلى. »

فمضى إلى ابن أبي الساج وشرح له جميع ما وقف عليه من سعي محمد بن خلف عليه وما خاطبه به لما لقيه بعد قدومه من بغداد.

فقال ابن أبي الساج لخازنه الذي يتسلم من محمد بن خلف الأموال المحمولة إليه التي ينفقها في رجاله وغلماؤه ونفقاته :

- « قد كنت أحضرتني منذ مدة مالا نصفه غلة ودرهم بهرجة^(١)

وخراسانية، وذكرت أن ابن خلف حمله إليك لتنفقه في الأولياء [286]

وغيره، وذكرت أن الأمر^(٢) مُسرف في فضل الصرف وأنه كثير فعرفني الآن الحال فيما يحمله إليك؟ »

فقال : « الذي يحمله الآن شر من كل ما تقدم وقد أخرجت من مائة ألف درهم حملها اليوم ألف وخمسمائة درهم جديد وألفي درهم صحاح لا سيئة^(٣) واثنين وأربعين ألف درهم غلة رديّة. »

وعظم عليه الأمر في فضل الصرف في ذلك فقال له :

- « فإذا حضر محمد بن خلف العشيّة فادخل إلى واحمل المال كهيئته

وعرفني أن جميع غلمائي ورجالي قد فسدت نياتهم بهذا السبب. »

ففعل الخازن ذلك. فقال ابن أبي الساج :

- « يا أبا عبد الله أنت تعلم أن هذا المال لا يجوز لأحد أن يقبض مثله

وإذا فوت رجالي شهراً وأعطيتهم مالا جيّداً أو مقارباً للجودة كان أصلح من

١. في مط: نهردية.

٢. في مط: الأمير.

٣. في مط: لا شبه (بإهمال ما قبل الأخير)، وفي الأصل غموض.

« هذا. »

فغضب محمد بن خلف وقال له :

- « ما جرأ هذا الكلب على خطاىي بحضرتك في هذا الباب إلا لأنه قد وقف على فساد رأيك فيّ، وإنما أفسدك علىّ من قدر أن يتولى كتابتك وهو هذا العليّ الحسن بن هارون وأهرون به وبهذا الخازن وبجميع غلمانك ورجالك علىّ، وأنا عقدت لك هذه الحال وهذا الأمر [287] والآن فوالله لا نظرت في شيء من أمرك، فاعمل ما شئت. »

ونفض يده في وجهه وخرج من مجلسه. فجعل ابن أبي الساج يحلف له أن يعود فلا يفعل ويحلف إنه لا يرجع.

فلما طال ذلك بينهما وبلغ أن يعطف إلى دهليز يغيب به عن عينه قال ابن أبي الساج لغلمانه :

- « ضعوا أيديكم في قفا الكلب اللاحد الخنزير^(١) فأسمعوني صوته بالصفع. »

فصفع نحو من مائة صفقة وأخذ سيفه ومنطقته. واستدعى ابن أبي الساج عبدالله بن عليّ وأحضر للوقت فوجه به إلى دار محمد بن خلف ليحفظها ويقبض على سائر غلمانه وأسبابه وخزائنه، وكان عبدالله بن عليّ مشهوراً بالعرفاء والثقة، وتقدم إلى الحسن بن هارون بأن يتقلد كتابته مكانه واستحلفه أن يدخل إلى الحجرة التي اعتقل فيها ويقيده بخمسين رطلاً ويلبسه قميص باييا ففعل به الحسن بن هارون ذلك فقال له :

- « يا محمد بن خلف أخبرني أغرك أنني أقول لك : يا مولاي؟ إنما كنت أسخر منك، أيّنا كان أبعد غوراً وتدييراً، أنا أم أنت؟ »

١. كذا في مط ومد: الخنزير. وفي الأصل: الجنزير. واللاحد: الذي يعمل اللحد.

وأخذ الحسن بن هارون خطّه بستمائة ألف دينار بعد أن أهانه وصفعه وضربه بالمقارع، فأدّى نحو خمسين ألف دينار [288] إلى أن رحل ابن أبي الساج من واسط إلى الكوفة لمحاربة الهَجْرِي وحمله معه مقيداً وشُغل عنه بالحرب وأسر، فأفلت محمّد بن خلف.

ذكر وقعة ابن أبي الساج مع القرمطى

وما استعمله من ترك الحزم

واستهانت به بالعدوّ حتّى أسر

وما اتفق عليه بعد الأسر حتّى قُتل

كتب يوسف بن ديوداذ من واسط إلى الوزير أبي الحسن عليّ بن عيسى يلتمس منه حمل مال إليه ليصرفه فيما يحتاج من إعداد الأنزال^(١) والعلوفات بين واسط والكوفة ويحتجّ بأنّ أموال المشرق^(٢) متأخرة عنه وأنّ الأمر ليس يحتمل مع قرب موافاة الهَجْرِي بأن ينتظر ورود مال من الجبل ويقول إنّ لا يُقنعه لذلك أقلّ من مائة ألف دينار. فعرض عليّ بن عيسى كتابه على المقتدر، فتقدّم بأن يحمل من بيت المال الخاصّة سبعون ألف دينار ويُنفذ إليه.

وورد الخبر بخروج أبي طاهر من هَجْر بنفسه يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان، فنزل في الموضع المعروف بالحس وبينه وبين الاحساء مسيرة يومين وأقام به إلى يوم السبت ورحل من غد وكتب [289] السلطان إلى ابن أبي الساج بما ورد من خبره ويأمره بالمبادرة إلى الكوفة. وكتب عليّ بن عيسى إلى عمّال الكوفة بإعداد الميرة والعلوفات ليوسف.

١. في مط: في اعداد الأتراك.

٢. في مط: المسرف.

وسار يوسف من واسط يوم الأربعاء لليلة بقيت من شهر رمضان نحو الكوفة وعاد سلامة الطولوني منصرفاً من عنده وكان حمل إليه المال.

ولما قُرب أبو طاهر الهَجْرِي من الكوفة أطلق جميع من كان معه من أسارى الحاجّ وهرب عمّال السلطان من الكوفة فأخذ أبو طاهر جميع ما أعدّ ليوسف من المير والعلوفات وهو مائة كتر دقيقاً وألف كتر شعيراً وقد كان خفّ ما مع أبي طاهر من الميرة، ولحقه وأصحابه^(١) شدة فقوى ومن معه بما صار إليهم. ووافى يوسف إلى ظاهر الكوفة يوم الجمعة لثمان خلون من شوال وقد سبقه أبو طاهر إليها بيوم واحد فحال بينها وبينه.

وحكى عن أبي طاهر أنّه قال: إنّ عسكره قُرب من عسكر يوسف فى الطريق بين واسط والكوفة، وكان يوم ضباب، فلم ير أحدهما صاحبه وأنّه أحسّ به^(٢) ولو شاء لأوقع به.

ووجّه يوسف إلى أبي طاهر يدعوه [290] إلى الطاعة، فإنّ أبى فإنّ الوعد للحرب يوم الأحد.

فحكى الرسول: أنّه لما صار إليه حُمل إلى موضع فيه جماعة متشاكلو الزى وقيل له:

«تكلّم فإنّ السيّد يسمع».

ولم يعرف من هو منهم. فأدّى الرسالة فأجيب بأنّه غير مستجيب لما دعاه إليه ولا لتأخير المناجزة. فكانت الحرب بينهما يوم السبت لتسع خلون من شوال سنة خمس عشرة وثلاثمائة على باب الكوفة، فيقال إنّ ابن أبى الساج لما عاين عسكر أبى طاهر ووقف على عزّته أزرى عليه واحتقره^(٣)

١. فى مط: وأصابه.

٢. فى مط: وأنّه أحر به، بدل «وأنّه أحسّ به».

٣. فى مط: وأصغره.

وقال :

- «من هؤلاء الكلاب؟ هؤلاء بعد ساعة في يدي.»

وتقدّم بأن يكتب كتاب الفتح قبل اللقاء تهاوناً به وزحف كلّ واحد منهما إلى صاحبه.

فلما سمع الهَجْرِي صوت البوقات والدَّبَادِب والزَّعَقَات عن عسكر ابن أبي الساج - وكانت عظيمة جداً - إلتفت رجل منهم إلى رفيق له وهو يسايره فقال له :

- «ما هذا الزَّجَل؟»

فقال له رفيقه : «فشل.»

فقال له : «أجل.» ما زاده لفظه.

ورسمُ عسكر أبي طاهر أن لا تكون فيه بوقات ولا دباب ولا صياح. وعبّا ابن أبي الساج رجاله وانفرد هو مع غلمانه على عادة له في الحرب وكان ابتداء الحرب بينهما مذ ضحوة نهار يوم السبت إلى وقت غروب [291] الشمس. وما قصّر ابن أبي الساج في الثبات وأثخن أصحاب أبي طاهر بالنشأاب وجرح منهم خلقاً.

فلما رأى أبو طاهر ذلك وكان واقفاً في عمّاريّة له مع من يثق به من أصحابه نحو مائتي فارس بالقرب من حيطان الحيز نزل من العمّاريّة فركب فرساً له وحمل بنفسه مع ثقاته وحمل يوسف بنفسه وغلمانه عليه واشتبكت الحرب بينهما فأسر ابن أبي الساج آخر النهار وبه ضربة على جبينه بعد أن اجتهد به غلمانه أن ينصرف فامتنع عليهم وحصل أسيراً في يد أبي طاهر مع جماعة من غلمانه بعد أن قتل من أصحابه عدد كثير وانهزم الباقون.

ولما أسر يوسف وقت المغرب حُمِل إلى معسكر أبي طاهر وضربت له خيمة وفرش له فيها ووكل به وأحضر رجل معالج يعرف بابن السبيعي. فقال

ابن السُّبَيْعِي هذا: لَمَّا دَخَلَتْ إِلَيْهِ إِلَى الْخِيْمَةِ الَّتِي حُبِسَ فِيهَا وَجَدَتْهُ جَالِساً
وَعَلَيْهِ دُرَّاعَةٌ دِيْبَاجٌ فَضَى وَجُرْبَانَهَا^(١) وَلَبَّتْهَا^(٢) مِنْ دِيْبَاجٍ أَحْمَرَ وَقَدْ
تَلَوْنَتْ^(٣) بِالْدَمِ الَّذِي سَالَ مِنَ الضَّرْبَةِ الَّتِي فِي جَبِينِهِ، وَوَجَدَتْ الدَّمَ قَدْ جَمَدَ
عَلَى وَجْهِهِ، فَالْتَمَسَتْ مَاءً حَارًّا. فَقَالَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِ أَبِي طَاهِرٍ:
«وَاللَّهِ مَا ذَاكَ عِنْدَنَا، وَلَا عِنْدَنَا مَا يُسَخِّنُ فِيهِ.»

وَكَانُوا [292] خَلَفُوا سَوَادَهُمْ بِالْقَرَبِ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ وَتَجَرَدُوا لِلْقِتَالِ،
فَغَسَلْتُ وَجْهَهُ بِمَاءٍ بَارِدٍ وَغَسَلْتُ مَوْضِعَ الضَّرْبَةِ وَعَالَجْتُهُ وَسَأَلَنِي عَنْ اسْمِي
وَبَأَى شَيْءٌ أَعْرِفُ، فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ فَوَجَدْتُهُ يَعْرِفُ أَهْلِي أَتَامَ كَانَ بِالْكُوفَةِ
وَهُوَ صَبِيٌّ مَعَ أَخِيهِ الْأَفْشِينَ وَكَانَ يَتَقَلَّدُ الْكُوفَةَ، فَعَجِبْتُ مِنْ ذِكْرِهِ وَفَهَمَهُ
وَقَلَّةَ اكْتِرَائِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ.

وَوُرِدَ خَبَرُ الْوَقْعَةِ وَأَسْرَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى، فَرَاخَ إِلَى دَارِ
السُّلْطَانِ وَاجْتَمَعَ مَعَ نَصْرِ الْحَاجِبِ وَمُنَسِّ الْمَظْفَرِ عَلِيٍّ إِنْهَاءَ الْخَبَرِ إِلَى
الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ وَانْتَشَرَ الْخَبَرُ، فَدَخَلَتْ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ لِأَبِي طَاهِرٍ هَيْبَةً عَظِيمَةً
وَرَهْبَةً شَدِيدَةً، وَعَمِلَتْ الْجَمَاعَةُ عَلَى الْهَرَبِ إِلَى وَاسِطٍ ثُمَّ إِلَى الْأَهْوَازِ،
وَابْتَدَأَ الْمَنْهَزَمُونَ بِالدَّخُولِ إِلَى بَغْدَادٍ، وَأَخْرَجَ مُنَسِّ الْمَظْفَرِ مُضْرِبُهُ إِلَى مِيدَانِ
الْأَشْنَانِ وَخَرَجَ عَلِيٌّ أَنْ يَمْضِيَ إِلَى الْكُوفَةِ.

وَوُرِدَ كِتَابُ الْعَامِلِ بِقَصْرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ عَلِيٍّ عَلِيٍّ بْنُ عَيْسَى بِأَنَّ أَبَا طَاهِرٍ
وَأَصْحَابَهُ رَحَلُوا عَنِ الْكُوفَةِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِإِثْنَى عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ شَوَّالٍ
قَاصِدِينَ عَيْنَ التَّمْرِ، وَوُرِدَ كِتَابُهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِنَزُولِهِمْ عَيْنَ التَّمْرِ، فَبَادَرَ عَلِيُّ بْنُ
عَيْسَى بِاسْتِشْجَارِ خَمْسِمِائَةِ سَمِيرِيَّةٍ وَجَعَلَ فِيهَا أَلْفَ رَجُلٍ وَمَعَهَا عِدَّةٌ [293]

١. جُرْبَانَهَا: وَالْجُرْبَانُ: طَوَقُ الْقَمِيصِ. فَارْسِيَّةٌ أَصْلُهَا: كَرِيْبَان. وَاللَّبَّةُ: مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ مِنَ الصَّدْرِ.

٢. فِي مَط: وَجَرِيَانَهَا وَلَبَّنَهَا.

٣. فِي مَط: تَلَوْنَتْ.

من شذاءات وطائرات وحولها من دجلة إلى الفرات وفيها جماعة من الغلمان الحجرية لمنع الهجرى من عبور الفرات، وتقدم إلى جماعة من القواد بالمسير على الظهر من بغداد إلى الأنبار لضبطها.

فلما كان يوم الجمعة رأى أهل الأنبار ومن بها من القواد خيل أبى طاهر مقبلة من الجانب الغربى فبادروا إلى قطع جسر الأنبار وأقام أبو طاهر إلى أن أمكنه العبور بالسفن فعبر يوم الثلاثاء نحو مائة رجل ولا يعلم بهم أصحاب السلطان إلى ان حصلوا بالأنبار ونشبت الحرب بينهم وبين جماعة من القواد. فلما خلا البلد من أصحاب السلطان عقد أبو طاهر جسر الأنبار وعبر وخلف سواده فى الجانب الغربى وفيه ابن أبى الساج، ولما علم من فى الشذاءات من أصحاب السلطان أن أبا طاهر قد عقد الجسر ساروا إليه بالليل فضربوه بالنار فبقى أبو طاهر فى جماعة من أصحابه فى الجانب الشرقى من الفرات وسواده فى الجانب الغربى منه وحالت الشذاءات والطائرات بينهم.

ولما ورد الخبر بعبور أبى طاهر إلى الأنبار وقتله من بها من القواد خرج نصر الحاجب ومعه [294] الحجرية والرجالة المصافية وجميع من كان بقى ببغداد من القواد وبين يديه علم الخلافة وهو شبيه باللواء أسود وعليه كتابة بياض:

«محمد رسول الله»

وكان مونس قد صار بباب الأنبار واجتمع مع نصر وكان عدد من معهما من الفرسان والرجالة وغيرهم يزيد على أربعين ألف رجل، وخرج أبو الهيجاء ومن إخوته أبو الوليد وأبو العلاء وأبو السرايا فى أصحابه وأعرابه وسار نصر وسبق مونساً على قنطرة النهر المعروف بزبارا بناحية عقرقوب^(١)

١. كذا فى الأصل ومد: عقرقوب، فى مط: عقرقوق (باهمال الأخير) وفى المراسد: عقرقوف، وهى قرية من نواحي نهر عيسى، بينها وبين بغداد أربعة فراسخ.

على نحو فرسخين من بغداد ولحق به مونس واجتمعاً على النهر وأشار أبو الهيجاء على نصر الحاجب بقطع قنطرة نهر زُبَارَا وألح عليه في ذلك. فلما رآه يتشاقل عن قبول رأيه قال له :

« أيتها الأستاذ اقطعها واقطع لحيتي معها. »

فقطعها حينئذ.

وسار أبو طاهر ومن حصل معه من أصحابه من الجانب الشرقي من الفرات قاصدين نهر زُبَارَا. فلما صار على فرسخ واحد من عسكر السلطان آخر يوم الاثنين لعشر خلون من ذي القعدة بات بموضعه ليلته وباكر المسير إلى قنطرة نهر زُبَارَا.

وتقدّم من رجّالته راجل أسود يقال له : صبح،^(١) فكان أمام عسكره فما زال نشاب أصحاب السلطان تأخذه وهو يتقدّم ولا يهوله وقد صار بالنشّاب كالقنفذ، فلما صعد القنطرة ورآها مقطوعة رجع، وما زال أصحاب أبي طاهر يمتحنون غور^(٢) الماء في النهر، فلما علموا أنه ليس يُخيض انصرفوا راجعين القهقري من غير أن يولّوا ظهورهم وصاروا إلى الحسينية فوجدوا الماء قد أحاط به لأنّ نصراً ومونساً وجّها قبل ذلك بمن بثق هناك بشوقاً كبيراً فصار الماء المخّر محيطاً بعسكر أبي طاهر. فأقام هناك يوم الثلاثاء وسار هو وأصحابه إلى الأنبار ولم يجسر أحد من أصحاب السلطان أن يتبعه أو يصلح قنطرة زُبَارَا أو يعبرها.

وكان ما أشار به أبو الهيجاء من قطع هذه القنطرة توفيقاً من الله فإنّها لو كانت صحيحة لعبّر أصحاب القرمطي عليها وما هالهم وفور عسكر السلطان ولا نهزم أصحاب السلطان وملك القرمطي بغداد. وذاك أنّ أكثر أصحاب

١. في مط : صبح.

٢. في مط : غور.

السلطان كزوا إلى بغداد منهزمين لما بلغهم وصول أبي طاهر إلى النهر من غير أن يروههم أو يقع عين عليهم لعظيم ما تداخل القلوب من الرعب بعد الحادث بابن أبي الساج. [296]

ولم يحدث أحد نفسه بعد ذلك أن يجوز له أن يثبت في وجهه. وكان مع أبي طاهر جماعة من الأولاد فعدلوا به عن المخرو وسار نحو الأنبار ولما ولي أبو طاهر وأصحابه عن موضع العسكر بزبارا ارتفع التكبير والتهليل من أصحاب السلطان ليذيع الخبر به وبأدب أصحاب الأخبار إلى علي بن عيسى بالسلامة وبانصراف أبي طاهر ورجوعه إلى الأنبار وبأنه لا طريق له ولا مخاضة ولا حيلة في الوصول إلى معسكر عسكره ولا إلى نواحي بغداد.

وطمع مونس في الظفر بسواده وباقي رجاله الذين خلفهم في الجانب الغربي من الأنبار وفي تخلص ابن أبي الساج فأنفذ يلبق حاجبه وجماعة من القواد ومن غلمان ابن أبي الساج في ستة آلاف رجل وظنوا أنه لا يتم لأبي طاهر العبور إلى خيله وسواده. وبلغ أبا طاهر ذلك فاحتال حتى انفرد عن رجاله ومشى مشياً طويلاً حتى خرج عن الأنبار إلى الصحراء التي تتصل بالفرات، ثم عبر في زورق صياد يقال: إنه دفع إليه ألف دينار حتى عبر به إلى سواده. فلما حصل في سواده واجتمع مع أصحابه حارب يلبق ومن معه [297] فلم يثبت له يلبق وانهزم ومن معه وقتل جماعة من أصحابه.

وبصر أبو طاهر في الوقت بابن أبي الساج وقد خرج من خيمته التي كان معتقلاً فيها متطلعاً إلى الطريق لينظر ما يكون من حال الواقعة فوقع له أنه أراد أن يهرب فدعا به إلى حضرته وقال: «أردت الهرب؟»

ويقال: إِنَّ غلمانَه كانوا نادوه فقال له القرمطي:

«طمعت أن يخلّصك غلمانك؟»

فأمر به فضربت عنقه بحضرته وضرب أعناق جماعة كانوا في الأسر. واحتال بعد ذلك أبو طاهر حتّى عبر جميع أصحابه الذين كانوا معه في الجانب الشرقي من الفرات بالأنبار فحصلوا معه في الجانب الغربي الذي يلي البريّة وعاد يلبق منهزماً مفلولاً إلى مونس المظفر. وحكى أبو القاسم ابن زنجي أنّه كان عدّة أصحاب أبي طاهر ألف وخمسمائة رجل منهم سبعمائة فارس وثمانمائة راجل وأنّه عرف ذلك من رجل أنباريّ كان يقيم له ولرجاله الخبر. وقد قيل: إنهم كانوا ألفي وسبعمائة.

قال: وسمعت بعض مستأمنة أبي طاهر وقد سُئل عن السبب في سرعة هزيمة أصحاب السلطان وثباتهم هم [298] فقال:

«السبب في ذلك أنّ أصحاب السلطان يقدّرون أنّ السلامة في الهرب فيقدّمونه ونحن نقدر أنّ السلامة في الصبر فنثبت ولا نبرح». ورتب عليّ بن عيسى بين بغداد ونهر زُبارة^(١) المرتبين وسلم إليهم مائة طير إلى مائة رجل منهم يكتبون على أجنحتهم كتباً بخبر العدو في كلّ ساعة.

وكان السبب في سلامة بغداد وأهلها يوم قصد القرمطي زُبارة مع كثرة العيارين والمتشبهه بالجند وتشوّقهم إلى النهب أنّ عليّ بن عيسى تقدّم إلى نازوك بمواصلة الركوب والتطواف في جميع جيشه كلّ يوم غدوة وعشيّة في الجانبين ففعل ذلك. ثمّ تقدّم إليه في يوم موافاة أبي طاهر إلى نهر زُبارة أن

١. زُبارة: يقال: إنها من نواحي الكوفة (مرصد الإطلاع).

يبكر إلى باب حرب بجميع جيشه ويقيم فيه إلى وقت العتمة وأن يواصل النداء في الجانبين بأنه :

- « من ظهر من العيارين والمتشبهه بالجند ومن وُجد معه حديد ضُرب عنقه. »

فانجحر العيارون وأغلق أهل باب المحوّل ونهر طابق والقلائين وغيرهم دكاكينهم وتحرّز الناس فنقلوا أمتعتهم إلى منازلهم.

وأما وجوه الناس فأكثرُوا الزواريق وجعلوها في [299] الشوارع في دجلة ونقلوا إليها أمتعتهم ومنهم من حدرها إلى واسط. ونقل قوم من المهجرين أمتعتهم إلى حلوان لتُحمل إلى خراسان مع الحاجّ ولم يكن عند أحد من الخواصّ والعوامّ شكّ في أنّ القرمطى يملك بغداد.

وأقام نازوك في ذلك اليوم كما رسم له عليّ بن عيسى. على ظهر دابّته من أوّل النهار إلى أن مضى صدر من الليل لا ينزل^(١) هو ولا أحد من أصحابه عن دوابهم إلّا للصلاة وضربت له ولهم الخيم فنزلوها بالليل وكان ذلك سبباً لسلامة البلد.

وقصد القرمطى إلى هيت وبادر هارون بن غريب وسعيد بن حمدان إلى هيت لدفعه عنها فسبقا القرمطى إلى هيت وصعدا إلى سورها وقويت بهما قلوب أهل هيت. فلما وصل القرمطى إليها قاتلوه بالمنجنيقات فقتل من القرامطة جماعة وانصرف أبو طاهر عنها.

وورد الخبر بذلك إلى بغداد فسكنت النفوس واطمأنت القلوب وتصدّق المقتدر والسيدة لما بلغهما خبر انصرافه بمائة ألف درهم.

وكان مونس ونصر أحضرا جراند جميع الرجال الذين اجتمعوا على نهر

١. في مط: لا يترك.

زُبَارًا مِمَّا يَلِي بِغَدَاد سَوَى [300] الْأَعْرَابِ فَوَجَدُوهُمْ إِثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ رَجُلٍ سَوَى غُلَمَانِهِمْ وَأَسْبَابِهِمْ فَأَنَّهُمْ كَانُوا أَضْعَافَ هَذِهِ الْعِدَّةِ .
وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى لَمَّا بَلَغَهُ أَسْرُ ابْنِ أَبِي السَّاجِ بِأَدْرِ فِي الْوَقْتِ إِلَى الْمَقْتَدِرِ وَقَالَ لَهُ :

- « إِنَّمَا جَمَعَ الْخُلَفَاءُ الْمُتَقَدِّمُونَ الْأَمْوَالَ لِيَقْمَعُوا بِهَا أَعْدَاءَ الدِّينِ وَالْخَوَارِجِ وَلِيَحْفَظُوا بِهَا الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَلْحَقِ الْمُسْلِمِينَ مِنْذُ قُبُضِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَيْءٌ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ ، لِأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ كَافِرٌ وَقَدْ أَوْقَعَ بِالْحَاجِّ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ وَثَلَاثِينَ مَا لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهُ وَقَدْ تَمَكَّنَتْ لَهُ هَيْبَةٌ فِي قُلُوبِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْخَاصِّ وَالْعَامِّ .

- « وَأِنَّمَا جَمَعَ الْمُعْتَصِدُ وَالْمَكْتَفِي فِي بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ مَا جَمَعُوا لِمِثْلِ هَذِهِ الْحَوَادِثِ وَالْآنَ فَلَمْ يَبْقَ فِي بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ كَبِيرُ شَيْءٍ ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . »

- « وَتَخَاطَبَ السَّيِّدَةُ فَأَنَّهُهَا دَيِّنَةٌ فَاضِلَةٌ فَإِنْ كَانَ عِنْدَهَا مَالٌ قَدْ ذَخَرْتَهُ لَشِدَّةٍ تَلْحَقُهَا أَوْ تَلْحَقُ الدَّوْلَةَ فَهَذَا وَقْتُ إِخْرَاجِهِ ، وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى فَاخْرُجِ أَنْتِ وَأَصْحَابُكَ إِلَى أَقَاصِي خِرَاسَانَ فَقَدْ صَدَّقْتُكَ وَنَصَحْتُكَ . »

فَدَخَلَ إِلَى وَالِدَتِهِ ثُمَّ عَادَ فَأَخْبَرَ أَنَّ السَّيِّدَةَ اسْتَرَأَتْهُ وَأَمَرَتْ بِإِخْرَاجِ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ مِنْ مَالِهَا إِلَى بَيْتِ [301] مَالِ الْعَامَّةِ لِيَنْفَقَ فِي الرِّجَالِ .
وَسَأَلَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى عَنْ مَقْدَارِ مَا بَقِيَ فِي بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ مِنَ الْمَالِ فَعَرَفَهُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى أَنَّ فِيهِ خَمْسَمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ .

وَتَجَرَّدَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى لِحِفْظِ الْأَمْوَالِ وَتَقَدَّمَ أَلَّا يَضَيِّعَ مِنْهَا دِرْهَمًا وَاحِدًا فِي قِضَاءِ الدُّمَامَاتِ ، وَجَمَعَ أَمْوَالَ النُّوَاحِي وَأَنْفَذَ الْمُسْتَحْثِينَ إِلَى الْعَمَالِ فَاجْتَمَعَتْ لَهُ جُمْلَةٌ أُخْرَى .

وَتَنَصَّحَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ عِيسَى رَجُلٌ مِنَ التَّجَّارِ بِأَنَّهُ وَقَفَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى رَجُلٌ

شيرازى يتخير للقرمطى ويكاتبه. فأنفذ معه جماعة فقبض عليه وحمل إلى دار السلطان وناظره على بن عيسى بحضرة القاضى أبى عمر والقواد وقال: «أنا صاحب أبى طاهر وما صحبتته إلا على أنه على حق وأنت وصاحبك ومن يتبعكم كفار مبطلون ولا بدّ لله فى أرضه من حجة وإمام عدل وإمامنا المهديّ فلان بن فلان بن إسماعيل بن جعفر الصادق وليس نحن مثل الرافضة الحمقى الذين يدعون إلى غائب منتظر.» فقال له على بن عيسى:

«اصدقنى عمّن يكاتب القرمطى من أهل بغداد والكوفة.» قال: «ولم أصدقك عن قوم مؤمنين حتى أسلمهم إلى قوم كافرين فيقتلونهم؟ [302] لا أفعل ذلك أبداً.»

فأمر بصفعه بحضرته وضربه بالمقارع وقيّده وغلّه بغلّ ثقيل^(١) وجعل فى فمه سلسلة وسلّمه إلى نازوك وحبسه فى المطبق فمات بعد ثمانية أيام لأنّه امتنع من أن يأكل ويشرب حتى مات وشغب الجند.

ودخلت سنة ستّ عشرة وثلاثمائة

ودخل مونس المظفر بغداد من الأنبار ودخل بعد نصر وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم وكان الجند قد شغبوا بالأنبار لطلب الزيادة فى أرزاقهم فأقاموا ببغداد على مطالبتهم، فزید كلّ واحد منهم ديناراً وأنفق فيهم على الزيادة.

وورد الخبر بدخول أبى طاهر القرمطى الدالية من طريق الفرات فلم يجد فيها شيئاً وقتل من أهلها جماعة ثمّ سار إلى الرحبة فدخلها بعد أن حارب

١. ما فى الأصل غير واضح. فى مد: ثقيف. وفى مد: ثقيل، كما أثبتناه.

أهلها ووضع السيف فيهم بعد أن ملكهم ونُذِبَ مونس المظفر للخروج إليهم بالرقّة، وكان أهل قرقيسيا وجّهُوا إلى القرمطى يطلبون الأمان منهم ووعدهم بجميل. ثمّ أنفذ إليهم من نادى بقرقيسيا ألا يظهر بها أحد بالنهار فلم يجسر أحد بها أن يظهر [303] فعبرت سرّية له إلى الأعراب على جسر عقده بالرحبة فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ جمالهم وأغنامهم فرهبه الأعراب رهبة شديدة، وصاروا لا يسمعون بذكره إلاّ تطايروا، وجعل عليهم أتاوة إلى هذه الأيام وهى من كلّ بيت دينار فى السنة. ثمّ أصدد من الرحبة إلى الرقّة.

وسار مونس المظفر إلى الموصل ومنها إلى الرقّة فانصرف أبو طاهر عن الرقّة على طريق الفرات ووصل إلى الرحبة فحمل ما معه من الزاد وغيره فى زواريق وانحدر فى الماء وعلى الظهر ليعاود هيتاً. وكان أهلها قد نصبوا على سورها عزّادات ومنجنيقات، فحاربوه وقتلوا من أصحابه، فانصرف عنها إلى ناحية الكوفة، وورد^(١) الخبر بذلك فأخرج بنى بن نفيس وهارون بن غريب على مقدّمة نصر.

وجاءت خيل القرمطى ومعها ابن سنّبر إلى قصر ابن هبيرة وعبروا الفرات بمخاضة فقتلوا جماعة من أهل القصر. فخرج نصر الحاجب ومعه القوّاد والرجّالة المصافيّة يريدون مواجهة أبى طاهر وحُمّ نصر حمّى حادة فلم يمنعه ذلك من المسير إلى سورا. ووافى [304] أبو طاهر إلى شاطئ سورا وقت المغرب، فلم يكن فى نصر نهوض للركوب لشدة علّته، فاستخلف أحمد بن كيغلف وأنفذ معه الجيش فانصرف القرمطى قبل أن يلقاه أحمد بن كيغلف. واشتدّت علّة نصر وجفّ لسانه من شدة الحمّى فردّ إلى بغداد فى عمارية

١. كذا فى الأصل ومط: وورد الخبر. وفى مد: وزاد الخبر.

ومات فى الطريق. فخرج شفيح المقتدرى برسالة المقتدر إلى الجيش الذى كان مع نصر بآنه قد جعل الرئيس عليهم مكان نصر هارون ابن غريب فدخل هارون بن غريب مع الجيش بغداد.

ذكر الحال التى أدت إلى صرف على بن عيسى وتقليد أبى على ابن مقله

لما رأى على بن عيسى اختلال النواحي فى أيام وزارة الخاقاني والخصيبي وتقصان الإرتفاع وزيادة النفقات وما لحق من زيادة الرجالة بعد انصرافهم من الأنبار من حرب القرمطى وأن زيادتهم بلغت مائتى وأربعين ألف دينار فى السنة مضافة إلى النفقات المفرطة هاله ذلك واستعظمه ووجد رجال السلطان قد ضعفوا عن القرمطى وتبين انحراف نصر الحاجب عنه، وذلك لميل مونس إليه، استعفى [305] المقتدر من الوزارة فأمره بالصبر وقال له :

«أنت عندى بمنزلة المعتضد بالله ولى عليك حقوق.»

فواصل الاستعفاء فشاور المقتدر مونساً المظفر وأعلمه أنه قد سُمى له ثلاثة : الفضل بن جعفر ابن جنزابة فلم يُشر به لأجل من قُتل^(١) من آل الفرات، وأبو على ابن مقله فلم يشر به لحدائته وقال :

«لا يصلح للوزارة إلا شيخ له ذكر وفيه فضل.»، ومحمد بن خلف النيرمانى فلم يشر به، وعرفه أنه جاهل لا يحسن^(٢) أن يتهجى اسمه وأنه متهور، وأشار بمدارة على بن عيسى.

١. قُتل : الشكل من الأصل.

٢. فى مط : لا يحسن أن ينهى اسمه، بدل «لا يحسن أن يتهجى اسمه».

ثمّ لقي مونس عليّ بن عيسى ورفق به وداراه فقال له عليّ بن عيسى :
 - «لو كنت مقيماً بالحضرة لاستعنت بك وعملتُ ولكنك خارج إلى الرقة.»
 وبلغ أبا عليّ ابن مقلّة ذلك فجذّ في السعى، وشاور المقتدر نصر الحاجب
 في أمر الثلاثة فقال :

- «أمّا الفضل بن جعفر فلا يدفع عن صناعة ومحلّ ولكنك بالأمس قتلت
 عمّه وبنو الفرات يدينون بالرفض، وأمّا ابن مقلّة فلا هيبة له.»
 وأشار بمحمّد بن خلف لما كان بينهما ممّا ذكرناه فيما تقدّم. فنفر المقتدر
 منه لما عرفه من جهله وتهوّره، وواصل ابنُ مقلّة [306] مداراة نصر
 الحاجب فأشار على المقتدر به وقال :

- «يقلّد، فإن قام بالأمر كما يجب وإلا فالصرف العاجل بين يديه.»
 واضطرّ المقتدر إلى أن استوزر أبا عليّ بن مقلّة.

وكان ما مال به المقتدر إلى أبي عليّ أنّ أبا طاهر القرمطي لمّا قرّب من
 الأنبار تشوّف إلى علم خبره ولم يكن يكاتب بشيء من خبره غير الحسن
 بن إسماعيل الإسكافي عامل الأنبار. فلمّا عرف أبو عليّ ابن مقلّة الصورة
 طلب أطياراً وأنفذها إلى الأنبار وكوّتب عليها أخبار القرمطي وقتاً بعد وقت
 فكان ينفذها إلى نصر لوقته ويعرضها نصر على المقتدر ووجد بذلك نصر
 السبيل إلى تفریط^(١) ابن مقلّة وقال للمقتدر :

- «إن كان هذه مراعاته لأمورك ولا تعلق له بخدمتك فكيف يكون إذا
 اصطنعته؟»

ذكر القبض على علي بن عيسى وتقليد ابن مقلّة

فلما كان يوم الثلاثاء للنصف من شهر ربيع الأول سنة ست عشرة
وثلاثمائة أنفذ هارون ابن غريب للقبض على علي بن عيسى فصار هارون
إلى دار علي بن عيسى ومعه أبو جعفر بن شيرزاد وكان أبو جعفر متعطلاً في
الوقت فوجّه بأبي جعفر إليه لأنّه [307] استحيا منه وعرفه ما أمر فيه. فلما
أدى إليه الرسالة قال له :

«أنا جالس متوقع له.»

وكان قد لبس علي بن عيسى خفّاً وعمامة وطيلساناً وفي كمّه مصحف
ومقراض وسأل هارون أن يصون حرمه وولده ففعل، وحمله مع أخيه أبي
علي عبد الرحمن إلى دار السلطان فسلم علي بن عيسى إلى زيدان القهرمانه
واعتقل عبد الرحمن عند نصر فكانت وزارته هذه سنة واحدة وأربعة أشهر
ويومين.

فلما كان في آخر نهار يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع
الآخر أحدر أبو علي ابن مقلّة الحاجب في دار السلطان ولم يصل إلى
المقتدر وأقام عند نصر الحاجب في دار السلطان. وجدّ محمد بن خلف في
طلب الوزارة وضمن ثلاثمائة ألف دينار^(١) مُعجّلة غير أموال النواحي. فقلق
أبو علي ابن مقلّة لذلك وحضر من غد دار السلطان ولم يصل أيضاً.

واجتمعت الألسن على المقتدر بإمضاء أمره وبالدّم لمحمد بن خلف،
فأمضاه وحضر يوم الخميس للنصف من الشهر ووصل وخُلع عليه وحُمل

١. كذا في الأصل ومط: ثلاثمائة ألف دينار.

إليه من دار السلطان طعام على رسم الوزراء إذا تقلدوا.

وكان أبو الحسن [308] عليّ بن عيسى قبل صرفه عن الوزارة بعشرين يوماً كتب إلى أبي عبد الله البريدي يأمره باستخراج ما كتب به ابن مابنداذ^(١) أنّه قد اجتمع في بيت مال الأهواز من مال الأهواز وهو ألف ألف وخمسون ألف درهم وانضاف إلى ذلك ما حمله القاسم بن دينار من مال فارس وكرمان على الظهر وهو سبعمائة ألف درهم سوى ما حمله أبو علي ابن رستم من مال إصبهان وهو أربعمائة وخمسون ألف درهم فيصير الجميع ألفي ألف ومائتي ألف درهم.

وكان في أبي عبد الله البريدي حركة ورُجّلة يحتاج إليهما في ذلك الوقت. فكتب إلى ابن مابنداذ يطالبه بالمال فكتب بأنّ المال حاصل. وكان ابن مابنداذ بُشْتَر، فوجّه إليه يستعجله ولم ينتظره واستحضر كاتبه فحمل في الشذات ألفي ألف ومائتي ألف درهم، وكتب أنّه إن عادت الشذات حمل فيها باقى المال، فصرف عليّ بن عيسى قبل موافاة بقية المال.

وقد كنّا ذكرنا انحراف نصر الحاجب عن عليّ بن عيسى لميل مونس المظفر إليه، فلمّا نكب عليّ بن عيسى ادّعى نصر الحاجب أنّه وجد رجلاً يعرف بالجوهري أقرّ أنّه صاحب القرمطى [309] وأنّه جعل سفيراً بينه وبين

عليّ بن عيسى مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی
وحكى عنه أنّ عليّ بن عيسى كان يكاتب القرمطى على يده وجمع بينه

وبين عليّ بن عيسى حتّى واجهه بذلك فقال له عليّ بن عيسى :

«بَهْتَنِي وَمَا خَلَقَ اللَّهُ لِمَا يَقُولُهُ أَصْلًا.»

وعاون أبو عليّ ابن مقلّة نصرأ الحاجب في هذه القصة إلى أن كاد يتمّ

المكروه على عليّ بن عيسى وهمّ المقتدر أن يضربه بالسوط على باب العامة بحضرة الفقهاء والقضاة وأصحاب الدواوين، فاحتالت السيّدة واستكشفت الحال فيما ادّعى عليه فوقفت على بطلانه وقررت ذلك في نفس ابنها وأزالت ما كان أمره به فيه.

وأخذ أبو عليّ ابن مقلّة خطوط العمّال والضمان بنحو مائة ألف دينار وبلغ أبا عبد الله البريدي وهو بالأهواز تقلّد أبي عليّ ابن مقلّة الوزارة وكان بينهما مودة فأنفذ إليه من وقته سفاتج بثلاثمائة ألف دينار من حملة الباقي بالأهواز بعد ما كان حملة.

وكان القاسم بن دينار وأحمد بن محمّد بن رستم قد حملا إلى عليّ بن عيسى سفاتج بستمائة ألف درهم، فوصلت بعد صرفه^(١) فقبضها ابن مقلّة فمشى أمر أبي عليّ ابن مقلّة بهذه الاتفاقات. وكتب [310] أبو عليّ ابن مقلّة كتاباً برفع كلّ الجبايات^(٢) والمصادرات وسكّن من الناس لينبسطوا في أعمالهم.

وفي هذه السنة وقعت حرب
بين نازوك وهارون بن غريب بن هارون
ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن سوّاس هارون بن غريب وسوّاس نازوك تغايروا على غلام أمرد ووقع الشرّ بينهم وأخذ نازوك سوّاس هارون بن غريب وأودعهم حبس الجرائم بعد أن ضربهم، فصار أصحاب هارون بن غريب إلى مجلس الشرطة ووثبوا على أبي الجود خليفة نازوك وانتزعوا أصحابهم من

١. في مط: صرفها.

٢. الجبايات. كذا في الأصل. وفي مط: الجبايات. وفي مد: الجنایات.

يده.

وركب نازوك إلى المقتدر وشكى إليه هذه الحال فلم يكن من المقتدر إنكار رضيه^(١) نازوك فأنصرف محفظاً وجميع رجاله وجمع هارون ابن غريب رجاله وباتا جميعاً مستعدين.

فلما أصبحوا زحف أصحاب نازوك إلى دار هارون بن غريب وأغلق هارون بابه دونهم وخارج الباب جماعة من غلمان هارون وأصحابه فقتل منهم قوم وفتح باب هارون حينئذ وخرج أصحابه واستحكمت الحرب بينهم واشتدّت. فوجه نازوك إلى أصحابه بمن صرفهم، ثم ركب [311] الوزير أبو عليّ ومعه مفلح الأسود لتوسط القصة، فبدأ بآين الخال وأدى إليه رسالة المقتدر بالكف. ثم صار إلى نازوك فأدى إليه مثل ذلك فسكنت القصة.

واستوحش نازوك وأقام في داره وفيها غلمانه وأصحابه ورجاله وظهر في ساقه توتة^(٢) وقلعها وجعلها سبباً في ترك الركوب وبعد ثلاثة أيام صار إليه هارون بن غريب بدرّاعة فاصطلحا وأقام نازوك في داره وصار هارون بن غريب إلى البستان النجمي فأقام فيه ليعبد عن نازوك وكثر الناس عليه وأرجفوا له بأمره الأمراء فاشتد ذلك على أسباب مونس المظفر وكتبوا به إليه وهو بالرقّة فأسرع الشخصوس منها على طريق الموصل إلى بغداد ووصل إليها ولم ينحدر إلى المقتدر ولا لقيه وصاعد إليه الأمير أبو العباس والوزير أبو عليّ فسلما عليه وانحدر نازوك.

ظهور الوحشة بين مونس والمقتدر

وأقام هارون بن غريب في دار السلطان منابذاً لمونس المظفر ودخل أبو

١. رضيه: في الأصل غموض، وما أثبتناه يوافق مط ومد.

٢. في مط: قومه، بدل «توتة».

الهيحاء عبد الله بن حمدان من الجبل وصار إلى مونس المظفر وما زالت المراسلات تتردد بين مونس والمقتدر. [312]

ودخلت سنة سبع عشرة وثلاثمائة

ذكر فتنة نازوك وأبى الهيحاء التي أدت إلى خلع

المقتدر وذكر قتلها ورجوع المقتدر بالله إلى الخلافة

لما كان يوم السبت لثمان خلون من المحرم خرج مونس المظفر إلى الشّمسية وخرج الجيش معه وركب نازوك من داره في غلمانته وأصحابه في السلاح. فلما وصل إلى الجسر وجده مقطوعاً فأقام بمكانه إلى أن أصلح وعبر هو وأصحابه عليه وصاروا إلى مونس وخرج أبو الهيحاء ابن حمدان إليه وسائر القواد، ثم انتقلوا من باب الشّمسية إلى المصلّى وشحن المقتدر داره بهارون بن غريب وأحمد بن كيغلف والحجرية والرجالة المصافية. فلما كان آخر النهار انفضّ أكثر من كان في دار السلطان وصاروا إلى مونس وصرف مونس تحرير الصغير عن الدينور وردّها إلى أبى الهيحاء مضافة إلى أعماله.

وراسل مونس المقتدر بأنّ الجيش عاتب منكر للسرف فيما يصير إلى الخدم والحرم من الأموال والضياع ولدخولهم في الرأى والتسدير ويطالبون بإخراجهم من الدار [313] وإبعادهم وأخذ ما في أيديهم.

فكتب المقتدر إلى مونس رقعة نسختها :

- «بسم الله الرحمن الرحيم، أمتعننى الله بك ولا أخلانى منك ولا

أراني سوء فيك. تأملت الحال التي خرج أولياؤنا^(١) وصنائعنا وشيعتنا إليها وتمسكوا بها وأقاموا عليها، فوجدتهم لم يريدوا^(٢) إلا صيانة نفسى وولدى وإعزاز أمرى وملكى واجتلاب الخير والمنفعة من كل جهة وتطلبها بكل سبيل، بارك الله عليهم وأحسن إليهم وأعاننى على صالح ما أنويه فيهم.

- «وأما أنت يا أبا الحسن المظفر - لا خلوت منك - فشيخى وكبرى ومن لا أزول ولا أحول عن الميل إليه والتوفر عليه والتحقق به والإيجاب له اعترض ما بيننا هذا الحادث أم لم يعترض. وانتقض الأمر الذى يجمعنا أم لم ينتقض، وأرجو ألا تشك في ذلك إذا صدقت نفسك وحاسبتها وأزلت الظنون السيئة عنها أدام الله حراستها والقوة بالله والذى خاض لأصحابنا فيه من أمر الخدم والحرم الذين يخرجون من الدار ويباعدون عنها وتسقط رسومهم فى الخدمة ويمنعون منها ويبرؤن من نعمهم ويحال بينهم وبينها إلى أن يفرجوا عما فى أيديهم من المال [314] والضياع ويردوها إلى حقوقها قول إذا تبينوه حق تبينه وتصفحوه كنه تصفحه علموا أنه قول جاف والبغى على فيه غير مستر ولا خاف.

- «ولا يثارى موافقتهم وأتباعى مسرتهم ما أجبتهم إلى المتيسر فى أمر هذه الطبقة خاصة، فأتقدم بقبض بعض

١. أولياؤنا: كذا فى الأصل. وفى مط: آباؤنا.

٢. لم يريدوا: كذا فى الأصل. وفى مط: لم يدبروا.

إقطاعاتهم وحظر تسويغاتهم وبسط إيفاراتهم وإخراج من يجوز إخراجهم من دارى ولا أطلق للباقيين الدخول فى تدبيرى ورأى وأوعز بمكاتبة العمال فى استيفاء^(١) حق بيت المال فى ضياعهم الصحيحة الملك دون ما يقال إنه قد لابس^(٢) الريب والشك.

- «وأنظر بنفسى فى أمر الخاصة والعامة وأبلغ فى إنصافها والإحسان إليها الغاية، ولا أعتمد فى ذلك على وزير ولا سفير البتة وانتصب لإثارة الأموال وجمعها ووضعها فى مواضعها وأحميها من كل ما يثلمها وينتقصها وأشمر فى ذلك وأبلغ فى مناهضة الأعداء قريباً وبعداً وهذا إنما قعدت عنه اعتماداً عليكم وتفويضاً إليكم وثقة بأنكم شركائى وسهمائى والمخصوصون بخير أيامى شرها وحلوها ومرها ولو علمت أنه يجعل ذلك ذنباً لى وجرمأ يتجنئ به علىّ لكنت أول شاخص إلى كل [315] تعب وأول مبادر نحوه من غير إبطاء عنه ولا ريب.

- «فأما أنتم فمعظم نعمكم منى وما كنت لأغور عليكم فى شىء سمحت به لكم ورأيت فى وقته وأراه الآن زهيداً فى جنب استحقاقكم وأنا بتشميره أولى وبتوفيره أحرى والله المطلع على جميل معتقدى للجماعة فيها والشاهد على محبتى لإيصالها إلى أقصى أمانها.

- «ونازوك، فلست أدرى من أى شىء عتب ولا لأية حال

١. استيفاء: كذا فى الأصل. وفى مط: استيفاد.

٢. لابس: كذا فى الأصل. وفى مط: لا يشتبه.

استوحش واضطرب لأنى لم أُلَمَّ على محاربة هارون بن غريب الخال ولم أمنعه من الإنتصار منه والأخذ بثأره عنده ولا أمرت بمعاونة هارون عليه ولا قبضت يده عما كانت طويلة إليه منبسطة فيه متمكنة منه ولا غيّرت له حالاً ولا حزت له مالا ولا سمع منى ولا بلغه عنى ما يسوء موقعه وينفر منه والله يغفر لنا وله.

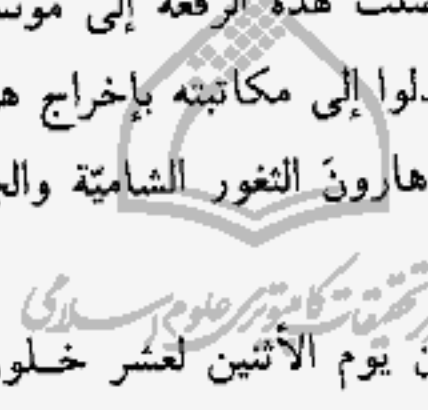
- «وعبد الله بن حمدان فالذى أحفظه صرفه عن الدينور وقد كان يتهياً إعادته إليها إن كان راغباً فيها فيسعف بمسألته وأن يستدعى تعويضه من الأعمال ما هو أعظم خطراً من الدينور فلا تقصر عن إرادته وما عندي له ولنازوك وللمصاة كلها إلا التجاوز والإبقاء والإغضاء وقبل هذا وبعده، فلى فى أعناقكم بيعة قد [316] وكّدتموها على أنفسكم دفعة بعد دفعة، ومن بايعنى فإنما بايع الله ومن نكث إنما نكث عهد الله.

- «ولى أيضاً عليكم نعم وأياد وعندكم صنائع وعوارف أمل أن تعترفوا بها وتلتزموها ولا تكفروها وتشكروها وإن راجعتم الجميل وتلافيتم هذا الخطب الجليل وفرّقتم جموعكم ومزّقتموها وعدتم إلى منازلكم واستوطنتموها وأقبلتم على شوؤنكم وتشاغلتم بها وأجريتكم فى الخدمة على عادتكم فلم تقصروا فيها كنتم بمنزلة من لم يبرح من موضعه ولم يأت بما يعود بتشعث^(١) محله وموقعه وكنت الذى تعرفونه فى الثقة بكم والإيثار لكم والسكون إليكم

١. بتشعث: كذا فى الأصل. وفى مط: ويتشعث.

والإشتمال عليكم لكم بذلك عهد الله إن عهده كان
مسؤولاً.

- «وإن أبيتم إلا مكاشفة ومخالفة وإثارة فتنة وتجديد محنة
فقد وليتكم ما توليتم وأغمدت سيفي منكم وتبرأت إلى الله أن
أمدّ باعى إلى أحد منكم ولجأت في نصرى ومعونتى وكفايتى
إلى الله عز وجلّ ولم أخرج من منزلى ولم أسلم الحقّ الذى
جعل الله لى إلا كما خرج عثمان بن عفان عن داره وكما سلم
حقّه لما خذله عامّة ثقاته وأنصاره وكان ذلك حجة فيما بين الله
عز وجلّ وبينى ومعذرة وسبباً [317] بإذن الله لما أوّله من
الفوز فى الدنيا والآخرة والله بصير بالعباد وللظالمين بالمرصاد
وحسبى الله ونعم الوكيل.»

ولما وصلت هذه الرقعة إلى مونس ووقف نازوك وأبو الهيجاء على ما
تضمّنت عدلوا إلى مكاتبتة بإخراج هارون بن غريب عن بغداد، فأجابهم إلى
ذلك وقلّد هارون الثغور الشاميّة والجزريّة من يومه ومضى إلى قَطْرَبُل^(١)
فأقام بها. 
ولما كان يوم الاثنين لعشر خلون من المحرم دخل مونس المظفر
والجيش بغداد وعدلوا عن دار السلطان كراهية لمعرة الجند وظهر عند الناس
ظهوراً بيناً وأرجفوا إرجافاً قوياً أنّ نازوك وأبا الهيجاء واقفا مونساً المظفر
على الاستبدال به ونصب غيره فى الخلافة.

فلما كان يوم الأربعاء لإثني عشرة ليلة خلت من المحرم خرج مونس

١. قَطْرَبُل: قرية بين بغداد والمرزقة، وهى الآن خراب (مرصد الإطلاع).

إلى باب الشماسية دفعة ثانية وخرج معه أبو الهيجاء ونازوك وبنى بن نفيس وجميع القواد والجيش وزحفوا إلى دار السلطان.

ذكر الخبر عن خلع المقتدر بالله

وتقليد القاهر بالله الخلافة

لما زحف القوم بأسرهم إلى دار السلطان هرب المظفر بن ياقوت وسائر الحجاب والحشم [318] والخدم والوزير أبو علي ابن مقله منها ودخل مونس من باب الزاوية وحصل الجيش كله في دار السلطان. فلما كان بعد عتمة بساعة أخرج المقتدر ووالدته وخالته وخواص جواريه من الدار وأصعد بهم إلى دار مونس المظفر ودخل هارون بن غريب من قطربل سراً إلى بغداد واستتر بها.

ومضى أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان إلى دار ابن طاهر ليحدر منها محمد بن المعتض بالله فلم يفتح له كافور الموكل بحفظ الدار وطالبه بعلامة من مونس، فلم تكن معه فأنصرف، وأصعد ونازوك بعد أن أخذ العلامة وطرح في طريقه النار في دار هارون بن غريب وأحدر محمد بن المعتض ووصل إلى دار السلطان في الثلث الأخير من ليلة السبت للنصف من المحرم وسلم عليه بالخلافة وبايعه مونس والقواد ولقب بالقاهر بالله.

وزارة علي بن مقله

وأخرج مونس علي بن عيسى من الحبس في دار السلطان وأطلقه إلى منزله وأحضر أبا علي ابن مقله وقلده وزارة القاهر بالله وقلد نازوك الحجة مضافة إلى ما إليه من الشرطة بمدينة السلام وأضاف إلى ما كان إلى أبي

الهيحاء من أعمال طريق خراسان وحلوان والدينور وطريق [319] سُرّ من رأى وبُزرج سابور والراذانيين ودقوقاء^(١) وخانيجان والموصل أعمال المعاون بهمذان ونهاوند والصيمرة والسيروان وماسبذان ومهرجانبذق وأرزن.

ووقع النهب في دار السلطان ومضى بنى بن نفيس إلى تربة السيدة بالرصافة فوجد لها هناك ستمائة ألف دينار فحملها إلى دار السلطان. وخلع المقتدر بالله من الخلافة يوم السبت النصف من المحرم وأشهد على نفسه بذلك القضاة وسلم الكتاب بذلك إلى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف.

ذكر حزم استعمل وانتفع به

فحدث أبو الحسين ابن أبي عمر أن أباه سلم الكتاب إليه بالخلع وقال له :
- « يا بنى احفظه واستره ولا يراه أحد من خلق الله عندك. »
قال : فقلت له :

- « وما الفائدة في كتمانك وقد علم به الخلق ؟ »

قال : فقال لي :

- « وما الفائدة في إظهاره ومن أين تعلم ما يكون ؟ »

قال : فامتثلت أمره. فلما أعيد المقتدر بالله إلى الخلافة بعد يومين أخذ القاضي أبو عمر ذلك الكتاب فسلمه إلى المقتدر بالله من يده إلى يده وحلف له على أنه [320] ما رآه أحد من خلق الله عنده غيري. فحسن موقع ذلك من المقتدر جداً وشكره له وقلّده بعد مديدة قضاء القضاة.

قال : فقال لي :

- « يا بنى ما ضرنا كتمان الكتاب وستره شيئاً »

١. دقوقاء (بالمدة) بلدة بين أربيل وبغداد (مراسد الإطلاع).

وانصرف الناس من دار السلطان يوم السبت ولما كان من غد وهو يوم الأحد جلس القاهر بالله وحضر الوزير أبو عليّ ابن مقلّة ووصل إليه وأمره بالجلوس بين يديه وسكن الذهب وكتب أبو عليّ ابن مقلّة بخبر تقليد القاهر بالله الخلافة كتاباً أنشأه إلى الولاة في النواحي. وأمر نازوك الرّجالة المصافيّة بقلع خيمهم من دار السلطان وأقام رجّالته مكانهم فاضطربوا من ذلك ثمّ تقدّم إلى خلفاء الحجّاب والبوابين ألا يدخل الدار إلّا من كانت له مرتبة فاضطربت^(١) الحجريّة من ذلك وتكلّموا وصار ذلك سبباً لرّد المقتدر إلى الخلافة.

ذكر السبب في ردّ المقتدر إلى الخلافة

فلما كان يوم الإثنين السابع عشر من المحرم بكرّ الناس إلى دار السلطان لأنّه يوم موكب ودولة جديدة، فامتلأت الدهاليز والممرّات والرحاب وشاطئ دجلة [321] منهم وحضر الرّجالة المصافيّة بالسلاح يطالبون بالبيعة ورزق سنة ولم ينحدر مونس إلى دار السلطان ذلك اليوم وأقام في منزله. وارتفعت زعقات الرّجالة وسمعها نازوك وأشفق أن يجرى بين أصحابه وبينهم قتال، فتقدّم إلى غلمان أصحابه ألا يعرضوا لهم. وزاد شغب الرّجالة وهجموا يريدون الصّحن التّسعين فلم يمنعهم أحد لما كان نازوك تقدّم به إلى أصحابه ودخل منهم من كان على الشطّ من الروشن بالسلاح المشهور وقربت زعقاتهم من مجلس القاهر بالله وكان جالساً في رواق التّسعين وبين يديه أبو عليّ ابن مقلّة ونازوك وأبو الهيجاء، فوجّه بنازوك ليخاطبهم وكان نازوك مخموراً كالسكران قد شرب طول ليلته، فلما برز إلى الروشن ونظر

١. كذا في الأصل: فاضطربت. وفي مط: فيضطرب.

إليه الرّجاله أسرعوا نحوه فخافهم لأنّهم شهروا السلاح عليه، فولّى منهم وعدا وأطعمهم فى نفسه وعدوا خلفه وانتهى به الهرب منهم إلى باب كان هو سدّه أمس ذلك اليوم بالآجر والجصّ ولم يمكنه النفوذ ووصلوا إليه وقتلوه وقد كانوا قتلوا قبله^(١) عجباً وصاحوا:

- «مقتدر يا منصور»-

فتهارب كلّ من فى الدار من الوزير والحجّاب والحشم وسائر الطبقات حتّى بقيت الدار خالية.

وصلب [322] الرّجاله نازوك وعجباً على خشب الستارة التى على شاطئ دجلة [ثمّ صار^(٢) الرّجاله إلى] دار مونس يطالبون بالمقتدر بالله، وبادر الخدم فى دار السلطان فغلقوا أبوابا وكان جميعهم خدم المقتدر وحاشيته وصنائه، وأراد أبو الهيجاء أن يخرج من الدار فتعلّق به القاهر وقال:

- «يا أبا الهيجاء تسلّمنى؟»-

فدخلت أبا الهيجاء الحميّة والأنفة، فرجع معه وقال:

- «والله لا أسلمتك»-

وعاد فوجد الأبواب مغلقة فدخل دار السلام وارتفعت ضجّة وتكبير.

فقال فائق وجه القصعة، لبعض الخدم الصغار الرسائيّة^(٣):

- «أنظر ما هذه الضجّة؟»-

فمضى وعاد وقال:

- «قُتل أبو الهيجاء»-

١. قبله: كذا فى الأصل: وفى مط: قتله.

٢. فى مط: وصار إلى مونس. بدل «ثم صار الرّجاله إلى دار مونس». وما بين المعقوفتين من مد.

٣. فى مط: رسايطية.

فقال له :

- «أنظر ويلك ما تقول.»

فأعاد ذلك ثلاثاً فقال أبو الهيجاء :

- « هو ذا أنا^(١) ويلك.»

فقال الخادم :

- «غلطتُ، قُتل نازوك.»

فقال القاهر لوجه القصعة :

- «افتح لى الباب لأخرج إلى الشطّ.»

فقال : «إن وراءه أبواباً كثيرة يتعذر منها الوصول إلى الشطّ، ولكن نفتح

على كلّ حال.»

ففتح فأفضى بالقاهر المشى إلى درجة الدواليب المنصوبة على دجلة فوق موضع التاج فصعدها ويده فى يد أبى الهيجاء ابن حمدان، وأشرفا على دجلة، فرأيا الرجالة فى السلاح من نهر المعلى منتظمين متراصين إلى التاج وإلى باب الخاصة لا يحصيهم [323] العدد فنزل مبادراً فقال له أبو الهيجاء :

- «امضي يا مولاي فوتربة حمدان لا فارقتك أو أقتل دونك.»

ومضيا حتّى دخلا الفردوس وخرجا من باب الفردوس إلى الرحبة، فلقيا

غلاماً لمقبل الخادم راكباً قلماً رآهما ترجل وقال له :

- «من أين جئت؟»

قال :- «من باب النوبى^(٢).»

فنزح أبو الهيجاء سواده ومنطقته ودفعها إلى الغلام وقال له :

- «أعطني جبّتك.»

١. فى الأصل غموض. وفى مط: أنا.

٢. كذا فى الأصل: النوبى. وفى مط: التونى.

وكانت عليه جبّة صوف مصرى فأعطاه إياها فلبسها وركب دابّة الغلام وترك القاهر مع الخدم وقال :

- « يا مولاي قف بمكانك حتّى أعود إليك. »
فلم يطل أبو الهيجاء حتّى عاد فقال له القاهر :
- « ما وراءك ؟ »

فقال : « صرت إلى باب النوبى ^(١) فلقينى جعفر البواب فقلت له :
- « افتح الباب. »

فقال : « لا يمكننى لأنّ وراءه من الرّجالة والجيش من لا يُحصى لأنّه قد
جىء برأس نازوك إلى ها هنا. »
ثمّ قال للقاهر :
- « هذا أمر من السماء فعد بنا. »

ودخلا الفردوس فجالا فيه ثمّ خرجا إلى القرب من القلّاية ثمّ دخلا
الصحن الحسنى الصغير ثمّ دخلا إلى دار الأترجة وخفّ من معهما من الخدم
وتأخّر هناك فائق وجه القصعة وقال لمن وقف بوقوفه من الخدم :
- « ادخلوا إليهما فافرغوا من عدوّ مولاكم. »

فدخل نحو عشرة منهم بعضهم بقسى وبعضهم [324] بدبابيس. فلما رأهم
أبو الهيجاء صاح بهم وجرد سيفه ونزع الجبّة الصوف التى كانت عليه، فلقها
على يده وأسرع نحوهم فأنجفلوا من بين يديه ودهشوا وسقط بعضهم فى
البركة وغشيهم فرموه ضرورة، فرجع ودخل بيت ساج فى بستان دار
الأترجة، فلما حصل فى البيت خرج من كان فى البركة من الخدم وصاروا
إلى قرب البيت وأحسّ بهم فخرج إليهم بسيفه فولّوا بين يديه إلى جانب من

الصحن وفتحوا باباً من زاوية هذا الصحن فدخل منه خمارجويه^(١) أحد
أكابر الغلمان بسيفين ودرقتين وأقبل على الخدم وقال لهم :
- «أين هو يا أصحابنا؟»

فقالوا :

- «هو في البيت الساج.»

فقال لهم :

- «تحرشوا به حتى يخرج.»

فشتموه فخرج كالجمل الهائج وقال :

- «يآل تغلب أقتل بين الحيطان، أين الكمية أين الدهماء؟»

فرماه خمارجويه بسهم أصابه تحت ثديه وأتبعه بسهم آخر فأصاب
ترقوته ورماه بسهم ثالث وقد اضطرب فشك فخذه.

قال بشرى وهو الحاكي لهذه الصورة عن مشاهدة : فقد رأيت أبا الهيجاء
وقد ضرب السهم الذي [325] شك فخذه فقطعه وجذب السهم الذي أصابه
تحت ثديه فانتزعه ورمى به ومضى نحو البيت فسقط قبل أن يصل إليه على
وجهه فأسرع إليه أحد الأسودين فضرب يده اليمنى فقطعها وفيها السيف
وأخذ السيف وغشيه الأسود الآخر فحز رأسه فأسرع بعض الخدم فانتزع
الرأس من يد الأسود ومضى مبادراً به.

وكان الرجالة لما انتهوا إلى دار مونس وسمع زعقاتهم قال :

- «ما الذي يريدون؟»

فقال له :

- «يريدون المقتدر بالله.»

١. خمارجويه : كذا في الأصل . وفي مط : كمارجوته .

فقال : «سَلِّمُوهُ إِلَيْهِمْ».

فلَمَّا قِيلَ لِلْمَقْتَدِر :

- «امضِ معهم إِلَى الدارِ حَتَّى تَعُودَ إِلَى أَمْرِكَ».

خافَ أَنْ يَكُونَ حِيلَةٌ عَلَيْهِ فَاِمْتَنَعَ فَحُمِلَ حَمَلًا عَلَى رِقَابِ الرِّجَالِ مِنْ دَارِ
مُونِسَ إِلَى الطَّيَّارِ وَمِنْ الطَّيَّارِ إِلَى دَرَجَةِ الصَّحْنِ التَّسْعِينِي فَحِينَ وَضَعَ رِجْلَهُ
فِي الدَّارِ صَارَ إِلَى دَارِ زَيْدَانَ الْقَهْرْمَانَةِ وَقَالَ :

- «مَا فَعَلَ أَبُو الْهَيْجَاءِ؟»

فَقِيلَ : «هُوَ فِي دَارِ الْأُتْرَجَةِ».

فَدَعَا بِدَوَاةٍ فَأَبْطَأَ بِهَا الْغُلَّامَانِ وَلَمْ يَزَلْ يَطْلُبُهَا حَتَّى جَاءَهُ بِهَا فَكَتَبَ لَهُ
أَمَانًا بِخَطِّهِ وَدَفَعَهَا إِلَى بَعْضِ الْخُدَمِ وَقَالَ :

- «وَيْلَكَ بَادِرَ بِهِ لئَلَّا يَحْدُثَ عَلَيْهِ حَادِثَةٌ».

فَلَقِيَ الْخَادِمُ الْخَادِمَ الَّذِي مَعَهُ الرَّأْسُ فَعَادَ مَعَهُ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ لَهُ :

- «وَيْحَكَ [326] مَا وَرَاءَكَ؟»

قَالَ : «عَمْرُ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ».

فَقَالَ : «وَيْلَكَ مَنْ قَتَلَهُ؟»

فَغَمَزَهُ مِفْلَحُ الْأَسْوَدِ فَقَالَ :

- «لَا أُدْرِي مَنْ قَتَلَهُ وَلَا يَعْرِفُ قَاتِلُهُ فَإِنَّ أَخْلَاطَ الرِّجَالَةِ قَاتِلُوهُ».

قَالَ : «فَإِنَّا اللَّهُ».

وَأَقْبَلَ يَكْرُرُهَا وَقَالَ :

- «مَا كَانَ يَدْخُلُ إِلَيَّ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ وَأَنَا فِي دَارِ مُونِسَ مِنْ يَسْلِينِي^(١)

وَيُظْهِرُ لِي الْغَمَّ حَتَّى كَأَنَّهُ بَعْضُ أَهْلِي سِوَاهُ. هَذَا إِلَى مَا لَهُ وَلِأَهْلِهِ مِنْ

١. يَسْلِينِي ... : وَالْعِبَارَةُ فِي مَط : يَسْلَمُنِي وَيُظْهِرُ لِي الْعَمْرَ.

الحقوق.»

وظهر فيه من الكآبة أمر عظيم.

فبينما هو كذلك إذ ارتفعت ضجة فشغل عن أمر أبي الهيجاء وقال :
- « ما هذا؟ »

فجاءه خادم يعدو وقال :

- « محمد » - يعنى القاهر بالله .

وقد أخذ وجيء به .

فأحضر القاهر بالله فأجلسه بين يديه واستدناه ثم جذبه إليه وقبل جبينه
وقال له :

- « يا أخى أنت لا ذنب لك وقد علمت أنك قُهرت . »

والقاهر بارك يقول : « نفسى نفسى الله الله يا أمير المؤمنين . »

فلما كرّر ذلك قال له :

- « وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا جرى^(١) عليك سوء منى أبداً

ولا وصل أحد إلى مكروهك وأنا حى ، ولأحرصن على انصرافك إلى منزلك
من دار ابن طاهر فى هذه الليلة ، فطب نفساً ولا تجزع . »

وأخرج رأس نازوك ورأس أبي الهيجاء وشهرا [327] فى الشوارع ونودى

عليهما :

- « هذا جزاء من عصى مولاه وكفر نعمته . »

سكون الهيج ورجوع الخلافة إلى المقتدر

وسكن الهيج وعاد أبو على ابن مقلة إلى وزارته وكتب عن المقتدر بالله

١. فى مط : لا أجرى .

برجوع الخلافة إليه وتجديد البيعة له إلى الولاية في النواحي.

ولما تمكن المقتدر من دار الخلافة وأقرّ أبا عليّ ابن مقلّة على وزارته أطلق للجند البيعة. أمّا للرجالة فسوّى نواب وزيادة دينار لكلّ راجل، وأمّا الفرسان فثلث رزق وزيادة ثلاثة دنانير لكلّ فارس. ولما نفذت الأموال في ذلك أخرج ما في الخزائن من الكسوة وغيرها فباع ذلك ثمّ أطلق لهم بها العهد بالأشربة^(١) على وكيل نصبه المقتدر وهو عليّ بن العباس النوبختي وأشهد على نفسه بتوكيله إيّاه في البيع، وشرط للمبتاعين في كتب الأشربة أن يُحمّلوا في حقّ بيت المال فيما اشتروه على معاملة القطائع المعشورة، ثمّ بيع منهم بالصلة فضل ما بين المعاملتين في أملاك الرعيّة وهو فضل ما بين الأستان^(٢) والقطيعة ووقعت لهم الشهادة بذلك على عليّ بن العباس وحسبت عليهم الضياع والأملاك بأرخص الأثمان.

فحكى ثابت بن سنان أنّه حضر مجلس [328] الوزير أبي عليّ ابن مقلّة ولم يكن له شغل غير التوقيع للجند ببيع الضياع وفضل ما بين المعاملتين بالصلة ولا كان لأصحاب الدواوين عمل غير إخراج العبر لما يباع. وكان الناس مجتمعين عليه وهو يوقّع إذ استؤذن لعلّى بن عيسى عليه فأذن له، فلمّا رآه قام له قياماً تاماً وأجلسه معه على دسّته وأقبل عليه وترك ما كان فيه، فلمّا سأل عن خبره رأى الناس منكبين عليه فقال له :
- « يشغل الوزير أيّده الله بشغله. »

وأقبل أبو عليّ ابن مقلّة على الناس يوقّع لهم، فلمح عليّ بن عيسى خرجاً قد أخرج بعبرة ضياع جبريل والد بختيشوع فوجد الثمن بالإضافة إلى ما اشترى نزرأ يسيراً فقال :

١. في مط : بالأشربة.

٢. في الأصل : الاستار. وفي مط ومد : الاستان.

- «لا إله إلا الله، بلغ الأمر إلى هذا؟»

فترك ابن مقلّة ما كان فى يده وأقبل عليه فقال :

- «حدّثنى شيخنا أبو القاسم رحمه الله - يعنى عيسى بن داود - أنّ المتوكّل على الله لما غضب على بختيشوع المتطبّب أنفذ إلى داره لإحصاء ما فى خزائنه فوجد فى خزانة كسوته رقعة فيها ثبت ما اشتراه من الضياع وهو ببضعة عشر ألف ألف درهم فقد آل أمرها إلى أن تباع بهذا القدر النزر، فعجبا جميعاً من ذلك وعاد ابن مقلّة إلى شغله وقام علىّ بن عيسى لينصرف [329] فقام له الوزير أبو علىّ كما قام لدخوله.

وفى هذه السنة خلع علىّ أبى علىّ ابن مقلّة وكُنّى وكُتِبَ إلى جميع النواحي.

وفىها قُلّد أبو عمر قضاء القضاة وكُتِبَ عهده.

وفىها أوقع القرمطى بالحاجّ فى البيت الحرام بمكّة وقتل أميرها.

ذكر الخبر عن إيقاع القرمطى بالحاجّ وتخريبه مكّة

كان منصور الديلمي بذرق بالحاجّ فى هذه السنة فسلموا فى طريقهم فلمّا وصلوا إلى مكّة وافاهم أبو طاهر الهجرى إلى مكّة يوم التروية فقتل الحاجّ فى المسجد الحرام وفى فجاج^(١) مكّة وفى البيت قتلاً ذريعاً، وقلع الحجر الأسود، وقتل ابن محلب^(٢) أمير مكّة وعزّى البيت وقلع الباب وأصعد رجلاً من أصحابه ليقلع المرازب فتردّى الرجل على رأسه ومات، وأخذ أموال

١. فى مط: ومن يحاج. بدل «وفى فجاج».

٢. كذا فى الأصل ومط: محلب. فى مد: مجلب.

الناس وطرح القتلى فى بئر زمزم ودفن باقيهم فى مصارعهم فى المسجد الحرام وغيره من غير أن يصلى عليهم، وأخذ أسلاب أهل مكة وانصرف إلى بلده وحمل معه الحجر الأسود.

وفىها قُلت ابننا رائق شرطة بغداد مكان نازوك.

ودخلت سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة [330]

وشغّب الفرسان وتهّدوا بأمور عظيمة، فأحضر المقتدر قوّادهم وخاطبهم بجميل ووعدهم بإطلاق أرزاقهم فى الشهر الجديد، فانصرفوا وسكنوا، وشغّب الرّجالة فأطلقت أرزاقهم.

وفى شوال منها خلع المقتدر على الأمير هارون ابنه وركب معه الوزير والجيش وكانت ولاية فارس وكرمان وسجستان ومكران إليه.

وفى ذى القعدة منها خلع المقتدر على ابنه الأمير أبى العباس وركب معه الوزير، مونس المظفر وجميع الجند وكان مرسوماً بولاية المغرب ومونس يخلفه عليه.

وفىها صرف ابننا رائق عن الشرطة وقلّدها أبو بكر محمّد بن ياقوت. وفى هذه السنة كان هلاك الرّجالة المصافيّة.

ذكر السبب فى هلاكهم

كان قد عظم الأمر فى تسحب^(١) الرّجالة المصافيّة وأدلوأ بأنّهم كانوا

السبب في ردّ المقتدر إلى الخلافة بعد ما خُلِعَ وثقل مالهم واحتدّت مطالبتهم وكثر شغبهم وزاد تعدّيههم وبلغ مالهم في كلّ شهر من شهور الأهلّة مائة وثلاثين ألف دينار. فاتّفق أن شَغَبَ الفرسان وطالبوا بأرزاقهم وناوشهم^(١) الرّجالة فقتل منهم جماعة واحتجّ [331] السلطان على الفرسان بأنّ المال منصرف إلى الرّجالة، فحاربوهم حتّى طردوهم من دار السلطان، وركب محمّد بن ياقوت فنادى فيهم ألاّ يقيموا ببغداد وكان من وجد منهم بعد النداء قبض عليه وأودع حبس الجرائم.

وهُدمت دور عرفاء الرّجالة وركب في ذلك ابن ياقوت وجدد النداء فيهم ثمّ ظفر بنفر منهم فضربوا وشهّروا وقُبِضت أملاك الرّجالة المصافيّة وهُدمت دورهم.

ثمّ هاج السودان بباب عمّار فركب محمّد بن ياقوت والقوّاد الحجريّة فأوقعوا بهم وضربوا الصقع بالنار. وكانت لأبى سعيد بن حمدان فيهم نكاية مشهورة وهربوا متفرّقين ثمّ اجتمع منهم جماعة من البيضان من رّجالة المصافيّة وغيرهم فكثّر عددهم وانحدروا إلى واسط ورأسوا على أنفسهم رجلاً من الفرسان يعرف بنصر الساجي وطرّدوا عمّال السلطان بواسط، فانحدر إليهم مونس وأوقع بهم بواسط وقتلهم فلم يرتفع لهم راية بعد ذلك.

مركز تحقيق تكملة تاريخ علوم اسلامی

وفيها قبض على الوزير أبى على ابن مقلّة

ذكر السبب في القبض عليه

كان المقتدر متّهماً لابن مقلّة لممايلة [332] مونس المظفر وكان مستوحشاً من مونس يُظهر له الجميل، وانحرف عنه ياقوت لميل مونس

١. في مط: وناق سهم. بدل «وناوشهم».

إليه. واتفق أن خرج مونس المظفر إلى أوانا^(١) متنزهاً وانحدر أبو عليّ ابن مقلّة إلى دار السلطان فتغنّم المقتدر بالله فيه غيبة مونس فقبض عليه. وكان محمّد بن ياقوت معادياً له، فلما قبض عليه أنفذ إلى داره بالليل من أحرقتها^(٢).

وكان المقتدر قد عمل على أن يستوزر الحسين بن القاسم بن عبيد الله فرحل مونس من أوانا ودخل بغداد وراسل المقتدر بالله بكرأته للحسين ابن القاسم وسأله ردّ أبي عليّ ابن مقلّة، فاغتاز المقتدر وعزم على قتل ابن مقلّة. وكان السفير عليّ بن عيسى. فكان يداريه إلى أن سكّنه وقال:

«ما ذنب وزيرك في شفاعة مونس له؟»

ولم يزل به حتّى انصرف عن رأيه.

وكان المقتدر من محبته لأن يستوزر^(٣) الحسين بن القاسم، استحضره وبيّته عنده وخلع عليه ووعدّه أن يصل في غد تلك الليلة بحضرة الناس ويخلع عليه الوزارة. فلما اتصل ذلك بمونس غلظ عليه أن يتفرّد المقتدر بهذا التدبير ولا يشاوره فيه وقد كان طعن عليه قديماً وقال:

«لا يصلح للوزارة.»

فترددت الرسائل بينه وبين [333] المقتدر على لسان عليّ بن عيسى، فاستشار المقتدر عليّ بن عيسى، فأشار برّد أبي عليّ ابن مقلّة موافقة لمونس وذلك بعد أن سأله أن يتقلّدها هو فامتنع فقال المقتدر:

«هذا غير ممكن، فاذكر سواه.»

فذكر سليمان بن الحسن وأشار به أو عبد الرحمن بن عيسى. فمال

١. أوانا: بليدة من دجيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ (مراصد الإطلاع).

٢. في مط: أحرقتها.

٣. في مط: لا يستوزر، بدل «لأن يستوزر».

المقتدر إلى سليمان لما كان قدّمه من الطعن على ابن مقلّة وما ظهر من عداوته له، فأمره بإحضاره وانصرف الحسين بن القاسم من دار السلطان واستتر.

وكانت مدّة وزارة أبي عليّ محمّد ابن عليّ ابن مقلّة سنتين وأربعة أشهر.

ذكر ما جرى في أمر الوزارة بعد أبي عليّ وتقلّد سليمان بن الحسن لها

أحضر سليمان بن الحسن يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى دار السلطان ولم يوصله المقتدر بالله إليه في ذلك اليوم وعاد من غد وهو يوم الخميس فوصل وخلع عليه. وتقدّم المقتدر إلى عليّ بن عيسى بالإشراف على سائر الأمور من الأعمال والدواوين وبمعاوضة سليمان وألا يتراخى في ذلك فصار يصل مع سليمان إلى المقتدر ولا يقلّد سليمان أحداً ولا يصرفه ولا يعمل شيئاً إلا بموافقة عليّ بن عيسى. [334]

وفيها قبض على البريديين وصودروا ذكر الخبر عن ذلك

حكى أبو الفرج ابن أبي هشام قال: كان أبي يكتب لأحمد بن نصر القشورى وكان أحمد يطمع أن يجعل مكان أبيه نصر ويستحجب. قال: فبينما^(١) نحن بين يدي أحمد بن نصر بالأهواز - وكان يتولّى أعمال معاون بها - إذ ورد عليه توقيع من المقتدر بالله بخطه مع ركابيّ يعرفه سرّاً يقول فيه:

١. كذا في الأصل ومط: فيينا. وفي مد: فيينما.

- «يا أحمد قد عرفت ذنبك الذي جنيته وحرمت به نفسك رأيي، وقد تيسر لك تلافيه بامتنال أمرى فيما أضمنه توقيعى هذا، اقبض على البريديين الثلاثة وحصلهم فى دارك، وإيّاك أن تفرج عنهم إلّا بتوقيع يرد عليك بخطّ كهذا الخطّ الذى فى هذا التوقيع وثق منى بالعود لك إذا فعلت ذلك إلى ما يرفع منك ويصلح حالك ويعيد منزلتك.»

قال: فأقرأنى أحمد بن نصر هذا التوقيع وسجد شكراً لله على ثقة المقتدر به وعبر فى الوقت إلى دار أبى عبد الله وأنفذ حاجبه أبا يعقوب إلى دار أبى يوسف وأنفذ أحمد بن مقبل إلى دار أبى الحسين فوجدوهم قد خرجوا قبل ركوبه بلحظة وركبوا طياراتهم. وكان الخبر قد سبق إليهم فأظهروا أنّهم يريدون مسجد [335] الرضا المتصل بالشاذروان بالأهواز فاتبعهم وعرف أنّهم ساروا إلى البصرة، فقامت قيامته من ذلك.

وأنفذ أبا يعقوب والغلمان وراءهم، فاتفق أن عصفت الريح على البريديين فمنعتهم عن السير ولحقهم الطلب فأخذوا.

وبذل أبو عبد الله لأبى يعقوب خمسين ألف دينار على أن يفرج عنهم فما أجابه، ثمّ سأله أن يفرج عن أحد أخويه ويقبل منه عشرين ألف دينار فأبى، وردّهم وحصلوا فى دار أحمد بن نصر ولم تمض خمسة أيام حتّى ارتفعت ضجّة. فقال لى أحمد بن نصر: *رى*

- «اخرج فاعرف ما سبب هذه الضجّة.»

قال: وكان سلّم إليهم داره الشطيّة واعتزل فى حجرة، فخرجت مبادراً فرأىنى أبو عبد الله فقال:

- «قل له وبشره أنّ الفرّج قد أتى وأنّ هذا كتاب الوزير بالإطلاق وإقرارى وأنّ أنظر فى الأعمال.»

وأعطانى الكتاب وبادرت به إلى أحمد بن نصر فقرأه وخرج إليه وإلى

أخويه وقال :

- « هذه نعمة يلزمني فيها الشكر والصدقة والوفاء بالنذر ولكن هذا خطئ أمير المؤمنين إليّ بما رسمه وأريد خطأ مثله بما ينقضه. »
فتغيّرت وجوه الأخوة من ذلك واضطربوا حتّى ظهر على وجوههم ما فى قلوبهم ثمّ أخذوا فى مداراته ومسألته الرفق. [336]
فلما كان من الغد شغّب الرّجاله بالأهواز تعصّباً لهم وقالوا :
- « لا بدّ من إطلاقهم. »

وحملوا السلاح وكان مع أحمد بن نصر طوائف من البصريّة وعدّة كثيرة من السودان والغلمان الحجريّة فجمعهم ثمّ حلف بالطلاق أنّه إن هجم على داره أحد منهم قتلهم وأخذ رؤوس الثلاثة وحملها إلى الخليفة. وقال :
- « هذا كتاب مزور وإلا فلم لا يقع ^(١) تثبّت وإنّما ضربتم على الرّجاله وراسلتموهم فى حمل السلاح وأخذكم من منزلى لئلا ^(٢) يظهر ما زورتموه وتتعبّلون الخروج والهرب. »

فلما رأوا المصدوقة اعتذروا ووضعوا جنوبهم له وارسلوا الرّجاله فى الإنصراف بعد أن حلفوا أنّهم تبرّعوا بالتعصّب لهم وأقاموا بمكانهم.
ووافى بعد عشرة أيام ابن موسى دانجو بتوقيع مثل ذلك التوقيع وذلك الخطّ فتسلّمهم وحملهم وعلم أنّهم كانوا زوّروا واحتالوا وتأكدت الوحشة بينهم وبين أحمد بن نصر القشورى ولم يزالوا عليها حتّى فرّق بينهم الدهر.
ولما ورد البريديون الحضرة نوظروا على المصادرة فقال أبو زكريا يحيى بن سعيد السوسى وكان فى الوقت عدوّاً لهم :

- « بكرتُ إلى أبى جعفر محمّد بن القاسم الكرخى وقلت له : الأهواز

١. فى مط : لا يقطع ، بدل « لا يقع ».

٢. فى مط : ليلاً.

[337] خطّة القاسم أيبك وهى دارك ودار أخيك وأنتم تتصرفون فيها منذ ستين سنة فلم تركتموها لهؤلاء الفعلة الصنعة^(١) وهلا سعت على سحقهم وسحبهم حتّى لا يبقى لهم جناح يطفرون به؟
فقال: «يا أبا زكريا ما الذى تقدّره فى مصادرتهم التى تؤدّيههم إلى هذه الحال؟»

فقلت معظماً^(٢): «ثلاثمائة ألف دينار يزهد الله به نفوسهم». فقال لى:

- «يا أخ قم بنا حتّى نعبّر إلى دار الوزير». وكان يومئذ أبو القاسم سليمان بن الحسن. فخرجت معه فنزلنا الطيّار فلما وصلنا وتوسّطنا الدار وجدنا أبا القاسم الكلوزانى فى جانب منها والبريديّين بين يديه والكتاب. فقال لى أبو جعفر:
- «ترى أن نقضى حقّه ونعزّج عليه ونعرف الصورة من أمرهم فنبنى ما نخطب الوزير به بحسبه^(٣)؟»

فقلت: «صواب».

فعدلنا إلى أبى القاسم وجلسنا عنده فقال لأبى جعفر:
- «قد فصلنا أمر أصحابنا وأنت وجه الحضرة وتاجها وخزّرها وهم أخوتك وما أحقّك بمعونتهم؟»
فقال: «إنّ أيسر ما يكون لهم أيّدهم الله مشاركتهم فى المحنة فأما المعونة فما أقنع من نفسى بها فعلام انفصل أمرهم؟»
فقال: «على تسعة آلاف ألف درهم».

١. فى مط: الفعل الصنيعة، بدل «الفعلة الصنعة».

٢. فى مط: فقلت معظماً:

٣. به يحسبه: كذا فى الاصل. وفى مط: فحسب.

قال أبو زكريا : [338] فنظر إلى أبو جعفر وقد بُهِت. ونهضنا فقال :
- « يا أبا زكريا هذا خلاف ما كان عندك. »

فقلت : « هذا الأمر يُراد والله ما يملكون هذا المال فإنني أعرف بمكاسبهم ولكن لأبي^(١) عبد الله نفس أبيّة وهمّة عليّة فعرفت نفسه على سلطانه فأعطاه أكثر ممّا أطمع فيه وممّا سعى به أعداؤه متربّصاً بالأيام والأوقات ومتوقّعاً الدوائر وإن يسمع الخليفة التزامه هذا المال الجليل فيستكثر قدره ويرغب في تجديد الصنيعة عنده وما كلّ أحد يغرّر هذا التغرير وما هذا آخر أمره وسيكون له شأن عظيم كفانا الله شرّه. »
قال أبو زكريا : وعدلت منذ ذلك اليوم إلى مداراته وخدمته واستصلاحه.

مناظرة أبي علي بن مقلّة

وتقدّم المقتدر بالله إلى سليمان بن الحسن وأبي الحسن عليّ بن عيسى بمناظرة أبي عليّ ابن مقلّة فاختارا لذلك أحمد بن محمّد بن صالح العُكبري وأنفذه إلى دار السلطان فناظره ولم يزد على توبيخه ومواقفته على قبيح آثاره.

فالتمس أبو عليّ ابن مقلّة أن يكون المناظر له عليّ بن عيسى. فاجتمع الوزير سليمان وعليّ بن عيسى عليّ مناظرته في دار الحجة بحضرة ياقوت الحاجب، فاغلظ له سليمان في الخطاب [339] والتخطئة والإحتقار ونسبه إلى التضريب بين السلطان وأوليائه إلى أن قرّر عليّ بن عيسى أمره على مائتي ألف دينار على جمل^(٢)، يُعجّل منه النصف ويؤدّي الباقي في نجوم المصادرات، وكانت تلك النجوم إنّما هي رسم لا يطالب من يؤخذ خطّه بها.

١. في مط : أبا، بدل «لأبي».

٢. جُملي: وفي الأصل: جميل، والكلمة ساقطة من مط، فأثبتناها كما أثبتت في مد.

فكتب مونس المظفر إلى المقتدر يشفع لابن مقله ويسأله أن يعفيه من المصادرة وأن يكون معتقلاً في يد مرشد الخادم فأجابه إلى ذلك.

ودخلت سنة تسع عشرة وثلاثمائة
وفي هذه السنة استوحش مونس المظفر زيادة استيحاش.

ذكر السبب في استيحاش مونس وخروجه

كان محمد بن ياقوت منحرفاً عن سليمان ومائلاً إلى الحسين بن القاسم ومونس المظفر، وأسبابه^(١) يميلون إلى سليمان لمكان علي بن عيسى وثقتهم به وينحرفون عن الحسين بن القاسم. وقوى أمر محمد بن ياقوت وقلد مع الشرطة الحسبة [ببغداد]^(٢) واستضمّ رجالاً وقويت بهم شوكته فشقّ ذلك على مونس وسأل المقتدر صرفه عن [340] الحسبة وتقليد ابن بطحاء ففعل ذلك.

وتقدّم مونس إلى أصحابه بالإجماع إليه، فلمّا فعل ذلك جمع ياقوت وابنه الرجال في دار السلطان وفي دار محمد بن ياقوت. وقيل لمونس إنّ محمد بن ياقوت قد عمل على كبس داره بالليل وما فارق أصحابه حتّى أخرجوه إلى باب الشماسيّة وخرجوا معه وصار إليه علي بن عيسى فعرفه خطأ هذا الرأي وأشار عليه بأن يعود إلى داره فلم يقبل منه وأقام على أمره. وطالب بصرف محمد بن ياقوت عن الحسبة والشرطة وياقوت عن الحجة وإبعادهما عن الحضرة، فوجّه المقتدر قاضي القضاة أبا عمر وابنه الحسن وابن أبي الشوارب وجماعة من شيوخ الهاشميين أصحاب المراتب

١. وفي مط: اشبابه.

٢. الزيادة من مط.

إلى مونس برسالة يرفق فيها ويسأله الرجوع إلى داره، فقال قاضى القضاة:
 - «الوجه أن يكتب رقعة بما حملناه من الرسالة نرجع إليها ونثنى الكلام
 على معانيها، فإننا جماعة والقول يختلف والنسيان غير مأمون.»
 فقال الوزير:

- «وما معنى هذا؟»

فقال على بن عيسى:

- «هذا هو الصواب.»

وكتب بذلك رقعة.

وقعد الوزير وعلى بن عيسى فى دار السلطان ينتظران عود الجماعة،
 فعادوا وذكروا أنهم [341] لم يصلوا إلى مونس وأنهم أجلسوا فى الحديدى
 وراسلهم مونس فى إعلامه بما وردوا فيه فذكروه له فصار إليهم كتابه
 يخاطبونهم خطاباً جميلاً عنه.

فبينما^(١) هم كذلك إذ هجم الجيش على الحديدى فكادوا يفرقونه وقالوا:
 - «لا نرضى إلا بإخراج ياقوت وابنيه.»

وتكلموا بكلام قبيح فراح فى آخر النهار الوزير سليمان بن الحسن وعلى
 بن عيسى ومن معهما من الخدم الخاصة إلى باب الشماسية فشافهوا مونساً
 بالرسالة فلم يبعد^(٢) عنهم وخرجوا من عنده فقبض عليهم عند مغيب
 الشمس وحبسهم فى الحديدى.

فخرج ياقوت فى تلك الليلة ونزل المدائن ومعه ابنه فلما كان من غد
 ذلك اليوم وعرفت المونسية أن ياقوتاً وابنيه قد خرجوا عن الحضرة أفرجوا

١. فيينا: كذا فى الأصل ومط: فيينا. والمثبت فى مد: فيينما، وكلاهما صحيح، إلا أن للترجيح
 ليس من مرجح.

٢. كذا فى الأصل ومط ومد: فلم يبعد. وفى حاشية مد: لعله «لم يعتد».

عن الوزير والجماعة وانصرفوا إلى منازلهم.

وقلّد المقتدر ياقوتاً أعمال الخراج والمعاون بفارس وكرمان وكتب إلى أبي طاهر محمد بن عبد الصمد بالإنضمام إليه وانضمّ إليه وخاطبه بالأستاذية، وقلّد المظفر بن ياقوت إصبهان وتقلّد ابنا رائق: إبراهيم ومحمد، مكان ياقوت وأقام ياقوت بشيراز مدة وكان عليّ بن خلف [342] بن طيّاب^(١) متضمناً أموال الضياع والخراج بها فتظافروا وتعاهدوا فقطعا الحمل عن السلطان إلى أن ملك عليّ بن بويه الديلمي فارس يوم السبت سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

وفيهما دخلت قوافل الحاجّ من مكّة سالمين مع مونس الوراقاني فاستبشر الناس بتمام الحجّ وانفتح الطريق وضربت له القباب ببغداد.

وفيهما قبض على الوزير سليمان بن الحسن

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أنّ سليمان أضاق إضاقة شديدة وكثرت عليه المطالبات وبلغ واتصلت الرقاع ممّن يلتمس الوزارة بالسعاية فقبض على سليمان بن الحسن وأبى القاسم عبيد الله بن محمد الكلوزاني فشقّ^(٢) من ذلك وجزع جزءاً عظيماً وحمل إلى دار السلطان.

وكان المقتدر شديد الشهوة لتقليد الحسين بن القاسم الوزارة فامتنع عليه مونس وأشار بتقليد الكلوزاني فاضطرّ المقتدر إلى تقليده. وكانت مدة وزارة سليمان سنة واحدة وشهرين وأياماً.

١. طيّاب: كذا في الأصل: طيّاب. وما في مط مهمل في الثاني، والمثبت في مد: طناب.

٢. فشقّ: كذا في مط: فشق، والأصل غير واضح.

استحضار الكلوزاني لتقليده الوزارة

واستحضر المقتدر أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوزاني من دار مونس يوم السبت لخمس بقين من رجب وخرج إليه [343] مقلح برسالة المقتدر بأنه قد قلده وزارته ودواوينه ولم يوصله إليه وتقدم إليه بأن ينحدر إليه يوم الإثنين ليخلع عليه. فخاف الكلوزاني من حيلة تتم للحسين بن القاسم في تقلده الوزارة لأنه بلغه أن الحسين قد جدّ بعد القبض على سليمان وراسل مونساً المظفر وقال :

« لا يؤمن أن يحتجّ الخليفة في تأخر الخلع على الكلوزاني بأنه لم تعد له الخلع. »

وأشار بأن يوجه مونس بخلع من عنده إلى دار السلطان ليخلعها عليه. ففعل مونس ذلك وخلع المقتدر على أبي القاسم عبيد الله بن محمد الكلوزاني يوم الإثنين وخاطبه بتقليده الوزارة والدواوين وتقدم إليه بأن يقلد الحسين بن القاسم ديواناً جليلاً ليظهر ويحول عنه الأراجيف بالوزارة.

ووصل عليّ بن عيسى بوصول الكلوزاني فأمره المقتدر بحضرة الكلوزاني بأن يجرى على عادته في الإشراف على الأمور والحضور معه وعرفه أنه قد أفرده بالنظر في المطالم دون الكلوزاني فركب الكلوزاني في الخلع من دار السلطان إلى داره فأخذ خطّ سليمان بن الحسن بمائتي ألف دينار.

وقدم أبو الفتح الفضل بن جعفر [344] من الشام وأبو جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله من نواحي جند قنسرين والعواصم وكان أبو الفتح منصرفاً إلى ناحية قومس فأشار مونس بتقليده ديوان السواد فقلده الكلوزاني مكرهاً وانقطعت بتقليده موادّ كانت تصل إلى الكلوزاني وأبى الفياض من أرزاق قوم

لا يحصرون^(١) وتسيبيات بأسماء قوم لم يخلقوا وما كان يسبب للغلمان والوكلاء في الدار والحاشية برسم الفقهاء والكتّاب وما كان يستطلق لهم من الورق والقراطيس ويبتاع ببعضه ما يحتاج إليه وأشياء تشبه هذه ولم تنبسط يد^(٢) الكلوذاني على قوم لعناية مونس المظفر بهم.

وكان أبو بكر ابن قرابة متحققاً بمفلح الأسود فأوصله مفلح إلى المقتدر وجعله واسطة للمرافق التي أخلق بها الخلافة. وكان ابن قرابة ذكر له أن الوزراء كانوا يرتفقون بها وأن الضمنا قد بذلوا أن يرفقوا به الخليفة ليصرفه في مهم نفقاته لشدة الإضاقة.

وكان ابن قرابة يظهر للمقتدر ولمفلح الأسود أنه يمشی أمر الوزارة وأن الوزراء لا يتم أمرهم من دونه وكان يلزم دار الكلوذاني ويقرضه عن [345] بنى البريدي وغيرهم بربح درهم في كل دينار فأقرضه مائتي ألف دينار مشى بها أمر الكلوذاني وبمال المصادرات.

مرداويج يملك الجبل بأسره

وفيهما ورد الخبر بوقعة كانت بين هارون بن غريب وبين مرداويج بنواحي همدان وأن هارون انهزم وملك مرداويج الجبل بأسره إلى حلوان^(٣) ونزل هارون بدير العاقول.

قصد لشكري الديلمي إصبهان

وفيهما قصد لشكري الديلمي إصبهان وحاربه أحمد بن كيفلغ فانهمز أحمد

١. في الأصل ومد: لا يحضرون، وفي مد: لا يحصرون.

٢. في مط: ولم يبسط الكلوذاني، بدل «ولم تنبسط يد الكلوذاني».

٣. في مط: حلوان.

وملك لشكري إصبهان وهذا لشكري من أصحاب أسفار بن شيرويه، فلما قصد هارون بن غريب ابن الخال أسفار استأمن إليه لشكري، ثم لما انهزم ابن الخال انهزم لشكري بانهزامه إلى قنسرين، فلما تاهب ابن الخال ثانياً وجّهت إليه العساكر من بغداد لحرب مرداويج أنفذ لشكري إلى نهاوند من الدينور مع جماعة من الغلمان لحمل مال إليه ورسم أن يحمل المال إلى همذان ويقيم بها حتى يلحقه هناك فلما صار لشكري إلى نهاوند رأى يسار أهلها وكثرة أموالها وطمع فيهم وصادرهم على نحو ثلاثة آلاف ألف درهم واستخرجها في مدة أسبوع وأثبت جنداً ثم خرج إلى الكرج ففعل مثل ذلك. [346]

واتصل الخبر بابن الخال فطلبه فرحل من بين يديه وسار حتى وقع إلى إصبهان والوالى عليها أبو العباس أحمد بن كيغلف.

ذكر اتفاق حسن لأحمد بن كيغلف

بعد هزيمته ودخول أصحاب لشكري إصبهان

حكى أبو الحسن المافروخي أنه كان بإصبهان في الوقت وأن أحمد بن كيغلف انهزم أقبح هزيمة ثم لجأ إلى بعض القرى في ثلاثين نفساً معه وراء حصنها.

ودخل أصحاب لشكري إصبهان ونزلوا في الدور والخانات^(١) والحمّامات وتأخر لشكري بنفسه عن العسكر ثم سار قليلاً ونزل عن دابته لإهراق ماء فرأى كوكبة أنكرها وقال :
« ما هذه ؟ »

١. كذا في الأصل ومد: الخانات. وفي مط: الحانات (بالحاء المهملة).

ف قيل : « شردمة من الكيغلغية . »

فركب في الوقت يريد لها فلما قرب منها أسرع أحمد بن كيغلغ إليه بعد أن علم أنه هو فتناوشا وكاد لشكري يستأسره فخرج أهل تلك القرية فزعموا به فضعت نفس لشكري وتقارب هو وأحمد فضربه أحمد بسيفه ضربة قد المغفر والخوذة ونزل السيف في رأسه فقتله وحرّ لشكري ساقطاً فنزل أحمد إليه وحرّ رأسه وعرف أصحابه الخبر فطاروا [347] هاربين وكان فتحاً طريفاً واتفاقاً عجبياً . وكانت سن^(١) أحمد بن كيغلغ يومئذ تجاوز سبعين سنة . وفيها صُرف الكلوذاني عن الوزارة وقُلدها الحسين بن القاسم .

ذكر السبب في تقلد الحسين بن القاسم

الوزارة وما تمّ له من الحيلة فيها

كان أبو القاسم ابن زنجي يحكى في توصل الحسين بن القاسم إلى الوزارة خبراً طريفاً ويقول : كان أبو عليّ الحسين بن القاسم يُعرف بأبي الجمال وكان لى صديقاً يسكن^(٢) إلى ويستدعيني إلى الموضع الذي كان مستتراً فيه ويشاورني فالزمني بذلك حقاً وحرمة فاجتهدت في السعى له والتوصل بكلّ سبب وحيلة إلى أن تقلد الوزارة .

فكان من أنجع ما عملته أن رجلاً بمدينة السلام يُعرف بالدانيالى كان يلزمني ويبيت عندي ويخرج إلى سرّه^(٣) ويحدثني أنه يظهر كتباً ينسبها إلى دانيال بخطّ قديم ويودع تلك الكتب أسماء قوم من أرباب الدولة على حروف مقطّعة إذا جمعت فهمت واستوى له بذلك جاء وقامت له به سوق .

١ . في مط : بين .

٢ . وفي مط : فشكى .

٣ . وفي مط : ويخرج إلى سرى .

ووصلت إليه جملة من القاضي أبي عمر وابنه أبي حسين ووجوه الدولة وغلب على مفلح واختص به [348] لأنّه عرفه أنّه وجد في الكتب أنّه من ولد جعفر بن أبي طالب فجاز ذلك عليه ووصل إليه منه برّ كثير.

فانفتح لى أن سأله إثبات فصل في كتب يكتبها بشرح ما أسأله فأجابني إلى ذلك فوصفت له الحسين بن القاسم واقتصرت من وصفه على ذكر قامته وآثار الجدرى في وجهه والعلامة التي في شفته العليا وخفة الشعر هناك وأنّه إن وزر للثاني عشر من خلفاء بني العباس استقامت أموره كلّها وعلا على أعدائه وانفتحت البلاد على يده وعمرت الدنيا في أيامه.

ودفعت النسخة إلى الدانيالى وواقفنى على عمل دفتر يذكر فيها أشياء ويجعل هذا الباب في تضاعيفها فسألته تقديم ذلك ولم أزل أطلبه حتّى أعلمنى أنّه لا يستوى على ما يريد حتّى لا يشكّ في قديمه وعتيقه في أقلّ من عشرين يوماً وأنّه يحتاج أن يجعله في التبن أياماً ثمّ يجعله في الخفّ ويمشى فيه أياماً وأنّه يصفرّ ويعتق.

فلما بلغ المبلغ الذي قدّر صار إلىّ وهو معه وأرانيه فوقفت على الفصل ورأيت دفترًا لو لا ما عرفت من الأصل فيه لحلفت على أنّه قديم [349] لا شكّ فيه.

ومضى بذلك إلى مفلح فقراه عليه في جملة أشياء قرأها، فقال له مفلح :
- «أعد علىّ هذا الفصل.»

فأعاده. ومضى مفلح إلى المقتدر بالله فذكر له ذلك فطلب الدفتر منه فأحضره إيّاه فقال له :

- «من تعرف بهذه الصفة؟»

وأقبل المقتدر يكرّرها فذكر مفلح أنّه لا يعرف أحداً بها وحرص المقتدر على أن يعرف إنساناً يوافق هذه الصفة صفته. فقال مفلح :

- «لست أعرف بهذه الصفة إلا الحسين بن القاسم الذي يقال له: أبو الجمال».

فقال له المقتدر:

- «إن جاءك صاحب له برقة فخذها منه وإن حملك رسالة فعرفنيها واكتب^(١) ما يجرى في أمره ولا تعلم أحداً به».

وخرج مفلح إلى الدانيالى فقال له:

- «هل تعرف أحداً بهذه الصفة؟»

فأنكر أن يعرف ذلك وقال:

- «إنما قرأت ما وجدته في كتب دانيال ولا علم لي بغير ذلك».

وانصرف إلى فحدثني بهذا الحديث فقامت من فوري إلى الحسين بن القاسم فأعدته عليه فسر به غاية السرور وابتهج نهاية الإبتهاج وظهر في وجهه استبشار عظيم وقال لي:

- «اعلم أن أبا بشر الكاتب [350] كان أمس عند مفلح برسالة لي إليه

فانصرف كاسف البال ظاهر الإنخزال مغموماً بما شاهده من إعراضه عنه».

فغمّنى ذلك. فقلت:

- «الآن يتبين لنا صدق الدانيالى من كذبه. ابعث بأبى بشر في غد إلى

مفلح برسالة منك فإنه سيبيّن له فيما يعامله به صحة ما حكاه من بطلانه».

فدعا أبا بشر النصراني كاتبه وحمله إليه رسالة ووكد عليه في البكور

إليه. فلما كان من غد آخر النهار مضيت إليه أتعرّف خبره وما جرى، فدعا أبا بشر وقال له:

- «أعد عليه خبرك».

١. واكتب: كذا في الأصل ومد: واكتب. وفي مط: واكتب.

فأعلمنى أنّه دخل إليه وفى مجلسه جماعة فرفعه عليهم فأجلسه إلى جانبه وأقبل عليه يحدثه ثم استدناه وسأله سرّاً عن خبر الحسين بن القاسم واستمع رسالته وقال :

- «تقرأ عليه سلامى وتعزّفه تكفلى بأمره وقيامى به.»

وكلاماً فى هذا المعنى، وأن ينفذ إليه رقعة^(١) ليوصلها وينوب معه.

قال لى أبو بشر: وانصرفت وأنا فى نهاية قوّة النفس والثقة بالله عزّ وجلّ ويتعام ما يسفر فيه. فأعلمت الحسين أنّ الرجل قد صدق فيما ذكره وقد بان لنا أثره.

قال : [351] ثمّ إنّ الدانيالى طالبنى بالمكافأة فطيّبت نفسه واستمهلتة إلى أن تقلّد الحسين الوزارة فأذكرته حقّ الرجل فقلّده الحسبة ببغداد وأجرى له مائة دينار فى كلّ شهر واختصّ به وكان يحضر مجلسه فيجلسه إلى جانب مسورته. ثمّ مضت أيام فقال :

- «لا يقنعنى ما أجرى لى.»

وسأل زيادة. فكلّمت الحسين بن القاسم فى أمره فأجرى له مائة دينار أخرى تسبّب برسم الفقهاء.

وكان ما ذكرته من حديث الدانيالى من أوكد الأسباب فى تقليد الحسين الوزارة مع كثرة الكارهين له والمعارضين فى أمره.

وانضاف إلى هذا الخبر^(٢) الذى أخبر به أبو القاسم ابن الزنجى أنّ الكلوزانى عمل عملاً لما يحتاج إليه من مهمّ النفقات وأخذ خطّ صاحبه ديوان الجيش والنفقات بأعمال آخر مفردة عملوها لما يحتاج إليه بزيادة

١. فى مط: رقاعة، والأصل مطموس غير واضح بعد الحرف الثانى.

٢. والعبارة فى مط: وأيضاً فهذا الخبر الذى.

مائتي ألف دينار على ما عمل هو حتى تبين^(١) للمقتدر بالله وقوع الاحتياط منه فيما عمل واقتصر عليه فكان العجز سبعمائة ألف دينار وعرض ذلك على المقتدر وقال له :

- « ليس لى معول إلا على ما يطلقه أسير المؤمنين [352] لأنفقته. »

فعظم ذلك على المقتدر. فلما بلغ الحسين بن القاسم خبر العمل الذى عمله الكلوزانى كتب رقعة إلى المقتدر يضمن فيها القيام بجميع النفقات من غير أن يطلب منه شيئاً وأنه يستخرج سوى ذلك ألف ألف دينار يكون فى بيت مال الخاصة.

فأنفذ المقتدر رقعته إلى الكلوزانى وقال :

- « هذه رقعة فلان ولست أسومك الإستظهار بالمال وما أريد منك إلا القيام بالنفقات فقط. »

فقال الكلوزانى :

- « قد يجوز أن يتم لهذا الرجل ما لم يتم لى. »

وسأله تقليد من^(٢) ضمن هذا الضمان فأعفاه من الأمر. فلما وقف المقتدر على تبليغ الكلوزانى وحصل فى نفسه ما بذله الحسين بن القاسم عمل على أن يستوزره وعلم شدة كراهية مونس المتظفر لذلك فراسله على يد مفلح بأن يجتهد فى إصلاح أعدائه فابتدأ الحسين بنى رائق فكان^(٣) يمضى بنفسه إلى كاتبهم إبراهيم النصرانى ويضمن لهم الضمانات حتى صلحوا له ثم فعل ذلك بأبى نصر الوليد بن جابر كاتب شفيع ثم فعل مثله باصطفن بن يعقوب كاتب مونس وقال له :

١. فى مط: ينس المقتدر. بدل «تبين للمقتدر».

٢. فى مط: قى. بدل «من».

٣. فى مط: فقال. بدل «فكان».

«إن تقلدت الوزارة فأنت قلدتها».

فأشار عليه بملازمة أبي علي يحيى بن عبد الله الطبري كاتب يلبق ففعل ذلك. وكان يلبق قد سمع أنه متهم في دينه شرير فجمع أبو علي الطبري بينه وبين يلبق حتى حلف له الحسين بكل يمين يحلف مسلم ومعاهد إنه مكذوب عليه في كل ما يطعن به عليه في ديانتَه أولاً ثم في عداوته لمونس وخاصته وأصحابه لا ينوي لأحد من الناس سوء ولا يأخذ الأموال إلا من بقايا صحيحة على تجار ملاء^(١) كسروا مال السلطان من أثمان الغلات ومن ضمنا قد ربحوا ربحاً عظيماً.

وضمن الحسين ليلبق ضياعاً جليلاً كذلك لكاتبه فسعى له يلبق وسأل مونساً في أمره وسأل مونس المقتدر فتقررت الوزارة له وبلغ ذلك الكلوزاني فواصل الاستعفاء.

واتفق أن دخل خمسمائة فارس كانوا مقيمين بالجبل في ماء الكوفة وحلوان وهذه نواح لم يتغلب عليها مرداويج وكانت أرزاقهم قد تأخرت فطالبوا الكلوزاني وأمرهم الكلوزاني بالرجوع لينفق فيهم هناك فلم يسمعوا ورجموا بالآجر وهو منصرف في طيَّاره فجعل ذلك حجة وأغلق بابه وحلف علي أنه لا ينظر في أعمال [354] الوزارة.

فكانت مدة وزارته شهرين وثلاثة أيام.

وزارة الحسين بن القاسم

وكتب المقتدر إلى الحسين بن القاسم توقيعاً بتقليد الوزارة وركب إليه وجوه الكتاب والعمال والقواد وبلغ ذلك أبا الفتح الفضل بن جعفر فصار إليه

١. البلاء: مفردة الملىء: الغنى المقتدر.

مع قاضى القضاة أبى عمر محمد بن يوسف وابنه والقاضى ابن أبى الشوارب وكتب عن المقتدر بخبر تقليده الوزارة إلى خراسان وجميع النواحي والأطراف وكان تقلده للوزارة يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر رمضان فعدل عن الجلوس للتهنئة وتشاغل بالنظر فى أمر المال وما يحتاج إليه فى نفقة العيد ولزمه الفضل بن جعفر وهشام بن عبد الله لأنهما كانا يتوليان ديوان المشرق وزمامه وديوان بيت المال وأخذ خطوط عدة من العمال^(١) والضمنا بسبعين ألف دينار.

وصار إليه على بن عيسى آخر النهار فهنأه وقد كان الحسين شرط لنفسه ألا ينظر على بن عيسى فى شىء من الأمور ولا يجلس للمظالم فأجيب إلى ذلك. وتبسط كاتب بنى رائق وكل من كان سعى له فى الوزارة فى طلب الأموال حتى قبضوا على شذاعة وردت من الأهواز [355] فيها مال الأهواز وإصبهان وفارس. فكتب الحسين الوزير إلى المقتدر يشكو هذه الحال فلم ينكر كل الإنكار. فوقع الاتفاق بين الحسين وبين ابنى رائق على أن يأخذوا من المال النصف ويفرجوا عن الباقي ففعلوا ذلك.

وكانت دمنة جارية المقتدر حظية عنده وكانت توصل رقايع الحسين إلى مولايها وتقوم بأمره فحمل إليها جملة عظيمة من المال وبعث إلى ابنها وهو الأمير أبو أحمد إسحاق أيضاً جملة. واستأذن المقتدر أن يستكتب له ابنه القاسم بن الحسين فأذن له فى ذلك وضمن لدمنة أن تحمل إلى ابنها^(٢) فى كل يوم مائة دينار وتدفع عن صرفه.

واختص به بنو البريدى وأبو بكر ابن قرابة وقدم له جملة من المال عن الضمنا بربح درهم فى كل دينار على رسمه. واختص به من القواد جعفر

١. فى مط: العلماء، بدل «العمال».

٢. فى مط: إلى أبيها.

بن ورقاء وأبو عبد الله محمد بن خلف النيرماني وقلّده أعمال الحرب والخراج والضياح بحلولان ومرج القلعة وماء الكوفة وألبسه القباء والسيف والمنطقة وتسمّى بالأمارة وخطب بها وضمن أن يجمع الرجال ويفتح أعمال كور [356] المشرق وينتزعها من يد مرداويج.

وكان قد احتجن أموال السلطان من بقايا ضمان كانت^(١) عليه في أيام سليمان بن الحسن لأعمال الضياح والخراج الخاصّة والعامة وكانت جملة عظيمة. وكان تقلّد كرمان في بعض الأوقات واستخرج من مالها شيئاً كثيراً فحملها وانصرف فكتب صارفهُ أنّه ما أنفق منها درهماً واحداً وأنفقت له أشياء تجرى هذا المجرى.

وتجرّد الحسين بن القاسم لإخراج عليّ بن عيسى وأخيه عبد الرحمن إلى مصر والشام فراسل المقتدر عليّ بن عيسى في ذلك ودفع عنه مونس المظفر وقال :

- «هذا شيخ يُرجع إلى رأيه ويُعتضد بمكانه.»

إلى أن تقرّر أمره عليّ أن يخرج إلى الصافية فخرج.

وابتداً مونس في الإستيحاء والتنكر في يوم السبت لثلاث خلون من ذي الحجة.

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك ما بلغه من اجتماع الوزير الحسين بن القاسم مع جماعة من القوّاد على التدبير عليه. وبلغ الحسين تنكر مونس له وأنّه عزم على كبسه بجماعة من خواصّه

١. في مط: كاتب، بدل «كانت».

فى الليل للقبض عليه [357] فتنقل فى مدة عشرة أيام فى نحو عشرة مواضع وكان لا يعرف له دار ولا موضع يلقاه فيه أحد وكان لا تلقاه أصحاب الدواوين إلا إذا طلبهم ثم ختم الأمر بأن أقام فى دار الخليفة. وراسل مونس المظفر المقتدر بالله فى صرف الحسين بن القاسم عن الوزارة فأجابه إلى صرفه والتقدم إليه بلزوم منزله فلم يقنع مونس بذلك وطالب بالقبض عليه ونفيه إلى عُمان فامتنع المقتدر من ذلك وتردّدت بينهما فيه رسائل.

وأوقع الحسين بن القاسم للمقتدر أن مونساً قد عمل على أخذ الأمير أبى العباس من داره بالمحرّم والخروج به إلى مصر والشام ليعقد له الأمر فى الخلافة هناك وأشار برّد الأمير أبى العباس إلى داره من دار الخلافة ففعل المقتدر ذلك. ووقف الأمير أبو العباس على ما فعله الحسين ابن القاسم فحقد عليه فى نفسه إلى أن أفضت إليه الخلافة فأنزل به من المكروه ما سنشرحه فى موضعه إن شاء الله.

وكتب الحسين بن القاسم إلى هارون بن غريب وهو بدير^(١) العاقول بعد هزيمته من بين يدى مرداويج بالمبادرة إلى الحضرة فزادت وحشة مونس بهذه الأحوال وصحّ عنده أن الحسين بن القاسم [358] فى تدبير عليه فخرج من داره لخمس خلون من المحرم وجلس فى حديدى وامتدّ إلى باب السعاسية وخرج أكثر رجاله وضربوا مضاربهم هناك.

وكتب مونس إلى المقتدر بأنّ مفلحاً الأسود مطابق للحسين بن القاسم فى التدبير عليه وأنّ نفسه لا تسكن إلاّ بإنفاذ مفلح إليه ليقلّده أجلّ الأعمال ويخرج. فكتب المقتدر بأنّ مفلحاً خادماً يثق به فى خدمته وأنّه ليس ممّن

١. وفى مط: يدبر العاقول. قال فى المراصد: بين مدائن كسرى والنعمانية، كان، وأنّا الآن فقد بعدت دجلة عنه وكان عنده بلد عامر وأسواق أيام عمارة النهروان، وأظنه من شرقى دجلة.

يُدخل نفسه فيما ظنّه به وبلغ مونساً أنّ الحسين قد جمع الرجال والغلمان
الحجريّة في دار السلطان وأنّه قد ابتدأ بالنفقة فيهم وأنّ هارون بن غريب قد
قرب من بغداد فأظهر الغضب وسار إلى الموصل ووجّه بيشرى خادمه ليؤدّي
رسالة إلى المقتدر. فلمّا حصل بيشرى في دار السلطان بحضرة الحسين ابن
القاسم قال له الحسين :

- «هات الرقعة التي معك.»

فقال له :

- «ليس معي رقعة وإنما معي رسالة.»

قال : «فتذكرها.»

فقال : «قد أمرت ألا أذكرها إلا للخليفة.»

فوجّه الحسين إلى المقتدر بالله وعزّفه ذلك فوجّه المقتدر إلى بيشرى
يأمره أن يؤدّي الرسالة إلى الحسين فقال بيشرى :

- «حتّى أمضى وأستاذن صاحبي [359] في ذلك وأعود.»

فشتمه الحسين وشتم صاحبه وأمر به فقبض عليه وضربه بالمقارع وقال :

- «لا أرفع عنك الضرب أو تكتب خطّك بثلاثمائة ألف دينار.»

فكتب وأمر به إلى الحبس ثمّ وجّه للوقت إلى داره وقبض على امرأته

وصادرها وحملها معها،

ولمّا بلغ مونساً ما جرى على خادمه بيشرى امتدّ وأصعد ومعه من كان
برسمه من قوّاده وأصحابه، وكتب الحسين بن القاسم إلى من كان معه من
القوّاد والغلمان بالانصراف عنه والمصير إلى باب السلطان، فانصرف عنه
جماعة منهم ومضى مونس في خواصّه وغلمانّه مسرعاً إلى الموصل ووقع
الحسين بقبض أملاك مونس وضياعه وضياع أسبابه وأفرد لها ديواناً سمّاه

ديوان المخالفين وردّه إلى محمّد بن جنّى^(١).

وزاد محلّ الحسين بن القاسم عند المقتدر وأنفذ إليه طعاماً من بين يديه وأمر بأن يكتّى ويلقّب عميد الدولة وأن يضرب لقبه على الدنانير والدرهم، ففعل ذلك وخلع عليه يوم الاثنين لأربع بقين من المحرم وأنشأ في ذلك كتاباً نفذ إلى جميع الأعمال والأطراف.

وصرف قوماً وقلّد قوماً فكان فيمن قلّد [360] أبو يوسف يعقوب بن محمّد البريدى وذلك بمسئلته ققلده أعمال البصرة من الخراج والضيايع والمراكب وسائر وجوه الجبايات بها فضمنه ذلك بمقدار نفقات البصرة وفضل له بعده ثلاثون ألف دينار وقّع بتسبيها على مال الأهواز.

فلما وقف أبو الفتح الفضل بن جعفر على ذلك استعظم ألا يفى ارتفاع البصرة بنفقاتها حتّى يحتاج إلى أن يسبّب على غيرها وتقدّم بإخراج الجماعات والحسابات إليه وتقدّم إلى كلّ واحد من أصحاب المجالس أن يخرج إليه ما عنده من ارتفاع البصرة لثلاث سنين وأخرجت الجماعات إليه وهو ينظر فيها وفي أعمال كتاب المجالس ويضيف من عمل إلى عمل ويعمل بيده من صلاة الغداة إلى بعد العتمة إلى أن انتظم العمل على ما أراد. ثمّ أحضر أبا يوسف البريدى وواقفه^(٢) عليه ولم يتهياً له انكار شيء ممّا أخرجه فأعطاه خطّه بالقيام بجميع ما يجب للأولياء وأن يثبت لحفظ السور ألف رجل زيادة على رسم من يحفظه ومن ينضمّ إليه وسائر النفقات الراتبه ويحمل إليه بعد ذلك كلّ ستين ألف دينار إلى بيت المال [361] بالحضرة.

فصار الفضل بن جعفر بالخطّ إلى الوزير الحسين بن القاسم متبيحاً به وعرضه عليه وعرفه ما جرى بينه وبين ابن البريدى حتّى تقرّر على ما كتب

١. جنّى: ما فى مط مهمل تماماً.

٢. واقفة: كذا فى الأصل. وفى مط: واقفة.

به خطه. فلم يقع ذلك من الحسين بن القاسم الموقع الذي قدّره الفضل وتبين منه تكرّهاً له وظنّ أنّه كالتوبيخ والتقريع وكالزيادة على عمله. فلمّا تبين الفضل الصورة راسل المقتدر بما فعله فوق ذلك عنده أحسن موقع وشاع^(١) ما عمله في الدواوين وتناقلته الرؤساء والكتّاب بينهم.

واتّصل ذلك بالحسين فغلظ عليه وأراد أن يضع منه، فواقف ابن جبير على مهاترته في المجلس والفضّ منه ففعل ابن جبير ذلك حتّى تكلم بما لم تجر العادة بمثله والحسين ممسك عن الجميع لا يكفّ أحدهما عن الآخر، فلمّا تبين أبو الفتح ذلك وعرف الغرض نهض عن المجلس وقال:

«ليس المكلّم لى أنت بل المكلّم غيرك.»

فلمّا ولّى خارجاً عرف الحسين الخطأ فيما جرى فقال لأبى عبد الله بن زنجى:

«إنّ أبا الفتح صديقك وهو يطيعك وما أحبّ أن يخرج على هذه الجملة فأحبّ أن تلحقه وترضيه وتردّه.»

فبادر إليه أبو عبد الله وما زال يرفق به حتّى [362] ردّه واعتذر إليه الحسين من خطاب ابن جبير له. وانصرف وهو مستوحش واستتر عند أبى بكر ابن قرابة وبقي ديوانه شاغراً إلى أن يئس الحسين من ظهوره فقلّد أبا القاسم الكلوزانى الديوان ولم يزل أبو الفتح يسعى له فى طلب الوزارة حتّى تمّ له كما سنذكره.

ولمّا لم يعد^(٢) مونس إلى بغداد وجّه الحسين إلى ابن مقلّة فصادره وكان معتقلاً فأعطى خطه بمائتى ألف دينار وأنفذ إلى على بن عيسى وهو بالصفية

١. شاع: كذا فى الأصل. وفى مط: ساغ.

٢. فى الأصل ومط: ولّمّا يعد.

يستحضره وأطعم المقتدر من^(١) جهته في مائتي ألف دينار. فلما وصل الرسول إلى الصافية وجد بها هارون بن غريب وكان هارون شديد العناية بعلي بن عيسى فمنعه من حمله وقال :
- «أنا أخطب أمير المؤمنين في أمره».

فلما وقف الحسين على عناية هارون بعلي بن عيسى أمسك عنه. ولما وصل هارون بن غريب إلى دار السلطان وصل إليه في خلوة وانصرف إلى داره فقصده الوزير وابنا رائق^(٢) ومحمد بن ياقوت ومفلح وشفيع وعظم أمره فخاطب المقتدر في أمر علي بن عيسى فأعفاه من المصادرة وخاطبه في أمر أبي علي ابن مقله فحط من مصادرته خمسين ألف دينار وأمر بحمله إليه. ثم لم يستصوب ذلك [363] وخاف أن يكاتب مونساً أو يرأسله فسأل ابن مقله هارون أن يعاود الخطاب في بابه ويستحلفه بأيمان مغلفة ألا يكاتب ولا يرأسل مونساً ولا أحداً من أسبابه ففعل ذلك وحمل إليه.

قال : فحدثنا أبو علي ابن مقله في وزارته للراضى^(٣) أنه أخذ في استمache الناس وأدى المال كله بما وصل إليه من المال من الجهات وفضل له عشرون ألف دينار وأنه اشترى بها ضياعاً باسم عبد الله بن علي النّقرى^(٤) ووقفها على الطالبين.

وكتب الحسين إلى ياقوت بالقبض على الخصيبي وحمله وكان بشيراز فبادر خليفته علي بن محمد بن روح بالخبر إليه فخرج من يومه من شيراز

١. في مط : في جهته.

٢. رائق : كذا في الأصل ومد. وفي مط : رائق وهو تصحيف ، كما هو معهود من مط في أكثر المواضع.

٣. في مط : المراضى.

٤. في مط : المقرى ، بدل «النّقرى».

مستتراً حتّى وافى بغداد واستتر عند أبى بكر ابن قرابة وكان الفضل بن جعفر مستتراً عنده أيضاً فلم يعلم أحدهما خبر صاحبه وقدم محمّد بن ياقوت من الأهواز وقُبض على محمّد بن المعتضد بالله وعلى أبى أحمد ابن المكتفى بالله وحدرا إلى دار السلطان وأُعتقلا فيها ولم تقصر السيّدة فى التوسعة على محمّد بن المعتضد وفى إكرامه وأهدت إليه عدّة من الجوارى.

وابتداً أمر الحسين الوزير بالاضطراب [364] ذكر السبب فى ذلك

اشتدّت الإضاقة فباع الحسين من الضياع نحو خمسمائة ألف دينار واستسلف من مال سنة عشرين وثلاثمائة شطره قبل افتتاحها بشهور ولم يبق له وجه حيلة لتمام نفقات سنة تسع عشرة وثلاثمائة الخراجيّة. وعرف هارون بن غريب ذلك فصدق المقتدر عنه فعزم على تقليد الخصيبى الوزارة وكتب له أماناً، فظهر فخطوب فى تقلّد الوزارة فذكر أنّه لم يبق للسلطان فى النواحي من مال سنة تسع عشرة شىء وقد بقى منها نحو ثلاثة أشهر وأنّ الحسين قد استسلف من مال سنة عشرين قطعة وافرة وأنّه لا يغزى السلطان من نفسه فأشار عليه هارون أن يتقلّد أزمّة الدواوين من قبل المقتدر وتكون دواوين الأصول فى يد الحسين ليضبط الأموال مستأنفاً فرضى الحسين بذلك وتقلّد الخصيبى دواوين الأزمّة وأجرى عليه وعلى كتّابه ألفى وسبعمائة دينار فى كلّ شهر. وخلع المقتدر على الحسين ليزول عنه الأرجاف^(١).

ثمّ إنّ الحسين بن القاسم عمل أعمالاً أخذ فيها [365] خطوط أصحاب الدواوين الأصول والأزمّة بصحّتها وفيها ارتفاع الأموال من النواحي وما

١. فى مط: الإرجاف، بدل «الإرجاف».

يُرجى حصوله منها وقدّر النفقات تقديرًا متقاربًا للإرتفاع، فسكن بذلك قلب
المقتدر فسلم المقتدر ذلك العمل إلى الخصيبي وأمر بتتبعه، فوجد الخصيبي
الحسين بن القاسم قد احتال بأن أضاف إلى ما يقدر حصوله من النواحي
أموال نواح قد خرجت عن يد السلطان بتغلب من تغلب عليها مثل الديلم
على أعمال الريّ والجبل ومونس على أعمال الموصل والشام منذ أربع سنين
وذلك جملة عظيمة، وأسقط من النفقات الزيادات التي زادها هو للجند
والحاشية وغيرهم ولم يسقط من الأموال التي يقدر حصولها من النواحي
ارتفاع ما باع من الضياع، فعمل الخصيبي عملاً عرضه على المقتدر فأمر
المقتدر أن يواقف عليه الوزير^(١) فاجتمع الكتاب وأمره المقتدر بمناظرتهم
فلما خاطبوه أخذ في التشنيع عليهم وأنهم سعوا به وقال :

- «في أيّ شيء غالطت السلطان؟ أليس هذه خطوط الضمنا؟»

فقالوا: «معاذ الله أن يقول [366] أحد في الوزير ذلك ولكن العمل أخرج
بما اضطر الوزير أيده الله إلى التسبيب به على مال سنة عشرين وثلاثمائة
من الأموال المستحقّة في سنة تسع عشرة وقد رفع الضمنا إلى ديوان الزمام
أعمالاً لما أطلقوه من مال سنة عشرين وما كانوا ضمنوا إطلاقه من مال هذه
التسيبيات عند إدراك الغلات ولهذا أحضرنا.»

فقال الحسين: «يا موزر علوم»

- «أفتعلم كم مبلغه؟»

فقال: «نعم.»

وأحضر عملاً كان عمله بمبلغ ذلك فوجد أن الذي سبّب على مال السواد
والأهواز وفارس لسنة عشرين وثلاثمائة قبل افتتاحها بشهور، أربعون ألف

١. وفي مط: الفرير، بدل «الوزير».

ألف درهم وأنّ الذي يبقى إلى آخر سنة عشرين على الضمنا إلى افتتاح سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وعشرون ألف ألف درهم وقد كان قيل في العمل: إنّ هذا ما لم يجز به في قديم الدهر ولا حديثه رسم بمثله. فلما وقف الحسين على ذلك استعظمه وأراد أن يقطع المجلس بالمشاغبة^(١) وقال:

- «يكتب في الأعمال التي عملت ما لم يعمله أحد من الوزراء قط ثمّ يُعرض على».

فقال هشام:

- «هذا غلط كتب على سبيل السهو وليس ممّا يزيد في المال ولا ينقص

منه».

وضرب على تلك الحكاية وقال:

- «إنّما أحضرنا لننظر في أمر المال [367] ونصدق الوزير عنه».

فعدل إلى الخصيبي يهاتره فترك الحجّة فنهض الخصيبي عن المجلس لَمّا ظهرت الحجّة على الحسين وصار مع الضمنا ومع أبي جعفر ابن شيرزاد إلى هارون بن غريب فشرحوا له ما جرى. وأعيد المجلس كهيته^(٢) إلى المقتدر ثمّ شافه الخصيبي بمثله الحسين بحضرة المقتدر فانحلّ أمر الحسين وقُبض عليه فكانت وزارته تسبعة أشهر.

وزارة أبي الفتح الفضل بن جعفر

واستوزر أبو الفتح الفضل بن جعفر وخُلع عليه يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شهر ربيع الآخر فركب في الخلع وركب معه القوّاد وخواصّ المقتدر

١. في مط: الساعةية.

٢. في مط: لهيئة.

وسلم المقتدر الحسين بن القاسم إلى الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر فأجمل عشرته وقرر أمره على أربعين ألف دينار فلما أداها استأذن الوزير أبو الفتح المقتدر في تقليد الإشراف على مصر والشام فأذن له في ذلك. ثم ظهر أنه أراد أن ينقب الموضع الذي كان فيه. وقال الخصيبى^(١):
- «هذا رجل في جنبه للسلطان مال عظيم وليس يصلح أن يخرج وأن يدبر شيئاً من الأعمال.»

فتأخر أمره وصودر أيضاً ثم تسلمه الوزير فبقى عنده مدة ثم أبعده إلى البصرة وأقام له في كل شهر خمسة آلاف درهم.

مناظرة عن مرداويج

وفي هذه السنة حضر من ناظر عن مرداويج بن زيار^(٢) والتمس [368] أن يقاطع عن الأعمال التي غلب عليها من أعمال المشرق وتكفل هارون بن غريب بأمره فقرره على أن يسلم إلى السلطان أعمال ماه الكوفة وهمدان ويُقْلَد باقي الأعمال ويحمل عنها مالاً وكتب له العهد وأنفذ إليه اللواء ومعه خلع.

المقتدر يهمل بتقليد ابن مقلة الوزارة

ثم إنَّ المقتدر همل بتقليد أبي علي ابن مقلة الوزارة وبلغ ذلك هارون بن غريب فكره ذلك لميل أبي علي إلى مونس فاجتمع مع الوزير أبي الفتح وألزاما أبا عبد الله البريدي مائة ألف دينار وسلم ابن مقلة إليه فمضى أمر الوزير أبي الفتح وحمل ابن مقلة إلى شيراز مع رشيق الأيسر.

١. في مط: الحضيبي، بدل «الخصيبى». في عدة في مواضع.

٢. كذا في الأصل: زيار. وفي مط: زياد.

موت أبي عمر القاضي

وفيهما مات أبو عمر القاضي فأغرى أبو بكر ابن قرابة بورثته إغراء شديداً وقال للمقتدر :

- «ينبغي لابنه أن يحمل مائة ألف دينار فأنه من وراثتها وإلا حضر من يتقلد قضاء القضاة ويوفر هذا المال من جهته.»

فرسم المقتدر لهارون بن الخال أن ينفذ كاتبه وللوزير أن يضم إليه ثقته حتى يصيرا مع ابن قرابة إلى أبي الحسين ابن أبي عمر ويخاطبه بحضرتيهما. فمضى أبو بكر ابن قرابة ومعه أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو علي أحمد بن نصر البازيار. فلما حصلوا عند أبي الحسين القاضي وجدوا عنده عالماً من الناس معزّين له فعزّوه وجلسوا وأمسكوا [369] كما يحسن أن يعمل في المصائب. فقال ابن قرابة :

- «ما لهذا حضرنا، قم يا أبا الحسين معنا حتى نخلو.»

فنهض واستوفى عليه ابن قرابة استيفاءً شديداً فقال أبو الحسين :

- «إن نعمتي ونعمة والدي من أمير المؤمنين المقتدر ولست أدخر دونه شيئاً.»

وسأل أن يمهل ليومته حتى يحصل أمره ويكر فيصدق عنه. وكان شهر رمضان فلما جنّ الليل قصد أبا بكر ابن قرابة وقت الإفطار فاستأذن عليه ودخل والمائدة بين يديه فدعاه إلى الإفطار فغسل يده وسعى وأكل ومصيبته طرية وأنها ليومته ولكنه ليستكفي شرّه. فلما انقضى الإفطار قال له :

- «يا سيدي قد جئتكم مستسلماً إليك فدبرني بما تراه.»

فقال له :

- «قم فامض بسلام وما بك حاجة إلى أن توصيني ولا تفكر في أمرك

فأنى أفصله وأعمل فيه ما يرضيك.»

وكان على مائدة أبى بكر ابن قرابة أبو عبد الله وأبو يوسف ابنا البريدى. فلما فرغوا من الأكل قرّب البريديّان من القاضى أبى الحسين كالمتوجّعين له ووصفا مشاركتهما إيّاه واستصوبا قصده أبا بكر وإفطاره معه وقالاه :
- «أنت مقبل.»

وعرض عليه أبو يوسف ثلاثة آلاف دينار وقال :

- «إن احتجت إليها فخذها واقتد نفسك وإن أوجبت الصورة أن تستتر [370] فأنفقها فى استتارك فلن ينفذ حتّى يأتيك الفرج.»

ولم يحتج أبو الحسين إلى الاستتار وتعطف عليه المقتدر بالله وعاونه البريديون وإخوانه أحسن معاونة فقلّده قضاء القضاة فقويت نفسه ومشى أمره.

ثم إن المقتدر وصف لابن قرابة الإضاقة^(١)، فقال له :

- «يا أمير المؤمنين لم لا يعاونك هارون بن الخال وعنده آراج مملوءة مالا؟»

فأعاد المقتدر ذلك على ابن الخال فقال :

- «يا أمير المؤمنين إن كنت أملك ما قال فلست أبخل عليك به لأننى أسلم بسلامتك وفى جيشك أنفقه واليك معاده، وابن قرابة معه من المال ما لا يحتاج أبداً إليه وأنا أستخرج لك منه خمسمائة ألف دينار وليس بينه وبين أمير المؤمنين الذى يجمعنى وإيّاه، فلم يترك عليه وأنا أودّيها^(٢) من ماله إليك؟»

فقال له :

١. كذا فى الأصل ومد: الإضاقة. وفى مط: الإضاقة.

٢. فى مط: وأنا أورد بها، بدل: وأنا أودّيها.

- «إذهب فتسلّمه».

فقبض عليه وجرى عليه من المكروه ما أشفى به على التلف حتّى قُتل المقتدر بالله فتخلّص ولا عجب من أمر الله .
وكان قد وقّع الوزير أبو الفتح بأن يُعمل لابن قرابة عمل بما صار إليه من الربح فى الأموال التى قدّمها عن الضمّاء وبقايا مصادرتة فى أيّام عبد الله الخاقانى وما يجب عليه من الفضل فيما ابتاعه من الضياع فأخرج عليه من هذه الجهات [371] ألف ألف دينار فصَحّ له من هذه الجملة تسعون ألف دينار.

ثمّ شغل الوزير وهارون بورود الخبر عليهما بانحدار مونس من الموصل وكان هارون قيّده وسلّمه إلى حاجبه وعدّة من غلمانة ليخرجوه إلى واسط فقتل المقتدر فى ذلك اليوم فهرب من كان موكّلاً به وبقي معه غلامان كان هو اشتراهما لابن الخال فعُنيا به وصارا معه إلى فُرْضة جعفر وأدخلاه إلى مسجد وأحضرا حدّاداً وحلاً قيوده وأطلقاه فمشى إلى منزله بسُويقة غالب^(١) ووهب لهما خمسمائة دينار.

استشارة فى الأمر الواضح وعاقبة المستشار

وحكى ثابت بن سنان فى كتابه أن أباه سنان بن ثابت كانت بينه وبين أبى بكر ابن قرابة مودة فصرنا إليه لنهئته بخلاصه فقال لوالدى :
- «يا أبا سعيد قد اجتمع لى نيك المحبّة والعقل وجودة الرأى وأريد أن أستشيرك فى أمرى» .
فقال له أبى :

١. سُويقة غالب : هى من محالّ بغداد (مراصد الإطلاّع).

« قل فأنى أمحضك ^(١) النصيحة. »

فقال : « أنت تعلم أنى كنت فى بحار من التخليط وكانت على تبعات فيما كنت أدخل فيه وأقدمه من مالى عن الضمنا لم يكن على أحد مثلها، وقد غسلت هذه النكبة وما أدبت ^(٢) فيها من المصادرة دون ما كنت فيه وقد حصل لى الآن ما يرتفع منه عشرون ألف دينار خالصة وحصل لى من البساتين [372] والمستغلات بعد ذلك ما ليس لأحد مثله ولى من الفرش والآلات والبلور والمخروط والصينى والجوهر والطيب والكسوة ما ليس لأحد مثله ومن الرقيق والخدم الروقة ^(٣) والغلمان والكراع ما ليس لأحد مثله، ولى بعد ذلك كله ثلاثمائة ألف دينار صامت لا أحتاج إليها وبينى وبين هذا الوزير - يعنى أبا على ابن مقله وقد كان القاهر استوزره وهو بفارس - مودة وكيدة فهل ترى لى إذا قدم أن أقصر على لقائه فى الأوقات لعمارة الحال بينى وبينه ولا أداخله ولا أعاود ما كنت فيه أو أعاود وأرجع إلى التخليط. »

فقال له والدى :

« ما رأيت أعجب من هذه المشاورة وإنما يشاور فى المشكل من الأمر فأما الواضح فيستغنى فيه عن رأى. انظر - أعزك الله - فإن كان ذلك التخليط أثمر لك ما تحب فارجع إليه وإن كان إنما أثمر ما تكره وعرضك لزوال المهجة وزوال النعمة فلا تعاوده ومع هذا فإن الإنسان إنما يكذب ويكده ويتعرض للمكاره ليحصل له بعض ما حصل لك فاحمد الله وتمتع بالنعمة وقد حصل لك من الجاه ما يحرسها واربح ^(٤) الصيانة وحسن العافية ^(٥). »

١. فى مط : أنصحك، بدل « أمحضك ».

٢. فى مط : أذنت.

٣. فى مط : والروقة.

٤. كذا فى الأصل ومد : واربح. وفى مط : وارتج.

فسمع ذلك كله [و] قال :

- «قد علمت والله أنك قد نصحت وبالغت ولكن لي نفساً مشؤومة لا
تصبر [373] وسأعاود ما كنت فيه.»

فقال له والدي :

- «خار الله لك.»

وانصرفنا فقال لي والدي :

- «يا بني ما رأيت قط أجهل من هذا الرجل ولا يموت مثله إلا مقتولاً أو
فقيراً بأسوأ حال.»

فكان الأمر على ما قدر وأذاه التخليط إلى أن قبض عليه القاهر فأزال
نعمته وقبض أملاكه وهُدمت داره وأراد قتله حتى زال أمر القاهر. ثم عاد
أيضاً إلى التخليط ومضى إلى البريديين لما خالفوا السلطان، ثم مضى إلى أبي
الحسين أحمد بن بويه لما غلب على الأهواز، ثم وقع أسيراً لما انصرف
الأمير أبو الحسين من نهر ديبالى وصودر حتى لم يبق له بقية واضطر إلى أن
يخدم ناصر الدولة أبا محمد ابن حمدان برزق مائة دينار في كل شهر
فكثرت في عينه وكان ينفق مثلها كل يوم. ومات بالموصل، ونعوذ بالله من
الجهل والإدبار.

مركز تحقيق تكامول علوم اسلامی
ودخلت سنة عشرين وثلاثمائة

وفيهما انحدر مونس من الموصل إلى بغداد وقتل المقتدر بالله

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك ما ذكرناه من استيحاش مونس. فلما تم له الإنصراف
إلى الموصل كتب الحسين بن القاسم إلى داود وسعيد ابني [374] حمدان

والحسن بن عبد الله بن حمدان بمحاربة مونس ودفعه عن الموصل فإنه عاص.

وكان مونس يكتب في طريقه إلى رؤساء العرب في ديار ربيعة بأن السلطان أنفذه لمحاربة بني حمدان يريد بذلك أن يقعدهم عنهم فامتنع داود من لقاء مونس لإحسانه إليه فإنه كان عظيماً جداً، فما زال أهله به حتى فثؤوا^(١) رأيهم وقالوا له :

- «نحن بعد ما غسلنا قبيح ما عمله الحسين بن حمدان ثم ما عمله أبو الهيجاء بالأمس نريد أن نعمل لنا حديثاً ثالثاً.»

وما زالوا به حتى استجاب على تكرّره شديد وقال :

- «يا قوم! بأيّ وجه ألقى مونساً مع إحسانه العظيم إليّ؟»

وكان يعدّها ثم يقول :

- «والله ما آمن أن يجيئني سهم عائر^(٢) فيقع في هذا الموضع مني - يعني حلقه - فيقتلني.»

قال : فوالله ما هو إلا أن لقيه مونس حتى أتاه السهم العائر فوقع في موضع إصبه فذبحه ولم يقتل غيره.

وكان بنو حمدان في ثلاثين ألفاً ومونس في ثمانمائة رجل فانهمزوا وقتل داود.

وكان مونس إذا قيل له :

- «قد أقبل داود لمحاربتك،»

يعجب ويقول :

١. من قولهم : فثأ القدر، أي سكّن غليانها، وقولهم : فثأ الغضب، أي سكّن حدّته. وفي مط : ثنوا، بدل «فثؤوا».

٢. في مط : منهم غابر، بدل «سهم عائر».

- «يا قوم يلقياني داود وفي حجرى طهر^(١) ولى عليه من الحق ما ليس لوالده.»

خروج مونس وقصده بغداد

فلما ملك مونس أموال بنى حمدان وغلاتهم وضياعهم [375] واستولى على أعمال الموصل خرج إليه الناس من الأولياء ارسالاً وكثروا عنده فحملوه على الخروج من الموصل وقصد^(٢) بغداد وكان أقام بالموصل تسعة أشهر.

فانحدر مونس وبلغ الجند بالحضرة ذلك فشغبوا وطالبوا بالرزق فأطلق المقتدر المال وجلس فى الجوسق وأنفق فيهم وأخرج مضرباً له يسمّى مضرب الدم إلى باب الشماسية.

ووافى مونس وأصحابه إلى باب الشماسية وكان المقتدر قد وجّه أبا العلاء سعيد بن حمدان وصافياً البصرى فى خيل إلى سرّ من رأى ثم أنفذ أبا بكر محمد بن ياقوت فى ألفى فارس ومعه الغلمان الحجرية [إلى المعشوق]^(٣). ثم أنفذ مونساً الورقائى على سبيل الطلائع، فلما قرب مونس أقبلوا يراجعون حتى اجتمعت الجماعة بعكبرا، فلما قرب مونس من عكبرا إنكفأت الجماعة مع محمد بن ياقوت إلى البردان، فلما نزل مونس عكبرا إنكفأت^(٤) الجماعة إلى باب الشماسية فعسكروا هناك. واضطربت الأمور وتقاعد الضملاء

١. فى مط: ظهر.

٢. فى مط: فصل، بدل «قصد».

٣. ما بين المعقوفتين إضافة من مد، ولا يوجد لا فى الأصل ولا فى مط والمعشوق قصر عظيم بالجانب الغربى من سامرا دون تكريت، هو الآن يسكنه الفلاحون وغيرهم، وهو عظيم مكين، عمره المعتمد بالله (مراسد الإطلاع).

٤. فى مط: انكفاف، وهو تصحيف مع إسقاط سطر من «انكفأت» الأولى إلى «انكفأت» الثانية.

والعمال بحمل الأموال.

واجتهد المقتدر بهارون أن يشخص إلى حرب مونس فتقاعد واحتج بأن معظم أصحابه ممن انضم إليه من رجال مونس أو ممن كان معه في وقت محاربتهم مرداويج [376] في المشرق أو من استأمن إليه من عسكر الديلم وقد عرف محاربتهم وأنهم ينهزمون ولا يثبتون للحرب وليس يثق بأحد منهم لأنه يعلم أنهم يستأمنون ويسلمونه ودافع بالخروج إلى أن صار أصحاب مونس بباب الشَّعْاسِيَّة بإزاء عسكر محمد بن ياقوت. فجاء محمد بن ياقوت إلى الوزير الفضل بن جعفر فانحدر^(١) إلى المقتدر ومعهما ابنا رائق ومفلح فشرح محمد بن ياقوت الصورة وقال له :

- «إن الرجال لا يقاتلون إلّا بالمال وإن أخرج استغنى عن القتال واستأمن أكثر رجال مونس ودفعت الضرورة مونساً إلى الهرب أو الإستار.» وقال له :

- «إن الوزير أطلق مالاً لم يعم.»

وسأله أن يحتال مائتي ألف دينار من جهته وجهته والدته ليصرف في المهم. فعرفه أنه لم يبق له ولا للسيدة حيلة في مال يُطلق وتقدم الشذات والطيارات لينحدر هو وحرمة إلى واسط ويسلم البلد إلى مونس ويكتب من واسط إلى من بالبصرة والأهواز وفارس يستنجدهم ويستحضرهم لقتال مونس ودفعه.

فقال له محمد بن ياقوت :

- «أتق الله يا أمير المؤمنين في جماعة غلمانك وخدمك ولا تسلم بغداد

بغير حرب.»

١. في مط : فانحدا، بدل «فانحدر».

وجعل يفتأه^(١) عن رأيه [377] ويشير بأن يخرج بنفسه إلى المعسكر حتى يراه الناس ويقاتلون وقال له :

- «إن رآك رجال مونس أحجموا عن محاربتك.»

فقال له المقتدر :

- «أنت والله رسول إبليس.»

ثم أمر هارون على لسان الوزير الفضل بن جعفر أن يخرج ووبّخه فمضى إليه ووافقه^(٢) على أن يخرج يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال إلى دار السلطان.

وركب المقتدر وهم معه وعليه البردة التي توارثها الخلفاء وبيده القضيبي وبين يديه الأمير أبو عليّ ابن المقتدر والأنصار ومعهم المصاحف المنشورة والقراء يقرأون القرآن وحوله جميع رجاله بالسلاح وخلفه جميع القواد مع الوزير واشتقّ بغداد إلى الشّمسية وكثر دعاء الناس له جداً وسار في الشارع الأعظم إلى المعسكر، فلما وصل إليه أُشير عليه أن يقوم إلى موضع عال بعيد عن موضع الحرب.

واشتدّت الحرب بين أصحاب مونس وأصحاب المقتدر بالله وكان مونس مقيماً بالراشدية لم يحضر الحرب وثبت محمد بن ياقوت وهارون بن غريب واشتبكت الحرب، وصار أبو العلاء سعيد بن حمدان إلى المقتدر بالله برسالة هارون بن غريب ومحمد بن ياقوت بأن يحضر الحرب. وقال له :

- «إنّ [378] رآك أصحاب مونس استأمنوا.»

فلم يبرح من موضعه ومضى أبو العلاء ووافاه صافى البصرى فقال له مثل هذا القول فلم يسمع منه.

١. في مط : هناء (كذا).

٢. في الأصل : وافقه (بتقديم القاف). وفي مط ومد : وافقه (بتقديم الفاء).

ثم حضر محمد بن أحمد القراريطي كاتب محمد بن ياقوت فاستدعى الوصول إلى المقتدر بالله فأوصل إليه وهو واقف على ظهر دابته فقبل الأرض وقال له :

- «يا أمير المؤمنين، القواد وعبدك محمد بن ياقوت يقول : يا مولانا أمير المؤمنين الله الله سر بنفسك إلى الموضع فإن الناس إذا رأوك انفلّوا.» فلم يبرح وبقي واقفاً على دابته وخلفه الوزير أبو الفتح ومفلح الأسود وجماعة من الغلمان الخاصة.

فهم على تلك الحال إذ وافت رسالة القواد المحاربين فتقدّم بعضها بأن ينادى بين يديه :

- «من جاء بأسير فله عشرة دنانير ومن جاء برأس فله خمسة دنانير.» فنودي بذلك. ثم جاءته رقعة فسلمت إليه فقرأها ثم استدعى مفلحاً والقراريطي فسارهما^(١) ثم استدعى الوزير فسارّه وأجابه بشيء ما سُمع به. ثم وردت رقعة أخرى فقرأها ثم وافته الرسائل علانية من القواد تؤدى إليه ويسمع الناس أن الرجال في الحرب يقولون :

- «نريد أن نرى مولانا حتى نرمى بأنفسنا على هؤلاء الكلاب.»

ولم يزل [379] القراريطي وغيره يسهّلون عليه ويسألونه المسير حتى سار مع مفلح ومن بقي معه علوم ردي

وتخلف الفضل بن جعفر عنه وسار نحو الشط^(٢) وانكشف أصحاب المقتدر وانهزموا من قبل أن يصل المقتدر إلى موضع المعركة وكان آخر من ثبت وحارب حرباً شديداً محمد بن ياقوت واستؤسر أحمد بن كسيغف وجماعة من القواد.

١. في مط: فساورهما.

٢. في مط: النيط.

ولقى عليّ بن يلبق المقتدر وهو في الطريق لم يصل إلى المعركة في صحراء منبسطة، فلما وقعت عينه عليه ترجّل وعليه سلاحه وقال :
- «مولاي أمير المؤمنين».

بربري من أصحاب مونس يقتل المقتدر
وقبل الأرض ثم قبل ركبته، ووافي البربر من أصحاب مونس فأحاطوا
بالمقتدر وضربه رجل منهم من خلفه ضربة سقط منها إلى الأرض وقال :
- «ويحكم أنا الخليفة».

فقال البربري :
- «إياك أطلب».

وأضجعه فذبحه بالسيف. وكان معه رجل من خلفاء الحجاب طرح نفسه
عليه فذبح أيضاً ووقع رأس المقتدر على سيف ثم على خشبة وسلب ثيابه
حتى سراويله وترك مكشوف العورة إلى أن مرّ به رجل من الأكرّة فستر
عورته بحشيش ثم حفر له في الموضع ودفن حتى عفا أثره. [380]
ونزل يلبق وعليّ ابنه في المضارب وأنفذ للوقت إلى دار السلطان من
يحفظها وانحدر مونس من الراشدية إلى الشّعاسيّة فبات^(١) بها ومضى عبد
الواحد بن المقتدر ومفلح وهارون بن غريب ومحمّد بن ياقوت وابنا رائق
على الظهر إلى المدائن.

فكان ما فعله مونس من ضربه وجه المقتدر بالسيف وقتله إيّاه ودخوله
بغداد على تلك السبيل سبباً لجرأة الأعداء وطمعهم فيما لم تكن أنفسهم
تحدّثهم^(٢) به من الغلبة على الحضرة، وانخرقت الهيبة وضعف أمر الخلافة مذ

١. في مط : مات. بدل «مات».

٢. في مط : تحدّثهم.

ذلك وتفاقم حتى انتهى إلى ما نشرحه فيما بعد إن شاء الله.

تبذير المقتدر

وحكى ثابت حكاية فى تبذير المقتدر للأموال ما رأيت أن أثبتته مشروحاً
لئلا يغتر أحد من الملوك ومدبرى أمر المملكة بكثرة الأموال فيترك تسميره
ويعدل عن التعب به إلى الراحة اليسيرة فإنه حينئذ يتبدد^(١) ولا يلحق
ويكون مثله مثل البثق الذى ينفجر بمقدار سعة الدرهم ثم يتسع فلا يضبط.
قال صاحب الكتاب: ولقد وعظت أنا بذلك بعض مدبرى الملك فأكثر
عليه فتبسّم تبسّم المدل بكثرة الذخائر والأموال [381] فما أتت عليه سنتان^(٢)
حتى رأيت أنه فى موضع الرحمة لا ينفعه الرحمة، وسأشرح خبره وحاله إذا
انتهيت إليه بمشيئة الله.^(٣)

فأما المقتدر فإنه أتلّف نيفاً وسبعين ألف ألف دينار سوى ما أنفقته فى
موضعه وأخرجه فى وجوهه وهذا أكثر ممّا جمعه الرشيد وخلفه. ولم يكن
فى ولد العباس من جمع أكثر ممّا جمعه الرشيد، فإنّ القاسم بن عبيد الله قال
للمعتضد وقد سأله عن مقدار ما خلفه واحد واحد^(٤) من ولد العباس من المال:
«إنّه لم يكن فيهم من خلف أكثر ممّا خلفه هارون الرشيد فإنه خلف
فى بيت المال ثمانية وأربعين ألف ألف دينار.»

وهذه نسخة لما أثبتته بعض كتاب أبى الحسن ابن الفرات لما وزّره

١. يتبدد: كذا فى الأصل ومط، والمثبت فى مد: يبتدر، خلافاً للأصل.

٢. من «ولقد وعظت» إلى قوله «سنتان» ساقط فى مط.

٣. انظر إلى حرص مسكويه على الإعتبار بالتاريخ، واستخراج تجاربه الواقظة، وإلى مستوى صلته
بأعظم زمانه.

٤. كذا فى الأصل: واحد واحد (بالتكرار) ولا تكرر فى مط.

المقتدر بالله.

«بسم الله الرحمن الرحيم. الذي كان في بيت مال^(١) الخاصة لما تقلد المقتدر الخلافة أربعة عشر ألف ألف دينار، وافتتح أبو الحسن ابن الفرات أعمال فارس وكرمان سنة تسع وتسعين ومائتين فارتفع من مال الخراج والضيايع العامة والمعروف بالأمرء في كل سنة ثلاثة وعشرون ألف ألف درهم وثمانمائة ألف درهم، منها من مال فارس ثمانية عشر ألف ألف درهم، ومن مال كرمان خمسة آلاف ألف درهم، [382] يكون ذلك في مدة إحدى وعشرين سنة آخرها سنة عشرين وثلاثمائة الخراجية بعد وضع ثمانمائة ألف درهم كانت تنكسر في كل سنة من مال البقايا أربعمائة ألف ألف درهم وثلاثة وثمانين ألف درهم.

«وإذا وضع من ذلك ما كان يحمله من يتغلب^(٢) على فارس وكرمان إلى بيت مال العامة بالحضرة وهو نحو أربعة آلاف ألف درهم في السنة ومبلغه في هذه السنين ثلاثة وثمانين ألف ألف درهم وكان الباقي بعد ذلك أربعمائة ألف ألف درهم قيمتها ثمانية وعشرون ألف ألف دينار.

«ومن أموال مصر والشام في هذه السنين زيادة على ما كان يحمل منها في أيام المعتضد: ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف دينار.

١. في مط: المال.

٢. في مط: معك، بدل «من يتغلب».

«وأخذ المقتدر من أموال عليّ بن محمّد بن الفرات في مصادرتة ومصادرات كتّابه وأسبابه: أربعة آلاف ألف وأربعمائة ألف دينار، منها في الدفعة الأولى: ألفي ألف وثلاثمائة ألف دينار، وفي الدفعة الثانية: ألف ألف ومائة ألف دينار، وفي الثالثة مع ما أخذ من زوجة المحسن دولة: تسعمائة ألف دينار.

«وما حصل من ارتفاع ضياع ابن الفرات الملك سوى الإقطاع والإيفار^(١) في مدّة سبع عشرة سنة مع ما انصرف في ذلك من المبيع والمقطع والموغر للحاشية حساباً [383] في السنة مائتي وخمسين ألف دينار: أربعة آلاف ألف ومائتي وخمسون ألف دينار.

«وما صحّ ممّا أخذ لأبي عبد الله الجصاص الجوهري دون ما كان يذكره وهو يتكثّر به من العين: ألفي ألف دينار.

- «وما حصل من ضياع العباس بن الحسن بعد قتله في مدّة أربع وعشرين سنة حساباً في السنة مائة وعشرين ألف دينار: ألفي ألف وثلاثمائة ألف دينار.

- «وما أخذ من أموال حامد بن العباس وأسبابه ومع ما يرتفع من ضياعه إلى أن ردّت على ولده ألفي ألف ومائتي ألف دينار.

«وما أخذ من أموال الحسين بن أحمد ومحمّد بن عليّ المادرائيين في أيام وزارة أبي عليّ الخاقاني ووزارات ابن

١. في مط: الابعاد، بدل «الإيفار».

الفرات الثلاث وأيام أبي القاسم الخاقاني وأبي العباس الخصيبى^(١)
وأبي الحسن عليّ بن عيسى الثانية وأبي عليّ ابن مقلّة: ألف
ألف وثلاثمائة ألف دينار.

«وما أخذ من أموال عليّ بن عيسى وابن الحواريّ وسائر
الكتاب ووجوه العمّال المصادرين: ألفى ألف دينار.

«وما أخذ من تركة الراسبي، خمسمائة ألف دينار.

«وما أخذ من تركة إبراهيم المسمعى: ثلاثمائة ألف دينار.

«وما حصل من ثمن المبيع فى أيام الوزراء وازداده الفضل
بن جعفر: ثلاثة ألف ألف دينار.

«وما حصل من أموال أم موسى [384] وأخيها وأختها
وأسبايها: ألف ألف دينار.

«فصار الجميع من العين: ثمانية وستين ألف ألف وأربعمائة
وثلاثين ألف دينار. وضع^(٢) من ذلك لارتفاع ما خرج من المبيع
منذ سنة سبع عشرة وثلاثمائة إلى آخر سنة عشرين وثلاثمائة
حساباً فى السنة على التقريب تسعمائة ألف دينار: ثلاثة ألف
آلاف وستمائة ألف دينار.»

مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی

الباقى بعد ذلك ممّا حصل فى خزانة المقتدر زائداً على ما كان يحمل إلى
بيت مال الخاصّة فى أيام المعتضد والمكتفى من أموال الضياع والخراج
بالسواد والأهواز والمشرق والمغرب: أربعة وستين ألف ألف وثمانمائة
وثلاثين ألف دينار.

١. كذا فى الأصل ومد: الخصيبى. وفى مط: الحصينى.

٢. فى مط: ومع، بديل «وضع».

وقد كان كل واحد من المعتضد والمكتفى يستفضل في كل سنة من سنَى^(١) خلافته من أموال النواحي بعد الذي يُصرف في أعطيات الرجال والعلمان والخدم والحشم وجميع النفقات الحادثة مع ما كان يحصله في بيت مال الخاصّة: ألف ألف دينار.

وكان سبيل المقتدر أن يستفضل مثلها فيكون مبلغه في خمسة وعشرين سنة: خمسة وعشرين ألف ألف دينار. فيكون جملة ما يجب أن يحضر في بيت مال الخاصّة للمقتدر بالله في هذه السنين إلى آخر سنة عشرين: [385] تسعة وثمانين ألف ألف دينار وثمانمائة ألف وثلاثين ألف دينار.

خرج من ذلك ما ليس يجرى مجرى التبذير وهو ما أطلق في البيعة ثلاث^(٢) دفعات وما أنفق على فتح فارس وكرمان: بضعة عشر ألف^(٣) ألف دينار. وبقي^(٤) بعد ذلك ما بُدّر وأُتلف: نيف وسبعون ألف ألف دينار. وكانت مدّة وزارة أبي الفتح الفضل بن جعفر للمقتدر خمسة أشهر وتسعة وعشرين يوماً.



مركز تحقيق كتاب تواريخ العلوم الإسلامية

١. في مط: من سبى.

٢. في مط: ثلاثة.

٣. في مط: آلاف ألف.

٤. من هنا إلى «سبعون ألف ألف دينار» ساقط في مط. وأمثال ذلك وغيره كثيرة في مط.

خلافة القاهر بالله

أبى منصور محمد بن المعتضد سنة عشرين وثلاثمائة

لَمَّا قُتِلَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى بَيْنِ يَدَيْ مُونِسَ بَكِي وَقَالَ :
- « قَتَلْتُمُوهُ وَاللَّهِ لَتَقْتُلُنَّ^(١) كُلَّنَا فَأَقْلَ مَا يَكُونُ أَنْ تُظْهِرُوا بِأَنْ ذَلِكَ جَرَى
بِغَيْرِ قَصْدٍ مِنْكُمْ وَلَا أَمْرَ بِهِ وَأَنْ تَنْصَبُوا فِي الْخِلَافَةِ ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ فَإِنَّهُ تَرْبِيَّتِي
وَإِذَا جَلَسَ فِي الْخِلَافَةِ سَمَحْتَ نَفْسَ جَدَّتِهِ وَالِدَةِ الْمُقْتَدِرِ وَإِخْوَتِهِ وَغُلَمَانِ
أُيُوهِ بِإِخْرَاجِ الْعَالِ . »
فَعَارَضَ هَذَا الرَّأْيَ أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ النَّوْبَخْتِي لِحِينِهِ^(٢) وَمَا
سَبَقَ لَهُ فِي حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَالَ :
- « بَعْدَ الْكَذِّ اسْتَرْحَنَّا مَقْنً لَهُ وَالِدَةُ وَخَالَتُهُ وَخَدَمٌ فَنَعُودُ إِلَى تِلْكَ الْحَالَةِ ؟ »
وَمَا زَالَ بِمُونِسَ [386] وَأَسْبَابِهِ حَتَّى فُتِنَا رَأْيُهُمْ^(٣) عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ وَعَدَلَ
بِهِ إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ الْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ لِيَتِمَّ الْمَقْدَارُ مِنْ جَزْيِ^(٤) قَتْلِهِ عَلَى يَدِهِ .
وَحَضَرَ فَائِقُ وَجْهَ الْقَصْعَةِ الْحُرْمِيِّ فَذَكَرَ لِمُونِسَ أَنَّ وَالِدَةَ الْمُقْتَدِرِ لَمَّا بَلَغَهَا

١. فِي مَطْ : لَيَقْتُلُنَّ .

٢. لِحِينُهُ : كَذَا فِي الْأَصْلِ وَمَطْ وَهُوَ الصَّحِيحُ . وَمَا فِي مَدْ : لِحْسَنُهُ .

٣. فِي مَطْ : فَنُشَارَاتُهُمْ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ قَبِيحٌ .

٤. ضَبَطَ الْعِبَارَةَ مِنَ الْأَصْلِ .

قتل ابنها أرادت الهرب وأنه وكّل بها وتوثّق منها. وذكر أنّ محمّد بن المعتضد ومحمّد بن المكتفى معتقلان في يده. فوجّه به مونس وأمره بإحضارهما وأصعد بهما إلى دار مونس بعد أن أطلق بشري خادمه. وابتدأ مونس بخطاب محمّد بن المكتفى فامتنع من قبول الأمر وقال :
- «عَمَى أَحَقَّ بِهِ.»

فخاطب حينئذ محمّد بن المعتضد فاستجاب واستحلف لمونس المظفر ويليقي ولعلّي ابنه وليحيى بن عبد الله الطبري كاتب يليق. فلما توثقوا منه بالأيمان والعهود بايعوه وبايعه من حضر من القضاة والقواد ولقب : «القاھر بالله». وكان ذلك سحر يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال. وأشار مونس بأن يستوزر له عليّ بن عيسى ووصف سلامته واستقامة أموره ومذهبه ودينه فقال يليق وابنه :

- «الحال الحاضرة لا تحتمل أخلاق عليّ بن عيسى وأنه يحتاج إلى من هو أسمح منه وأوسع أخلاقاً.»

فأشار بأبي عليّ ابن [387] مقلّة وبأن يُستخلف له إلى أن يقدم من فارس أبو القاسم الكلوذاني. فأمضى مونس ذلك وكتب إلى أبي عليّ ابن مقلّة بالإسراع، وإلى ياقوت بحمله وتعجيله.

وانحدر القاھر إلى دار الخلافة وصعد الدرجة. وانحدر مونس وأسبابه إلى دورهم وصرف محمّد بن المكتفى إلى داره في دار ابن طاهر واستحجب القاھر بالله عليّ بن يليق واستكتب عليّ بن يليق أبا عليّ الحسن بن هارون. ووجّه مونس المظفر فاستقدم عليّ بن عيسى من الصافية فراسله القاھر علي يد الحسن بن هارون واستدعاه فلقى مونساً ثم انحدر إلى القاھر فوصل إليه وخاطبه بجميل وذلك قبل ورود ابن مقلّة.

واستحضر مونس أبا القاسم الكلوذاني وانحدر معه إلى دار السلطان

وأوصله إلى القاهرة فعرفه أنه قد استوزر أبا عليّ ابن مقلّة واستخلفه له إلى أن يقدم وأمره أن ينتقل^(١) إلى دار مفلح ليقرّب عليه إذا طلبه ففعل ولقيه أصحاب الدواوين وهنأوه وأمر ونهى.

تشاغل القاهرة بالبحث عمّن استتر

وتشاغل القاهرة بالبحث عمّن استتر من أولاد المقتدر وحرّمه وبمناظرة والدته وكانت في علّة عظيمة من فساد مزاج وابتداء [388] استسقاء ولما وقفت على ما لحق ابنها من القتل وأنه لم يُدفن جزعت جزعاً شديداً ولطمت رأسها ووجهها وامتنعت من المطعم والمشرب حتّى كادت تتلف ورفق بها رفقاً كثيراً إلى أن اغتدت بيسير من الخبز والملح وشربت الماء. ثم دعاها القاهرة فقررها بالرفق مرّة وبالتهديد مرّة فحلفت له على أنه لا مال لها ولا جوهر إلّا صناديق فيها صياغات وثياب وفرش وطيب وأن هذه الصناديق في دار تتصل بالدار التي كانت تسكنها من دار السلطان ووقفته على تلك الدار وتلك الصناديق وقالت :

« لو كانت عندي مال لما سلّمت ولدي للقتل. »

فضربها حينئذ بيده وعلّقها بفرد رجل وأسرف في ضربها على المواضع الغامضة من بدنها^(٢) ولم يرجع لها إحسانها وقت اعتقال المقتدر إيّاه ولما أوقع بها المكروه لم يجد زيادة على ما اعترفت به طوعاً.

فلما كان مستهلّ ذي القعدة حضر يلبق وعليّ ابنه ومعهما أبو القاسم الكلوزاني دار السلطان فأوصلهم إلى حضرته فطالبوه بحمل مال إلى مونس المظفر ليُنْفِق في صلة البيعة فحدّثهم بما فعله بوالدة المقتدر [389] وأنه

١. في مط: يقفل، بدل «ينتقل».

٢. في مط: يديها، بدل «بدنها».

ضربها بيده مائة مفرقة ضرب التقرير على المواضع الغامضة من بدنها فما أقرت بدهم واحد غير ما كانت أقرت به عفواً وقال لهم :
- «هي بين أيديكم».

ثم أدخلهم إلى الدار التي فيها الصناديق فإذا فيها ثياب وشى وديباج رومي^(١) وتُستريّ مثقلة بالذهب وفرش أرمني^(٢) وخزّ رقم وديباج وصناديق فيها ثياب فاخرة وصياغات يسيرة ذهب وصياغات كثيرة فضة وطيب كثير من عود هنديّ وعنبر ومسك وكافور وتمائيل كافور^(٣) قيمة ذلك نحو مائة وثلاثين ألف دينار وقيمة التماثيل نحو ثلاثمائة ألف درهم فتسلّم أكثر ذلك مونس المظفر ليبيع فتركوا بعضه ليخدم به القاهر.

وصودر جميع أسباب المقتدر وظهر الفضل بن جعفر فعنى به مونس ويليق وابنه وخاطبوا فيه القاهر فقال :

- «هذا كان وزير المقتدر ولا بدّ من مصادرتة».

فبذل عشرين ألف دينار عاجلة فقال مونس :

- «أنا أزن هذا المال عنه فإنه ثقة عفيف كاتب دين».

ورسم أن يقلّد ديوان الضياع المقبوضة عن والده المقتدر وديوان أولاد المقتدر وما قبض عنهم وعن سائر الأسباب وأكرم كل إكرام وصار إلى [390] الكلوزاني فقام له لمّا حضر ولمّا انصرف ووقع له القاهر بجميع تلك الدواوين التي ذكرتها فتسلّم الدواوين ولم يؤثر فيها شيئاً لأنّه لم يستحسن وكان بالأمس وزير المقتدر أن يتقلّد اليوم ديوان المقبوضات عن والدته وأولاده وأسبابه فاستحضر الكلوزاني هشاماً وقلّده ذلك أزمّة وقلّد أبا محمّد

١. في مط: ثقفى، بدل «رومي».

٢. كذا في الأصل ومط: أرمني. والمثبت في مد: ادني، خلافاً للأصل.

٣. تماثيل كافور: كذا في الأصل ومط ومد.

المادرائى ديوان الأصول فكانت مدّة ولاية الفضل هذه الدواوين سبعة عشر يوماً.

وكانت مصادرة أبى بكر ابن ياقوت قد اشتهرت وأنّه لم يؤدّ منها إلّا تسعين ألف دينار فطولب بتمامها. وأخرج القاهرة والدّة المقتدر لتشهد على نفسها القضاة والعدول بأنّها قد حلّت وقوفها ووكلت فى بيعها علىّ بن العباس النوبختى ونوظرت على ذلك فامتنعت منه وذكرت أنّها وقفته على مكّة والثغور على الضعفى^(١) والمساكين ولا أستحل حلها فأما أملاكى الطلق فقد وكتت علىّ بن العباس فى بيعها.

فنهض القاضى عمر بن محمّد والشهود إلى حضرة القاهرة فأشهدهم على نفسه بأنّه قد حلّ وقوفها ووكل فى بيعها علىّ بن العباس النوبختى وفى بيع سوى ذلك من الضياع الخاصّة والفراتيّة والعبّاسيّة [391] والمستحدثة والمرتجعة وما يجرى مجراها فى سائر النواحي ووكل أبا طالب النوبختى وإسحاق بن إسماعيل وأبا الفرج جليخت فى بيع المستغلات بالحضرة المقبوضة وما أمكنهم بيعه من فضل ما بين المعاملتين. ورأى أسباب مونس أنّه لا يتمّ البيع إلّا بأن يتدثروا بالشراء منهم فابتاعوا أشياء بنحو خمسمائة ألف دينار.

مركز تحقيق تكاثير علوم اسلامی
وزارة ابن مقلة

وقدم أبو على ابن مقلة من شيراز فى يوم النحر وكان كتب إلى القاهرة بالله ويسأله أن يجلس له فى الليل لأنّه كان اختار لنفسه أن يلقاه بطالع الجدى وفيه أحد السعدين والآخر فى وسط السماء فوصل فى الوقت الذى

١. الضعفى: كذا فى الأصل ومط. فى مد: الضعفاء. خلافاً للأصل، وكلاهما بمعنى واحد.

قدّره وصادف القاهر ينتظره فلقية وخرج من عنده وقد أعدّت له دار هارون بن المقتدر وفرشت فدخلها ووقع فيها بتقليد قوم وخلع عليه من الغدّ خلع الوزارة وصار إلى مونس المظفر فسلم عليه وانصرف إلى داره.

وحضر الناس للتهنئة وراح إليه في آخر النهار على بن عيسى فلم يقم له واستقبح الناس له ذلك وصار إليه أبو بكر ابن قرابة ووفى بوعدده في مداخلته إياه والعود إلى التخليط كما كنّا شرحناه من أمره.

ودخلت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة [392]

كان أبو على ابن مقلّة عاتباً على الكلوزاني وذاك أنّه لم يعرف خبر أحد من إخوته وولده وحرمه وأسبابه بعد تقليده خلافته ولا صار إلى داره ولا قلّد أحداً من أسبابه شيئاً من الأعمال ولا تفقّد حرمه وولده بشيء، وأعظم من هذا كلّه أنّ أبا عبد الله ابن ثوابة استأذن أبا القاسم الكلوزاني في وقت خلافته أبا على في ذكر كنيته على الكتب النافذة إلى العمّال فلم يأذن له فقبض على الكلوزاني وأسبابه وكان هذا أوّل ما وبّخه به وأخذ خطّه بمائتي ألف دينار ونقله مع كاتبه وأسبابه إلى أبي بكر ابن قرابة ثمّ قبض على جماعة من العمّال وكتاب الدواوين وقبض على إسحاق بن إسماعيل النوبختي وعلي بن البريدي وضمن أعمالهم من محمّد بن خلف النيرماني بما كانت عليهم وزيادة ثلاثمائة ألف دينار وضمن أيضاً أن يصادرهم على ستمائة ألف دينار وتسلمهم وحملهم إلى داره وجميع ذلك بتوسط ابن قرابة فاعتقلهم محمّد بن خلف في داره وفرّق بينهم.

وجمع أبو على ابن مقلّة لمحمّد بن خلف مع هذه الأعمال أعمال المعاونة فخاف إسحاق بن إسماعيل وبنو البريدي على أنفسهم لما يعرفونه من شدّة

إقدام محمد بن خلف وتهوُّره^(١) فأما أبو عبد الله البريدي [393] فإنه دأرى محمد بن خلف ورفق به وأوهمه أنه يعمل من قبله ويقوم بمال النواحي وبالزيادة التي بذلها وأن يطيعه في المال كله ويعمل بما يأمره فيه ولا يخالفه فرفقه من بين الجماعة وأوقع بأخويه وعلق عليهما الجرار المملوؤة ودهقهما^(٢) فلم يذعنا بشيء وضيق على إسحاق بن إسماعيل ولم يوقع به مكروهاً.

وكانت بين أبي جعفر ابن شيرزاد وبين إسحاق بن إسماعيل مودة وكيدة فخطب أبو جعفر الوزير أبا عليّ في لقاء إسحاق وقال :

- «أحتاج أن أواقفه على ما سبب لصاحبي هارون بن غريب عليه في أيام المقتدر وما أطلقه حتى لا يحيل عليّ بما لم يطلقه.»

فوجّه معه بحاجب من حجاب الوزارة فأوصله إلى إسحاق فلما وقعت عين إسحاق عليه قال له :

- «يا سيدي الله الله في أمري بادر إلى الأستاذ المظفر ولا تفارقه حتى يخلصني من يد هذا المجنون.»

فمضى أبو جعفر إلى مونس ولم يزل يسأله حتى دعا يلبق وأمره أن يمضي إلى أبي عليّ ابن مقلّة ويخاطبه في أمره فإن أطلقه وإلا انتزعه من يد محمد بن خلف وحمله إليه. فمضى يلبق إلى ابن مقلّة فخاطبه فلم يجد ابن مقلّة بداً من الإستجابة لتقريب أمر إسحاق.

فحكى أبو الفرج ابن أبي هشام عن أبي سعيد ابن قديدة أن السبب فيما لحقهم عتب أبي بكر ابن قرابة [394] عليهم لتأخيرهم مالاً كان له عليهم وهو الذي قدّمه عنهم فتقاعدوا عن الوفاء له فعاهد محمد بن خلف يوم

١. كذا في الأصل ومط: تهوُّره. والمثبت في مد: قهوره. خلافاً للأصل.

٢. دهقه: ضربه. دهق الشيء: كسره.

تضعنهم من أبى على ابن مقله بستمائة ألف دينار على أن يستوفى له من جماعتهم ما قدمه عنهم ويردّه عليه. فلما حصلوا فى يد محمّد بن خلف استخرج من أبى عبد الله وأخويه عشرين ألف دينار وأنفذ قبض بعض الصيارف بدرّب عون إلى أبى بكر ابن قرابة بها وجعل ذلك من دينه عليهم وجدّ بهم.

واستسلم له أبو يوسف وأبو الحسين ولحقهما منه مكاره عظيمة وأطمعه أبو عبد الله إطماعاً لم يصعّ ورفق به. فلما كان فى اليوم الثالث ركب محمّد بن خلف إلى أبى على ابن مقله فقال له أبو على :
- «يا أبا عبد الله غررتنا والقوم فى يدك فنذت مخاريقهم عليك وذهبت يريحك.»

فخجل محمّد واغتاض وقال :

- «قد حملت من جهتهم عشرين ألف دينار وإنما ضمنت المال فى مدّة ثلاثة أشهر فأى عتب للوزير علىّ حتّى يخاطبنى بهذا الخطاب البشع.»
فقال الوزير :

- «ما سمعت بهذا إلّا منك فألى من سلّمت المال؟»

قال :- «إلى ابن قرابة.»

فدعا بابن قرابة وسأله^(١) عمّا ذكر محمّد بن خلف فقال :

- «أنفذ أيّها الوزير هذا الخط ووالله ما قبضت [395] ماله من الصيرفى وزعم أنّه من دين لى عليهم ولو قال أنّه من الحمل لأنّ هيت حاله فى الوقت وإذ قد بدا له فهاهى الرقعة بارك الله له فيها.»
وسلّمهما إلى محمّد بن خلف فقال محمّد :

١. كذا فى الأصل ومط : وسأله. والمثبت فى مد : وهنأ له، خلافاً للأصل.

- «لا والله ما جعلتها من دينك وكيف يجوز أن أقدم مالك على مال السلطان؟»

فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه وبلغ أبا عبد الله البريدى خبر المجلس فسرى عنه واجتهد فى أن يكتب رقعة إلى ابن قرابة يسأله فيها المصير إليه فلم يجد دواة ولا من يحملها واتفق أن أنفذ أبو سعيد ابن قديدة غلامه أحمد ليشاهد حاله فاستأمن إليه أبو عبد الله ورغبه فى الإصطناع والإحسان ووعدته أن يغنيه إذا أوصل رقعة له إلى ابن قرابة فاستجاب له الغلام واحتال له فى جوزة جعل فيها كُرْسُفاً^(١) وأحضره قلماً صغيراً وقطعة من كاغذ فكاتب أبا بكر ابن قرابة وحلف له إنه إن أخذه إليه وفّاه ماله عن آخره وخدمه أحسن خدمة.

فبكر أبو بكر ابن قرابة إلى محمد بن خلف وأظهر له أنه قد قصده لمعاتبته حتى استوفى المفاوضة معه. ثم قال له :

- «أخرج ابن البريدى إلىّ فإنه يستقيم إلى كلامى حتى أقرر مصادرتة وأعرف ما عنده [396] فى دينى.»

فأخرج إليه أبا عبد الله فقال أبو عبد الله :

- «أول إقبالى إن قلت لمحمد بن خلف : لم يبق من السحر إلا السرار

فيتفضّل الأمير ويخلى لنا مجلسنا.»

فنهض محمد بن خلف من مجلسه وسلّمه إلى برقاعته وقال :

- «أنا داخل إلى دار الحرم.»

فتخاطبنا وجلست مجلسه وقعدت مقعده فتفاءلت وقلت :

- «هذا مجلس كان لى فأتقل إليه وقد عاد إلى.»

١. فى مط : كرفساً. والكُرْسُف : القطن. لينة الدواة.

فاستصلحت أبا بكر ابن قرابة ووعدني بتخليصي ووفى ومضى ففصل
أمرنا وضمن الوفاء عنا.

فلما كان في اليوم الثاني رضى عنا أبو علي ابن مقله واستدعاني وإخوتي
فدعانا محمد بن خلف وسكن منا^(١) وأنفذنا إليه فلما أردت الخروج قلت
لمحمد بن خلف :

« أيها الأمير، أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل خادمك ومونس يعتنى به
وسينفذ الساعة من يأخذه فدعني حتى أستصلحه لك وأعقد بينك وبينه عهداً
ويميناً. »

فقال : « افعل. »

فخلوت بإسحاق بن إسماعيل وقلت له :

« قد سخرت من هذا النفس^(٢) وأنا منصرف فعاقده واحلف له ثم قل
له : بيننا الآن عهد ولا بدّ من صدقك ابن مقله يبغضك ويتّهمك بأنك تطلب
الوزارة وإنما أراد أن يستنفر لك الأعداء ويأخذ أموالنا بيدك ثم يحملنا على
أن نتضمّنك وقد ضمنك أبو عبد الله البريدي [397] بثلاثمائة ألف دينار
وحدّثني بهذا فلا تركب أيتاماً فإن كان الوزير سأل عنك فقد حماك منه
ال خليفة وإن طلبك فإنما يريد أن يسلمك إليه. »

ثم انعطفت إلى محمد بن خلف وقلت :

« قد فرغت من القصّة والرجل يخدم الأمير كما يريد. »

وخرجنا فأعاد عليه إسحاق ما سمعه مني فانصرف قبل العصر بعدى.

فلما جلس محمد بن خلف في منزله ولم يركب إلى أبي علي ابن مقله
مضى أبو عبد الله البريدي إلى ابن مقله وقال له :

١. كذا في الأصل : منا. في مد : بنا. وفي مط : وتمكن منا، بدل « وسكن منا ».

٢. في مط : البلس، بدل « النفس ».

- «قد عرفت من دار محمد أنه يطلب الوزارة وأن رسله منبثون إلى أسباب مونس وإلى القاهرة فلا تدعه يقيم في البلد.»

وكان ابن مقلّة جباناً فطلبه وكان ذلك القول الأول قد تقدّم إلى محمد بن خلف، فوثب بخدم ابن مقلّة وغلماناه وحاجبه وضريهم وحصلهم في بيت وقفل الباب عليهم وتسور السطوح وهرب فلم يظهر إلا في وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله للقاهرة بالله.

وكان أبو عبد الله البريدي مقيماً بالأهواز وعرف محمد بن خلف من بعد أن الحيلة تمت عليه، فقال لمن بلغ أبا عبد الله البريدي :
- «ظننت بك ظناً جميلاً ولم أعلم أنك في الحيلة علىّ وكنت قد صدقت عنك فلم أقبل.» [398]

فقال أبو عبد الله البريدي لأبي عليّ الكاتب :

- «اكتب إلى فائق الغلام بأن يقول لمحمد بن خلف : هذه الحيلة يجوز أن تخفى عليك، فقد خفى مثلها على من هو أكبر منك ولكن أعظم من ذلك أنه كان لنا من الموضع الذي خبينا فيه طرق إلى دور حرمك وذهبت عليك ولم تعرفها فاحترس منها في المستأنف.»

وتوسط أبو بكر ابن قرابة أمور الجماعة وفصلها مع ابن مقلّة فوقع ابن مقلّة بإعادة ابني البريديين إلى أعمالهم فاستقامت أمورهم. ولما بطل ضمان محمد بن خلف ما كان ضمنه من ضمانات البريديين وإسحاق بن إسماعيل صرف أيضاً عن أعمال معاون في هذه النواحي وطلبه ابن مقلّة وكان من وثوبه برسله وحاجبه واستتاره ما ذكرناه.

ووجه ابن مقلّة إلى دار محمد بن خلف من ^(١) فتح الباب عن خدمه

١. من فتح : في الأصل ومد : ثم فتح . والتصحيح من مط .

وغلماناه وحاجبه وانصرفوا.

بين ابن مقلّة وأبى الخطاب

وكان أبو عليّ ابن مقلّة يعادى أبا الخطاب ابن أبي العباس ابن الفرات ولم يكن يجد إلى القبض عليه طريقاً ديوانياً لأنّه كان ترك التصرف عشرين سنة ولزم منزله وقنع بدخل ضيعته. وكان سبب عداوة أبي عليّ له أنّه كان استسغفه أيام نكبته فاعتذر بالإضافة ولم يسغفه. [399]

ثم إنّ أبا الخطاب طهر أولاده فتجمل كما يتجمل مثله ودعا أولاد أبي عليّ ابن مقلّة فشاهدوا مروّة تامّة وآلات جليّة وصياغات كثيرة وكان بعضها غارية فانصرفوا وحدّثوا أباهم الحديث وعظّموا وكثّروا وصار أبو الخطاب ابن أبي العباس ابن الفرات إلى الوزير أبي عليّ ابن مقلّة على رسمه يوم الموكب للسلام عليه فقبض عليه.

فحكى أبو الفرج ابن أبي هشام أنّ أبا زكريا يحيى بن أبي سعيد السوسي حدّثه أنّه كان حاضراً حين قبض على أبي الخطاب وأنّ الوزير أبا عليّ أنفذ إليه وسائط وأنّه كان فيهم وطالب بثلاثمائة ألف دينار وأنّ أبا الخطاب قال:

مركز تحقيق كتاب تواريخ علوم اسلامی

«بماذا يتعلّق الوزير عليّ وقد تركت التصرف منذ عشرين سنة ولمّا تصرفت كنت عفيفاً سليماً ما آذيت أحداً ولى عليّ الوزير حقوق وليس يحسن به أن يتناساها مع اشتهاؤه بالكرم ويقبّح

بى أن أهجّنه بخطوط له عندى قبل هذه الحال الغالية^(١) فقولوا له : أيّها الوزير أبو عليّ، ذكرتك بما لو طالبتك برعايتها أو بالمجازاة على ما أسلفتك فى أوقات انحراف الزمان عنك أو سألتك ولاية أو إماحة أو إحساناً فى معاملة فى ضيعة أو إرفاداً [400] وهل من الجميل ألاّ أجد عندك إذا رفّعتك من هذا كلّه سلامة فى نفسى فيما قد ركبته منى ممّا إذا صدقت نفسك خفت العقوبة من الله عزّ وجلّ ثمّ قبح الأحدوثة من الناس.

- «أما ما ظننته عندى، فما الأمر كما وقع لك لأنّ هذا المال إن كان موروثاً عن أبى رحمه الله فليست وارثه وحدى ولو كان لاقتسمناه ونحن عدّة فلم يكن بدّ من أن يشيع ويعرف خبره وإن ظننته من كسبى فتصرفى وما وصل إليّ منه معروف وما خفيت عنك نزارته ومن بحضرتك من أصحاب الدواوين يشهدون لى بأنّى ما حظيت ببعض مؤونتى^(٢) وإن ظننته من استغلال فما استغلّه مقسوم بين الورثة وإن رجعت إليهم بالمسألة لم تجد ما يخصّنى فى زمان تصرفى إلاّ بعض ما انصرف إلى مؤونتى ومروتى.

- «وقد خلف الوزراء والأكابر أولاداً مثلى فى كفايتى ودونى فتعرضوا لمواقف واستشرفوا لرتب وراسلوا وروسلوا فهل رأيتنى إلاّ فى طريق التسلّم وراضياً بامتداد ستر الله تعالى والزهد فى هذه الدنيا. فأىّ شيء تقول لله تبارك اسمه، ثمّ لعباده إذا

١. فى مط : العالمة (بالعين المهملة).

٢. كذا فى الأصل ومط : مؤونتى. وفى مد : مروءتى.

أسأت إليّ؟»

فلما أعيد هذا الكلام على ابن مقله من غير جهتنا فإنه كان [401] أنفذ من يتسمع، خجل وتبلد وتحير ثم قال:

«هذا يدلّ عليّ بالفرائية وأمير المؤمنين ليس يمكنني من رعاية حقوق أمثاله وأنا أنفذه إلى الخصيبى فإنه أعرف بدوائه.»

فقمنا وجئنا إلى الخصيبى فحدثته بما جرى في المجلس وقلت له:
«أعيزك بالله أن تنتصب للتشرّر^(١) على الناس وأن يُقال: إنّ النعم تُزال بك وأنت وزير ابن وزير وقد رفع الله قدرك من ذلك وأجلك بصناعتك وعفافك وأبوتك.»

فقال: «أحسن الله جزاءك ستعلم أنّي أردّه إليه بعد أن أعذر باليسير إليه.»
ثم إنّ أبا عليّ ابن مقله استدعى الخصيبى وسلّمه إليه بعد أن اضطرّه إلى كتب خطّه بثلاثمائة ألف دينار يصحّحها في مدّة عشرين يوماً. فأحضر له الخصيبى صاحب الشرطة وجوّده وضربه عشر درر وخلّع تخليعاً يسيراً، ثمّ ضربه بالمقارع، فأقام على أنّه لا مال له وأنّ ضياعه قد وقفها ولا يمكنه بيعها. فاستغفى الخصيبى منه وردّه إلى دار ابن مقله فحبسه ثمّ سلّمه إلى المعروف بابن الجعفرى النقيب وأحضر له غلاماً من غلمان القاهرة وذكر له أنّه قد أمر بضرب عنقه إن لم يؤدّ قادراً من المال.

فما زال يعلّهم إلى آخر الوقت ولم يؤدّ [402] شيئاً. فلما حضر الوقت أحضره السيف وشدّ رأسه وعينيه. فقال له أبو الخطّاب:

«وجّهنى رحمك الله إلى القبلة.»

١. في مط: للتشرّر، بدل «التشرّر».

فوجّهه .

ثم قال له :

- « برفق ^(١) » .

وتشاهد .

فبادر بالخبر ابن الجعفرى إلى ابن مقلّة فقال ابن مقلّة :

- « لا يجوز أن يكون بعد هذا شيء . »

وقال مونس المظفر لابن مقلّة :

- « أى طريق على رجل لم يعمل عملاً منذ آخر سنة تسع وتسعين

ومائتين ؟ »

فأخذه ابن مقلّة وسلّمه إلى حاجبه وأمره أن يعتقله . فأقام فيه يومين وحضر أبو يوسف البريدى فشكا إليه ابن مقلّة ما أقام عليه أبو الخطاب من التجلّد ووسطه بينه وبينه . فصار إليه أبو يوسف وقرّر أمره على عشرة آلاف دينار فحلف أبو الخطاب ألا يؤدّى منها درهماً ولو قُتل أو يطلق إلى منزله . فوجّه إليه ابن مقلّة بخلعة من ثيابه وحمله على دابة بمركب واستدعاه ووثب إليه حتّى كاد أن يقوم له ثم قال له :

- « كُتِر على الخليفة فى أمرك وعزير على ما لحقك فامض مصاحباً إلى

منزلك . »

فانصرف وأدّى المال فى مدّة عشرة أيّام وأطلق ضياعه وأملاكه .

وأحضر ابن مقلّة إسحاق بن إسماعيل وأخذ خطّه بأن يحمل [403] فى كل شهر من شهور الأهلّة مثل ما كان يحمله إلى المقتدر بالله لخريطته على

سبيل المرفق وهو ألفا دينار وأخذ خطّ أبي عبد الله البريدي بحمل ثلاثة آلاف دينار في كلّ شهر على هذه السبيل وخطّ أبي يوسف وأبي الحسين أخويه بألف وخمسمائة دينار في كلّ شهر.

ذكر ما جرى في أمر الذين هربوا من قوّاد المقتدر
وما آل أمرهم إليه

كتب هارون بن غريب إلى أبي جعفر محمّد بن يحيى بن شيرزاد من واسط بأن يقطع أمره على مصادرة ثلثمائة ألف دينار على أن يطلق له ضياعه الملك في سائر النواحي ومستغلاته دون الإجازات والوقوف التي كانت في يده وعلى أن يؤدّي حقوق بيت المال على الرسوم القديمة ويرتجع إقطاعاته. وعنى به مونس المظفر وأسبابه وكتب له القاهر أماناً وقبلت مصادره التي بذلها وقلّد أعمال المعاون بماء الكوفة وماسبذان ومهرجاناتق. وخرج عبد الواحد بن المقتدر ومحمّد بن ياقوت الباهلي وابنا رائق وسرور ومفلح من واسط مفارقين [404] لهارون بن غريب من واسط إلى السوس وجنديسابور فأفسدوا أمر الأعمال هناك وعاثوا وخرّبوا ومدّوا أيديهم إلى الثناء والتّجار ثمّ خرجوا على الظهر إلى سوق الأهواز. فلمّا طال مقامهم بالأهواز شخص يلبق والجيش معه نحوهم فلقية هارون بن غريب بخرجرايا ثمّ نفذ لحرب القوم.

فأمّا ما حكاه أبو الفرج ابن أبي هشام عن مشاهدة وعيان فإنّه قال: إنّ الهاربين من قوّاد المقتدر مع عبد الواحد ابنه دخلوا سوق الأهواز من طريق الطيب وما دخلوا السوس ولا جنديسابور واستبدّ محمّد بن ياقوت بالأمور على ابني رائق والجماعة.

وقلّد أبا إسحاق القراريطي كاتبه النظر فاستخرج وأمر ونهى وكانت

الأموال تنصب إلى ابن ياقوت ويُعطى منها ابنا رائق وغيرهما ما يريد فتغيرت له القلوب واعتقدوا الخلاف عليه.

وتحقق أبو عبد الله البريدى بأبى على ابن مقله. وكانت الكتب ترد عليه من الأهواز بجميع ما يجرى فأشار بأن يتلاحق أمرهم وقال :

- «إن القوم متخاذلون وابن ياقوت مستبدٌ عليهم وقلوبهم شتى وإن ابني رائق صديقه فإن أخرج إليهم جيش اختلفت كلمتهم [405] وإن تركوا قويت شوكتهم بأموال الأهواز وعقدوا لعبد الواحد الخلافة وطلبوا الحضرة.»

فأنفذ أبو على ابن مقله أبا عبد الله البريدى إلى مونس حتى شافهه بذلك كله فقال مونس :

- «قد ترى الحيرة في مال البيعة وقد استحق الناس رزقه لأن الحادثة بالمقتدر منذ ثلاثة أشهر فمن أين المال؟»

فقال أبو عبد الله البريدى :

- «أنا أضمنه ويسبب على وأقدم بالحضرة ثلاثين ألف دينار وأصحح^(١)

بالسوس خمسين ألف دينار وبشتر عشرين ألف دينار والباقي بالأهواز.»

وأحضر صاحب ديوان الجيش وعمل جريدة لمن تجرد مع يلبق وأجمل ما لهم فبلغ مائتي وخمسين ألف دينار فحمل أبو عبد الله الثلاثين الألف الدينار التي ضمن تعجيلها بالحضرة وخطب القواد وتكاثرت العساكر مع يلبق وأبو عبد الله البريدى معه.

وخرج بدر الخرشني^(٢) في الماء وكوتب أحمد بن نصر القشورى وكان يتقلد البصرة أن يسير معه فلما تحصّلت الجيوش بواسطة تغيرت القلوب على محمد بن ياقوت وتبين ذلك فقال للجماعة :

١. في مط: أضح.

٢. في مط: الحرشي.

- «أنا واحد منكم ولست أخالفكم فى رأى ولكنّ الوجه أن نجتمع بتستر [406] فإنّها حصينة منيعة وندير أمرنا بما يوفق الله عزّ وجلّ له ولا نحارب.»

وواقفهم على مال يعطيهم وساروا للوقت إلى عسكر مُكرم وأفرجوا عن قسبة الأهواز فعمل القراريطى بها ما لا يعملهُ الدُمستُق وفتح الدكاكين بالليل وبعث إليها البغال وحمل منها أمتعة التجّار وصادر الأسود والأبيض. ولَمّا ورد الخبر بنزول يلبق السوس نفذت الجماعة إلى تُستَر وورد البريدى وسلك طريق القراريطى وزاد وما زال يحتال حتّى وقى الخمسين الألف الدينار ثمّ وافى يلبق والجوش جسر تُستَر فوجده مقطوعاً وحال بينه وبين تستر دُجبل.

فحكى عن أبى عبد الله البريدى بعد ذلك أنّه قال : هممت بالتغلب ووضعت فى نفسى الإمرة وتدير الرجال منذ ذلك لَمّا رأيت انحلال يلبق وسقوط ابن الطبرى كاتبه لأنّى رأيتهما متخلفين ساقطين. وكان الشارد قد طار وضجّ يلبق واضطرب رجاله فهمّ بالإنصراف فتبّته أبو عبد الله البريدى وما زال يتردّد إلى القوَاد ويهزّهم ويهاديهم ويسكّنهم ويكاتب ابنى رائق بالموّدة ويشير عليهما بمفارقة ابن ياقوت ويذكر لهما سوء أخلاقه وشدة عجه وتطاوله [407] عليهما حتّى استجابا إلى تقلّد البصرة والإنصراف عن تُستَر.

فما عرف ابن ياقوت الخبر حتّى ضربا بالبوق بكرة ورحلا فلم يكن له بهما يدان لأنّه لو كاشفهما لعبر العسكر الذى بازائه إليه وقُتل أو أُسر. ولَمّا توجه ابنا رائق إلى البصرة استأذن مفلح وسُرور فى العبور بعبد الواحد إلى يلبق وقالوا لمحمّد بن ياقوت :

- «قد ضعفت نفوسنا وأنت معتصم برجالك ونحن فلا عدّة لنا ولأصحابنا

إلا غلماننا.»

فرد الاختيار إليهم، كاتبوا وتوثقوا لنفوسهم من يلبق وعبروا إليه وتحير محمد بن ياقوت فراسل يلبق في أن يحلف بسلامة نيته إذا لقيه ليغير إليه ويفاوضه ويعود إلى معسكره. فأجابه وحلف له على ذلك وعبر إليه محمد بن ياقوت بدرّاعة بيضاء وعمامة وجُمَشَك^(١) في رجله ومعه غلام واحد وقت العصر فقام له يلبق وتفردا وتطاولا حديثاً ما عُرف في الوقت.

واشتعلت النيران في ثياب البريدى وتردد دفعات إلى ابن الطبرى يشير بالقبض على ابن ياقوت وراسل ابن الطبرى يلبق بذلك وقال له :
- «البريدى خليفة الوزير وثقة الأستاذ مونس يشير بذلك ولست أقول أنا شيئاً.»

فقال يلبق :

- «ما كنت بالذى أخفر أمانتى [408] وأحنت فى يمينى ولو ذهب نفسى.»

وحضر وقت الصلاة فقام محمد بن ياقوت تحت الفازة فى موضع فسيح فأذن وأقام وتقدم للصلاة يلبق وأكثر العسكر وراءه ولما استتم المكتوبة انثنى إلى يلبق معانقاً له فقام إليه وودّع كل واحد منهما صاحبه وعاد محمد بن ياقوت إلى عسكره^(٢) وظهر السرّ وكان تعاتبهما أولاً ثم تحالفا وتعاقدا واصطلحا على أن يسيرا إلى الحضرة بشروط الأمان على أن يكون بينهما فى المسير منزل فمزل.

ورحل محمد بن ياقوت بعد ثلاثة أيام من تستر إلى عسكر مكرم ودخل

١. فى مط : حمل ، بدل «جُمَشَك» بضم الجيم كما ضبط فى الأصل . أصلها الفارسى : جَمَشَك (= جَمَشَك) ، أى الحذاء .
٢. فى مط : معسكره .

يلبق تُسْتَرُ فعمل بها البريدى أعظم ممّا عمل القراريطى بكثير لأنّ الناس توقّوا منه، فلمّا رأوا أصحاب السلطان أنسوا. فأتى البريدى عليهم وكبس اليهود وهم معظم التجار وتجاوز كلّ قبّيح ووفى بالمائة الألف الدينار.

وسار يلبق إلى الأهواز وأهلها هاربون من محمّد بن ياقوت فسلموا لأنّهم مضوا إلى البصرة. وابتلى بالبريدى^(١) أهل عسكر مكرم وتُسْتَرُ. فأيسر ما عمل أن ركب إلى دور الصيارف فأخذ ما وجد من الأموال لهم ولمن يضاربهم وخسف بالسواد حتّى صحّح ليلبق مائتى ألف دينار [409] وبقيت على البريدى خمسون ألف دينار وعنّى به ابن الطبرى لأنّ البريدى خدمه خدمة تامّة حتّى إنّه كان يحضر أبواب البيع فى البلدان ويجلس على غاشيته ينتظر خروجه، فإذا خرج سأله أن يعطيه برشائه فإذا أعطاه قبله وجعله فى كفه وأشهد له بضياح ارتفاعها عشرة آلاف دينار فكان ذلك سبب عناية ابن طبرى به.

وخطب له يلبق وقال له :

- «أبو عبد الله ثقة ونجعل هذه الخمسين الألف الدينار فيما يخصّ الأمير - وكان ماله فى الجملة - وقد خدم وبيّض وجه الأمير فيما خدم ودبر وبدّد شمل هؤلاء وإنّه لأحقّ بمجلس أبى علىّ ابن مقلّة منه وأنفذ فى التدبير والأمر.»

مركز تحقيق كتاب ترمذى

فأجابه يلبق إلى ما سأل وخلف غلاماً عند البريدى يقال له ايتاخ.

ورحل ابن ياقوت إلى شابرزان^(٢) وتبعه يلبق ودخلوا مدينة السلام. وأطلقت أملاك ابنى رائق ومحمّد بن ياقوت ومفلح وسُرور دون إقطاعاتهم وأطلق لعبد الواحد بعض أملاكه القديمة وأعفى هو ووالدته من المصادرة

١. كذا فى الأصل ومط: بالبريدى. وما فى مد: البريدى.

٢. شابرزان: بليدة بين الشوس والطيب من أعمال خوزستان (مرصد الإطلاع).

وعادت يد ابن البريدى إلى عمالة الأهواز واستقامت الأمور وخلع القاهرة على يلبق وطوقه وسوره [410] بطوقين وسوارين مرصعين بالجواهر. وخرج أمر القاهرة ببيع دار المخرم التي كانت برسم الوزارة وكانت قديماً لسليمان بن وهب فقطعت وبيعت من جماعة من الناس بمال عظيم لأن ذرعها يشتمل على أكثر من ثلاثمائة ألف ذراع وصرف ثمنها في مال الصلة لبيعة القاهرة بالله.

وورد الخبر بموت تكين الخاصة بمصر فأشار الوزير أبو علي ابن مقله بانفاذ علي بن عيسى إليها للإشراف عليها فابتدأ بالإستعداد للخروج، ثم صار إلى أبي علي ابن مقله في بعض العشايا وصادفه خالياً فعرفه كبر سنه وضعف حركته ونقصان قوته وأنه لا يستشفع إليه بغير كرمه ولا يوسط بينه وبينه أحداً غيره وحلف علي موالاته أيماناً أكدها وسأله إعفائه من الشخوص وتذلل له وانكب على يده ليقبلها فمنعه من ذلك وخاطبه بمعرفته بحقه وعلمه بمكانه فأعفاه من الشخوص فانصرف علي بن عيسى شاكراً.

وورد كتاب محمد بن تكين يخطب مكان أبيه فأجيب إلى ذلك وحمل إليه الخلع والعهد. وكتب القاهرة رقعة بخطه إلى أبي علي ابن مقله بالتكنية وبزيادة في التشريف والرتبة وأمره [411] أن يكتب بذلك إلى الأمصار والأعمال كلها، ففعل ذلك ثم حمل إليه خلعة بعد خلعة للمنادمة وحمل إليه صينية فضة مذهبة فيها نذ^(١) وعنبر وغالية ومسك وصينية أخرى فيها رطلية بلور فيها شراب مطبوخ عتيق وقدح بلور وكوز ومغسل فضة. وشغب الجند بمصر على محمد بن تكين فقاتلهم وهزموا^(٢).

١. النذ: عود يُتبخَّر به (فارسية).

٢. في مط: وهزموا.

استيحا ش مونس ويلبق وابنه وابن مقله من القاهر
وفى هذه السنة استوحش مونس المظفر ويلبق وعلى ابنه والوزير أبو
على ابن مقله من القاهر بالله فضيقوا عليه وعلى أسبابه.

ذكر السبب فى ذلك

كان السبب فى ذلك انحراف الوزير أبى على ابن مقله عن محمد بن
ياقوت فمكّن فى قلب مونس المظفر ويلبق وعلى ابنه أنه فى تدبير عليهم
مع القاهر بالله وأن عيسى المتطبّب يترسل للقاهر إليه فوجه مونس بعلى بن
يلبق إلى دار السلطان وسأل عن عيسى فعرف أنه بحضرة القاهر فهجم عليه
غلما ن على بن يلبق فوجدوه واقفاً بحضرة القاهر فقبضوا عليه وأخرجوه إليه
فنقاه من وقته إلى الموصل.

واجتمع رأى مونس ويلبق وابنه والوزير أبى على على الإيقاع بمحمد بن
ياقوت والنداء فى أصحابه [412] ألا يقيموا ببغداد.

فلما كان يوم الأربعاء لليلة خلت من جمادى الآخرة خرج على بن يلبق
فى الجيش ومعه طريف السبكى للإيقاع بمحمد بن ياقوت وبلغ محمد ابن
ياقوت ذلك فأنكشف من معسكره من ميدان الأشنان وطلبه على بن يلبق
فلم يقف على خبره وذلك أنه دخل إلى بغداد واستتر بها وتفرّق رجاله
وانصرف على ابن يلبق من فوره إلى دار السلطان وأوقع التشدد على القاهر
ووكل بالدار أحمد بن زيرك وأمره أن يفتش كل من يدخل ويخرج من
الرجال والنساء والخدم ويفتش كل ما يدخل إلى القاهر ففعل أحمد بن زيرك
ما أمره به حتى بلغ الأمر به أن فتش لبناً حُمِل إلى القاهر وأدخل يده فيه
لئلا يكون فيه رقعة.

ونقل عليّ بن يلبق المحبوسين في دار السلطان إلى داره من والدته المقتدر وغيرها ومنع القاهر أرزاق حشمه وأكثر ما كان يُقام له، وطالب عليّ بن يلبق القاهر أن يسلم إليه ما بقي عنده من الفرش وأمتعة والدته المقتدر وابن الخال، فسلم ذلك إليه وبيع وحُصِّل ثمنه في بيت المال وأُطلق للجند. وباع أبو عليّ ابن مقلّة من الضياع وأملاك السلطان لتمام [413] الصلة للبيعة بألفي ألف وأربعمائة ألف دينار مع ما باعه الكلوذاني أيام خلافته إياه قبل قدومه من شيراز.

ومكثت والدته المقتدر عند والدته عليّ بن يلبق مكرّمة مرفّهة مدّة عشرة أيام وماتت لستّ خلون من جمادى الآخرة لزيادة العلة عليها ولما جرى عليها من مكاره القاهر فحُمِلت إلى تربتها بالرصافة ودُفنت فيها.

وفيهما همّ عليّ بن يلبق والحسن بن هارون كاتبه بلعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر فاضطربت العامة من ذلك وتقدّم عليّ بن يلبق بالقبض على البربهاري^(١) رئيس الحنبلية فنذر به وهرب وقبض على جماعة من كبار أصحابه وجعلوا في زورق مطبق وأحدروا إلى البصرة.

تدبير ابن مقلّة وحيلة القاهر

وفيهما نفذت حيلة القاهر على مونس المظفر وانعكس ما دبّره الوزير أبو عليّ ابن مقلّة من القبض على القاهر حتى قبض على مونس ويلبق وابنه وهرب أبو عليّ بن مقلّة والحسن بن هارون.

ذكر انعكاس هذا التدبير

لمّا ضيق عليّ بن يلبق على القاهر وعومل بما ذكرناه أخذ القاهر في

١. في مط: البرنهارى.

الحيلة على مونس وأصحابه وبلغه فساد نيّة طريف السبكرى وبشرى^(١) ليلبق وابنه [414] ومنافستهما إياهما على مراتبهما الجليلة ثم علم أن مونساً ويلبق أكثر اعتمادهما إنما هو على الساجيّة وكانا وعداهم بالموصل إذا دخلا بغداد أن يجعلاهم برسم الحجرية وأنهما ما وفيا لهم بذلك وأنّ تيّاتهم متغيرة لهما. فراسل القاهر الساجيّة وهزّ بهم على مونس ويلبق وضمن لهما أن ينقلهم إلى رسم الحجرية - وكان الساجيّة يقبضون في كلّ ستين يوماً برسم المماليك، والحجرية يقبضون في كلّ خمسين يوماً - وأن يلحقهم في النزل والعلوفة بالحجرية.

وكان بين اختيار القهرمانه وبين أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله معرفة قديمة وبينها وبين والدته مخالطة، فأشارت على القاهر بمكاتبتها أن يعده بوزارته ليعاونه على التدبير على مونس وأصحابه وأشارت على محمد بن القاسم بأن يكاتب القاهر ويصدقّه عن تدبير أبي عليّ ابن مقلّة وابن يلبق عليه. وكانت اختيار هذه تخرج من دار السلطان إلى دار القاهر القديمة التي في دار ابن طاهر وتظهر أنّ خروجها في حوائج حرم القاهر وولده، فإذا كان بالليل صارت إلى محمد بن القاسم ولقيته.

وبلغ أبا عليّ ابن مقلّة أنّ القاهر قد جدّ في التدبير عليه وعلى مونس ويلبق وابنه [415] والحسن بن هارون وحملهم على الجدّ والمبادرة إلى خلعه من الخلافة وأنفق رأيهم على تقليدها أبا أحمد ابن المكتفى بالله وواقفوا شاذمروز^(٢) حمّاة إبراهيم بن خفيف صاحب ديوان النفقات وكانت متحققة بأبي أحمد على ما دبّروه وعقدوا الأمر سرّاً لأبي أحمد ابن المكتفى بالله وحلف له يلبق وابنه وأبو عليّ ابن مقلّة والحسن بن هارون ثمّ كشفوا ما

١. في مط: تسترى، بدل «بشرى».

٢. في مط: سادة مرور.

فعلوه لمونس فقال لهم مونس :

- «لست أشك في شرّ القاهرة وقد أسرفت في الإستهانة به وأخطأت في تقليده الأمر فلا تعجلوا الآن وترفقوا حتى تؤنسوه ويأنس وينبسط إليكم ثم حينئذ تقبضون عليه.»

فقال عليّ بن يلبق والحسن بن هارون :

- «الحجبة إلينا والدار في أيدينا وما نحتاج أن نستعين بأحد في القبض عليه لأنّه بمنزلة طائر في قفص.»
وعملوا على معاجلته.

فاتفق أن ركب يلبق إلى الميدان فصدمه خادم له فسقط واعتلّ ولزم منزله وتمكّن عليّ بن يلبق من متابعة ابن مقلّة وحسنوا الأمر عند مونس وهوّنوه عليه وعلى يلبق حتى أذنا فيه. فلما كان يوم السبت سلخ رجب انصرف أبو عليّ ابن مقلّة من دار السلطان واجتمع إليه كتابه وأخوه ومن جرى عادته بمواكلته [416] وفيهم أبو بكر ابن قرابة فلما فرغ من طعامه التفت إلى أبي بكر ابن قرابة فقال له :

- «قد وافى صديقك القرمطي إلى الكوفة في ثلاثة آلاف راحلة ومعه صاحبه فلان ودخل الكوفة ونادى بأنّه قد آمن الرعيّة سوى أصحاب المعروف بمحمّد المتلقّب بالقاهر.»
فقال ابن قرابة :

- «أيّها الوزير هذا باطل لأنّ ابن بسر^(١) الكوفي جارٍ واليوم كان عندي وقد وقعت عليه أطيّار بأخبار السلامة.»
فقال أبو عليّ :

١. كذا في الأصل: بسر. وفي مط: بشير.

- «سبحان الله أنت وابن بسر أعرف من صاحب المعونة بالكوفة وقد سقط من عنده طائر على أبي الحسن ابن يلبق وقد جاءني سعيد بن حمدان ومعه رجل من الأعراب قد قتل نفسه وقطع عدة من الأفراس فخير عن معاينة ومشاهدة.»

وكان ابن مقله قد واطأ سعيد بن حمدان على ذلك. ثم دعا بالدواة وثلاث قرطاس وكتب بخطه إلى القاهر رقعة يقول فيها:

«إنَّ القرمطى الهجرى المعروف بأبى طاهر قد وافى الكوفة فى ثلاثة آلاف راحلة فنزلها وسقط علىَّ من عامل الخراج وعلى علىَّ بن يلبق من عامل المعونة طائران بكتابين بتاريخ يومنا هذا بنزوله ونزول أصحابه بها وأتى أنا ويلبق سترنا ذلك عن القواد [417] والجند وخواص الدولة لئلا يذيع الخبر وتضعف قلوب الأولياء وقد اتفقت مع مونس على إخراج علىَّ بن يلبق مع أكثر قواده وقواد أبيه إلى نواحي الكوفة ليدفع القرمطى عن الرحيل منها إلى بغداد وهو يخرج فى سحر غد ماراً إلى صرصر من حيث لا يضرب بباب بغداد مضرباً حتّى يلحق به الرجال. وقد وجّه النقباء فى عشية يومنا وقد واقفت علىَّ بن يلبق على الرواح إلى دار مولانا أمير المؤمنين ليصل إليه ويودّعه وعملت على التأخر لئلا يشيع الخبر بحضورى فى غير وقت حضور مثلى الدار ويفسد التدبير فى خروج علىَّ بن يلبق بكرة غد، وأنهيت ذلك إلى أمير المؤمنين ليقف عليه ويسكن إلى ما دبّرتّه وينعم بإيصال علىَّ بن يلبق إذا حضر

العشيّة إن شاء الله.»

وأنفذ الرقعة ونام.

فكتب القاهر في جوابها :

- «وإنه استصوب فعله وبأنه يوصل ابن يلبق إذا حضر.»

ولما انتبه ابن مقلّة من النوم لم ينتظر ورود جواب رقعته إلى القاهر وأعاد إليه رقعة ثانية بمثل ما كتب به. فلما وصلت الثانية إلى القاهر ولم تكن الحال تقتضيها لنفوذ جوابه عن الأولى استراب وخاف أن تكون حيلة عليه. ثمّ نمّ إليه [418] الخبر من جهة طريف السبكرى بما عمل عليه علىّ بن يلبق من القبض عليه إذا أوصله إليه فأخذ القاهر حذره وراسل الساجيّة بالحضور وعرفهم أنّ علىّ بن يلبق يحضر لحيلة يوقعها، فحضروا متفرّقين. فلما كان بعد العصر حضر علىّ بن يلبق وفي رأسه نبيذ ومعه عدد يسير من غلمان به سلاح خفيف في طيّاره، وأنفذ جماعة من غلمانه بسلاح إلى دار السلطان وصعد من طيّاره في الروشن وراسل القاهر يسأله إيصاله إليه فدافعه القاهر إلى أن حضر الساجيّة كلّهم بالسلاح فبرزوا إليه وشتموه وعملوا على القبض عليه وحامى عنه غلمان به وحاجبه ابن خندقوقى^(١) وحالوا بينه وبينهم ونادى بهم وطرح نفسه من الروشن إلى الطيّار وعبر واستتر من ليلته.

وبلغ ابن مقلّة الخبر فاستتر من ليلته واستتر الحسن بن هارون وأبو بكر ابن قرابة وانحدر يلبق إلى دار السلطان وانحدر بانحداره جميع من حضر دار مونس من القوّاد وقدّر يلبق أنّه يمسح القاهر ويعتذر لابنه فلما حصل

١. ما في مط مهمل تماماً.

فى الدار قُبض عليه وحُبس وقبض على أحمد بن زيرك وعلى يمن الأعور^(١) صاحب الشرطة وحصل الجيش [419] كلّه فى دار السلطان. فراسل حينئذ القاهر مونساً وسأله الإنحدار إليه ليشاوره فيما يعمل وقال له: - «أنت عندى كالوالد وما أحب أن أعمل شيئاً ولا أمضى عزمًا إلا عن رأيك.»

فاعتذر مونس بثقل الحركة عليه وألح القاهر فى طلبه وسأله الحمل على نفسه فاستقبح له طريف السبكرى التأخر وحمله على الإنحدار. فلمّا حصل فى الدار قبض^(٢) عليه وحُبس.

فكانت وزارة علىّ ابن مقلّة للقاهر تسعة أشهر وثلاثة أيام.

وزارة أبى جعفر محمّد بن القاسم

ووجّه القاهر إلى أبى جعفر محمّد بن القاسم بن عبيد الله فاستحضره يوم الأحد مستهلاً شعبان فلقبه وقلّده وزارته ودواوينه وخلع عليه من غد وهو يوم الإثنين خلع الوزارة.

ووجّه القاهر من يومه بمن استقدم عيسى المتطبب من الموصل وطرحت النار فى دار أبى علىّ ابن مقلّة بباب البستان وأحرقت ووقع النهب ببغداد. وظهر محمّد بن ياقوت وصار إلى دار السلطان وخدم فى الحجة يومه ذاك ثمّ وقف على كراهية طريف السبكرى والساجيّة والحجرية فاحتال إلى أن تمّ له الهرب واستتر وانحدر إلى أبيه وهو بفارس [420] فلم يتجاوز كورة أرجان ولا لقي أباه.

١. فى مط: ابن الأعور، بدل «يمن الأعور».

٢. فى مط: قنص، بدل «قبض».

وكان جلس في الماء بزي أصحاب المحابر^(١) وركب البحر ووافى مهروباً وجاء ليلاً إلى أرجان فنزل على أبي العباس ابن دينار وحمل إليه أبوه مالا وكسوة ودواب وكانت له على فارس تسبيبات فاستوفاهما ولحق به رجاله، وكاتبه القاهرة بما يسكنه منه وأعلمه أنه عجل على نفسه واستوحش وقلده معاون بكور الأهواز فأقام بأرجان حتى اعتل وكان يفسد مزاجه ثم انتقل إلى رامهرمز.

وكان القاهرة قد كاتب مرداويج بالإفراج عن إصبهان ليقلده الري والجبل ويصير في جملة الأولياء ويحول عنه العصيان فأتى^(٢) له، وكاتب وشمكير بالإنصراف عن إصبهان فانصرف وبقيت شاغرة سبعة عشر يوماً خالية من مدبر. وكاتب القاهرة محمد بن ياقوت بتقليده إصبهان وأمره أن يسير إليها وكان ذلك بعقب هزيمة المظفر بن ياقوت وبعد انصراف علي بن بويه من إصبهان. فأخذ محمد بن ياقوت في التأهب فبقى هو كذلك إذ ورد عليه الخبر بخلع القاهرة فانتكت أمره.

ولما استتر علي بن يلبق وهرب محمد بن ياقوت استحجب القاهرة سلامة الطولوني وطلب المستترين وقلد أبا العباس أحمد بن [421] خاقان الشرطة ببغداد وطلب أبا أحمد ابن المكتفي فوجده مستتراً في دار عبد الله بن الفتح فقبض عليه وتقدم القاهرة بأن يقيم في فتح باب ويُسَدَّ عليه بالجص والآجر وهو حي، ففعل، وأمر بنهب دور بني مقله ودار الحسن بن هارون ودار أبي بكر ابن قرابة.

ووجد علي بن يلبق مستتراً بقرب باب المقبرة وكبس وأخذ من تنور كان دخله لما أحس بالكابس وأطبق على نفسه بغطاء التنور وقد كان خفي أمره

١. في مط: المخاور.

٢. فأتى: كذا في الأصل ومط. والمثبت في مد: فأتى.

وخرج من كان يفتش عنه حين لم يجده. فاتفق أن تأخر بعض الرجال لطلب شيء يأخذه من الدار فانتهى إلى التنور وطلب فيه خبزاً يابساً، فلما كشفه وجد علي بن يلبق فصاح حتى رجع القوم وأخذوه وحملوه إلى دار السلطان وضرب بحضرة القاهر ضرباً مبرحاً فأقرّ بعشرة آلاف دينار فوجدت وصححت في بيت المال ثم أعيد الضرب عليه فلم يوجد له غيرها وحبس. وكان الحسين بن عبيد الله مستتراً فراسله أخوه الوزير محمد بن القاسم بن عبيد الله وسأله أن يظهر ويعينه حتى يقلّده ديوان السواد وديوان الجيش وديوان النفقات ويستخلف له الكلوذاني وإبراهيم بن خفيف وعثمان بن سعيد [422] وحلف له بحضرة السفير الذي كان بينهما بالله العظيم وبسائر أيمان البيعة بعق ممالكه وبطلاق نسائه على صحة ضميره له وبأن باطنه له مثل ظاهره فيما بذله له، وكتب له بذلك رقعة بخطه أشهد فيها الله على نفسه وتسلم ذلك السفير وحمله إلى الحسين فأعاد عليه ما جرى ولم يزل محمد يتوقع أخاه إلى آخر النهار.

فحكى ابن أخيه القاسم بن الحسين أن عمه الوزير أبا جعفر صار في الليلة إلى الحسين أخيه وليس معه غلام فخاطبه في الظهور وسأله معاونته بنفسه وأعاد عليه تلك الأيمان حتى وعده بالرواح إليه وعرف الحسين أصحابه فاجتمعوا بالعشي له وركبوا بركوبه وصار إلى أخيه وكان الوزير أخوه قد أعد له زورقاً مطبقاً. فلما حصل عنده أمر بتحصيله في الزورق. فوقفت^(١) والدته على خبره فجاءت حتى وقفت له على شاطئ دجلة في الموضع الذي ينزل منه إلى طيارة وهناك خلق من الناس، فاستغاثت إليه وكشفت شعرها بين يديه وأظهرت ثديها^(٢) وحلفته بكل حق لها عليه أن

١. في مط: فوثقت.

٢. في مط: وأظهرت يدها، بدل «وأظهرت ثديها».

يطلق ابنها، فلم يلتفت إليها ولا يفكر فيها وجلس في طياره وانحدر إلى دار السلطان فلم يبق أحد ممن حضر [423] إلا استقبح فعله ودعا عليه وذهب. فحكى للقاهر أنه إنما طلب أخاه الحسين ونفاه إلى الرقة لما كان يعتقد من مذهب ابن أبي العزاقر^(١) وأنه خاف منه على الدولة. فوكل القاهر بدور بنى بسطام لما كان يذكر عنهما في اعتقادهما لدين ابن أبي العزاقر.

ذكر مقتل مونس ويلبق وعلّى ابنه

اضطرب رجال مونس ويلبق وشغبوا وشغب معهم سائر الجيش وخرجوا إلى الصحراء ثم قصدوا دار الوزير أبي جعفر محمد بن القاسم وأحرقوا روشنه ونادوا بذكر مونس فكان ذلك سبب القتل لمونس. ودخل القاهر إلى الموضع الذي كان فيه مونس ويلبق وابنه معتقلين فدبح علّى بن يلبق بحضرته ووجه برأسه إلى أبيه^(٢).

فلما رآه جزع وهكى بكاء عظيماً ثم دبح يلبق ووجه برأسه ورأس أبيه إلى مونس. فلما رآهما لعن قاتلهما فأمر به فجرّ برجله إلى البالوعة ودبح كما يُذبح الشاة والقاهر يراه وأخرجت الرؤوس الثلاثة في ثلاث طسات^(٣) إلى الميدان حتى شاهدها الناس وطيف برأس علّى بن يلبق في جانبي بغداد ثم رُدّ إلى دار السلطان وجعل مع سائر الرؤوس في خزانة الرؤوس [424] على الرسم.

قال ثابت: فحدثنا سلامة الطولوني الحاجب أنه لما أخرج إليه رأس مونس ليصلحه فرّغ الدماغ منه ووزنه فكان ستة أرطال وسمعت أنا ذلك من

١. في مط: أبي العوافر، بدل «أبي العزاقر».

٢. في مط: ابنه.

٣. في مط: طاسات. والطنس: الطشت. أصلها الفارسي: تَشْت.

الجُفْنَى^(١) وكان حاضره.

ومما جرى في ذلك أنه كبس جماعة من الفرسان والرجالة أبا بكر ابن نباته العدل الدقاق في درب الريحان وأظهروا أن السلطان وجّه بهم لطلب الحسن بن هارون وأخذوا من منزله ثلاثين ألف دينار وطرحوا منديلاً على رأس واحد منهم وأخرجوه وأظهروا أنه الحسن بن هارون. فركب أحمد بن خاقان في طلب القوم فظفر بواحد منهم وقرّره فأقرّ على جماعة ظفر ببعضهم ووجد اليسير من المال وقتل من وُجد من هؤلاء الكبّاسين.

القاهر يأمر بتحريم القيان والخمر

وفيها خرج أمر القاهر بتحريم القيان والخمر وسائر الأنبذة وقبض على من عُرف بالغناء من الرجال والمخانيث والجواري المغنيات/فنفى بعضهم إلى البصرة وبعضهم إلى الكوفة وبيع الجواري على أنهم سواذج. وكان القاهر مع ذلك مولعاً بشرب الخمر ولا يكاد يصحو من السكر ويسمع الغناء ويختار من جواري القيان من يريد.

وسُعى بأبي عبد الله ابن مقلّة [425] فوُجد وقُبض عليه ووُجد عنده خطوط أخيه أبي علي في رقاع، فحمل إلى دار الوزير أبي جعفر فسأله عمن كان يوصل إليه الرقاع فذكر أن أبا عبد الله محمّد بن عبدوس الجهشياري كان ينفذها إليه فقبض عليه وعلى أخيه وسئلا عما يعرفان من خبر أبي علي بن مقلّة، فحلفا أنهما لا يعرفان له خبراً منذ استتر وعرف القاهر أنهما من قواد السلطان وسُهل أمرهما فأطلقا ولم يستترا وكانا يركبان في أيام المواكب إلى دار السلطان.

١. في مط: الجهنى.

وقبض الوزير أبو جعفر على أبي جعفر محمد بن شيرزاد واحتج عليه بأنه قد تقلد أعمالاً جليلة وابتاع من المبيع ضياعاً كثيرة وأن ارتفاعه قد بلغ ألف ألف درهم في السنة، فتوسط بينه وبينه إسحاق بن إسماعيل وأخذ خطه بعشرين ألف دينار وأطلق إلى منزله من يومه.

ذكر السبب في تقليد أبي العباس الخصيبي الوزارة

كان بنو البريدي بعد استتار ابن مقله والجماعة استتروا فقلد الوزير مكانهم على أعمالهم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي فتوسط إسحاق بن إسماعيل أمرهم فأخذ لهم [426] أماناً من الوزير حتى ظهروا. ثم أشار إسحاق على الوزير أبي جعفر بأن يخاطب القاهرة في أمر بنى البريدي ويعرفه أن الوجه ردهم إلى ضمانهم بالبصرة والأهواز، فقبل الوزير مشورته وخاطب الخليفة وعرفه أنه ذام لمحمد بن القاسم الكرخي لتقصيره في أمر استخراج الأموال وحملها وأن البريديين أقوم بذلك، وأطمعه في أن يزداد عليهم في مقدار مال الضمان فوعده القاهرة وقال :

« حتى أنظر في ذلك. »

واستدعى القاهرة عيسى المتطيب وأعاد عليه ما جرى، وكان عيسى كارهاً للوزير محمد بن القاسم لأنه لم يكن له مدخل في تقليده الوزارة لغيبته بالموصل فطعن على هذا الرأي وعلى الوزير أبي جعفر وأشار بتقليد الخصيبي الوزارة. فأمر القاهرة بقاء الخصيبي ومسأله عما عنده في أمر البريديين وغيرهم، فصار إليه وتقرر الأمر معه وضمن استخراج أموال جليلة. وكتب إلى القاهرة على يد عيسى أنه متى ظهر أنه تقلد الوزارة استتر من عنده الأموال التي وعد باستخراجها وأن الوجه أن يتقدم إلى الوزير بالقبض

على جماعة سماءهم على مهل، فإذا قبض عليهم وجّه القاهر فحملهم إلى داره وانتزعهم من يد الوزير فتركهم معتقلين أيتاماً ثم قبض على الوزير محمد بن القاسم. ففعل القاهر ذلك [427] وتقدّم إلى سابور الخادم بالمصير إلى دار الوزير والقبض على بنى البريدى وإسحاق بن إسماعيل. فوجّه سابور بثقة له إلى دار الوزير لينظر هل يجد فيها بنى البريدى وإسحاق بن إسماعيل فيرجع إليه بالخبر. وكان بنو البريدى قد نصبوا أصحاب أخبار على سابور وسلامة وأصحاب القاهر فبلغهم ما تقدّم به سابور إلى الرجل الذى وجّه به يتعرّف أخبارهم فاستتروا.

وكان سابور قد قال لثقاته :

- «إنّ الخليفة أمرنى بتفتيش دار إسحاق لأنّه قد بلغه أنّ جواريه قد سترن جماعة من جوارى القيان.»

وأمرهم أن يستعدّوا للركوب معه فبلغ الخبر إسحاق من وقته ولم يقع له أنّ ذلك لمكروه يُراد به فقال لجواريه :

- «إن صار إليكم سابور بطلب المغنيات فلا تمنعوه ودعوه يفتش.»

وانحدر هو إلى دار الوزير وصار سابور إلى دار الوزير أبى جعفر فوجد إسحاق بحضرته فقبض عليه وحمله إلى دار السجن^(١).

ووجّه القاهر بمن كبش دور البريديين فلم يوجدوا وكُبست دور إسحاق فى النوبختية وعلى شاطئ دجلة وتهارب حرمه وولده وسلموا وقُبض على أحمد بن على الكوفى كاتبه.

واستحضر القاهر على بن عيسى وعرفه أنه ليس [428] لوزيره نظر فى أعمال واسط وسقى الفرات وكانت فى ضمان إسحاق وقلده هذه الأعمال

١. فى مط : السلطان، بدل «السجان».

واعتمد في تدبير المعاون فيها عليه ووقع^(١) له بخطه فتقلده علي بن عيسى. وورد الخبر بموت أبي علي أحمد بن محمد بن رستم بإصبهان وأن المظفر بن ياقوت مَدَّ يده إلى ماله ودوابه فحازها لنفسه. وكان المظفر إليه أعمال المعاون بإصبهان فتَنَكَّرَ القاهرة له ولأبيه ولأخيه.

وسعى بأبي يوسف البريدي فكُبِسَ عليه وأُخذ وحُمِلَ إلى دار الوزير محمد بن القاسم فأجمل عشرته وكتب القاهرة إلى الوزير بأن يقرَّرَ معه مصادرتَه ومصادرة أخويه فأحضره الوزير وخاطبه وسامه أن يقرَّرَ الأمر معه في مصادرتهم فقال له أبو يوسف:

«إذا وثقنا بأنَّ الأمر لك وأنتَ مقرَّر على الوزارة فقرَّرنا الأمر معك فأما ونحن نتحقق أنَّ الوزارة لغيرك فلا يجوز فصل الأمر معك.»

فلَمَّا كان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة انكسف القمر وقبض القاهرة على الوزير محمد بن القاسم وأنفذ إليه سايور الخادم فأخذه وأخذ من وُجد في داره وفيهم أبو يوسف البريدي وغيره فنقلهم إلى دار السلطان.

فكانت [429] مدَّة وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان للقاهرة ثلاثة أشهر وأثنى عشر يوماً.

إحضار للوزارة أو للحبس

ووجَّه القاهرة إلى إسحاق بن علي القُنَّاي^(٢) وأحضره وأحضر معه عبد الوهَّاب بن عبد الله الخاقاني على أن يقلد أحدهما الوزارة والآخر

١. في مط: وقطع له.

٢. القُنَّاي: كذا في الأصل ومط. وفي مد: القُنَّاي. وجاء في الفهارس الملحقة بصورة الأصل: القُنَّاي، بإرجاعه إلى عدة صفحات من الأصل، وهو خطأ.

الدواوين. فلما حضرا قَبِلَ القَوَادُ أيديهما وجلس بين أيديهما سلامة الحاجب فلم يلبث أن خرجت رسالة القاهر بالقبض عليهما وإدخالهما الحبوس^(١) الغامضة. ثم وَجَّهَ القاهر إلى سليمان بن الحسن واستحضره للوزارة وحضر في طيَّاره وتلقَّاه القَوَاد والناس وقَبَلُوا يده وجلس الأستاذون بين يديه في دار السلطان ووجَّهَ القاهر من قبض عليه وأدخله الحبوس الغامضة ووجَّهَ إلى الفضل بن جعفر للوزارة وقد ظهر ما عمله بالخاقاني وبسليمان فاستتر الفضل ولم يتقرَّر الوزارة لأحد في ذلك اليوم.

وزارة الخصيبى

فلما كان من الغد تقدَّم القاهر إلى عيسى المتطَّيَّب أن يحضر الخصيبى يوم الخميس ويأمره بالتأهَّب للوزارة وأن يحضر بسواد وسيف ومنطقة فراسله عيسى بذلك فحضر كما رُسم له وخلع عليه خلع الوزارة وركب فيها إلى داره ولقيه الناس فهتَّئوه [430] ونظر في الدواوين وقبَّلَها من استصلحه ونصب ديواناً للمبيع وأحضر الناس وناظرهم وألزمهم لفضل ما بين المعاملتين خمسين ألف دينار وكتب لهم شروطاً ووقع لهم فيها بالإمضاء وصادر الناس وقبض على خلق.

وتوسَّطَ عيسى وسلامة الحاجب أمر البريديين بعد مكاره عظيمة لحقت أبا يوسف على اثني عشر ألف ألف درهم وكُتبت الأمانات لأحمد وعلى ابني البريدى بخطَّ الخليفة والوزير وأشهدا القضاة والعدول فيها على أنفسهما فظهرا.

فحكى أبو زكريا السوسى وأبو سعيد ابن قديدة أنَّ أبا عبد الله البريدى

١. في مط: الجيوش.

حضر عند أبي العباس الخصيبى بطيلسان وعمامة وخفّ وهما معه فاستخلاه المجلس فأخلاه له فعاتبه عتاباً طويلاً وذكره بحقوق كثيرة وضروب من الخدمة خدمه بها فى أوقات مختلفة عند نكبات كانت للخصيبى وقال له فى آخر كلامه :

- «إنما أعددتك بجميع هذا للدنيا لا للآخرة وأنت معذور فى أمر المال لأنك تزعم أنه بأمر الخليفة وطاعته واجبه وفى ضربك أبا يوسف لأنه تمانن^(١) عليك لم ذكرت أم أبى يوسف وهى أمتى ولم استحسنيت قذفها^(٢) أما استحققت عليك بجميع [431] حقوقى هذه أن تصونها عن الذكر بالقبيح لأجلى؟»

فخجل الخصيبى وقال :

- «صدقّت، كان يجب أن أفعل ذلك ولكن لم أضبط نفسى عند الغيظ وأنا معتذر إليك ودع ما مضى. الخليفة مقيم على أنه لا بدّ من ألف ألف دينار وقد وصفتك لأمر المؤمنين وقلت : أبو يوسف حرج الصدر وأبو عبد الله أخوه رحب الصدر ولا يخالف أمير المؤمنين ولو لا ذلك لنقل أبا يوسف إليه ولما أمنت عليه فأحبّ أن تكفينى أمركما فحسبى حيائى ممّا مضى واكتب خطّك بزيادة ألفى ألف درهم.»

فقال أبو عبد الله : «تحيّاتى لهما كتبت.»

- «لقد أغنيتنى أيّها الوزير وما قصّرت وأحسنيت العذر والتلافى.»

فقال له :

- «بحياتى لهما كتبت.»

١. كذا فى الأصل : تمانن. وفى مط : تمانن.

٢. فى مط : قبضها، بدل «قذفها».

فقال : « أكتب وأنا آمن أيها الوزير ممّا أقول والله ما أملك ولا إخواني هذا المال فإن عطف الله بقلب الخليفة وقلبك علينا تصرفنا وأديننا وإن حُرّمتنا ذلك استدفعنا القتل إلى مدّة فإن الله قد أجرى عادتنا بالكفاية ونحن نرجو تفضّله . »

فقال الخصيبى ولم يكن فى المجلس إلّا أبو زكريا وابن قديدة مستخرج الخصيبى :

- « يا أبا عبد الله وقد قسمت ووفيت الرأى [حقّه] ^(١) »

وضحك وأخذ خطّه بألفى ألف درهم زيادة وانصرف . [432]

وكان أبو عبد الله البريدى قد تحقق بأبى بكر محمد بن رائق وتناهى أبو بكر فى إكرامه وواقفه أبو بكر على أن يتنجز تسبباته وتسببات رجاله على الأهواز ويخرج إليها ويتغلّب عليها . وشخص هو عن البصرة لئلا يتم هذا الرأى بمقامه عنده فينسب إليه فلما وافى واسطاً وجد بها أبا الحسن على بن عيسى وقد عمر واسطاً فعقد لها عليه القاهر - لأنّه كان من قبله لا من قبل الوزير - بثلاثة عشر ألف ألف درهم . وأشهد على أبى عبد الله البريدى بالضمان واستخلف أبو عبد الله أبا الحسن محمد بن حمد بن حمدون الواسطى وأقام مدّة خمسين يوماً بالنعمة ينظر فى أعمال الموفقى ثم مضى إلى بغداد وركب يوماً هو وأخوه إلى سوق الثلاثاء ينتظرون خروج الخصيبى فراسله عيسى المتطبّب بأن القاهر قد عزم على القبض عليهم فانحطّوا عن دوابهم وغيّروا زيّهم واستتروا فما ظهروا حتّى خلع القاهر من الخلافة وتقلّدها الراضى بالله .

١. ما بين المعقوفتين زدناه من مط ، مكان بياض كان هنا فى الأصل .

ظهور عليّ بن بويه

وفى يوم الاثنين لأربع خلون من ذى الحجة من هذه السنة ورد كتاب عليّ بن خلف بن طناب إلى الخصيبى يذكر فيه مصير رجل من وجوه قواد الديلم الذين كانوا مع مرداويج إلى نواحي أَرْجَان يقال له عليّ بن بويه [433] وأنّ هذا الرجل كان ضامناً لنواحي ماه البصرة فانكسر عليه مال لمرداويج ففزع منه وعصى عليه وصار فى أربعمائة من الديلم إلى أَرْجَان^(١) وتغلّب عليها.

ذكر السبب فى ظهور عليّ بن بويه

والإتفاقات التى اتفقت له حتّى ملك ما ملك

كان أبو الحسن عليّ بن بويه وأخوه أبو عليّ الحسن بن بويه من قواد ماكان بن كاكي ولم يزل الحال بين ماكان وبين مرداويج جميلاً منذ اتفقا على قصد أسفار بن شيرويه وانصرافه عن قلعة سميران بالطرم وكانا يتهاديان ويتلاطفان إلى أن قتل مرداويج أسفار كما كتبنا أخبارهما فيما تقدّم وملك نواحي الرىّ والجبل واستعلى أمره وقوى بالمال والرجال.

وقصد ماكان نواحي أمل وطبرستان فملكها وامتدّ إلى نيسابور عند انصراف نصر بن أحمد صاحب خراسان عنها واشتغاله بأخويه الخارجين عليه. فلما فرغ من استصلاح خراسان عاد إلى نيسابور وراسل ماكان يسأله أن يعود إلى مكانه وأن يفرج عن نيسابور ويلطف له ويستبقى الحال بينهما. ففعل ماكان ذلك وعاد إلى جرجان وطبرستان.

١. أَرْجَان، أو أرغان كما يسمّيها العجم، مدينة كبيرة كثيرة الخير، بها نخل وزيتون وفواكه الجروم والصرود، وهى من كورة فارس (مراد الإطلاع).

وابتدأت الحال^(١) تتقدح بينه وبين مرداويج على طريق التحاسد والتباغى فاستدعى [434] مرداويج خلفاءه بالجبل وإصبهان وسائر نواحيه وجميع جيوشه وسار إلى ماكان فثبت له ماكان واستظهر عليه مرداويج وهزمه وملك طبرستان ورتب فيها بلقسم بن بلحسن^(٢) وكان أسفهلاره ومدبر جيشه وكان رجلاً نجداً جيّد الرأي فى الحرب. ثم مضى إلى جرجان وكان فيها من قبل ماكان شيرزِيل بن سَلار وباعلى بن تركى، فهربا جميعاً وملكها مرداويج ورتب فيها سُرخاب بن بلوس على خلافة بلقسم بن بلحسن لأنَّ سُرخاب خال ولد بلقسم. فجمع بلقسم جرجان وطبرستان وعاد إلى إصبهان ظافراً غانماً. ثم قصد ماكان أبا الفضل النائر مستنجداً له فآكرمه وعظّمه، ثم سار معه بنفسه إلى طبرستان وبها بلقسم بن بانجين وكان مستعداً لهما فبرز إليهما وتحاربوا فانهزم النائر وماكان جميعاً.

فأمّا النائر فعاد إلى بلده بالديلم وأمّا ماكان فامتدّ على طريق الساحل مفلولاً ضعيفاً حتّى ورد جرجان ثم منها إلى نيسابور قاصداً بها أبا على أحمد بن محمّد بن محتاج صاحب جيش خراسان فدخل فى طاعته واستنجده. وأقام بلقسم بن بالحسن بجرجان إلى أن بلغه مسير أبى على أحمد بن محمّد بن محتاج إليه مع ماكان فكتب إلى مرداويج يستمدّه [435] فأمدّه بأكثر عسكره ووجوه أصحابه وبالف فى تقويته. ووافى ابن محتاج وماكان فبرز إليهما وواقعهما فظهر عليهما وهزمهما فانصرفا إلى نيسابور.

ثم كثر ماكان كثرة أخرى على نواحي الدامغان طامعاً فى أن يستولى عليها

١. الحال: كذا فى الأصل ومط، وهو صحيح، فلا لزوم لما جاء فى حواشى مد حيث قال: «لعله نار».

٢. بلحسن: ما فى الأصل: بالقسم بن بالحسن. وفى كتاب العيون: أبو القاسم بن أبى الحسن (حواشى مد).

وكان فيها من قبل مرداويج الجيش^(١) بن اوميدوار فصار إليه بلقسم بن بانجين حتى اجتمعا على دفع ماكان، فانهزم ثانياً ويُس من هذه الأعمال فأنفذه صاحب خراسان إلى كرمان وقلّده إياها وكان بها أبو عليّ محمّد بن الياس بن اليسع وواقعه وهزم أبا عليّ وملك كرمان على طاعة صاحب خراسان.

فأمّا أبو الحسن عليّ بن بويه وأخوه أبو عليّ الحسن فإنهما عند هزيمة ماكان الأولى وضعفه انحازا إلى مرداويج بعد أن استأذناه وقالا:
«إِنَّ الْأَصْلَحَ لَكَ مَفَارِقَتَنَا إِيَّاكَ لَتَخَفَ عَنْكَ مَوْوَنَتُنَا وَيَقَعُ كُلُّنَا عَلَى غَيْرِكَ
فَإِذَا تَمَكَّنْتَ عَاوَدْنَاكَ.»

فأذن لهما واقتدى بعليّ بن بويه جماعة من القوّاد لما صار عليّ بن بويه وأخوه أبو عليّ إلى مرداويج فقبلهما وأكرمهما وخلع عليهما وقلّد كل واحد من قوّاد ماكان ناحية من نواحي الجبل. أمّا عليّ بن بويه فإنّه تقلّد الكرج، وأمّا اللشكري بن مردى فإنّه رده إلى عمله وكان متقلّداً...^(٢) وأمّا [436] سليمان بن سركلة فإنّه قلّده همدان وكذلك سائر القوّاد.

ذكر سبب تمّ به^(٣) لعليّ بن بويه ولايته

وصُرف الباقيون بأجمعهم قبل وصولهم إلى أعمالهم

كان السبب في ارتفاع عليّ بن بويه وبلوغه ما بلغ سماحة كثيرة كانت في طبعه وسعة صدره. واقترن بهذا الخلق الشريف خلق آخر أشرف منه وهي شجاعة تامّة كانت له واتّصل بجميع ذلك اتفاقات محمودّة ومولد

١. كذا في الأصل ومد: الجيش. وفي مد: الحسن.

٢. هنا كلمة غامضة لم تتأكّد من قراءتها، وهي في مد: ديناوند. وفي مط: نهاوند.

٣. في مط: ذكر السبب في بمزية..!

سعيد^(١).

فمن ذلك أنه لما قُلد الكرج وقُلد الجماعة المستأمنة معه النواحي التي ذكرناها وكتبت لهم اليهود ووردوا الرى وبها وشمكير وأبو عبد الله الحسين بن محمد الملقب بالعميد - وهو والد أبي الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة - وكان ناظراً في الأمور بالرى فعرضت عليه بغلة حسنة كانت لعلی بن بويه أراد بيعها والإستعانة بثمنها وكان ثمنها ثلاثة آلاف درهم قيمتها مائتا دينار، فاشترها وحمل المال إليه فظهر لعلی بن بويه أنها تُشترى لأبى عبد الله العميد فقادها إليه وحلف ألا يأخذ ثمنها، ثم تابع ذلك بملاطفات كثيرة إلى أن غمره بالبر ثم أوجب^(٢) الرأى عند مرداويج أن يتعقب ما أمر به من تولية [437] أولئك القواد.

وكتب إلى أخيه وشمكير وإلى أبى عبد الله العميد بمنعهم من الخروج من الرى وإن كان بعضهم خرج مُنع من بقى. وكانت الكتب تصدر أولاً إلى العميد فيقف عليها ثم تُعرض على وشمكير جملها. فحين وقف على الكتاب تقدّم إلى علّی بن بويه سرّاً أن يبادر إلى عمله، فسار من وقته وساعته وطوى المنازل. وأصبح العميد من الغد فأظهر الكتب فلما عرضها على وشمكير كان قد صار علّی بن بويه على مسافة بعيدة فمنع من لم يكن خرج من أولئك القواد. وفاز علّی بن بويه بالولاية التي كانت سبب ملكه وتمكّنه وليس يُعرف لجميع ذلك بعد قضاء الله عزّ وجلّ سبب إلا سخاءه وسعة صدره.

فلما وصل إلى الكرج ابتدأ بالإحسان إلى الرجال وملاطفة عامل البلد فكان العامل يكتب بشكره وضبطه الناحية وحمايته واتفق أن افتتح قلاعاً

١. فى مط: سعيد.

٢. والعبرة فى مط: إلى أن غره تاليه بما أوجب!

كانت فى أيدى الخرمية فى تلك الأطراف ووقع بين أربابها خلاف فانحاز بعضهم إليه وأظهره على ذخائر جليلة صرفها كلها إلى استمالة الرجال واستعطاف القلوب. فلما عاد مرداويج إلى الرى سبب أموال جماعة من قواده [438] على ناحية الكرج وفيهم إبراهيم بن سيارهى^(١) المعروف بكاسك وجماعة أكبر منهم، فاستمالهم على بن بويه وأفضل عليهم حتى أوجبت الجماعة طاعته.

فاتصل ذلك بمرداويج فأوحشه ذلك وندم على إخراج أولئك القواد الأكابر إليه وكاتبه بالمصير إليه وكاتب القواد بمثل ذلك فدافعه وتعلل عليه ورفق به إلى أن أخذ العهود والمواثيق عليهم. وعلم استيحاء الجماعة وخوفهم من غدر مرداويج وسطوته، فحينئذ خرج بهم عن الكرج وجمع أكثر ما قدر عليه من المال واستأمن إليه من جرباذقان شيرزاد أحد قواد الديلم فى أربعين رجلاً فقيوت نفسه وعرض رجاله فكانوا ثلاثمائة رجل وكسراً، لكنهم أعيان ونخب مستظهرين بالآلات والعدد، وتوجه إلى إصبهان وبها أبو الفتح ابن ياقوت فى نحو عشرة آلاف وأبو على ابن رستم يلى الخراج، فقدم إليهما كتاباً جميلاً وعرفهما أنه ينحاز إليهما داخلاً فى طاعة السلطان فدافعا عن ذلك.

وكان أبو على بن رستم أشد الناس كرهاً له وإنكاراً لقدومه، واتفق موت أبى على ابن رستم، وبرز أبو الفتح ابن ياقوت [439] حتى صار من إصبهان على ثلاثة فراسخ. وكان فى أصحاب ابن ياقوت ديلم وجيل^(٢) كثير مقدارهم ستمائة رجل وكانوا يسمعون فضل على بن بويه وعطاءه وسعة صدره فاستأمنوا إليه، وواقعه الواقعة وانهزم ابن ياقوت لما ضعف باستثمان

١. سيارهى: كذا فى الأصل ومط، ومد.

٢. فى مط: وجيل كثير.

هؤلاء. ولما ظهر له من ثبات الديلم واضطراب أصحابه ومضى نحو فارس. وملك عليّ بن بويه إصبهان ففوى شأنه وكبر في عيون الناس لأنّه هزم بمائتين من أصحابه ألفاً وألفاً من أصحاب السلطان. وبلغ ذلك مرداويج فأقلقه ودبر في أمرهم تدبيراً لم يتمّ له.

ذكر حيلة مرداويج التي لم تتمّ له

أشفق مرداويج أن يستأمن أصحابه إلى عليّ بن بويه لما يسمعون من إقباله ولما انتشر من صيته وفيض عطائه، ولأنّ سيرة مرداويج كانت سيرة صعبة لا يسكن إليها أحد ولا يصبر عليها من له نفس أبيّة. فرأى أن يرأس عليّ بن بويه بعتاب وتأنيس ويرفق به ويستدعي جوابه. وضمن ضمانات له يرغب في مثلها. ووجه في أثره أخاه وشمكير في عسكر عظيم كثيف قوى. فعلم عليّ بن بويه أنّ الرسالة لا تشبه التأهب له [440] فنذر به فرحل عن إصبهان بعد أن جباها شهراً وتوجّه إلى أرجان وبها أبو بكر ابن ياقوت فانهزم بين يديه إلى رامهرمز من غير حرب ودخلها عليّ بن بويه واستخرج منها أموالاً قوى بها.

ووردت عليه كتب أبي طالب زيد بن عليّ النوبندجاني يستدعيه ويشير عليه بالمسير إلى شيراز ويهون عنده أمر ياقوت وأصحابه لتهوره في جباية الأموال وكثرة مؤنّته ومؤنة جنده وثقل وطأتهم على الناس مع فشلهم وخورهم، فأشفق عليّ بن بويه أن يلقي ياقوتاً مع صيته وكثرة رجاله وأمواله وحصول ابنه أبي بكر بن ياقوت من ورائه، فأبى عليّ بن أبي طالب وتمنّع عليه ولم يقبل مشورته، فشجّعه أبو طالب وأعلمه أنّه إن توقّف لم يأمن أن يتفق بين ياقوت ومرداويج أمر يجتمعان له عليه وإنّ أعداءه كثير، ومتى اجتمعوا عليه لم يقيم لهم وتمكّنوا بطول الزمان من التدبير عليه، وربّما لحق

مدد السلطان فتجتمع الجيوش من كل وجه، والصواب لمن كان فى مثل صورته أن يبادر ويعاجل من بين يديه ولا ينتظر بهم الإحتشاد وإنشاء التدابير عليه. ولم يزل يرسل على بن بويه ويهون عليه الخطب إن بادر ويعظمه إن توانى [441] وتأخر إلى أن سار نحو النوبندجان وسبقه مقدمة ياقوت وهى فى نحو ألفى رجل وفيهم وجوه أصحابه وشجعانهم مثل المعروف بكورمرد^(١) الخراسانى وابن خرکوش^(٢) وكانا شديدين مذكورين بالبأس ومعهما أشباههما من أهل النجدة.

فوافقهم على بن بويه إلى النوبندجان فلم يثبتوا وانهزموا إلى كركان وجاءهم ياقوت وأصحابه إلى هذا الموضع فنصب أبو طالب النوبندجانى وكلاءه وثقاته لخدمة على بن بويه وتنحى بنفسه إلى ضيعة له مغالطة لياقوت وراسل ياقوتاً أن الخوف الذى شمله والناس أنجأه إلى الهرب والتباعد واستشاره فيما يعمل وهو مع ذلك مجتهد فى نصيحة على بن بويه وإرشاده إلى صواب رأى وإهداء الأخبار إليه ودلالته على المسالك والطرق. وأقام لمؤونته وإنزاله من يزيح علته فى الجميع حتى أضافه وجميع عسكره أربعين يوماً ولزمته مؤونة عظيمة يذكر أن مبلغها مائتا ألف دينار. وأنفذ على بن بويه أخاه أبا على إلى كازرون وغيرها من أعمال فارس فاستخرج منها أموالاً عظيمة وأثار ذخائر جليلة كانت للأكاسرة يتوارثها قوم هناك، فزاد [442] استخراج على استخراج أخيه.

وأنفذ ياقوت عسكراً ضخماً إلى الحسن بن بويه فواقعهم بالنفر اليسير الذين معه فهزمهم وصار موفوراً إلى أخيه على بن بويه. ثم اتفق أن تتم عليه مواطاة ياقوت ووشمكير ومرداويج، وبلغه من ذلك ما أوجب أن يسير إلى

١. فى مط: بكور مرو الخراسانى.

٢. فى مط: خرکوس.

كرمان. فتوجّه من النوبندجان إلى اصطخر ومنها إلى البيضاء وياقوت يتبعه بجميع عسكره ويقفوا أثره. وانتهى بعليّ بن بويه المسير إلى قنطرة كان الطريق عليها إلى كerman، فسبقه ياقوت إلى القنطرة وحال بينه وبين عبورها واضطرّه إلى الحرب.

ودخلت سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة

وابتدأت الحرب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين، وأصبحوا يوم الأربعاء على أشدّ ما تكون الحرب. فاستدعى عليّ بن بويه أصحابه ليلة الخميس وأعلمهم أنّه يترجّل معهم ويقاتل كأحدهم ووعدهم ومناهم واستوثق منهم الأيمان في الثبات والجهاد والجدّ.

ذكر اتفاق جيّد اتفق لعلّى بن بويه

ورديء جدّاً على ياقوت

مع تدبير سيّئ وتسرع من ياقوت غير صواب

أمّا التدبير السيّئ الذي استعمله ياقوت وتسرع فيه فإنّه استأمن إليه من أصحاب عليّ بن بويه [443] رجلاً من وجوه الديلم فحين وقفت عينه عليهما أمر بضرب أعناقهم وتيقن الديلم أنّه لا أمان لهم عنده، فشحذ ذلك بصائرهم وجاهدوه جهاد المستقتلين.

وأمّا الإتفاق الذي اتفق عليه، فإنّه باكر الحرب يوم الخميس وقدم على مصافه رجاله كثيرة من أصحابه يحاربون بمزاريق النفط والنيران. فانقلب الرّيح واشتدّت للوقت فاحترق شيء من مصافّ ياقوت وأكبّ الديلم على أولئك الرّجاله فقتلوهم وانهزم الفرسان وزحف الديلم على تعبيتهم.

ذكر تدبير دبره ياقوت في حال الهزيمة فلم يتفد له

واحترز منها علي بن بويه فظفر

لما أشرف الديلم على سواد ياقوت عند هزيمته وهزيمة أصحابه طلب
نشراً^(١) من الأرض عالياً في طريقه، فصعد إليها وركز عليها رايته، فاجتمع
إليه نحو من أربعة آلاف رجل. وظن أن الديلم يتسرعون إلى خزائنه
ويشتغلون بالنهب فيضطرب نظامهم ويكرّ عليهم - وهذه لعمرى مكيدة طال
ما صارت سبباً لظفر قوم بعد هزيمتهم - فقال لأصحابه :

- « لا تفرّقوا وتأهبوا للكثرة فإنّها الظفر لا محالة. »

وأحسّ علي بن بويه بذلك فبرز أمام مصافّه ونادى أصحابه وقال لهم :
- « لا تبعدوا ولا تنقضوا تعبيتكم فإنّ الخصم [444] واقف ينتظر اشتغالكم
بالنهب ثمّ يعطف عليكم ولم يبق له غير هذه المكيدة. »

وأعلمهم أنّ الغنيمة لا تفوت. فلما رأى ياقوت ثباتهم وامتناعهم من
النهب واحترازهم من مكيدته مضى على وجهه منهزماً وملك علي بن بويه
جميع ذلك السواد. ووجد لياقوت صناديق فيها برانس وقيود وما أشبه ذلك
كان أعدها للأسارى. فأشار جماعة من قواد علي بن بويه بأن يجعل ذلك
لأسارى رجال ياقوت وأن يجعل البرانس على رؤوسهم والقيود في أرجلهم
ويشهر بهم في المعسكر ثمّ في البلد. فأبى ذلك علي بن بويه وقال :

- « بل نعدّل عن هذا إلى العفو عمّن أظفرنا الله بهم من أعدائنا ونشكر الله

على هذه النعمة، فإنّه أدعى للمزيد وأبعد من البغى والطغيان. »

ثمّ امتدّ إلى الزرقان^(٢) يوم الجمعة وإلى الدينكان يوم السبت وتولّت

١. النّشز والنّشاز: المكان المرتفع.

٢. كذا في مط ومد: الزرقان. وفي الأصل شيء من الغموض.

المستأمنة والشحنة وأكابر الناس إليه وتتابعوا فتقبل الجميع وأحسن إليهم قولاً وفعلاً وصفح عن كل من بلغه عنه فحش في الخطاب أو إساءة في عمل، وأحسن في سيرته حتى اطمأن إليه الناس وأمنه أعداؤه. وعسكر بظاهر شيراز ونادى فيها ببث العدل [445] وأمان الناس من جميع ما يكرهون، وأمر العامة بالانتشار في معائشهم والخروج إلى مصالحهم آمينين، ففعل الناس ذلك.

ثم اضطرّ بعد ذلك إلى سيرة أخرى لكثرة مطالبات الجند واقتراحاتهم وبلغ من أمره ما سنكتبه في موضعه بمشيئة الله وعونه.

ورود خبر دخول أصحاب مرداويج إصبهان

وفيها ورد كتاب أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخي وكان يتقلّد أعمال الخراج والضياح بالبصرة والأهواز بتاريخ يوم الثلاثاء لأربع خلون من المحرم بأن الكتب وردت عليه بدخول أصحاب مرداويج إصبهان وأنه خرج من جملة مرداويج قائد جليل كان يتقلّد ماء البصرة وفاز بمال جليل وهرب إلى أرجان يقال له عليّ بن بويه وأنه كتب إليه أنه في طاعة السلطان وهو يستأذن الوزير في ورود الحضرة أو النفوذ إلى شيراز لينضمّ إلى ياقوت مولى أمير المؤمنين في كتابه تاريخ طبرستان

حرق مراكب القرامطة

وفي هذه السنة صار أصحاب أبي طاهر القرمطي إلى نواحي توج^(١) وسينيز^(٢) في مراكب وخرجوا منها إلى البلد. فلمّا بعدوا من المراكب أحرقها

١. مدينة بفارس قريبة من كازرون (مرصد الإطلاع).

٢. سينيز بلد على ساحل بحر فارس أقرب إلى البصرة من سيراغ بقرب جنّابة (مرصد الإطلاع).

صاحب لياقوت كان يتقلد البلد. ثم اجتمع مع أهل البلد وأوقع بالقرامطة وقتل منهم وأسر ثمانين رجلاً فيهم رجل يُعرف بابن الغمر^(١) [446] فقدم رسول محمد بن ياقوت بهؤلاء الأسارى فأدخلهم مشهّرين، فوضع على رأس ابن الغمر منهم قروناً وكانوا على جمال بدراريع وديباج وبرانس حتى دخلوا دار السلطان فاعتقلوا بها.

وفيها قتل القاهرة إسحاق بن إسماعيل

وأبا السرايا نصر ابن حمدان

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في قتله إسحاق أنه كان أراد شراء الجارية المعروفة برتبة^(٢) قبل الخلافة وكانت موصوفة بالجمال والغناء فزايدة إسحاق بن إسماعيل فيها واشتراها. وسبب قتله أبا السرايا أنه كان أراد شراء جارية أخرى قبل الخلافة فاشتراها أبو السرايا.

فحكى ثابت عن خادم حضر قتلها قال: جاء القاهرة فوقف على رأس بشر كانت في موضع ذكره ثم استحضر إسحاق فأحضر وهو مقيد فأمر بطرحه في تلك البئر فرمينا به فيها بقيده وهو حي. ثم أمر بإحضار أبي السرايا فأحضرناه وهو مقيد فأمر بطرحه في تلك البئر فما زال أبو السرايا يتضرع إليه ويسأله العفو وهو لا يلتفت إليه وتعلق بسعف نخلة كانت بقرب البئر فأمرنا بضرب يده فضربناها فخلّى عن السعفة^(٣) ودفعناه [447] في

١. في مط: ابن العم (في كلا الموضعين).

٢. لعلّه مصحّف «برينة». في مط: شراء الجارية الزينة قبل الخلافة، بدل: «شراء الجارية المعروفة برتبة». ومد كالأصل.

٣. وزاد في مط: ووقعناه عن السعفة.

البئر ثم أمر بطم البئر فطرحنا عليهما التراب حتى أمتلأت وهو واقف. فسبحان الله العظيم ما أعجب أمر المقادير أراد مونس لما قُتل المقتدر أن ينصب في الخلافة أبا العباس بن المقتدر فما زال إسحاق بن إسماعيل مجتهداً قائماً قاعداً إلى أن عدل بها إلى القاهر بالله وهو لا يعلم أنه إنما يسعى في حتف نفسه ليتّم الأمر المقدور.

وفيها حضر دار سلامة الحاجب أبو بكر بن مقسم وقيل أنه ابتدع قراءة لم تُعرف للقرآن وأحضر ابن مجاهد والقضاة وناظروه فاعترف بالخطأ وتاب فأحرقت كتبه.

وفيها خرج رجل من الصفد يُعرف بأبي علي محمد بن إلياس واجتاز بكرمان حتى بلغ باب اصطخر وأظهر لياقوت أنه يريد أن يستأمن إليه ثم عرف لياقوت أن ذلك حيلة منه فخرج إليه لياقوت فلم يثبت له ابن إلياس وانكفاً راجعاً إلى كرمان وصار إليه من قبل صاحب خراسان ما كان بن كاكي الديلمي فواقعه وانهزم ابن إلياس وصار إلى أعمال فارس فواقعه لياقوت وانهزم ابن إلياس.

مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی

وفيها استوحش الحجرية والساجية من القاهر

فدبروا عليه وتمّ لهم القبض عليه. [448]

ذكر السبب في القبض على القاهر

كان السبب في ذلك أن أبا علي ابن مقلة كان يرسل الساجية والحجرية في استتاره ويضربهم على القاهر ويوحشهم منه والحسن بن هارون يفعل

مثل ذلك ويلقاهم بالليل وهو يتزياً بزى السؤال وفى يده زَبِيل^(١) وفى وقت بزى النساء إلى أن شحذ نياتهم وجمع كلمتهم على قصد القاهرة والفتك به وحذرهم منه وعرفهم أنه قد بنى لهم المطامير. واحتال من جهة منجم كان لسيما حتى لقنه أن يقول لسيما من جهة النجوم أنه يخاف عليه من القاهرة ويحذره منه. وأعطى الحسن بن هارون هذا المنجم مائتى دينار فملاً عينه حتى مكن فى نفس سيما الخوف من القاهرة وكان سيما يقبل منه ويستحسن إصاباته. ثم دس إليه من جهة منامات يدعيها أشياء حتى اشتد خوف سيما من القاهرة.

فلما كان يوم الإثنين لأربع خلون من شهر ربيع الآخر وقع بين الغلمان الحجرية وبين الغلمان الساجية خلاف وذكر الساجية أن القاهرة يريد أن يفتك بسيما وهو رئيس الساجية وخرج سيما من دار السلطان مبادراً إلى داره واجتمع إليه الساجية بأسرهم والقواد فى السلاح [449] وأقاموا عنده إلى آخر النهار، ثم انصرفوا وباكروه فاجتمع قواد الساجية مع قواد الحجرية وتحالفوا أن تكون كلمتهم واحدة ثم استحلفوا باقى الحجرية والساجية. واتصل ذلك بالقاهرة وبالوزير وبالحاجب، فوجهوا من يسألهم عما أوحشهم فقالوا:

- «قد صحَّ عندنا أن القاهرة عزم على القبض على سيما وعلى حبسنا^(٢)

فى مطامير قد بناها لنا.»

وكان الفضل بن جعفر يتولى بناء مطامير من ماله ويحتسبها من مال مصادرة عليه فعرف القاهرة ما يقولونه فتقدم إلى سلامة بالخروج إليهم وحلف القاهرة له على أنه لم يفعل ذلك ولا هم به وإنما بنى حمامات رومية للحرم، وخرج سلامة لذلك.

١. الزبيل: الزنبيل.

٢. فى مط: جيشنا، بدل «حبسنا».

وخلا الخصيبى وعيسى المتطبب بالقاهر فذكرا له أن الآفة فى هذا كله الفضل بن جعفر وأنه هو الذى قال للساجية والحجرية ذلك لأنه شىء لم يعرفه غيره. وكان سلامة أشار بالفضل حتى أعفى من المصادرة عناية به واقتصر منه على ما ينفقه على المطامير. فتقدم القاهر بالقبض على الفضل بن جعفر وطالبه الوزير الخصيبى بحضرة عيسى بثلاثمائة ألف دينار فقال الفضل:

- «لو كنت ذا مال لكنت لى ضياع ودور [450] وخدم ومروءة بحسبها.»

فاغتاز الخصيبى وظن أنه قد عرض به وخاطبه بمخاطبة فيها جفاء فاستوفى الفضل عليه الجواب. فهم الوزير الخصيبى أن يوقع به فقال سابور الخادم:

- «أمرت بصيانتك وألا يلحقه مكروه.»

ورده إلى دار السلطان وحُبس فى الموضع الذى كان إسحاق بن إسماعيل محبوساً فيه.

وورد يوم الثلاثاء لخمس خلون من جمادى الأولى^(١) كتاب أبى جعفر الكرخى وكتاب أبى يوسف عبد الرحمن بن محمد الذى كان يكتب للسيدة بأن أصحاب ابن رائق كبسوا سوق الأهواز وأنهم استولوا على سائر عمل الأهواز وصار كل من يتقلد المعاون فى أعمال الأهواز من قبله سوى محمد بن ياقوت فإنه كان يتقلد المعاون بالسوس وجنديسابور فلم ينفذ لابن رائق لأنه نظيره فكتب الخصيبى رقعة بما ورد عليه من ذلك إلى القاهر. وكان القاهر قد ابتدأ بشرب فدعا بسلامة وأقرأه الكتاب وقال له:

١. من «خلون» إلى «الأخرى» مطموس فى الأصل، وما أثبتناه هو من مط. وفى مد: «بقين من جمادى الأولى».

- «امض إلى الخصيبى واجتمع معه على التدبير فى ذلك.»
وعاود شربه فمضى سلامة وعيسى معه إلى الخصيبى وأطالا عنده إلى نصف الليل ولم يتقرر لهم رأى على شىء. فانصرف [451] سلامة إلى منزله لعلمه بأن القاهر قد سكر ولا فضل فيه باقى ليلته وصدر نهار^(١) الغد، وبكر سلامة إلى الخصيبى فوجد عنده عيسى المتطّيب وبلغهم خبر الساجيّة والحجرية واجتماعهم لقصد دار السلطان. فتقدّم الخصيبى إلى عيسى بأن يبادر إلى دار السلطان ويعرّف القاهر الخبر ليتحرّز وإن وجده نائماً أنبهه، فمضى عيسى واجتهد فى إنباه القاهر فلم تكن فيه حيلة وقيل له: كان يشرب إلى أن طلعت الشمس وأنه لو أنبه^(٢) لما فهم عنه ما يقوله لشدة سكره.
وكانت الحجرية والساجيّة قد اجتمعوا عند سيما وتحالفوا على اجتماع الكلمة فى كبس دار الخليفة والقبض على القاهر فقال لهم سيما:
- «إن كان قد صحّ عزمكم على هذا فقوموا بنا الساعة حتّى نمضيه.»
فقالوا:

- «بل نؤخره إلى غد فهو يوم الموكب ويظهر لنا فنقبض عليه.»
فقال لهم سيما:
- «إن تفرّقتم الساعة وأخرتموه إلى ساعة أخرى اتّصل الخبر به فتحرّز ودبر علينا فأهلكنا كلّنا.»
فقبلوا رأيه وركبوا معه إلى دار السلطان بالسلاح فرتب سيما على كلّ باب من أبوابها غلاماً من الساجيّة وغلاماً من الحجرية ومعهما قطعة وافرة [452] منهما فلمّا أحكم أمر الأبواب كلّها وقف على باب العامة وأمر بالهجوم فهجموا كلّهم من جميع الأبواب فى وقت واحد، وبلغ سلامة

١. فى مط: صدر بها، بدل «صدر نهار».

٢. فى مط: انتبه، بدل «أنبه».

والخصيبى وهما مجتمعان فى دار الخصيبى فخرج الخصيبى فى زى امرأة واستتر وانحدر سلامة إلى مشرعة الساج واستتر.

ولمّا دخل الساجيّة والحجرية الدار لم يدخلها سيما وأقام بمكانه من باب العامة إلى أن قبض على القاهر فلما قبض عليه دخل.

ولمّا علم القاهر بحصول الغلمان فى الدار انتبه من سكره وأفاق وهرب إلى سطح حمّام فى دور الحرم فاستتر فيه ولمّا دخل الغلمان إلى المجلس الذى كان فيه ولم يجدوه وأخذوا من كان بالقرب [منه] مثل زيرك الخادم وعيسى المتطبّب واختيار القهرمانه فوكلوا بهم ووقع فى أيديهم خادم صغير فضربوه بالطبرزينات حتّى دلّهم على موضعه فدخلوا فوجدوه على سطح الحمّام على رأسه منديل ديبقى^(١) وفى يده سيف مجرّد واجتهدوا به على سبيل الرفق أن ينزل إليهم وقالوا:

«نحن عبيدك وما نريد بك سوءاً وإنّما نتوثق لأنفسنا.»

فأقام على الإمتناع من النزول إلى أن فوّق إليه واحد منهم بسهم [453] وقال:

«إن لم تنزل وضعته فى نحرى.»

فنزل حينئذ وقبضوا عليه - وكان ذلك ضحوة نهار يوم الأربعاء لستّ خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة - وصاروا به إلى موضع الحبوس وقصدوا البيت الذى فيه طريف السبكرى ففتحوه ووجدوا فيه طريفاً^(٢) فكسروا قيده وأطلقوه وأدخلوا القاهر إلى^(٣) موضعه وحبسوه فيه ووكلوا بالباب جماعة من الساجيّة والحجرية ووقع النهب ببغداد وانقضت خلافة القاهر بالله.

١. فى مط: ويقي، بدل: «ديبقى».

٢. فى مط: طريفاً، بدل: «طريفاً».

٣. فى مط: وأدخلوا القاهر إلى القاهر. وهو سهو من الكاتب.

خلافة الراضى بالله
أبى العباس محمد بن المقتدر
فى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة

واستدلّ الغلمان الساجيّة والحجريّة حين قبضوا على القاهر على الموضع الذى فيه أبو العباس ابن المقتدر فدلّهم عليه خليفة لزيك الخادم. ففتحوا عنه الباب ودخلوا عليه وسلّموا عليه^(١) بالخلافة وأخرجوه وأجلسوه على السرير وباع له قوّاد الساجيّة والحجريّة وطريف السبكى وبدر الخرشنى ولقّب: الراضى بالله.

وتقدّم بإحضار علىّ بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وأحضرا، فوصلا إليه وشاورهما واعتمد عليهما فيما يعمل. فعزّفه علىّ بن عيسى أن سبيله أن يعقد لواء لنفسه على الرسم فى ذلك [454] فاستحضر اللواء وعقده بيده، ثمّ أمر بالإحتفاظ به^(٢) وأشار عليه بتسلّم الخلافة، فسلمها من كان فى يده وهو خاتم فضة فضّه من حديد صينى وعليه كتابة ثلاثة أسطر:

«محمد رسول الله.»

وأشار عليه بتسلّم خاتم الخلافة من القاهر بالله. فوجّه إليه الراضى، ثمّ

١. وسلموا عليه: العبارة سقطت من مط.

٢. فى مط: الإحتفاظ، بدون «به»

فتح عنه الباب وطالبه بخاتمه فسلمه وكان فصّه ياقوتاً أحمر وعليه منقوش :
 - « بالله محمّد الإمام القاهر بالله أمير المؤمنين يثق . »
 وصار به إلى الراضى فأمر أن يسلم إلى حاذق من حذاق الخزانة ليمحو
 ذلك النقش منه ، ففعل ذلك ونقش له خاتم آخر عليه :
 - « الراضى بالله »

وتقدّم علىّ بن عيسى بأن يُحضّر القاضى أبو الحسين عمر بن محمّد ،
 والقاضى أبو محمّد ابن أبى الشوارب ، والقاضى أبو طالب البهلول ، وجماعة
 من الشهود وممن يقرب من دار السلطان فحضروا . فحكى القاضى أبو
 الحسن محمّد بن صالح الهاشمى ابن أمّ شيبان أنّه لما استدعى القاضى أبو
 الحسين عند القبض على القاهر بالله وجم جميع أطرافه وأخذ معه خمسين
 ديناراً فى حجرة سراويله استظهاراً واستخلفه فى داره ومضى وانصرف بعد
 أن مضى أكثر الليل إلى [455] منزله قال : فقال لى :

- « أنا أعرف ضيق صدرك وتطلّعك إلى معرفة ^(١) حديثنا فاسمعه : أعلم أنّى
 مضيت فأدخلت إلى حجرة فيها القاهر بالله ومعى ثلاثة من الشهود وطريف
 السبكرى . فقال له طريف : تقول يا سيّدى . »
 وكرّر ذلك دفعات . فقال له :

- « اصبر . »

ثمّ التفت إلىّ فقال :

- « ألسنت تعرفنى ؟ »

فقلت : « بلى . »

فقال : « أنا أبو منصور محمّد بن المعتضد بالله رحمة الله عليه ثمّ القاهر

١. فى مط : منزلة ، بدل « معرفة .

بالله بيعتي في عنقك وأعناق أهلي وسائر الأولياء ولست أبرئكم منها ولا أحلكم^(١) بوجه ولا سبب، فانهضوا.»

فقمنا فلما بعدنا عدلت طريفاً ولمته ملاماً كثيراً وقلت :

- «أي رأى كان إحضارنا إلى رجل لم يوطأ ولم يؤخذ خطه ويشهد عليه الكتاب والجند؟ كان ينبغي أن تقدم ذلك ثم تحضرنا له.»

وعُدل بنا إلى علي بن عيسى فسألنا عما جرى فحدثناه به فقطب وجهه ثم قال :

- «يُخلع ولا يفكر فيه فإن أفعاله مشهورة وأعماله معروفة وما يستحقه

غير خاف.»

فقلت له :

- «بنا لا تعقد الدول وإنما يتم بأصحاب السيوف ونصلح نحن ونراد

لشهادة واستيثاق وقد سمعت من الرجل ما حدثتك به ولم يكن الرأي أن

يجمع بيننا وبينه إلا بعد إحكام أمره.» [456]

فتفاضب وحضر وقت الصلاة فقمنا.

فقال القاضي أبو الحسن محمد بن صالح :

فسمعت ذلك منه وبكرنا إلى دار السلطان فقبل له : إن القاهر سمل

البارحة. فلما حضر أبو علي ابن مقله استدعينا وكنت مع القاضي أبي

الحسين وثلاثة من الشهود واجتمعنا بحضرة الرازي بالله فأومأ إلى مفلح

الأسود فأحضر ثلاثة من إخوته فأجلسهم عن يمينه وأخرج أبو علي ابن

مقله قرطاساً من كتفه ونشره فاستحلفهم على البيعة ثم أومأ الرازي إلى مفلح

إيماءً ثانياً فأحضر اثنان آخران من إخوته فأجلسهما عن شماله وأخذت

البيعة عليهما ثم أعطى أبو علي القرطاس القاضي أبا الحسين فأخذ عليه البيعة وكتبنا خطوطنا في ذلك القرطاس على من بايع وانصرفنا.

وكان سيما أشار بسمل القاهر تلك الليلة فستر الراضي ذلك عن علي بن عيسى واستحضرا بختيشوع بن يحيى المتطبب وسأله عمّن يحسن أن يسمل فذكر له رجلاً فأحضره وسمل القاهر.

وما زال علي بن عيسى يوم الأربعاء إلى الليل يأخذ البيعة للراضي بالله على القضاة والقواد وكتاب الدواوين والغلمان وطالبه الراضي أن يتقلد الوزارة [457] فامتنع وذكر أنه لا يفى بالأمر، فأشار سيما بأبي علي بن مقله. قال : - « هو يضمن أن يقوم بسائر الأمور. »

فقال علي بن عيسى :

- « قد أشرت به على أمير المؤمنين وما يصلح للوقت غيره. »

وكان علي بن عيسى يسأل في الفضل بن جعفر فأطلق بمسأله ووقع الراضي إلى أبي علي ابن مقله^(١) فبكر يوم الخميس لسبع خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وحضر علي بن عيسى وأخوه عبد الرحمن ووقفوا بين يديه يستحلفان من يحضر ويأخذان البيعة عليه وتأخر الفضل بن جعفر والحسن^(٢) بن هارون وخلع على أبي علي ابن مقله خلع الوزارة وركب معه سيما وطريف السبكري وسائر القواد والغلمان والخدم الخاصة وظهر الحسن بن هارون وأبو بكر ابن قرابة وصاروا إلى أبي علي ابن مقله ثم انصرفوا إلى منازلهم.

واستأنف أبو علي ابن مقله سيرة حسنة وقال :

- « قد عاهدت الله في استتاري ألا أسوء إلى أحد ونذرت نذوراً. »

١. في التكملة : وهو في دار ابن عبدوس الجهشيارى.

٢. في مط : والحسين.

فوفى وأطلق كل من كان في حبس القاهر من كاتب وجندى وأطلق عيسى المتطبب وإسحاق بن عليّ القنائي وكان الرازي أنفذهم إليه. ثم تعقب الرأي في عيسى المتطبب فصادره. [458]

وكان القاهر قد اعترف بوديعة أودعها إياه من العين والورق والطيب، فاستخرج كله منه. وسأل في أمر أبي العباس الخصيبى فكتب له أمان وقّع الرازي فيه بخطه وتسلمه الوزير أبو عليّ وأنفذه في درج رقعة^(١) منه بخطه إلى الخصيبى وخاطبه أجمل مخاطبة وظهر الخصيبى ققلده دواوين الضياع الخاصة والمستحدثة والعباسية والفرائية والمقبوضة عن أم موسى ونذير وشفيع اللؤلؤى وضياع المخالفين وضياع البرّ وضياع الجدة والدة المقتدر وديوانى زمام المشرق والمغرب وأجرى عليه لنفسه سوى أرزاق كتّابه في هذه الدواوين ألف دينار في كلّ شهر وقلّد الرازي بدرأ الخرشنى الشرطة بمدينة السلام.

ولما تقلّد الرازي الخلافة وردت كتب أبي جعفر الكرخى وأبى يوسف كاتب السيّدة بتخلصهما من الأهواز إلى نواحى دور الراسبى هارين من محمّد بن رائق وكان بنو البريدى يستترون فى أنهار الأهواز نهر بعد نهر. ووصل الخبر إلى ابن رائق وهو بالباسيان: أن القاهر خلع من الخلافة وتقلّدها الرازي بالله وأنه قد ندب للحجبة. فرجع منكفئاً إلى واسط ولم يدخل [459] البصرة ورجع الكرخى إلى البصرة ثم عاد إلى غيلة^(٢) بالأهواز فنظر وعمل إلى أن ضمّن ابن مقلّة بنى البريدى أعمال الأهواز.

١. فى مط: رفعه، بدل «رقعة».

٢. فى مط: عمله، بدل «غيلة». وفى المراسد: والغيلة بكسر أوّله وسكون ثانيه: موضع فى شعر الأعشى.

ذكر ابتداء أمر أبي الحسن

علي بن بويه الديلمي

كنا كتبنا فيما تقدّم أنّ أبا الحسن علي بن بويه لحق بمرداويج وهو في حدود طبرستان فقوّده وضمّ رجالاً إليه فلمّا أنفذه إلى الريّ - وكان أخوه وشمكير بها - اتفق أنّ عامل الكرج طمع في مالها فأنفذ علي بن بويه ليتلافى أمر الكرج^(١) ومعه دون مائة رجل من أصحابه فأقام بها وتلقّى إليه من الأطراف ديلم فصار في نحو ثلاثمائة رجل فأنكر مرداويج أمره وكتبه بالإنصراف فتأخّر، ورؤسل فتعلّل، وكان قد استخرج من مال الكرج نحو خمسمائة ألف وفوقها في مدّة يسيرة واستوحش مرداويج وهذّده ففرّج وأخذ مرداويج ووشمكير في تدبير القبض عليه.

وكان علي بن بويه قد استخلف بحضرة وشمكير وهو بالريّ عند خروجه أحمد حاجبه - وهو والد أبي إسحاق الطبري الشاهد - في هذا الوقت، فكتب إليه أحمد بما فيه مرداويج ووشمكير من الخوض في سيّئه^(٢). وكان مرداويج قد صار إلى عند أخيه بالريّ بهذا السبب ولتسريب الجيوش إليه فخرج من الكرج إلى إصبهان خائفاً [460] ليستأمن إلى المظفر بن ياقوت وكان عند المظفر بن ياقوت في الوقت سبعمئة رجل من الديلم ووجههم فناخسره^(٣) والد الحسن الديلمي الذي كان ببغداد ونظر في الشرطة بها. فلمّا قرّب من إصبهان خرج إليه المظفر ليمنعه ومعه نحو أربعة آلاف رجل فتخاذل أصحابه ووقع بين أصحابه من الديلم خلاف. لأنّ فناخسره كان له

١. في مط: الكرخ، بدل «الكرج».

٢. في مط: في سيّئه. بدل «سيّئه».

٣. في مط: فناخسرو، وهو أصحّ حسب أصله الفارسي.

عدوّ من الديلم يضادّه فتقاعد المولّدون أيضاً وافترقت كلمتهم وانهزم المظفر بن ياقوت إلى فارس وبها أبوه ياقوت واستأمن إلى عليّ بن بويه نحو من أربعمئة رجل من الديلم فصارت عدّته سبعمئة رجل وملك إصبهان وهو في ثلاثمئة رجل.

وبلغ الخبر مرداويج فسيّر أخاه وشمكير لطلبه في الوقت فلمّا قرب إصبهان رحل عنها عليّ بن بويه وصار إلى أرجان وكان قد تهيّأ لحصوله بين ياقوت وهو بفارس وبين ابنه محمّد وهو برامهرمز فصور^(١) عنده بالمهانة واضطراب الرأى والرجال. فدخل أرجان واستوطنها وكاتب ياقوت واستخرج من مال أرجان خراجاً نحو ألفي ألف درهم ووصل مع ذلك إلى ودائع ونظّم أمره للمسير إلى كرمان وبها ماكان بن كاكي الديلمي ليستأمن إليه فلم يجبه ياقوت عن كتابه ولم يقبله [461] فكاتبه عليّ بن بويه وخاطبه بالإمارة والتعبّد وعرفه أنّه يسأله أحد الأمرين: إمّا أن يقبله، أو يأذن له في المصير إلى باب السلطان. فلمّا لم يقبله ياقوت وسار إليه مع ابنه المظفر ليحاربه سار عليّ بن بويه إلى النوبندجان وقدّر أن تكون الحرب بها وقدّم كتبه إليه وطلب منه الأمان واستعفاء من الحرب فحذّره ياقوت وخشى أن يغتاله وكان قيل له: إنّ عليّ بن بويه يريد الحيلة عليه ليحصل بفارس ويخدعه عنها.

وكان عليّ بن بويه قد حصل أيّام مقامه بكازرون وبلد سابور - وذلك عند خروجه من أرجان - نحو خمسمئة ألف دينار مع كنوز كثيرة وجدها فقويت شوكته وزاد رجاله. فلمّا صار إلى النوبندجان قام بأمره أبو طالب زيد بن عليّ وتكفل بنفقاته فلزمه عليه في كلّ يوم خمسمئة دينار وأقام

١. كذا في الأصل: فسوّرا. والضبط في مد: فسور. والعبارة في مط: فسور وعنده بالمهانة.

عنده مدّة. فلمّا خرج إليه ياقوت تهيبه هيبة شديدة وذلك أنّ جيش ياقوت كانوا سبعة عشر ألف رجل من جميع الأصناف ساجيّة وحجرية والرجالة المصافية وغيرهم من الديلم وأصناف العسكر وعليّ بن بويه في ثمانمائة رجل، فسأله أن يفرج له عن الطريق لينصرف عنه ويجتاز إلى حيث يجتاز. فمنعه [462] ياقوت وطمع فيه لقلّة عدده ولوفور ما وصل إليه من المال. فلم يشب له عليّ بن بويه وسار إلى البيضاء فمنعه ياقوت وواقعه على باب اصطخر يومين فكانت لياقوت فاشتدّ طمع ياقوت فيه وزاد تهيب عليّ بن بويه وحقّق^(١) عليه المسألة في الإفراج له لينصرف عنه فامتنع عليه فلمّا كان يوم الخميس لاثني وعشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة إثنيتين وعشرين وثلاثمائة واقعه مستقتلاً.

فحدّثنى من شهد الواقعة من الديلم أنّه ترجّل ستّة نفر من الديلم وصفوا تراسهم وتقدّموا زحفاً واستأخروا من واجههم من أصحاب ياقوت فاشتملوا وتقدّموا وحمل أبو الحسين أحمد بن بويه في نحو ثلاثين رجلاً فانهمز ياقوت وجميع من معه وذلك وقت الظهر من ذلك اليوم وانصرف إلى شیراز. فقدّر عليّ بن بويه أنّ انصرافه مكيدة منه لا هزيمة فتوقّف في موضعه ولم يتبعه إلى وقت العصر، فلما صبح عنده أنّها هزيمة سار إلى شیراز فنزل أوّل منزل قرية يُقال لها: الزرقان على ستّة فراسخ من شیراز وبكر منها يوم السبت فنزل قرية يُقال لها: الدينكان، وعنده أنّه سيحارب عن البلد ويدفع عنه لأنّ الجيش الذي انهزم عنه كانوا قد انصرفوا [463] عنه موفورين لم يحاربوه ولا وقفوا بين يديه، فنزل على فرسخ من شیراز في مضاربه، وبلغه أنّ ياقوتاً وعليّ بن خلف بن طناب قد خرجا عن شیراز والبلد شاغراً خالاً.

١. الحرف الثاني غير واضح في الأصل. في مط: حنق. وما في مط: حقّق.

فوجه بجماعة من الديلم وأخلاق من الجند إلى شيراز للمقام بها وضبطها فبادر إليهم العامة بشيراز مع جماعة من الرجال السودان وممالك للتناء^(١). وكان الديلم قد تفرقوا في الأسواق فقتلوا منهم نحو سبعين رجلاً. فبلغ علي بن بويه ذلك ووجه بأخيه أبي الحسين أحمد وكان إذ ذاك تسع عشرة سنة وهو أمرد وهو حينئذ صحيح اليدين وأنفذ معه ثمانين رجلاً من الديلم فقتل من السودان نحو ألف رجل ونادى في البلد ألا يقيم فيه أحد من أصحاب ياقوت ولا من الجند وأن من وجد بعد النداء فقد أباح دمه وماله. فلم يبق في البلد أحد منهم.

اتفاقات عجيبة مساعدة

علي بن بويه بعد دخوله شيراز
وانفتاح وجوه الذخائر والودائع له

ودخل علي بن بويه شيراز واتفقت له بها ضروب من الإتفاقات عجيبة كانت سبباً لثبات ملكه. فمنها أن أصحابه اجتمعوا وطالبوه بالمال ونظر فإذا القدر الذي معه لا يرضيهم وأشرف أمره على الإنحلال فاشتغل قلبه واغتم غمّاً شديداً فبينما [464] هو مفكر قد استلقى على ظهره في مجلس ياقوت من داره وقد خلا فيه للفكرة والتدبير، إذ رأى حية قد خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس ودخلت موضعاً آخر منه وخاف أن تسقط عليه وهو نائم فدعا بالفرّاشين وأمرهم بإحضار سلم وإخراج تلك الحية ففعلوا. ولما صعدوا وبحثوا عنها، وجدوا ذلك السقف يفضى إلى غرفة بين سقفين، فعرفوه ذلك، فأمرهم بفتحها ففتحت ووجد فيها عدة صناديق من المال والصياغات

خمسمائة ألف، فاستوى جالساً وحُمِلَ إلى بين يديه ذلك المال فُسِّرَ به وأنفق في رجاله وثبت أمره بعد أن أشفى على الإنحلال.

وحكى أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي أن علي بن بويه أراد قطع ثياب وسأل عن خياط حاذق فوصف له خياط لياقوت فأمر بإحضاره وكان أطروشاً ووقع له أنه قد سعى به إليه في وديعة كانت لياقوت وأنه طلبه بهذا السبب، فلما خاطبه حلف أنه ليس عنده إلا اثنا عشر صندوقاً لا يدرى ما فيها، فعجب علي بن بويه من جوابه ووجه معه بمن حملها، فوجد فيها أمراً عظيماً من المال والثياب.

والذي كان يكتب لعلي بن بويه في ذلك الوقت رجل نصراني [465] من أهل الري يُعرف بأبي سعد إسرائيل بن موسى ثم قتل بعد مدة بسبب سنفرده له خبراً، واستكتب مكانه أبا العباس أحمد بن محمد القمي المعروف بالحناط.

وسفر الأمير أبو الحسن علي بن بويه بعد تمكنه من البلد في أن يقاطع السلطان عنه ويتقلده من قبل الراضي، فأجيب إلى ذلك وقنع منه بما بذل وهو في كل سنة بعد جميع المؤن والنفقات الراتب والحاذة ثمانية آلاف ألف درهم خالصة للحمل.

وكتب إلى الوزير أبي علي ابن مقله يحلف له بأغلظ الأيمان على موالة الوزير أبي علي ابن مقله وابنه الحسين ومعاضدتهما وما يُقال في هذا المعنى وأكدته. فأنفذ إليه الوزير أبو علي بالخلع واللواء في شوال سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ورسم للرسول وهو أبو عيسى يحيى بن إبراهيم المالكي الكاتب ألا يسلم اللواء والخلع إلا بعد أن يتسلم المال ووقف عليه، فلما قرب المالكي من البلد تلقاه علي بن بويه على بعد وسار معه إلى ظاهر شيراز وطالبه بأن يسلم إليه اللواء والخلع فعرفه ما رسم له وأنه لا يمكنه

من ذلك إلا بعد تسلّم المال الذي وُوقِف عليه فخاشنه عليّ بن بويه وأرهبه^(١) حتّى سلّم إليه الخلع ولبسها ودخل بها إلى شيراز وبين يديه اللواء. وأقام المالكي مدّة يطالب [466] بالمال فلم يدفع إليه شيئاً بتّة وحصل على المواعيد والمطل والتوقّف ثمّ اعتلّ المالكي ومات بشيراز وحُمِل تابوته إلى بغداد في سنة ثلاث وعشرين.

وانفتح لعلّي بن بويه وجوه الذخائر والودائع ووزير [هـ]^(٢) أبو سعد النصراني فضمن له بقايا مال السنة أبو الفضل العبّاس بن فسانجس وابن مرداس وأبو طالب زيد بن عليّ وغيرهم من وجوه البلد بأربعة آلاف ألف درهم، واستُخرجت له الذخائر وانفتحت له كنوز وودائع عمرو بن الليث ويعقوب بن الليث وياقوت وابنه وعليّ بن خلف ورجال السلطان وكثرت أموال عليّ بن بويه وعمرت خزائنه واستأمن إليه رجال ماكان بن كاكي من كرمان وكثر جمعه واستفحل أمره وانتهى خبره إلى مرداويج فقامت قيامته ووافى إصبهان وبها وشمكير أخوه لأنّه لمّا خلع القاهر من الخلافة وتأخّر محمّد بن ياقوت عنها وبقيت سبعة عشر يوماً خالية أعاد مرداويج أخاه إليها. فلمّا استقرّ بها وورد مرداويج لتدبير عليّ بن بويه عند استعصائه عليه ردّ أخاه وشمكير إلى الرّى لخلافته عليها.

وأنفذ شيرج بن ليليّ استفسلاره مع حاجبه الشابشتي ومعهما ألفان وأربعمائة رجل من الجبل^(٣) والديلم ووجوه القوادر مثل بكران وإسماعيل الجبلي [467] إلى الأهواز، وكان غرضه أن يملكها فيأخذ الطريق على عليّ بن بويه ويحجز بينه وبين السلطان حتّى إذا قصده بعد ملكه الأهواز لم يكن

١. كذا في الأصل: وأرهبه. في مد: وأزهمه. وفي مط: وأرهنه.

٢. في الأصل: وزير. وما بين المعقوفتين زدناه من مط.

٣. في مط: الجبل، وهو خطأ.

له منفذ إلا إلى تخوم كرمان والتيز^(١) ومكران وأرض خراسان. ولما نزلت عساكر الجيل ايدج خاف ياقوت أن يحصل بينهم وبين علي بن بويه، فوافى الأهواز ومعه ابنه وقتله السلطان أعمال الحرب والمعاون بها وارسم أبو عبد الله أحمد بن محمد البريدي بكتابة ياقوت مضافة إلى ما إليه من أعمال الخراج والضياح بالأهواز وصار أخوه أبو الحسين يخلف أخاه وياقوتاً بالحضرة. وحصل رجال مرداويج براهرمز في غرة شوال من سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وصلوا العيد بها وخطبوا لمرداويج وساروا إلى الأهواز فعسكر ياقوت بقنطرة أربق وقطعها والماء الذي تحت هذه القنطرة حاد الجرية فأقام رجال مرداويج بإزاء ياقوت أربعين يوماً لا يمكنهم العبور إليه وسار ياقوت إلى بغداد على طريق دور الراسبي وسار علي بن خلف بن طناب في البحر من ساحل مهروبان إلى البصرة. ورحل جيش مرداويج عن قنطرة أربق وضمن لهم طائفة من العتارين أن يعبروا بهم نحو المسرقان بعسكر مكرم حتى يصير الطريق بينهم وبين الأهواز جديداً فعدلوا إليها.

واجتمع البريدي [468] وياقوت فتشاوروا وقرّر الرأي على إنفاذ مونس غلام ياقوت في أربعة آلاف رجل إلى عسكر مكرم لدفعهم عن عبور المسرقان وكانا حسبا أن القوم بعد منازلة^(٢) أربعين يوماً قد ضجروا وانصرفوا وأنهم لا يلبثون بعسكر مكرم إلا يومين أو ثلاثة فلما حصلوا بها عملوا أطوافاً^(٣) من خشب وشاشا^(٤) من قصب وعبر منهم خمسون رجلاً

١. تيز (بكسر الأول): بليدة على ساحل بحر مكران.. وبينها وبين «كيز» مدينة مكران خمس مراحل. (مراسد الإطلاع).

٢. منازلة: كذا في الأصل ومط. وما في مد: منزلة.

٣. قطع من خشب مشدود بعضها إلى بعض يركب عليها.

٤. في مط: وشاسا.

عليها فانهزم مونس لوجهه وعاد إلى مولاه فأخبره الخبر. وكان قد ورد إليه مدد من بغداد وخيل عظيمة فرحل لوقته من قنطرة أريق بعد اجتماع الجيل إليه بيومين وصاروا بأجمعهم إلى قرية الريح وهم بالحقيقة قد حصلوا من أمرهم على الريح. وصار ياقوت ومن تبعه وهم عدة وافرة كثيرة إلى باذاورد هومنها إلى واسط فأفرج له محمد بن رائق عن غريبها فنزله بعسكره وعرف علي بن بويه حصول عسكر مرداويج بالأهواز وشرح ما جرى وتعلق لكاتب مرداويج واستصلحه وأقام الخطبة وواقفه^(١) على مال وأنفذ إليه رهينة فسكن مرداويج وقلد علي بن بويه أرجان بعد انصراف ياقوت وعلي بن خلف عنها إبراهيم بن كاسك.

واستقرت كتابة ياقوت لأبي عبدالله البريدي [469] فورد الخبر وهو بالبصرة في بستان المؤمنا يريد المسير في طيَّاره إلى واسط بقتل مرداويج في الحماة بإصبهان فأنفذ للوقت أبا عبدالله بن جنى الجرجرائي إلى الأهواز بخلافته عليها وقال له :

«اقصد ظاهر البلد بل أقم على فرسخ منه فإذا صحَّ عندك خروج الجيل والديلم فادخله واثبت عند دخولك الفرسان والرجالة فإني أنفذ من واسط أبا الفتح ابن أبي طاهر وأبا أحمد الجستاني في ألف رجل لضبط البلد وكور الأهواز.»

ثم وافى أبو علي غلام جوذاب كاتب البريدي في طريق الماء وترتب ابن أبي طاهر بالأهواز وأبو أحمد الجستاني^(٢) بعسكر مكرم. ووافى إبراهيم بن كاسك من أرجان إلى رامهرمز طمعا في الأهواز لما خلت فكاتبه علي بن بويه بالتوقف والّا يبرحها حتى يمده بالجيش فمن قبل ورود الجيش عليه

١. في مط: وواقفة.

٢. في مط: السجستاني.

من فارس ما وافى ياقوت إلى عسكر مكرم على طريق السوس فلما بلغ إبراهيم بن كاسك خبره رحل من رامهرمز إلى أرجان.

وكانت مع ياقوت قطعة من الديلم والأتراك والخراسانية فظن أنهم يشبتون وأنه مستظهر بهم ووافاه أبو عبد الله البريدي والتقى بعسكر مكرم وأنفق فيه وفي رجاله ثلاثمائة ألف دينار على يد ابن بلوى وابن سريج^(١) المنفيين وسيرهم إلى أرجان [470] ووافاه علي بن بويه وحاربه بها فانهزم ياقوت هزيمة ثانية لم يفلح بعدها ولا شدّ منها حزاماً ولم ينفعه عدد العجم والديلم ولا عجب من أمر الله وتبعه علي بن بويه إلى رامهرمز وخيف على الأهواز منه فراسله أبو عبد الله البريدي في الصلح فاستجاب له وكاتب الوزير أبا علي ابن مقلة فيما قرره من الصلح فعرضه على الراضى بالله فأمضاه فانصرف علي بن بويه^(٢) إلى شیراز وعقدت فارس على علي بن بويه بما ذكرناه ونفذ إليه أبو عيسى المالكي باللواء والعهد وكان من أمره ما قدمت ذكره.

وقتل أبو الحسن علي بن بويه أبا سعد إسرائيل كاتبه ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن أبا سعد كان مكيناً عند علي بن بويه يتبرك به ويكرمه جداً وكان يقود الجيش وله غلمان أتراك ولبس القباء والسيف والمنطقة وكان قد حارب في وقت ياقوتاً فهزمه. فكان أبو العباس الحنّاط القمّي يضرب عليه دائماً ويجتهد في إفساد رأى صاحبه فيه فلا يقبل منه وينهاه عن ذكره فلا ينتهي إلى أن قال يوماً وقد أكثر عليه في الإغراء به :

١. في مط: وابن سريج.

٢. في مط: فانصرف علي من يومه، بدل «فانصرف علي بن بويه»!

- «يا هذا إن هذا الرجل صحنى وحالى صغيرة وقد بلغت ما ترى ولست أدري هل [471] ما وصلت إليه بدولته أم بدولتى وليس إلى تغيير أمره طريق فأياك أن تعاودنى فيه.»

فما أغنى ذلك منه ولا انتهى عن الوقعة فيه وثلبه.

وكان بين أبى سعد هذا وبين حاجب لعلى بن بويه يُقال له: خُطْلُخ - وإليه مع الحجة رئاسة الجيش - عداوة فاتفق أن دعى أبو سعد دعوة عظيمة دعا فيها لعلى بن بويه والقواد وأنفق فيها فى الخلع والحملان ما له قدر كثير ودعا خُطْلُخ فلم يستجب إلى المصير إليه واجتهد به فلم يكن فيه حيلة وأصبح أبو سعد من غد يوم الدعوة فأقام على أمره ودعا من يأنس به وانتبه خُطْلُخ من نومه وهو مغتاض يزعم أنه لا بد له من أن يركب إلى أبى سعد فيقتله لأنه رأى فى نومه أبا سعد يريد قتله فاجتهد به خواصه فى أن يؤخر ذلك فامتنع وحمل فى خفه دشنيا وركب وقيل لأبى سعد أن خُطْلُخ قد ركب على أن يجيئه فأنكر ذلك لأنه كان دعاه فامتنع فلم يعرف لمجيئه إليه بغير استدعاء وجهاً، فاستعدّ ليستظهر وقال للغلمان:

- «تأهبوا بالطبرزيات وكونوا مستترين فى المجالس حوله فإن أنكر من خُطْلُخ أمراً صاح بهم فخرجوا ووضعوا عليه.»

وحضر خُطْلُخ فتلقاء أبو سعد وجاء حتى جلس [472] وأخذ يستجنى ويعربد إلى أن ضرب يده إلى خفه وأخرج الدشنى فصاح أبو سعد بالغلمان فخرجوا بالدبابيس والطبرزيات ووضعوا على خُطْلُخ ووقع فى رأسه دَبُوس فدوّخه وسقط وقدر أنه مات وحُمِلَ إلى منزله فعاش يومين ومات.

فبادر أبو العباس الحنّاط إلى الأمير فى الوقت فوجده نائماً فقال للغلمان: - «أنبهوه.»

فلم يجبروا،^(١) فصاح وجلب إلى أن أنبهه ودخل إليه وقال له :

- «إنَّ أبا سعد قتل حاجبك خطلخ.»

فلم يصدِّقه وانتهره فقال :

- «وجَّه وانظر.»

فورد عليه الخبر بصدقه فاستعظم ذلك ووجم ساعة ودخل أبو سعد فلم يُظهر له أنَّه أنكر شيئاً ولا أنَّه استوحش وسأله عن السبب فيما فعله فعرفه الصورة واستشهد من حضر فاستصوب ما فعله. وخاف أبو سعد ووجد أبو العباس الحنَّاط فرصته وأقبل يقول :

- «هو ذا يأخذ البيعة على القوَّاد وهو خارج عليك لا محالة.»

فوجَّه الأمير إلى أبي سعد فأنسه غاية التأنيس وحلف له أيماناً مؤكَّدة على ثقته به وأنَّه لا يلحقه سوء من جهته. واتفق أن أخرج أبو سعد صناديقه من البيوت إلى صحن داره ليسترها استظهاراً وخلا بموسى فيأذه يشاوره^(٢) فمضى الحنَّاط إلى الأمير عليّ بن بويه [473] فقال له :

- «قد استحلف أبو سعد قوَّادك وآخر من استحلفه موسى فيأذه وها هو

قد أخرج صناديقه وهو خارج الساعة.»

فوجَّه الأمير بمن عرف خبره فرأى الرسول الصناديق وموسى فيأذه خارجاً من عنده فعاد إليه بالخبر فلم يشكَّ الأمير حينئذ في صحَّة قول الحنَّاط فقبض عليه وعلى جميع ماله من سائر الأصناف واعتقله. وكان في الإعتقال إلى أن ورد بعض قوَّاد الأتراك من بعض أعمال فارس فواطأه الحنَّاط على الدخول مع أصحابه وهم خمسون رجلاً مخرَّقي الثياب مسودّي

١. في مط : فلم يجبروا.

٢. في مط : فناره شاوه (كذا)، بدل «فيأذه يشاوره» وفيأذه يحتمل أن يكون معرباً أصله الفارسي : بياده، أي الراجل.

الوجوه يضجون بما جرى على خطلخ من أبي سعد ويتهددون إن لم يقتل أبو سعد. ففعل القائد ذلك ودخل والأمير على شرب فأمر بقتل أبي سعد ثم وقعت الندامة عند الصحو وبعد فوت الأمر واستكتب الأمير بعده أبا العباس الحنّاط وبقي معه إلى أن مات الأمير عليّ بن بويه.

عود إلى ذكر الأحوال الجارية بمدينة السلام

ونعود إلى ذكر الأحوال الجارية بمدينة السلام. لما حصل محمد بن ياقوت بالحضرة وحصلت له الحجة ورئاسة الجيش أدخل يده في تدبير أعمال الخراج والضيايع ونظر فيما ينظر فيه الوزراء وطالب أصحاب الدواوين بحضور مجلسه وألا يقبلوا توقيعاً بولاية [474] ولا صرف ولا غير ذلك من سائر الأحوال إلا بعد أن يوقع فيه بخطه. وتجلّد أبو عليّ واحتمل ذلك وألزم نفسه المصير إليه فإذا صار إليه دفعتين صار هو إليه دفعة واحدة فكان أبو عليّ كالمتعطل لا يعمل شيئاً ملازماً لمنزله ويجيئه أبو إسحاق القراريطي كاتب محمد بن ياقوت فيطالعه بما يجري وما يعمل.

وفي هذه السنة قُتل هارون بن غريب الخال.

مركز تحقيق كتاب ذكر السبب في قتله

كان سبب ذلك أنّه لما بلغ هارون بن غريب تقليد الرازي بالخلافة وكان مقيماً بالدينور - وهي قصبة أعمال ماه الكوفة - وهو متقلّد أعمال معاون بها وبماسبذان^(١) ومهرجانتقذ وحلوان وتدير أعمال الخراج والضيايع بها - وهي النواحي التي كانت بقيت في يد السلطان من نواحي المشرق بعد

١. في مط: ماسندان، وهو خطأ.

الذى غلب عليه مرداويج - رأى أنه أحق بالدولة من كل أحد. فكاتب جميع القواد بالحضرة وأنه إن صار إلى الحضرة وتقلد رئاسة الجيش وتدير الأمور أطلق لهم أرزاقهم على التمام ولم يؤخر عنهم شيئاً منها. وسار إلى بغداد حتى وافى خاتقين فغلظ ذلك على الوزير أبى على ابن مقله وعلى محمد ابن ياقوت وعلى الحجريّة والساجيّة والمونسيّة وخاطبوا [475] بأجمعهم فقال الراضى :

- «أنا كاره له، فامنعوه من دخول الحضرة وحاربوه إن أحوج إلى ذلك.»
فلما كان يوم السبت لسبع خلون من جمادى الآخرة استحضر أبو بكر ابن ياقوت أبا جعفر بن شيرزاد وأوصله إلى الراضى بالله حتى حمّله رسالة إلى هارون بن غريب بأن يرجع إلى الدينور وكتب معه كتاباً فنفذ من وقته ووجد هارون قد صار إلى جسر النهروان وأدى الرسالة وأوصل الكتاب فأجاب هارون بأنه قد انضم إليه من الرجال من لا يكفيهم مال عمله. وعاد أبو جعفر بالجواب وأداه إلى الراضى بالله بحضرة الوزير أبى على والحاجب أبى بكر محمد بن ياقوت، فبدلوا له أن يقلدوه أعمال طريق خراسان كلها ويكون مالها مصروفاً إليه زائداً على ما يأخذه. وقال الراضى بالله :

- «سبيله أن يقتصر على بعض من معه من الرجال.»

فنفذ أبو جعفر ومعه أبو إسحاق القراريطى بهذا الجواب. فلما أديا إليه الرسالة امتنع وقال :

- «إن الرجال لا يقنعون بهذه الزيادة.»

ثم قال :

- «ومن جعل ابن ياقوت أحق بالحجبة والرئاسة منى؟ الناس يعلمون أنه كان فى آخر أيام المقتدر يجلس بين يدي ويمثل أمرى. ومن جعله أخصى

بالخليفة مني؟ وأنا نسيب أمير المؤمنين وقريبه^(١) وابن ياقوت ابن غلام من غلمانه. [476]

فقال القراريطي :

- «لو كنت تراعى ما بينك وبينه من القرابة لما عصيته»

فقال : «لو لا أنك رسول لأوقعت بك. قم فانصرف.»

ووضع هارون يده في الإستخراج، فاستخرج أموال طريق خراسان وقبض على عمال السلطان وجبى المال بعسف وخبط وظلم وتهور وكان الوقت قريباً من الإفتتاح. فلما اشتدت شوكتة شخص محمد بن ياقوت من بغداد في سائر الجيوش بالحضرة ونزل في المضارب بنهر بين بانفاد أبي جعفر محمد بن شيرزاد دفعةً ثانية برسالة جميلة ووعدته أن يوافقه^(٢) على عدة الرجال الذين يتقرر الأمر معه على كونهم في جملته وينظر في جرائدهم وأرزاقهم لسنة خراجية. فإن وفى مال أعماله بماله وماله رجوع إلى الدينور وإلا سبب له بالباقي على أعمال طساسيج النهروانات ونفذ إليه بهذه الرسالة يوم الإثنين.

وقد وقعت طلائع عسكر هارون على طلائع عسكر محمد بن ياقوت وأصحاب هارون هم المستظهرون وكثر مضى الجند من عسكر محمد ابن ياقوت إلى هارون بن غريب مستأمنة إليه فتبين أبو جعفر من هارون أنه اتهمه بالميل إلى محمد بن ياقوت وابن مقله. فلما رأى منه ذلك استأذنه في الإنصراف بالجواب فقال :

- «إني أخاف عليك [477] منه أن يعتقلك وإنما بيننا وبين الواقعة

وانكشاف الأمر بيننا ليلة واحدة.»

١. في مط : وأنا نسيب أمير المؤمنين ومرتبته، بدل «وأنا نسيب أمير المؤمنين وقريبه».

٢. في مط : أن يوافقه.

تزاحف العسكرين

فلما كان في يوم الثلاثاء لست بقين من جمادى الآخرة تزاحف العسكران وكان المبدأ من أصحاب هارون واشتد القتال واستظهر أصحاب هارون لأن عددهم أضعاف عدد ابن ياقوت وانهزم أكثر أصحاب ابن ياقوت وقطعة من الغلمان الحجرية ونهب أصحاب هارون أكثر سواد ابن ياقوت ونكسوهم عن دوابهم وأثخنوا فيهم الجراحات وقتلوا منهم عدة. فركب حينئذ محمد بن ياقوت وسار حتى عبر قنطرة نهريين ولم تزل الحرب غليظة إلى أن قارب انتصاف النهار وركب هارون بن غريب مبادراً وسار منفرداً عن أصحابه على شاطئ نهريين يريد قنطريته لما بلغه أن ابن ياقوت قد عبر القنطرة وقدّر أنه يقتله أو يأسره فتقطر به فرسه فسقط منه في ساقيه فلاحقه يمين غلامه فضربه حتى أثخنه بالطبرزينات ثم سل سيفه ليذبحه فقال له هارون :

- «يا عبد السوء أنت تفعل هذا وتتولى بيدك^(١) قتلى أي شيء أذنبت به

إليك؟»

فقال له :

- «نعم أنا أفعل بك هذا.»

وحز رأسه ورفعته وكبر، فتبدد رجال هارون ودخل بعضهم من طرق آخر إلى بغداد ونهب سواد هارون وأصحابه وأسر قوم. [478] وسار محمد بن ياقوت إلى موضع جثة هارون فأمر بحملها إلى مضره فحملت وأمر بتكفينه ودفنه وأنقذ بمن يحفظ دار هارون من النهب ودخل بغداد وبين يديه رأس هارون وعدة من قواده. فأمر الراضي بنصب الرؤوس على باب العامة وخلع على ابن ياقوت وطوق وسور.

١. في مط: يبدل، بدل «بيدك».

ودخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة

تقليد الرازي ابنه المشرق والمغرب

وفيهما قلّد الرازي ابنه الأمير أبا جعفر وأبا الفضل المشرق والمغرب واستكتب لهما أبا الحسين عليّ بن أبي عليّ ابن مقلّة وخلع عليّ أبي الحسين لذلك يوم الإثنين لخمس خلون من المحرم واستخلف أبو الحسين عليّ كتابتهما أبا الحسن سعيد بن عمرو بن سنجلا وكُتبت به الكتب.

قتل مرداويج في الحماّم بإصبهان

وفيهما ورد الخبر بغداد بأنّ غلمان مرداويج بن زيار الجبلي قتلوه في الحماّم بإصبهان فتبجّح محمّد بن ياقوت وزعم أنّ التدبير في ذلك كان له وأنّه كاتب غلاماً كان له واستأمن إلى مرداويج بضعة عشر كتاباً مع فيوج ذكرهم وسعّاهم من حيث لا يعلم أحد وأظهر كتباً من الغلام إليه في هذا المعنى وأنشأ كتباً قرئ بعضها في المسجد الجامع بهذا الخبر والشرح وكتب إلى أصحاب الأطراف وأعلمهم [479] أنّ التدبير كان له وكلّ ذلك كذب فإنّا سمعنا من شرح الصورة ما اقتضاه الأمر من أوله إلى آخره ما نعلم أنّه لم يكن من تدبير كيشريّ كالمؤيد علوم رديّ

ذكر السبب في قتل مرداويج

وذكر ليلة الوقود المعروفة بالسّدق

قال الأستاذ أبو عليّ أحمد بن محمّد مسكويه^(١) أدام الله نعمته: حدّثني

١. في مط: محمد بن مسكويه، بزيادة «بن» وهو خطأ كما حقّقناه في تصديرونا لهذا الكتاب.

الأستاذ الرئيس حقاً أبو الفضل ابن العميد رحمه الله أنه لما حضرت ليلة الوقود التي تُعرف بالسَّدَق كان تقدّم^(١) مرداويج قبل ذلك بمدة طويلة أن تجمع له الأحطاب من الجبال والنواحي البعيدة وأن ينقل له في الوادي المعروف بزرين رود وما قرب من الغياض والمحتطب. فكان يجمع ذلك من كل وجه وأمر بجمع النفط والنفّاطين والزّرافات ومن يُحسن معالجتها واللعب بها وتقدّم بإعداد الشموع العظام المجلّسة ولم يبق جبل مشرف على جرّين إصيهان ولا تلّ ظاهر إلا عُيِّت عليه الأحطاب والشوك وعمل على مسافة بعيدة من مجلسه بحيث لا يمكن أن يتأذى بالوقود كهيئة قصور عظيمة من الأجزاء وضُيِّت^(٢) بالحديد الكثير حتّى تماسكت وحشيت بالشوك والقصب وصيدت له الغربان والحدأ وعلّق [480] بمناقرها وأرجلها الجوز المحشو مشاقة ونقطاً وعمل بمجلسه الخاصّ تماثيل من الشمع وأساطين عظام منه لم ير مثلاً ليكون الوقود في ساعة واحدة على الجبال ورؤوس اليفاعات وفي الصحراء وفي المجلس على الطيور التي تُطلق. ثمّ عمل له سماط عظيم في الصحراء التي يبرز إليها من داره وجمع فيه من الحيوانات والبقر والغنم ألوف كثيرة وزين واحتشد له بما لم تجر العادة بمثله فلما فرغ من جميع ذلك وضربت مضاربه قريباً من السماط وحضر الوقت الذي ينبغي أن يجلس فيه مع القوم للطعام ثمّ للشرب خرج من منزله وطاف على سماطه وعلى الآلات التي ذكرتها للوقود فاستحقرها كلّها واستصغر شأنها وذلك^(٣) لأجل سعة الصحراء ولأنّ البصر إذا امتدّ في فضاء واسع ثمّ انقلب عنه إلى هذه الأشياء المصنوعة استحقرها وإن كانت عظيمة.

١. الأصل مهمل في الأول. في مط: تقدم. في مد: يقدم.

٢. كذا في الأصل: ضيّبت في مط: صيّت.

٣. كذا في الأصل ومط: وذلك. وفي مد: (قال) وذلك، بزيادة «قال» ولا لزوم لها.

فاغتاز وتداخله من النخوة والجبرية ما سكت معه ولم يتكلم بحرف ودخل إلى خركاه في خيمة عظيمة واضطجع ثم حوّل وجهه إلى خلاف الباب والتفت بكسائه لئلا يكلمه أحد. واجتمع الأمراء والكبار والقواد وسائر الجند والنظارة ولم يجسر على خطابه أحد ولا على [481] تحريكه وأبطأ على الناس خروجه حتى فات الوقت.

وأخذ الناس في الإرجاف به فتحدّثوا سرّاً وهمساً وخيفت الفتنة. فحينئذ مشى العميد حول الخركاه ودمدم بكلامه المقتضى للجواب فلم يتكلم بحرف ولم يزل يدارى في الكلام ويدعو له إلى أن اضطرّه إلى الجلوس ثم دخل إليه فقال:

«أيها الأمير ما هذا الكسل في وقت النشاط وحضور الأولياء وفرح الصديق وانخزال العدو؟»

فقال: «يا أبا عبد الله وأيّ نشاط يحضرني مع الإستخفاف والإستهانة وقصور الأمر؟ والله لقد افتضحت فضيحة لا يغسلها عني شيء أبداً.»

قال [العميد]^(١): ودهشت ساعة ثم قلت:

«أيها الأمير وما ذلك؟»

فقال: «أما ترى نزاره ما أمرت به من الإستكثار منه وقلته ووتاحته^(٢) من الطعام والسماط^(٣) ثم من جميع الآت الوقود والأشياء المتصلة بها.»

فقلت: «والله أيها الأمير لقد عمل من هذه الأشياء ما لم يُسمع بمثله فضلاً عن أن يُرى، فقم إلى مجلس أنسك وعاول النظر.»

١. وفي مط: قال: وتحيرت ودهشت. في مد: قال العميد: ودهشت. وفي مصورتنا للاصل بياض مكان «العميد».

٢. الوتاحة: القلة.

٣. السماط: ما يُبسط ليوضع عليه الطعام.

فأبى وليجّ إلى أن قلت :

- «فإنّ الأعداء يرجفون بكيت وكيت، فاتق الله اركب وطف طوفة لتزول الأراجيف ثمّ اعمل ما بدا لك فإنّا سنعتذر عنك.»

فزاده ما حكيت له من [482] أراجيف الناس به غيظاً وحنقاً. ثمّ قام فركب كارهاً متحاملاً وطاف مغضباً مغتاضاً بقدر ما رآه الناس وانصرف إلى موضعه ولزم حالته الأولى وجمع الناس الذين دُعوا على خبط^(١) فأبى أكثرهم وانصرف من كان حاضراً وقالوا:
- «لا نأنس^(٢) إلّا يأنس الأمير.»

وبقى في معسكره ثلاثاً لا يظهر ولا يرى إلّا أنّه يعلم أنّه حاصل في قصر أبى على ابن رستم،

فلما كان اليوم الثالث تقدّم بإسراج الدوابّ ليعود من جرّين إلى داره وهى التى كانت لأبى على ابن رستم بالمدينة ولها باب إلى الصحراء وباب إلى المدينة. فأسرج الغلمان واجتمعوا بالباب وذلك بعد الظهر فنفس نغسة ونام فأبطأ ودخل وقت العصر واتفق أن شغبت دوابّ الغلمان وارتفعت أصواتها وأصوات من يزجرها ولم يمكن أن يفرّق بينها لاذحامها بالباب ولأنّ أكثرها بأيدي غلمان الغلمان^(٣) ينتظرون ركوب الأمير فركب الغلمان يركوبه. فانتبه مرداويج مذعوراً لما كان فى نفسه من إقدام الناس عليه بالأراجيف وسأل من يليه عن السبب فلم يعرفوا صورة الأمر. فقام بنفسه واطّلع على الدوابّ والشاكرية وإذا هم بأسرهم يصيحون لزجر الدوابّ والدوابّ قد سقط بعضها على بعض ولها [483] أصوات هائلة منكرة فارتاع

١. فى مط: على حبط، باهمال الأول.

٢. كذا فى الأصل ومط: لا نأنس. فى مد: لا تأمن، خلافاً للأصل.

٣. فى مط: غلمان (دون «الغلمان»).

ساعة حتّى عرف حقيقة الأمر. ثمّ سكن فسأل عن أصحاب الدوابّ فقيل : هم الغلمان الأتراك. فأمر أن تُحطّ السروج عن ظهور الدوابّ وتُجعل على ظهور الغلمان مع جميع آلتها ويدفع الدوابّ بأرسانها إليهم ليقودوها بأنفسهم إلى الاصطبلات. ففعلوا ذلك وكانت صورة قبيحة يُتطير من مثلها ويُتشاءم بها.

ثمّ ركب هو بنفسه مع خاصّته وهو يتوعّد الغلمان حتّى صار إلى منزله قرب العشاء وكانت طشة من مطرة بلّته. فلمّا دخل داره كانت كالخالية ليس فيها إلّا صبيان أصاغر^(١) وخادم أسود كان أستاذ أولئك الغلمان. فدخل الحّمّام يغيّر ثيابه وقد كان قبل ذلك بطش بغلمان أترك كبار فحقّدوه ولكن لم يكونوا يجدون أعواناً. فلمّا فعل بالجماعة ما فعل اغتنموا الصورة وانتهزوا الفرصة وقال بعضهم لبعض :

« ما وجه صبرنا على هذا الشيطان ؟ »

فاتفقوا على الفتك به. ولمّا دخل الحّمّام سألوا الغلام الذى يلى خدمته فى الحّمّام ألا يحمل معه سلاحه - وكان رسمه أن يُدخل معه إلى الحّمّام دشنيّاً ملفوفاً فى منديل - فقال الغلام :

« لا أجسر أن أتقدّم بين يديه وليس معى الدشنيّ. فاتفقوا على أن يكسروا حديدته [484] ويتركوا النصاب فى الجفن ثمّ يُلَفّ فى المنديل حتّى لا ينكر الصورة ويتركه فى زاوية الحّمّام على الرسم. ثمّ هجم عليه جماعة والخادم الأسود جالس على كرسيّ بباب الحّمّام. فلمّا رأهم ثار فى وجوههم وصاح بهم فضربه بعضهم بسيفه فاتقاه بيده فطاحت من الذراع وسقط، وهجم القوم وارتفعت الضجّة فأحسّ مرداويج بالشرّ فبادر فسد^(٢)

١. فى الأصل ومد: صبيان الأصاغر. وفى مط: الصبيان الأصاغر.

٢. فى مط: فسّد.

الباب من داخل بسرير - وكان يجلس عليه - بعد أن طلب الدشتى فلم يجده ودفع الغلمان الباب فتعذر عليهم فصعد نفر منهم إلى قبة الحمام فكسر الجامات ورموه بالنشاب فدخل البيت الحار وأخذ في مداراتهم وضمن لهم كل جميل فكأنهم تهيّبوه ساعة ثم علموا أنّ الغاية التي بلغوها منه ليس يجوز أن يكون بعدها صلح. فحمل بعضهم على ناحية الباب الذي وراءه السرير حتى كسروه ودخلوا عليه، فشق بعضهم جوفه بسكين معه وضرب هو وجه بعضهم بكرنيب فضة في يده فأثر فيه أثراً قبيحاً وخرجوا من عنده وعندهم أنّه قد فرغوا منه. فقال لهم رفقائهم الذين كانوا خارج الحمام:

- «ما صنعتم؟»

قالوا: «شقنا جوفه.»

فقال أحدهم:

- «عودوا إليه [485] فحزّوا رأسه.»

وإنما فعلوا ذلك لأنّه كان اتفق في تلك الأيام أنّ بعض الفرّاشين في الدار شقّ بطنه بجراحة فخيّط الجرح وعولج فسلم فخافوا أن يجرى ذلك المجرى فحزّوا رأسه.

وقيل: إنه لما عاودوه قد جمع حشوة بطنه وردّها وقبض عليها بشماله وقاتل بكرتيبه ساعة حتى فرغ منه. فلما طرحوا رأسه في الدار بادروا إلى الإصطبلات فأسرجوا الدوابّ وأوكفوا البغال واحتملوا من الخزائن ما أمكنهم من المال والسلاح ورحلوا.

وفي خلال ذلك تهيّأ لبعض من في الدار تسوّر الحيّطان، فدخلوا المدينة وقد جنّهم^(١) الليل، فخبّروا الجند والقوّاد بما جرى وهم سكارى متفرقون

١. في مط: جهنّم الليل (١).

واجتمع بعضهم وأوقدوا النيران وضربوا بالبوقات وأسرجوا الدواب وأخذوا السلاح وساروا إلى الصحراء لينقلبوا إلى الباب الذي منه المدخل فإلى أن يفعلوا ذلك فاتهم الغلمان ولم يجدوا غير غليمة أصغر لا ذنب لهم فقتلوا منهم عدة ثم كفوا عنهم. وخشى أهل الرأي من حشمه أن تنتهب الخزائن. فأشار العميد بإحراقها وهدم البنيان عليها فسلم [486] المال وأكثر الذخائر لأن المتهمين حضروا والنار والدخان ثائرة في الموضع فلم يصلوا إلى شيء.

هروب ركن الدولة

وكان ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه رهينة عند مرداويج من جهة أخيه علي بن بويه عماد الدولة. فلما أحس بالصورة دارى الموكلين به وضمن لهم ضمانات كثيرة فساعده حتى هرب بعد ليلة من قتل مرداويج.

اتفاق عجيب اتفق له في هربه

لما خرج بقيوده إلى الصحراء وجلس ليكرها أقبلت بغال عليها تبين وعليها أصحابه فنكسهم وركب هو ومن معه البغال وحثها حتى سلم وفات الطلب.

مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی

افتراق الأتراك فرقتين

فأما الأتراك فافترقوا فرقتين: أما فرقة فسلخوا نحو فارس مستأمنين إلى علي بن بويه وفيهم خجج الذي سملته توزون لما ملك العراق. وأما فرقة فسلكت الجبل وهي الأكثر عدداً وفيهم بجكم الذي ملك الأمر بالعراق وتقلد إمارة الأمراء بها في أيام الرازي وسنذكر من أخباره ما يليق بهذا الكتاب.

ما كان من أمر أصحاب مرداويج

فأما ما جرى عليه أمر أصحاب مرداويج فإن أبا مغلدة كان يتحدث - وكان من خدم مرداويج وصاحب دولته - أن تابوت مرداويج حُمل إلى الرى. وقال: [487] فما رأيت يوماً أعظم من اليوم الذى دخل فيه تابوته الرى وذاك أن الجبل والديلم بأجمعهم ساروا مشاة حفاة معه أربعة فراسخ. وذكر أنه كان أخوه وشمكير ماشياً معهم ثم مضوا من إصبهان على بكرة^(١) أبيهم معه إلى الرى وكان الناس لا يشكون أنهم يستأمنون إلى على بن بويه فبطل هذا الظن وقال:

- «لم أر قطّ عسكرياً هلك صاحبه فوفى له رجاله وجنده بغير درهم ولا دينار ذلك الوفاء فإنهم صاروا إلى أخيه وشمكير على هذه الحال.»

وعرف شيرج أن إصبهان خالية - وكان بالأهواز من قبله - فسار للوقت إلى عسكر مكرم وستر الخبر وكان بها هرجام الجيلى فأسرّ إليه بالخبر وأخذه معه ثم سار إلى تستر وبها جيلى وكان وجهاً كبيراً فحدثه وأخذه معه وقصد جنديسابور وبها إسماعيل الجيلى وكل واحد من هؤلاء نظير لشيرج، فأطلعه على الأمر وسار بمسيره فصارت الجماعة إلى السوس وبها عبد الله بن وهبان القصباني البصري عامل كور الأهواز من قبل مرداويج والشابشتى الحاجب وكان ثقة مرداويج وكان رتبهم مرداويج على ما ذكر أبو مغلدة على أن يتوجه [488] شيرج إلى واسط ثم إلى بغداد وكان مرداويج ينتظر خروج الشتاء فى سنة ثلاث وعشرين فيقصد أرجان أولاً ثم يناجز على بن بويه. فإذا فرغ منه عدل إلى الأهواز ثم منها إلى السوس وينفذ معظم خيله إلى

١. كذا فى الأصل ومط: بكرة. وفى مد: مكبرة، وهو خطأ.

شيرج ليتقدمه إلى واسط.

نوايا مرداويج

وكان في نفسه أن يملك بغداد ويعقد التاج على رأسه ويعيد ملك الفرس فعوجل بالقتل. فسار عسكره كله كما ذكرنا مع شيرج والشابشتي وابن وهبان من السوس إلى الري على طريق شابرخواست والكرج يريدون وشمكير أخاه ما عارضهم معارض ولا أقدم أحد على منابذتهم والإفساد عليهم. ولما حصلوا بها بايعوه واستوزر وشمكير ابن وهبان وشكر له حسن تصرفه لأخيه بالأهواز.

وكان مرداويج يوم قلده الأهواز أرزقه ألفي دينار في الشهر وقال له :
- «إن نصحت وأدبت الأمانة استوزرتك بالحضرة ونصبت الرايات بين يديك إلى باب نصيبين، وإن خنتني وشرهت نفسك فإن كركرتك كبيرة ومعدتك عظيمة والحلاوات بالأهواز كثيرة فهذا دشني ترى انبساطه وحده والله لاشقن به بطنك هذه [489] الكبيرة.»
فقال له :

- «ستعلم أيها الأمير كيف أنصح وأؤدى الأمانة وأنى مستحق لاصطناعك.»

وكان هذا الرجل من أهل البصرة وله أب قصباني وإنما تقلد في أيام ابن الخال همذان. فلما انهزم ابن الخال من وقعة مرداويج وقصد الحضرة لانتزاع الرئاسة من محمد بن ياقوت وجرى عليه ما جرى حصل مرداويج بهمذان ووقع في يده ابن وهبان فعفا عنه واستعمله فنفق عليه.

وكانت كتب مرداويج ترد على ابن وهبان أن يعد له ايوان كسرى منزلاً إذا تقدمه إلى الحضرة ويعمره ويعيده كهيئته قبل الإسلام وأنه معتقد للمقام

بواسطة إلى أن يُستتم ذلك وأنه يراه وشيرج مع من معهما أكفاء لمن بالحضرة من ابن ياقوت والحجرية والساجية وسائر الأصناف وأنه مستغن عن أن يلقاهاهم بنفسه.

وكان قد صاغ تاجاً عظيماً ورصعه بالجوهر. وذكر أبو مخلد أنه رآه قبل الحادثة بأيام جالساً على سرير ذهب قد جعل عليه منصة عظيمة وتفرد بالجلوس عليه وجعل دونه سرير فضة وعليه فرش مبسوط ودون ذلك كراسي كبار مذهبة [490] وغير ذلك ليرتب أصحاب الأقدار^(١) مراتبهم في الإجلال. قال: وكان الكافة من الناس بالبعد قياماً ينظرون إليه ما ينطقون إلا همساً إعظماً له وإكباراً لقدره.

وفيها وقع بين أصحاب ياقوت ومحمد بن رائق شرّ فاقتتلوا وقتل بينهم خلق.

وفيها قبض على المظفر ومحمد ابني ياقوت

بتدبير أبي علي بن مقلّة

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن أبا علي كان قلقاً من غلبة محمد بن ياقوت على سير الأمور ونظره في جباية الأموال وحضور أصحاب الدواوين مجلسه وتفرد به بما يعملّه الوزراء وعطلته هو، إلى أن تمّ تدبيره عليه. فلما كان يوم الإثنين لست خلون من جمادى الأولى ركب القواد إلى دار السلطان على رسمهم في أيام المواكب وحضر الوزير أبو علي ابن مقلّة وأظهر الراضى أنه يريد أن يقلّد جماعة من القواد عدّة نواح من المملكة ويخلع عليهم. وحضر

١. كذا في الأصل ومط: الأقدار. وفي مد: الأوزار، وهو خطأ.

محمّد بن ياقوت للخدمة وأبو إسحاق القراريطى كاتبه معه وجلسوا على رسمهم فى الصحن التسعينى. ثم خرج الخدم إلى محمّد بن ياقوت فعرفوه أنّ الخليفة يطلبه فقام مبادراً. [491] فلما دخل عدل به إلى حجرة قد أعدت له وأخذ سيفه ومنطقته ووكل به. ثم خرج الخدم إلى أبى إسحاق القراريطى فعرفوه أنّ صاحبه يطلبه. فلما دخل عدل به إلى حجرة أخرى وحُبس^(١).

ووجه بقوم إلى دار المظفر بن ياقوت فقبض عليه وحمل إلى دار السلطان وحُبس مع أخيه وكان وجد قريباً من السكر لأنه كان يشرب ونفذت حيلة الوزير أبى علىّ عليهم وتقدّم إلى الغلمان الحجرية والساجية أن يصيروا إلى دار السلطان وأن يضربوا مضاربهم فى بابى الخاصة والعامة ليحفظوا الدار وأمر مفلح الأسود أن يصير إلى دار محمّد بن ياقوت..^(٢) وخُلع عليه وسُلم القراريطى إلى الوزير أبى علىّ فأخذ خطّه بخمسمائة ألف دينار ثم تقرر أمره على ثلاثة آلاف ألف درهم.

وانحدر ياقوت من واسط إلى السوس بجميع أصحابه وكتب إلى الرازي بالله كتاباً فى أمر ابنه يستعطفه فيه لهما ويرقق قلبه عليهما ويسأله الإحسان إليهما وتجديد الصنعة عندهما وعنده فيهما وأن يلحقهما ليعاوناه على أمره ويكونان^(٣) معه فى حروبه.

ولما زال أمر محمّد بن ياقوت وتفرد أبو علىّ بالتدبير استخلف ابنه أبى الحسين [492] على جميع الدواوين والأعمال وصارت مكاتبة جميع أصحاب الدواوين له وانفذهم الأعمال إليه. فصار يعزل ويولّى ويحلّ ويعقد وصار إليه أبو عبد الله أحمد بن على الكوفى وطرح نفسه عليه وارتسم

١. فى مط: جلس.

٢. سقط بعض الألفاظ من الأصل ومط.

٣. ويكونان: كذا فى الأصل ومط.

بكتابه وكان يكتب لأبي إسحاق القراريطي وكان مستولياً عليه فقبله أبو علي واختص به وبابنه.

وشغب الجند وطالبوا بأرزاقهم وصاروا إلى دار الوزير أبي علي ونهبوا اصطبلاته وأخذوا من بابه من كان في مجلسه ونكسوا جماعة ممن لقيهم من الكتاب عن دوابهم وأخذوها منهم فأطلق لهم أرزاقهم وسكنوا.

وفيها قوى أمر أبي عبد الله البريدي واستفحل أمره
ذكر أسباب ذلك

كان أبو عبد الله البريدي ضامناً أعمال الخراج والضياح بالأهواز. فلما وافاها شيرج بن ليلي الديلمي من قبل مرداويج خرج إلى البصرة بعد هزيمة ياقوت وغلامه مونس كما كتبناه قبل وأقام يدبر أسافل الأهواز إلى أن قرر له محمد كتابة ابنه. فخرج معه إلى واسط فبينما هو معه يدبر أمره إذ ورد [الخبر] ^(١) بالقبض [493] على محمد والمظفر ابني ياقوت فارتاع ياقوت من ذلك ارتياعاً شديداً.

وكتب أبو علي ابن مقله إلى أبي عبد الله البريدي: أن يسكنه ويعرفه أن الجند اضطربوا وتطيروا ^(٢) لهما وشغبوا مراراً كما بلغك. ثم أرسلوا للخليفة بأنه إن لم يقبض عليهما أحدثوا في الملك حادثة عظيمة واضطر إلى أن يرضيهم بما أمضاه فيهما وأنه يتلافى أمرهما عن قرب وينفذهما إليه وأن الرأي أن يبادر هو لفتح فارس.

فخرج ياقوت من واسط على طريق السوس إلى عسكر مكرم وأخرج أبو عبد الله البريدي معه أبا الحسن ابن حميد البصري ليخلفه على كتابته وكان

١. ما بين المعقوفين زدناه من مط.

٢. في مط: وتغيروا.

صنيعته وأخرج أبا زكريا يحيى بن سعيد السوسى لخدمته فى بلده، فدخل ياقوت عسكر مكرم وهما معه. ثم وافى أبو عبد الله البريدى من طريق الماء إلى الأهواز وورد بعده أبو يوسف أخوه وكان إليه السوس وجنديسابور شركة بينه وبين أخيه أبى الحسين. وادّعى أنّ مال سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة احتمله شيرج بن ليلى وأنّ النواحي معطّلة الإرتفاع فى السنة التى بعدها فأنفذ أبو علىّ ابن مقلّة ابن عينوّه^(١) لكشف ذلك [494] وطابقهما وكتب يصدّقهما.

فكانت هذه الفتنة نعمة على أبى عبد الله وأبى يوسف البريديّين فإنّه تحصّل لهما بها ومما بعدها إلى وقت انهزامهما من الأهواز على ما حدّث به أبو الفرج ابن أبى هشام أربعة آلاف ألف دينار خرجا بها على السلطان ثمّ قصدا عسكر مكرم للإجتماع مع ياقوت فوافياها وتلقاهما فى الموضع المعروف بفوهة النهرين وسيّراه إلى أرجان لفتح فارس.

خروج توقيع من الراضى بالله

وفىها خرج توقيع الراضى بالله بأن تكون المخاطبة والمكاتبة من جميع الناس لأبى الحسين علىّ بن محمد بن مقلّة بالوزارة وكان سنّه إذ ذاك ثمانى عشرة سنة وأن يكون الناظر فى الأمور صغيرها وكبيرها وتقدّم إلى جميع أصحاب الدواوين بذلك وخلع على أبى الحسين خلع الوزارة وخطب بها وحمل على شهرى وانصرف من دار السلطان على الظهر ومعه القوّاد والجيش والخدم وأصحاب الدواوين.

وانصرف أبو علىّ فى طيّاره إلى منزله وصار إليه ابنه بالخلع وطُرح له

١. عينوّه: كذا فى الأصل. ما فى مط مهمل تعاماً.

مصلّى في مجلس أبيه ودخل الناس معه وهتّوا أبا عليّ وأنشده الشعراء وأمر أبو الحسين ونهى ووقع [495] وصار طرح المصلّى في مجلس أبيه رسماً له. وخرج رسم أبيه إلى جميع أصحاب الدواوين ألاّ ينفذوا توقيعاً له إلاّ بعد عرضهم إيّاه على ابنه أبي الحسين واستيعاره فيه وأخذ توقيعاً بخطه فيه بامثاله.

وشغب الفرسان شغباً بعد شغب وكانوا يأخذون دوابّ الناس من باب الوزير.

وفيهما ركب بدر الخرشني فنأدى في جانبى بغداد في أصحاب أبي محمّد البربهاري الحنبلية ألاّ يجتمع منهم نفسان في موضع واحد وحبس جماعة منهم واستتر البربهاري وكان سبب ذلك كثرة تشرّطهم على الناس وإيقاعهم الفتن المتصلة.

وخرج توقيع الراضى بالله إلى الحنبلين بما نسخته :

- «بسم الله الرحمن الرحيم. من نافق بإظهار الدين وتوثّب على المسلمين وأكل به أموال المعاهدين كان قريباً من سخط ربّ العالمين وغضب الله وهو من الضالين. وقد تأمل أمير المؤمنين أمر جماعتكم وكشفت له الخبرة عن مذهب صاحبكم [فوجدته كإبليس اللعين يُـ] ^(١) زَيْن ^(٢) لحزبه المحظور ويُدلّى لهم حبل الغرور. فمن ذلك: تشاغلكم بالكلام فى ربّ العزة تباركت أسماؤه وفى نبيّه والعرش [496] والكرسى، وطعنكم

١. بياض فى الأصل وما بين المعقوفين زدناه من مط.

٢. فى مط: يدبّر، بدل «يزين».

على خيار الأئمة ونسبكم شيعة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكفر والضلال، وإرصادهم بالمكاريه فى الطرقات والمحال، ثم استدعواكم المسلمين إلى الدين بالبدع الظاهرة، والمذاهب الفاجرة التى لا يشهد بها القرآن، ولا يقتضيها فرائض الرحمن، وإنكاركم زيارة قبور الأئمة صلوات الله عليهم، وتشنيعكم على زوارها بالإبتداع، وإنكم مع إنكاركم ذلك تتلفقون وتجتمعون لقصد رجل من العوام ليس بذى شرف ولا نسب ولا سبب برسول الله صلى الله عليه وسلم، وتأمرون بزيارة قبره والخشوع لدى تربته والتضرع عند حفرتة.

- «فلعن الله رباً»^(١) حملكم على هذه المنكرات ما أرداه^(٢)، وشيطاناً زينها لكم ما أغراه، وأمير المؤمنين يقسم الله قسماً جهداً أليته يلزمه الوفاء به، لئن لم تنصرفوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريقكم ليوسعنكم ضرباً وتشريداً وقتلاً وتبديداً وليستعملن السيف فى رقابكم، والنار فى محالكم ومنازلكم فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فقد [497] أعذر من أنذر، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله، عليه يتوكل وإليه ينيب.

شغب الجند

وفى شغب الجند وصاروا إلى دار الوزير فوقع النهب فى خزانه له فيها

١. رباً: كذا فى الأصل. وما فى مط: دماء (؟).

٢. فى مط: ما أراد.

زجاج مخروط وبلور وصيني وغير ذلك فدخلوا الدار وشغبوا فيها وخرج
الوزيران عن دورهما وصارا إلى الجانب الغربي.

وكان الوزير أبو علي نفى الخصيبي وسليمان بن الحسن إلى عُمان وكاتب
صاحب عمان بحبسهما والتضييق عليهما فأطلقهما ووردا بغداد مستترين
فورد علي الوزير من ذلك ما أقلقته وكبس عليهما عدّة مواضع فلم يظفر بهما.

خروج ابن مقله إلى الموصل

وفيها قتل الحسن بن عبد الله بن حمدان عمّه أبا العلاء سعيد بن حمدان
وخرج لذلك أبو علي ابن مقله إلى الموصل.

ذكر السبب في ذلك

كان أبو العلاء شرع في تضمّن الموصل وديار ربيعه فضمّن ذلك سرّاً
وخلع عليه وأظهر أنّه ينفذ^(١) إلى الموصل لمواقفة ابن أخيه أبي محمّد علي
ما عليه من مال الضمان ومطالبته بحمله وشخص في نحو خمسين غلاماً من
غلمانه. فدخل الموصل وعرف ابن أخيه خبر موافاته [498] فخرج نحوه
مظهراً لتلقّيه واعتمد أن يخالفه الطريق فلا يراه ومضى أبو العلاء إلى دار أبي
محمّد فنزلها وسأل عن خبره فعرف أنّه خرج ليتلقّاه فجلس ينتظره. فلما
علم أبو محمّد أنّ عمّه قد حصل في داره وجّه بغلمانه فدخلوا إلى أبي العلاء
إلى البيت الذي كان فيه فقبضوا عليه وقيدوه. ثمّ وجّه بقوم علوه بأسيا فهم
وقتلوه ولم يقع بينه وبين ابن أخيه لقاء.

وورد الخبر بذلك إلى الراضى فأنكره وتقدّم إلى الوزير أبي علي بالتأهب

١. ينفذ: كذا في الأصل. وفي مط: يتقلّد. وهو خطأ.

للخروج إلى الموصل والإيقاع بالحسن بن عبد الله بن حمدان والنائب عنه بالحضرة. فذكر أن علي بن عيسى كتب إلى الحسن بن عبد الله بن حمدان بخطه عن أمير المؤمنين الرازي بالله بالإنفراج عن ضمانه وألا يحمل شيئاً إلى الحضرة من ماله وأن يمنع من حمل الميرة إلى بغداد فأخذ أبو علي ابن مقله خطه بذلك وأحضر جماعة من الشهود حتى شهدوا عليه.

وسلم الوزير الكتاب إلى ابن سنجلا ليعرضه على الرازي بالله. فلما كان من غد وهو يوم الأربعاء انحدر الوزير أبو علي إلى دار السلطان وانصرف إلى منزله. فوجه الرازي براغب وبشرى خادميه إلى علي بن عيسى فحملاه إلى الوزير [499] أبي علي فلم يوصله إليه واعتقله في حجرة من داره وراسله علي بن أحمد بن علي النوبختي وعرفه ما أشهد به سهل بن هاشم على نفسه وأن الخليفة أنكر فعله. وما زالت المراسلات تتردد بينهما إلى أن ألزمه أبو علي مصادرة خمسين ألف دينار على أن يجعل في باب أبي جعفر بن شيرزاد صاحب ديوان النفقات للأتراك عشرة آلاف دينار وتؤخذ منه عقار وضياع بعشرة آلاف دينار فالتزم أبو الحسن ذلك.

فيقال: إن طليبا^١ الهاشمي كان قال لعلي بن عيسى عن الرازي بالله أن يكاتب الحسن بن عبد الله عنه ويتوسط بينهما على أن يحمل إليه سراً سبعين ألف دينار في نجوم، وشرط عليه الحسين أن يحميه ويمنع منه ومن تشعيث أمره ويقره على ضمانه ولا يقبل زيادة عليه فحمل بعض تلك النجوم وأخر باقيها وأنكر الخليفة كل ما جرى في هذا الباب وذكر أنه لم يصل إليه شيء. وأخرج مضرب الوزير أبي علي وخرج على مقدمته نقيط الصغير وابن بدر الشرابي وجماعة من الحبرية وغيرهم وخلف ابنه الوزير أبا الحسين

١. في مط: طليبا، بدل «طليبا».

بالحضرة فى خدمة السلطان وتدير الأمور. وقبل شخوصه أطلق [500] أبا الحسن على بن عيسى وأخرجه إلى ضيعته بالصافية وأحلفه على أنه لا يسعى فى مكروهه ولا يتكلم فيه بما يقدح فى حاله ولا فيما يفسد أمره ولا يسعى فى الوزارة لنفسه ولا لغيره من سائر الناس. فحلف وخرج من وقته إلى الصافية.

ولما قرب الوزير أبو على من الموصل رحل عنها أبو محمد وتبعه الوزير إلى أن صعد جبل التنين ودخل بلد الزوزان فعاد حينئذ أبو على إلى الموصل وأقام بها يستخرج مال البلد ويستسلف من التجار المجهزين للدقيق مالا على أن يطلق لهم به غلات البلد فاجتمع له من ذلك أربعمئة ألف دينار.

ولما طال مقام الوزير بالموصل احتال سهل بن هاشم كاتب أبى محمد بن حمدان فبذل للوزير أبى الحسين ابن الوزير أبى على عشرة آلاف دينار حتى كتب إلى أبيه بأن الأمور بالحضرة قد اضطربت عليه وأنه متى تأخر وروده الحضرة لم يأمن حدوث^(١) حادثة يُبطل بها أمرهم.

فانزعج الوزير من ذلك وقلد على بن خلف بن طناب أعمال الخراج والضياح بالموصل وديار ربيعة وقلد أعمال معاون بها ما كرد الديلمى من الساجية وتقدم بتوفية التجار ما استسلفه منهم من المال، وانحدر [501] إلى الحضرة وخرج لتلقيه الأمير أبو الفضل وأصحاب الدواوين والقواد ولقى الخليفة وانصرف إلى منزله وخلع عليه من الغد وعلى ابنه خلع منادمة وحمل إليهما الطاف وشراب وطيب وبلور.

وكان الوزير أبو على كتب إلى الوزير ابنه قبل أن ينحدر من الموصل بإزالة التوكيل عن أبى الحسن على بن عيسى وأن يكتب إليه أجمل خطاب

١. يونس (يونس): كذا فى الأصل. وفى مط: يونس.

ويخيره بين الإنصراف إلى مدينة السلام وبين المقام بالصافية، فكتب إليه الوزير أبو الحسين بذلك.

وكان السبب فيما كتب به الوزير أبو علي من ذلك أنه كان كتب إلى أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان كتاباً يدعو فيه إلى الطاعة ويبذل له الأمان فقبل الكتاب وقال للرسول :

- « ليس بيني وبين هذا الرجل عمل - يعني ابن مقله - ولا أقبل ضمانه لأنه لا عهد له ولا وفاء ولا ذمة ولا أسمع منه شيئاً. اللهم إلا أن يتوسط أبو الحسن علي بن عيسى بيني وبينه ويضمن لي عنه فاسكن إلى ذلك وأقبله. »
وكان أبو عبد الله أحمد بن علي الكوفي مقيماً بالحضرة في وقت خروج أبي علي ابن مقله إلى الموصل ويلزم مجلس الوزير أبي الحسين يظهر له النصيحة والموالة ويجتهد [502] في التخلص منه والبعد عنه إلى أن ورد كتاب أبي عبد الله البريدي يونس^(١) فيه من حمل مال إلى الحضرة في ذلك الوقت. فغلظ علي الوزير أبي الحسين ذلك لأنه كان أعد ما يحمله لوجهه فأقرأ أبا عبد الله الكوفي كتاب البريدي فاستعظم ما فيه وأشار بأن يخرج هو إلى الأهواز ليواقف البريدي علي أمر الرجال الذين أحال بصرف المال إليهم ويعرضهم ويطلق ما يجب لهم ثم يحمل إلى الحضرة مالا عظيماً ويحمل ساعة وصوله مائة ألف دينار يوم ربي

فكتب الوزير أبو الحسين إلى أبي عبد الله البريدي بأنه لا يقبل في تأخر المال عنه عذره وقد أحوجه إلى إنفاذ أبي عبد الله أحمد بن علي الكوفي لمواقفته علي أمر المال ومطالبته بحمله ونفذ الكتاب وتبعه أحمد بن علي إلى الأهواز. فلما حصل عند أبي عبد الله البريدي لم يمكنه مخالفته علي ما

١. في مط: يونس. وهو خطأ.

يريد وكتب أنه لم يتمكن من عرض الرجال ولا الموافقة^(١) على أمر المال، وأقام عنده إلى أن نظر أبو بكر ابن رائق في الأمور بالحضرة. واستوحش أبو عبد الله الكوفي من البريدى وخافه وأراد البعد منه وخاف بوادره فأطعمه في إفساد أمر الحسين بن عليّ النوبختى [503] مع ابن رائق. وكان الحسين بن عليّ من أعدى الناس للبريديين فقبل منه وأطلقه وواقفه على ما يعمل به ويبدله من المال لإزالة أمر الحسين بن عليّ النوبختى. وكان أبو عبد الله الكوفي عند مقامه عند أبي عبد الله البريدى يُصغّر^(٢) في نفسه أمر الحضرة ويصف له إدارها بسوء تدبير ابن مقلّة وإبطاله مال واسط والبصرة بابن رائق وبايقاعه بينى ياقوت وما دبّر في أمر الحسن ابن عبد الله بن حمدان وباجتثائه أصل الخلافة دفعة واحدة وقال في ذلك وأكثر وقال في عرض ذلك :

- «هو الذى جرّأ الغلمان الحجريّة على ابن ياقوت فهم بعد أشدّ جرأة عليه وأنّ هلاكه ليس يبعد.»

فوقع ذلك من البريدى أحسن موقع واختصّ الكوفى ولم يستكتبه بل كان يشاوره ويكرمه ويعاشره.

فذكر أبو الفرج ابن أبى هشام أنّ أبا عبد الله الكوفى قال له بواسط فى أيام سيف الدولة تقيت كتابتير علومى

- «ما مرّ لى عيش أطيب من عيشى مع البريدى فإننى أقمت عنده نحو سنة غير متصرّف ولا داخل تحت تبعة ولا تعب بنظر فى عمل ولقد عاشرنى أجمل عشرة ووصل إلّى منه عيناً وورقاً ومن [504] قسيمة العروض التى أنفذها إلّى خسمة وثلاثون ألف دينار ولم أخرج من الأهواز إلّا وأنا مستقلّد

١. فى مط: الموافقة.

٢. فى مط: يضع، بدل «يصغّر».

كتابة ابن رائق وقد كفيت أمر ابن مقلّة بالقبض عليه وكان غير مأمون. والحمد لله الذي لم يخرجّه من الدنيا حتّى دمر عليه كتدميره على الدنيا. ألحق الله ابنه به فإنّه شرّ منه لأنّ ما كان في أبيه فهو فيه من وقاحة وقساوة وخسة وكان الأب على عيوبه ربّما رحم وأكرم على حاشيته وأهل داره دون الغرباء ولكنّ هذا ناصر الدولة مجتهد في أن يغزّه ويحصّله وإن حصل رجوت أن يسلمه، فإنّ في نفسه عليه وعلى ابنه العظائم.»

وأطلق الكوفي لسانه بهذا كلّ في مجلسه وليس بين يديه غيرى وغير أبى على ابن صفية كاتبه النصراني.

وأظهر أبو عبد الله البريدي بالأهواز كتاباً من أبى على ابن مقلّة بخطّه إليه يقول فيه :

- «الويل للكوفي العاص»^(١) متى أنفذته ليصلحك لي فأفسدك على وأطمعك وأصغيت بالشره إليه والله لأقطعن يديه ورجليه فأما أنت فأرجو ألاّ تُصرّ على كفر نعمتي وإحساني إليك وأن تُنيب [505] بك الرؤية إلى رعاية حقوق اصطناعى لك فترضينى من نفسك وتعيننى فى مثل هذه الحالة الصعبة التى لم يدفع من جلس مجلسى فى دولة من الدول إلى مثلها وأن تجيرنى ممّا قد أظلمنى بمال تحمله فتحفظ به نعمتك التى احدهما فى يدى والأخرى فى يدك إن شاء الله.»

ولمّا انحدر أبو على ابن مقلّة من الموصل عاد أبو محمّد عن الزوزان إليها وحارب ماكرد الديلمى وانهزم الحسن بن عبد الله ثمّ عاود محاربته وكانت الوقعة بينهما على باب الروم من أبواب نصيبين فانهزم ماكرد إلى الرقة وانحدر منها فى الفرات إلى بغداد وانحدر على بن خلف بن طناب وتمكّن

١. كذا فى الأصل: العاص. فى مد: الفاض. وفى مط: العاصى.

الحسن بن عبد الله من الموصل وديار ربيعة وكتب إلى السلطان يسأل الصفح عنه وأن يضمن نواحيه فأجيب إلى ذلك وضمنها.

ووافى التجار الذين استسلف أبو عليّ مالهم ولم يوفوا الغلات التي ابتاعوها فطالبوا أبا عليّ برّد أموالهم عليهم فدفعته الضرورة إلى أن يسبّب لهم على عمّال السواد بعض مالهم ودافعهم ثمّ باع عليهم بالباقي ضياعاً سلطانية فلم يحصل لخرجته كبير فائدة بعد الذي ردّ على التجار [506] وبعد الذي أنفق على سفره والجيش الخارج معه.

اعتراض أبي طاهر القرمطى للحاجّ

وفي هذه السنة حجّ الناس فلما بلغوا القادسيّة اعترضهم أبو طاهر القرمطى وكان مع الحاجّ من قبل السلطان لؤلؤ غلام المتهمشّم. فظنّ لؤلؤ أنّهم أعراب فحاربهم أهل القوافل شيئاً كثيراً وسأل عمر بن يحيى العلوى فيمن دخل القادسيّة فأمنهم ثمّ تسلّلوا من القادسيّة وبطل الحجّ في هذه السنة. وصار أبو طاهر إلى الكوفة وأقام بها.

انقضاء الكواكب

وفي تلك الليلة بعينها انقضّت الكواكب من أوّل الليل إلى آخره ببغداد والكوفة وما والاها انقضاضاً مسرفاً جداً لم يعهد مثله ولا ما يقاربهما. وشغب الجند وصاروا إلى دار الوزير فنقبوا عدّة مواضع ولم يصلوا لأنّ غلمان الوزير دفعوهم ورموهم بالنشّاب من فوق السور.

وفيها مات أبو بكر محمّد بن ياقوت في الحبس في دار السلطان بنفث الدّم فأحضر القاضي أبو الحسين عمر بن محمّد ومعه جماعة وأخرج إليهم

محمد بن ياقوت حتى فتشوه ومدّوا لحيته وعلموا أنّه مات حتف أنفه. ثمّ تسلّم إلى أهله وباع الوزير ضياعه وأملاكه وقبض على أسباب محمد بن ياقوت كلّهم. [507]

استيـمان غلمان مرداويج

وفي هذه السنة قلّد الوزير أعمال الجبل أبا عليّ الحسن بن هارون وخرج إليها فلما حصل بها استأمن إليه غلمان مرداويج الأتراك الذين قتلوه في الحماّم فقبلهم وكانوا ثلاثمائة غلام. فلما كان بعد مدّة شغبوا عليه وطالبوه بالأرزاق وقبضوا عليه وقيدوه ثمّ أطلقوه. ولما ورد الخبر بالقبض عليه قلّد الوزير مكانه أبا عبد الله محمد بن خلف النيرمانى وبلغ ذلك الحسن بن هارون فخافه للعداوة بينهما واستتر وصار إلى بغداد مستتراً وأقام على استتاره مدّة. ثمّ راسل الوزير أبا عليّ وقرّر أمره على مصادرة أوقعها بخمسة عشر ألف دينار فلما تقرّر أمره ظهر وأقام محمد بن خلف في الجبل مُدَيِّدَةً^(١).

وأقبل غلمان مرداويج وفيهم بجكم إلى جسر النهر وان وراسلوا السلطان فأمرهم بدخول الحضرة فدخلوا وعسكروا بالمصلّى. واضطربت الحجريّة وظنّوا أنّها حيلة عليهم فاجتمعوا وطالبوا الوزير أبا عليّ بأن يرضيهم ويردّهم فاستدعى جماعة من وجوههم وواقفهم على أن ينضمّوا إلى محمد بن عليّ غلام الراشدي ويقلّده الجبل ويطلق لهم أربعة عشر ألف دينار نفقات لهم ثمّ يسبّب مالهم [508] على أعمال الجبل فقالوا:

«ننصرف ونعلم باقى أصحابنا ذلك.»

١. فى الأصل ومط: ومدّ يده (بالضبط). وفى مد: مُدَيِّدَةً وهو الصحيح.

فلما انصرفوا لم يقنعوا وكان خبرهم قد اتصل بأبي بكر ابن رائق بواسط وهو متقلد أعمال معاون بها وبالبصرة فكاتبهم فراسلهم واستدعاهم ووعدهم الإحسان. فمالوا إليه واختاروه وساروا إليه فقبلهم وأثبتهم وأسنى لهم بالرزق ورأس عليهم بجكم وسمّاه: بجكم الرائقى، ورفع منه وموَّله وأحسن إليه وأفرط في ذلك وضمَّ جميع الغلمان إليه وتقدّم إليه بأن يكاتب كل من بالجبل من الأتراك والديلم بالمصير إليه ليثبتهم فصار إليه عدّة وافرة منهم فأثبتهم وضمَّهم إلى بجكم.

ودخلت سنة أربع وعشرين وثلاثمائة

عدّة حوادث

وفيهما أطلق المظفر بن ياقوت من حبسه في دار السلطان إلى منزله بمسألة الوزير أبي عليّ فيه، وحلف الوزير بالأيمان الغليظة على أنّه يواليه ولا ينحرف عنه ولا يسعى له في مكروه.

وفيهما قلّد الوزير محمّد بن طنج أعمال معاون بمصر مضافة إلى ما يتقلّد من أعمال معاون الشام وأدخل الراضى القضاة والعدول حتّى عرّفهم تقليده محمّد بن طنج وأمرهم بمكاتبة أصحابهم وخلطائهم بذلك [509] لتلا ينازعه أحمد ابن كيغلق فإنّه كان يتولّى مصر.

وفيهما قطع محمّد بن رائق حمل مال ضمانه عن واسط والبصرة إلى الحاضرة واحتجّ باجتماع الجيش عنده وحاجته إلى صرف المال إليهم.

وفيهما تمّت حيلة المظفر بن ياقوت حتّى قبض على الوزير أبي عليّ ابن مقلّة لأنّه صحّ عنده أنّه هو قتل أخاه وكان السبب في حبسهما وإزالة أمرهما.

ذكر هذه الحيلة على أبي علي ابن مقله

لم يزل يحبّ التشقى والأخذ بالثأر منذ أطلقه الوزير ولكنه يكتم ذلك إلى أن واقف الحجرية وضربهم عليه. وبلغ الوزير ذلك فأخذ يعتضد ببدر الخرشني صاحب الشرطة فقوى أمر بدر وواقفه^(١) على أن يستولى على دار السلطان فيحصل فيها ويمنع الغلمان الحجرية منها لأنه بلغه أنهم قد عملوا على المصير إلى الدار والمقام ففعل بدر ذلك وحصل هو وأصحابه بالسلاح في الدار ومنع الغلمان الحجرية من دخولها ولم يظهر الوزير أن الذي فعله بدر كان عن رأيه. ثم جمع بين الساجية وبين بدر حتى تحالفوا على معاونة بعضهم بعضاً.

فلما وقف المظفر بن ياقوت على ذلك ضعفت نفسه وأشار [510] الحجرية بالخضوع للوزير والتذلل له ولم يزالوا بلطفون للوزير ويتحققون بخدمته إلى أن انس بهم وسألوه صرف بدر وبذلوا له كلّ ما أراد من الطاعة والموالة له إلى أن انخدع وصرف بدرأ وأصحابه. فلما خلت دار السلطان منهم ومن الساجية تحالف الحجرية على أن تكون كلمتهم واحدة فصاروا بأجمعهم إلى دار السلطان وضربوا خيمهم فيها وحولها وملكوها وصار الرازي في أيديهم وحزبهم. فندم الوزير وعلم أن الحيلة تمت عليه فتقدم إلى بدر بأن يخرج إلى المصلّى في أصحابه من غير أن يعلم أحد أنه فعل ذلك برأى الوزير وأمره فخرج بدر وأثبت زيادة من الرجالة.

وبلغ ذلك الحجرية فطالبوا الرازي بالله أن يخرج معهم إلى المسجد الجامع في داره فيصلّي بالناس ليراه الناس معهم فيعلمون أنه في حزبهم.

١. كذا في الأصل ومط: واقفه. في مد: واقفه.

فخرج الراضى يوم الجمعة إلى المسجد الجامع الذى فى داره ومشى الغلمان بأسرهم بين يديه وحوله بالسلاح رجالة وصلّى بالناس وصعد المنبر وخطب وقال فى خطبته :

- «اللهم إنّ هؤلاء الغلمان بطانتى وظهارتى فمن أرادهم بسوء فأرده به ومن كادهم فكده..»

وقلّد بدر الخرشنى دمشق وأمره بالخروج إليها من المصلّى وألاً [511] يدخل البدر.

وكان المظفر بن ياقوت فى هذا كلّه يُظهر للوزير أنّه مجتهد فى الصلح ويُظهر له الخضوع وهو فى الباطن يسعى فى حنقه^(١) وقد قوى أمره بما فعله الراضى. ثمّ إنّ الصلح تمّ بين بدر الخرشنى وبين الحجرية فدخل من المصلّى إلى منزله وأقرّ بدر على الشرطة.

فلما انقضت هذه القصة أشار الوزير على الراضى بالله سرّاً أن يخرج بنفسه ومعه الجيش والحجرية والساجية ليدفع محمّد بن رائق عن واسط والبصرة وقال له :

- «قد انغلقت عليك هذه البلدان وهى بلدان المال بما فعله محمّد بن رائق من الإمتناع من حمل مال ضمانه ومتى رأى غيره أنّ ذلك قد تمّ له واحتمل عليه تأسّى به فذهب مال الأهواز فبطلت المملكة. فعمل الراضى على ذلك وتقدّم إليه بالعمل عليه فافتتح الوزير الأمر مع ابن رائق بأن ينفذ إليه ينال الكبير من الحجرية وما كرد الديلمى من الساجية برسالة من الراضى بالله يأمره فيها أن يبعث بالحسين بن علىّ النوبختى ليواقف على ما جرى على يده من ارتفاع واسط والبصرة.

١. فى حنقه: كذا فى الأصل. وفى مط: فى حفيته.

فلم يستجب ابن رائق إلى انفاذ الحسين ووهب للرسولين مالاً وأحسن إليهما وسألهما أن يتحملاً له إلى الخليفة رسالة [512] في السر وهي : أنه إن استدعى إلى الحضرة وفوض إليه التدبير قام بكل ما يحتاج إليه من نفقات السلطان وأرزاق الجند ومشى الأمور أحسن تمشئة وكفى أمير المؤمنين الفكر في شيء من أمره.

فلما قدم الرسولان خلوا بالرازي بالله بعد تأدية الرسالة الظاهرة فأديا الرسالة السرية فلم ينشط الرازي لتسليم وزيره وأمسك.

ولما رأى الوزير امتناع ابن رائق من تسليم الحسين بن عليّ عمل على أن يكون ظاهر خروجه إلى الأهواز لا إليه ولا لقصده ودبر أن يُنفذ إليه القاضي أبا الحسين برسالة من الرازي ليعرفه ذلك وأنه لم يأمن أن يقع له أن الخروج إنما هو إليه فيستوحش وأنه أنفذ القاضي ليكشف ما في نفسه وعزمه، وتوثق له بما يسكن إليه.

فلما كان يوم الإثنين لأربع عشر ليلة بقيت من جمادى الأولى وانحدر الوزير إلى دار الرازي بالله ومعه القاضي أبو الحسين ليوصله فيسمع من الرازي بالله الرسالة فلما حصل في دهليز التسعيني قبل أن يصل إلى الخليفة وشب الغلمان الحجرية ومعهم المظفر بن ياقوت به فقبضوا عليه ووجهوا إلى الرازي بالله يعرفونه قبضهم [513] عليه إذ كان هو المفسد المضرب ويسألونه أن يستوزر غيره. فوجه إليهم يستصوب فعلهم ويعرفهم أنهم لو لم يفعلوا ذلك لفعله هو ورد الخيار إليهم فيمن يستوزره فذكروا^(١) عليّ بن عيسى ووصفوه بالأمانة والكفاءة وأنه ليس في الزمان مثله. فاستحضره الرازي بالله وخاطبه في تقلد الوزارة فامتنع وتكره ذلك فراجعه الرازي بالله

١. كذا في مط: ذكروا. وفي مط: ذكر.

وخاطبه الغلمان فيه وطال الخطب معه فأقام على الإمتناع فقالوا :
- « فنشير بمن تراه. »

فأوماً إلى أخيه عبد الرحمن. فأنفذ الراضى بالله المظفر بن ياقوت إلى عبد الرحمن فأحضره وأوصله إلى الراضى وعرفه أنه قلده وزارته ودواوينه وخلع عليه وركب فى الخلع ومعه الجيش إلى داره وأحرقت دار أبى على.

وزارة عبد الرحمن بن عيسى

لما تقلد عبد الرحمن غلب على بن عيسى على التدبير فعلم أبو العباس الخصيبى وأبو القاسم سليمان بن الحسن وقد كنا ذكرنا أمرهما وما كان من نفى^(١) على بن مقله إياهما إلى عمان وتقدمه إلى يوسف بن وجيه صاحب عمان بحبسهما وأن يوسف بن وجيه أطلقهما فصارا إلى بغداد واستترا بها إلى أن [514] قبض أبو على ابن مقله.

فلما كان فى هذا الوقت أكرمهما عبد الرحمن الوزير وكانا يصلان معه إلى الراضى بالله مع أبى جعفر محمد بن القاسم الكرخى وأبى على الحسن بن هارون وعلى بن عيسى لا يتأخر أيضاً عن الحضور معهم وسلم أبو على ابن مقله إلى الوزير عبد الرحمن فضربه بالمقارع وأخذ خطه بألف ألف دينار ثم سلمه إلى أبى العباس الخصيبى فجرت عليه من المكاره والضرب والرهق أمر عظيم وحضر أبو بكر ابن قرابة بعد مدة فتوسط أمره وضمن ما عليه وتسلمه وكان أدى إلى الخصيبى نيفاً وخمسين ألف دينار.

وصرف بدر الخرشنى عن الشرطة لإنحراف الحجرية عنه وولى أعمال معاون بإصبهان وفارس لأن الحجرية كرهوا مقامه بالحضرة فخلع عليه

١. كذا فى الأصل ومط : نفى. وفى مد : نفى.

وأخرج مضاربه إلى ميدان الإشنان^(١) وأنفذ إليه اللواء وضمّ إليه الحسن بن هارون لتدبير أمر الخراج بهذه النواحي ثم توقف عن إمضاء هذا الرأي فبطل خروجه.

وعجز عبد الرحمن عن تمشية الأمور وضاق المال حتى استعفى عبد الرحمن عن تمشية الأمور للرازي بالله ومن الوزارة وسأله أن يقرضه عشرة آلاف دينار إذ كانت وجوه المال قد تعذرت عليه فقبض عليه الرازي في هذه السنة وقلّد وزارته الكرخي. [515]

ذكر وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخي

لما قلّد أبو جعفر الكرخي الوزارة وخُلع عليه وانصرف إلى منزله ومعه الجيش كُلف مناظرة عليّ بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وخُملا إلى داره فصادر عليّ بن عيسى على مائة ألف دينار وصادر أخاه عليّ سبعين ألف دينار وأقاما على حال صيانة وتكرمة إلى أن أدّى عليّ بن عيسى سبعين ألف دينار وأدّى أخوه ثلاثين ألف دينار ثم صُرفا إلى منازلهما. وكان الوزير أبو جعفر الكرخي قصيراً فاحتيج بسبب قصره إلى أن يُنقص من ارتفاع سرير الملك فنُقص منه أربع أصابع مفتوحة.

وفيهما قُتل ياقوت بعسكر مكرم.

ذكر مقتل ياقوت

قد ذكرنا أمر ياقوت في خروجه إلى أرجان لحرب عليّ بن بويه في قضّه^(٢) وقضيضه وديلمه وأتراكه وسائر خيله. وكان معه من الرّجالة السودان

١. كذا في الأصل: الإشنان. وفي مط: الأسنان.

٢. قضّه وقضيضه: جميع خيله وجنوده.

ثلاثة آلاف رجل وانهزم من بين يدي علي بن بويه بباب أرجان بعسكره كله وكان على الساقة في الهزيمة لأنه ثبت وسار علي بن بويه خلفه إلى رامهرمز وحصل ياقوت بعسكر مكرم في غربيها وقطع الجسر المعقود على المسرقان وأقام علي بن بويه برامهرمز إلى أن وقع الصلح بينه [516] وبين السلطان.

وكتب أبو عبد الله البريدي إلى ياقوت أن يقيم بعسكر مكرم إلى أن يستريح ويقع التدبير لأمره من بعد وكان غرضه ألا يجمعه وإيَّاه بلد فقبل ياقوت. وأتاه أبو يوسف البريدي متوجعاً بما جرى عليه من الهزيمة ومهتئاً له بالسلامة وتوسط بينه وبين أخيه أبي عبد الله يعلل بها عسكره إلى أن يكتب إلى السلطان ويستأمره فيما يطلقه له ولرجاله وعرفه أن الرجال المقيمين بالأهواز فيهم كثرة ويطالبون بمالهم وهم البربر والشفيعية والنازوكية واليلبية والهاروتية وكان أبو علي ابن مقله ميّز هؤلاء وأنفذهم إلى الأهواز لتخف مؤونتهم عن الحضرة وتتوفر أموال الساجية والحجرية. فذكر أبو يوسف أن هؤلاء لا يطلقون مالاً يخرج من الأهواز إلى سواهم وأنهم إن أحسوا شغبوا فاحتاج أبو عبد الله إلى مفارقة الأهواز إشفاقاً على نفسه منهم. ثم تؤول الحال إلى حرب تقع بعد الهزيمة الأرجانية ولا يدري كيف تكون الحال فيها وأن السلطان مع ذلك مطالب بحمل مال إليه [517] وقال له :
 - «إن رجالك مع سوء أثرهم وقبح بلائهم وهزيمتهم دفعةً إذا أعطوا اليسير قنعوا به وصبروا عليه.»

فقبل ياقوت ذلك وسبب له بهذا المال على عسكر مكرم وتستر فأرضى ببعضه الحجرية وبيعه وجوه القواد وأنفق في سودانه في المسجد الجامع بعسكر مكرم ثلاثة دراهم لكل رجل ومضى الأمر على ذلك شهوراً. وأفتتح مال سنة أربع وعشرين وثلاثمائة فضج رجاله وطالبوه وقالوا :

«إنه لا صبر لهم على الضر وإن المنافسة على خيرات الدنيا في الطبع والجبلة لو كانوا أغنياء فكيف بهم مع اختلالهم وأنهم لا يرضون أن يقبض نظراؤهم بالأهواز على الإردار ويحرموا هم^(١) وأن يتجرعوا الأسف والحسرات وأنهم قد سئمو الفقر ومعاناة المجاعة.»

وقد كان استأمن من أصحاب علي بن بويه إلى ياقوت طاهر الجيلي وكان ممن يرشح نفسه للأمور الكبار ويرى أنه نظير لشيرج وطبقته واجتمع إليه نحو ثمانمائة رجل من العجم. فشغب علي ياقوت ثم رحل مع أصحابه وانصرف عنه وقدّر أنه يملك ماة البصرة وماه^(٢) الكوفة فكبسه علي بن بويه ثم سجنه فلجأ بنفسه مع بعض غلمانة [518] وأبو جعفر الصيمري كاتبه في الأسر وخلصه الحنّاط فخرج إلى كرمان فكان سبباً لإقباله واتصاله بالأمير أبي الحسين أحمد بن بويه فضعفت نفس ياقوت بخروج طاهر الجيلي وأصحابه واستطال باقي رجاله عليه وخاف أن يعقدوا لبعض قوّاده الرئاسة وينصرفوا عنه فكاتب أبا عبد الله البريدي بالصورة وأعلمه أنه كاتبه ومدبر أمره وأنه قد فوّض إليه الرأي والتدبير في رجاله ليمضي عليه وعليهم ما يستصوبه.

مركز الخديعة التي نفذت على ياقوت

كان ياقوت واثقاً برجل ساقط يُعرف بأبي بكر النيلي يجريه مجرى الأب وينحط إلى رأيه وقوله مع ضعة في النيلي وخساسة في همته وقدره. فاستصلحه أبو عبد الله البريدي ووسّع عليه فكان النيلي رسول ياقوت إلى أبي عبد الله بما قد ذكرته فكتب أبو عبد الله البريدي أن عسكره قد فسدوا

١. كذا في الأصل: ويحرموا هم. وفي مط ويحرموهم. وهو خطأ.

٢. ماة البصرة وماه الكوفة: كذا في الأصل. وفي مط: مال البصرة ومال الكوفة. وهو خطأ.

وفيه من ينبغي أن يُمَيَّز ويخرج لأنَّ عليَّ بن خلف بن طناب خانه واقتطع أموالاً باسم هؤلاء القوم وزاد قوم زيادات كثيرة وأنَّ الصواب أن ينفذوا إليه ليعرفهم أنَّ هذه الزيادات تفوتهم الأصول السلطانية ويشافهم بأنَّ الصواب أن يسقطوها ليتوفَّر عليهم الأصول [519] وقال :

- «إنَّما يتمَّ هذا بالأهواز لأنَّهم يردونها أفواجاً وزمراً فإن أساءوا آدابهم وامتنعوا قُوموا بالجيش^(١) المقيمين بالأهواز وأنَّهم إن خوطبوا بهذا الكلام وهم بعسكر مكرم تظاهروا وتضافروا وتعاقدوا فلم يتمَّ عليهم ردُّهم من الكثير إلى القليل.»

وأكثر في هذا المعنى حتَّى قال :

- «يا أبا بكر سبيل العرض أن يقع بحيث الهيبة والخوف لا بحيث الحكم والاستطالة.»

فما قال له النيلي :

- «الهيبة حيث يكون الأمير لا أنت ولا كانت له منَّة لأن يردَّ عليه شيئاً.»

وسأل^(٢) أبو عبد الله البريدي أن يُنفذ إليه أبا الفتح ابن أبي طاهر وأبا أحمد الجستاني ليشاورهما في التقرير ويتعرَّف منهما منازل الرجال واستدعى أبا بكر النقيب الذي كان مع أبي طاهر محمَّد بن عبد الصمد ليعرف منه أحوالهم. وأنفذ إليه ياقوت من الشمس وتقدَّم إلى رجاله بالخروج للعرض. فلمَّا حصلوا عند البريدي استصلح الرجال لنفسه وانتخب منهم من أراد ووعدهم أن يجريهم مجرى من معه بالأهواز فأجابوه وصاروا إلى عسكره وردَّوا الأرذال إلى ياقوت بعد أن أسقط زياداتهم. فلمَّا استتمَّ العرض

١. بالجيش: كذا في الأصل. وفي مط: بالمجلس. وهو خطأ.

٢. وسأل: كذا في الأصل. وفي مط: سبيل.

وجد نصف الياقوتية قد انحازوا [520] عنه. ففيل لياقوت ذلك ووُبَّخ وعُدِّل فقال :

- «قد اجتمع لى بمقام من أقام بالأهواز خفة المطالبة عني وحصولهم مع كاتبى وليس يصلح ابن البريدى لما أصلح له فأخافه وإن احتجت أو احتيج إلى حرب فالجماعة بالضرورة يعودون إليّ وهم عُدّة لى عنده.»
وعاد رجال ياقوت إليه فقالوا له :

- «ما حصلنا من الغرض إلّا على أن خرج شطرنا وهيض جناحنا وضعفت شوكتنا فاكتب إلى البريدى أن يحمل ما قرره لنا.»
فكتب ياقوت بذلك فأجابه أبو عبد الله بأنّه يحتال ويحمل.

ثم زاد الإلحاح على ياقوت فخرج بنفسه إلى الأهواز فى ثلاثمائة رجل وقتل العُدّة لئلاّ يستوحش البريدى وقدّر أنّه إلى كاتبه يمضى. فلتقاه أبو عبد الله البريدى بالسواد الأعظم وأخرج معه كلّ من بالأهواز من الجيش فلمّا رأى ياقوتاً ترجّل^(١) له وانكبّ ياقوت عليه حتّى كاد ينزل عن دابّته ثمّ سار وأنزله داره وخدمه بنفسه وقام بين يديه إلى أن طعم وغسل يده فناولوه الماورد^(٢) والمنديل وبخّره بيده فهو فى ذلك قبل أن يفاوضه، إذ ارتفعت ضجّة عظيمة وشغب الجند وقالوا :

- «إنما وافى ياقوت إليه.»

فقال البريدى : [521]

- «أيّها الأمير الله الله اخرج وبادر وإلّا قُتلنا جميعاً.»
فخرج ياقوت من وقته خائفاً يترقب من طريق يخالف طريق المشغبين وعاد إلى عسكر مكرم كما بدأ منها.

١. فى مط: يدخل، بدل «ترجّل».

٢. الماورد: كذا فى الأصل. وفى مط: الماء ورد.

ثم ورد عليه كتاب البريدى بأن الرجال بالأهواز قد استوحشوا منه وأن الوجه أن يخرج إلى تستر فإن بينها وبين الأهواز ستة عشر فرسخاً. وعسكر مكرم فهمى على ثمانية فراسخ وإذا نأت الدار زال الإستيحاش وسبب له على عامل تستر بخمسين ألف دينار فخرج إليها. فقال له مونس - وكان مونس هذا تربية ياقوت وثقته -:

- «أيها الأمير، إن البريدى يحزّ مفاصلنا مفصلاً مفصلاً ويسخر منا وأنت مغترّ به وقد حاز شطر رجالنا ووجوه قوادنا إلى نفسه وضمن لنا اليسير من المقرّر وليس يطلق ذلك أيضاً ليستأمن إليه الباقون ثم يأتى على أنفسنا وقد اتّصلت كتب الحجرية إليك بأنه لم يبق لهم شيخ غيرك. فإما دخلت بغداد وجميع من بها يسلم لك الرئاسة وأولهم محمّد بن رائق بالضرورة لسنتك وأنتك نظير أبيه، وإما خرجت إلى الأهواز حتّى تطرد البريدى عنها وتقيم أنت بها فإننا وإن كانت عدّتنا يسيرة دون عدّته فهو كاتب ونحن فى خمسمائة [522] رجل وهو فى عشرة آلاف رجل وقد أحصيت من عندنا فوجدتهم نحو خمسة آلاف رجل وفيهم كفاية والعسكر بصاحبه وأنت أنت. وقد قال عدوك على ابن بويه: لو كان فى عسكر ياقوت مائة رجل مثله ما قاومته. فالله الله يا مولاي، لم تضيّع نفسك وتضيّعنا؟»

فقال: «سأنظر وأفكر». ثم خرج مونس مغضباً من عنده وركب فى ثلاثة آلاف رجل شاذاً عن مولاه ياقوت ووافى عسكر مكرم يريد الأهواز وقال لنا: - «لا أعصى مولاي، فإنه اشترانى وربّانى واصطنعنى ولكنى أفتح الأهواز وأسلمها إليه.»

فما استقرّ بعسكر مكرم ثلاث ساعات من النهار حتّى ورد كتاب ياقوت على درك - وكان والى الشرطة بعسكر مكرم - يعرفه أن مونساً غلامه خرج

بغير إذنه وشرح له صورته وسأله أن يجتمع معه ويخوفه الله عز وجل ويحذره كفر نعمته ويستوقفه إلى أن يلحق به. فعبر درك من شرقى عسكر مكرم إلى غربيها ووعظ مونساً وعظاً كثيراً وخاطبه خطاباً بليغاً وكان درك شيخاً مقدماً إلا أن السن قد أخذت منه وحضر بحضوره أصحابه. فقال لمونس خادم كان معه مكيناً منه وكان معقلاً:

- «يا مونس إن مولاك [523] قبض على ابنه وهما تاجان ودرتان فلم يستحل أن يعصى مولاة ولا يكفر نعمته^(١) وسألهما ولم يحارب فيهما ولا طلب بهما أفانت تعصى مولاك فترسل يدك عن طاعته؟ أما تخاف العقوبة؟ وإن تخذل في هذه الحرب ويظفر بك فتخسر الدنيا والآخرة ولا سيما وقد بذل أن يوافيك ويساعدك على ما تريده. انتظر ريث ورود كتابنا وورود جوابه.»

فأقام مونس لما أخذه العذل والتأنيب من درك وأصحابه ووافى ياقوت في اليوم الثاني واجتمع مع غلمانه. ووافى عسكر البريدي بأسره فنزلوا في صحراء خان طوق^(٢) ومعهم غلام البريدي يرؤسهم ومعه القواد الكبار وأكبرهم أبو الفتح ابن أبي طاهر. ووقعت المنازلة بين ياقوت وأبي جعفر الجمال وتثبتت ياقوت بعسكر مكرم عن المسير إلى الأهواز وتهيب الصورة وقال لمونس: *مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی*

- «السلطان لنا على النية التي عرفناها وكان منه إلى ابني^(٣) ما لا يجوز أن يصلح لي أبداً وفارس فقد عرفت صورتنا بها ولا مذهب لنا في الدنيا ولا لنا موضع نأويه إلا هذا البلد والحرب سجال وقد كثر عسكر الرجل فإن

١. والعبارة في مط: فلم تستحل أن تعصى مولاك ولا تكفر نعمته.

٢. خان طوق: كذا في الأصل. وفي مط: خان طوف.

٣. ابني: كذا في الأصل ومد. وفي مط: أمر. وفي العبارة غموض.

نحن حاربناه وانهزمتنا كئنا بين الأسر والحمل إلى الحضرة وشُهرتُ بها وأركبت الفيل ثم يُظنّ أنّي كفرت [524] نعمة مولاي فيلعنني الناس وبين أن أقتل. والوجه المداراة والمقاربة لهذا الرجل وأن نعود إلى تستر ونصير منها إلى الجبل فإن استقام لنا بها أمر وإلاّ لحقنا بخراسان.

وشاع هذا الكلام فضغفت نفوس أصحابه وطالت الأيام في منازلة عسكر البريدي فكان كلّ يوم يستأمن عدّة من أصحابه إلى البريدي فكان مونس يبكر إليه في كلّ يوم ويقول له :

- «يا مولاي مضى البارحة من أصحابنا ثلاثمائة أو أكثر أو أقلّ.»
فلا يزيد على أن يقول :

- «إلى كاتبنا يمضون وإذا كانت هذه تيّاتهم لنا فما الانتفاع بهم؟ ولأن يبقى معنا ألف رجل فمضى بهم إلى حيث نقصد أصلح من جميع هذا اللّفيف الذي هم كلّ في الرخاء وأعداء يوم اللقاء وقد جرّبناهم بباب فارس وباب أرجان.»

فلم يزل كذلك حتّى بقي في ثمانمائة رجل.

فلما علم البريدي أنّه قد استظهر الإستظهار التامّ راسله في المواعدة بأبي القاسم التنوخي القاضي وقال :

- «إنّني لك على العهد والميثاق.»

وأنّه كاتبه وأنّ الإمارة لا تصلح له وأنّ البلوى والشقاء قد حلّا به وصارت مطالبة الرجال عليه وأنّه يلاقى الموت صباح مساء ويخاف على نفسه منهم وأنّه لا رغبة له في ارتباطهم [525] وإنّما جرّ سبب سبباً حتّى اجتمعوا عنده وأنّه يصاهره حتّى يزداد ثقة به.

ووكّل القاضي في تزويج ابنته من أبي العباس أحمد بن ياقوت فوافاه القاضي أبو القاسم التنوخي وأدّى إليه الرسالة وقبلها وانعقد الصهر ورحل

للوقت إلى تستر. ووافاه بعقب ذلك غلام للسلطان من الحجرية ومعه المظفر ابنه بكتاب إليه يذكر فيه أنه قد وهب ابنه هذا له ومن به عليه. فالتقيا بتستر فأشار عليه ابنه المظفر بالخروج إلى حضرة السلطان ليشكره على إنفاذه ويقيم بدير العاقول ويستأذنه في الدخول. فإن أذن له فقد تمّ له ما يحبّ ووجد الحجرية مسرعين إليه، وإن لم يأذن له تقلّد الموصل وديار ربيعة وخرج إليها، وإن منع من ذلك جعل مقصده الشام. فخالف ابنه ولم يرتض رأيه وقال :

- «أنا أتأمل ما ذكرته فأقم عندي لتشاور.»

فاستعفاه من ذلك وسأله أن يأذن له في المقام بعسكر مكرم فأذن له. فأطمع البريدي المظفر في أن يجعله اسفهلار عسكره وأن يتدبّر بتدبيره حتّى فارق أباه واستأمن إليه فحصل في بستانه المشهور [526] بالأهواز وأحاط بالبستان من يراعيه ويحفظه من حيث لا يعلم.

ولمّا استوثق البريدي لنفسه واستظهر، تخوّف من الياقوتية الذين عنده وأن يرأسلوه بلون من الألوان المنكرة من التدبير عليه أو أن يتداخلهم التعصّب له فيشغبوا عليه ويدعوا بشعار ياقوت.

. وكتب إلى ياقوت بأن السلطان قد أمره بالخروج عن تستر إلى الحضرة في خمسة عشر غلاماً أو النفوذ إلى الجبل متقلّداً لها وبأن يقصده إلى تستر ويخرجه منها قهراً فتحيّر ودعا مونساً غلامه فقال له :

- «أى شيء ترى؟»

فقال له :

- «الآن وقد مضى ما مضى والله لا صحبتك إلى الحضرة ولا إلى الجبل أحد ممّن معك ولا لهم نفقات تنهضم. فإن أردت أن تمضى فى عشرين غلاماً إلى السلطان فذاك إليك.»

فأجاب البريدى عن كتابه بأنه يروى ويذكر له ما عنده بعد أن استمهله شهراً ليتأهب للسفر الذى يقصده. فعاد إليه من جواسيسه واحد كذبه فأخبره بأن الجيش وافى عسكر مكرم ونزلوا الدور وانبطوا فى المدينة فأحضر غلامه مونساً وقال له :

- «ظفرنا والحمد لله بعدونا وكافر نعمتنا ففسير من تستر وقت عتمة ونصبح عسكر [527] مكرم والقوم غارون فى الدور فنكبسهم ونشردهم ونمتد إلى الأهواز فلا يثبت لنا البريدى بل يكون همّه الهرب لوجهه.» فقال مونس :

- «أرجو أن يكون هذا صواباً.»

وسار ياقوت ووصل إلى عسكر مكرم وقد بدأت الشمس من مطلعها وامتدّ مشتقاً للبلد^(١) إلى ناعورة السبيل ونهر جارود فلم ير لرجال البريدى أثراً فخيّم ونزل عند النهر ومضى يومه إلى آخره وهو متعجب من الغرور الذى غرّه جاسوسه.

فلما كان وقت العصر ظهرت الطلائع ثم أقبل العسكر وأميرهم أبو جعفر الجمال فنزل على فرسخ من ياقوت وحجز الليل بين العسكرين وأصبح فكانت بينهم مناوشة ومبارزة واتعدوا للحرب فى اليوم الذى يليه لأنّ عسكر البريدى كان منتظراً عسكرهم قد سيره البريدى على طريق دجيل. ليدخل من ضفته كميناً على ياقوت حتى يصير وراءه. ثم أصبحوا فى اليوم الثالث من ورود ياقوت عسكر مكرم فابتدأت الحرب منذ وقت طلوع الشمس إلى وقت الظهر وثبت ياقوت ومعه مئة نصره مثل مونس وآذريون ومشرق وغيرهم فى دون ألف رجل. فأعيا من بإزائه من أبى جعفر الجمال وغيره

١. للبلد: كذا فى مط. وفى الكلمة غموض فى الأصل وهى إلى كونها «البلد» أقرب منها إلى كونها «المبار» المقروءة فى مد.

على كثرة عددهم حتّى [528] كادت البريديّة تنهزم.
وجاءت^(١) الظهر وقد بلغت القلوب الحناجر فطلع الكمين وهم ثلاثة
آلاف رجل جامّين^(٢). فأبلس ياقوت وقال:
- «لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.»

وأوماً مونس أن يقصدهم ويكفيه إيّاهم فعدل مونس مع ثلاثمائة رجل
إليهم وبقي ياقوت في خمسمائة رجل فما مضت ساعة حتّى وافى منهمزماً
فرمى ياقوت نفسه من دابّته ونزع سلاحه وما عليه من ثيابه حتّى بقي
بسراويل وقميص سينيّ. ثمّ أوى إلى رباط يُعرف برباط الحسين بن دبار
فاستند إليه ولو دخل الرباط واستتر فيه لأنستّر أمره ولجئته الليل ولجاز أن
يسلم.

فجلس بحيث ذكرتُ وهو بقرب ناعورة السبيل وغطّى وجهه ومدّ يده
يسأل ليقدر فيه أنّه من أرباب النعم افتقر وهو يطلب هديّة^(٣) فركب إليه قوم
من البربر ورأوه بهذه الصورة فطلبوه بكشف وجهه فامتنع وأوماً إليه أحدهم
بمزراق فقال:

- «أنا ياقوت احملوني إلى البريديّ.»

فاجتمعوا عليه وحزّوا رأسه وانهمز مونس ومشرق وأذريون إلى تستر
واتّبعهم الأعراب والبربر فأسيروهم وردّوهم. وأطلق أبو جعفر الجمال طائراً
بالخبر إلى البريديّ يستأذن [529] فى رأس ياقوت. فردّ إليه فى الجواب مع
غلام يركض بأن يجمع الرأس والجثّة ويدفن الجميع فى الموضع الذى قُتل
فيه.

١. وجاءت: كذا فى الأصل ومط.

٢. كذا فى الأصل: جامّين. وفى مط: حامين.

٣. فى مط: صدقة، بدل «هديّة».

طغيان البريدى بعد مقتل ياقوت

وقبض البريدى على المظفر ابنه مدة ثم أنفذه إلى الحضرة.

وطغى البريدى بعد ذلك وشهر نفسه بالعصيان وقد كانت نفسه ضعيفة فيما ارتكبه من أمر ياقوت فقواها أخوه أبو يوسف حتى جهّز إليه العساكر وقتله. فحكى أبو زكريا يحيى بن سعيد السوسى أنه سمع أبا يوسف البريدى يخاطب أبا عبد الله أخاه فقال أبو عبد الله :

- «يا أخى أخاف أن تتعصب الحجرية علينا فيقتلونا إن دخلنا الحضرة يوماً وفى العاجل لست، آمن على أخى أبى الحسين وهو بالحضرة أن يقتل بشاره.»

فقال أبو يوسف :

- «أما أبو الحسين فنحن نكتب إليه بالخبر حتى يأخذ لنفسه ويستظهر، وأما الحجرية ودخولنا الحضرة، بعد أن وُسِّمنا بمصادرة اثنى عشر ألف ألف درهم، فبهيات من ذلك، أبعد تخلصنا من القاهر ومن الخصيبى الملعون وسلامة أرواحنا نحدث أنفسنا بدخول الحضرة؟ بلى ستهدم منازلنا وإلى لعنة الله، ما نعود إلى الحضرة فنحتاج إليها وقد أدبرت^(١). ودع يا أبا عبد الله ما اعتدت فإنك لا ترى مثله مع خلوة الزمان [530] وإدبار الملك وفقر الخلافة. وقد كنّا نتكسب من السلطان وهو اليوم مثلنا نحن بل نحن مكسب له يريد أن يجتاحنا ويأخذ مالنا ومتى لم نعتصم بهذه العساكر المجتمعة ونُخرج ياقوتاً منها سقطنا ثم يطول علينا أن نجد من أئامنا يوماً. والله ما أشرت عليك بما نسمع إلا بعد أن استعددت له ما يعيننى عليه وقد واقفتك

١. وقد أدبرت: كذا فى الأصل مع غموض فيه. وفى مد: وقد دبرت. وفى مط: وقد ارتدت.

على هذا سرّاً وجهراً وأبو زكريا مَنَّ لا نحتشمه.»

قال أبو زكريا : وإنما أوماً أبو يوسف بهذا القول إلى مال السوس وجنديسابور فإنّ أبا عبد الله كان أجمّه عنده استظهاراً وأنّاخ في النفقات وأرزاق الأولياء وما كان يعلّل به السلطان على أموال كور الأهواز الباقية. وكان يجتذب القطعة فالقطعة منها ويجعل ذلك وراءه ولم يكن له نفقة ولا بذخ حينئذ.

وما وهب قطّ لطارق ولا شاعر ولا ولد نعمة شيئاً وكان عارفاً بورود الأموال وخرجها وجميعها تجري على يده فإن شذّ منها شيء عنه إلى إسرائيل بن صلح وسهل بن نظير الجهبذين لم يخف عليه مبلغه.

قال : واستخرج أبو عبد الله وأخوه أبو يوسف من كور الأهواز بعد تقليد الرازي إياهما لسني اثنتين وثلاث [531] وأربع وعشرين وثلاثمائة وإلى شعبان من سنة خمس - فإن بجكم هزمهم وأخرجهم عنها في هذا الشهر - ثمانية آلاف ألف دينار وجميع ما خرج عنها في جميع وجوه النفقات دون أربعة آلاف ألف دينار حاصلة.

وسمعت يعقوب الصيرفي اليهودي يقول : سمعت أبا عبد الله يقول :
- «نمضى إلى البصرة فإن تمّ لنا بها أمر فقد كفينا وإن حزننا أمر^(١) لا نطبقه قصدنا عُمّان واستجرنا بصاحبها - يعني يوسف بن وجيه - فإنه حرّ ودبرنا أمرنا فإمّا أن عبرنا إلى فارس واستجرنا بعلّى بن بويه فإنّ دولة الديلم قوية والحضرة مدبرة، وإمّا أن عبرنا إلى التيز ومكران وقصدنا صاحب خراسان. فالطريق إليها جدد.»

١. حَزَبُهُ غَمٌّ أو خُطْبٌ؛ أصابه واشتدّ عليه.

عود إلى ذكر أخبار الحضرة وتدبير الوزراء لها

وعدنا إلى ذكر أخبار الحضرة وتدبير الوزراء لها. كان الوزير غير ناهض بالوزارة وما زالت الإضاقة تزيد ومن في يده مال من المعاملين يطمع^(١) وقطع ابن رائق الحمل من واسط والبصرة والبريديون من الأهواز وعلى ابن بويه قد تغلب على فارس وابن الياس على كرمان فتحيّر أبو جعفر الكرخي واعتدت المطالبات عليه وانقطعت المواد عنه ونقصت هيئته فاستتر بعد ثلاثة أشهر [532] ونصف من وقت تقلّده. ووجد في خزائنه سفاتج لم تُفَضَّ^(٢) وما يجرى هذا المجرى من العجز وقلة النفاذ في العمل.

وزارة سليمان بن يحيى

ولما استتر الكرخي استحضر الراضي سليمان بن الحسن أبا القاسم فقلّده الوزارة والدواوين. فكان في التحيّر وانقطاع المواد عنه على مثل حال الكرخي فدفعت الضرورة الراضي بالله إلى أن راسل أبا بكر محمد بن رائق وهو بواسط وأذكره بما ضمن من القيام بالنفقات وإزاحة علة الجيش والحشم ومسألته عمّا عنده من المقام على ذلك أو الإنصراف عنه. فتلقّى أبو بكر محمد بن رائق الرسول بالجميل ووصله بألف دينار وأجاب عن الكتاب بأنّه مقيم على ما ضمنه.

١. يطمع: كذا في الأصل. وفي مط: فطمع.

٢. سفاتج لم تُفَضَّ: كذا في الأصل. وفي مط: سفاتج لم يفص. وهو خطأ.

ذكر استيلاء ابن رائق على الخلافة وسائر الممالك

فأنفذ إليه الرازي ما كرد الديلمي من الساجية وعرفه أنه قلده الإمارة ورئاسة الجيش وجعله أمير الأمراء وردّ إليه تدبير أعمال الخراج والضيايع وأعمال معاون في جميع النواحي وفوض إليه تدبير المملكة وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر في الممالك وبأن يُكنّى، وأنفذ إليه الخلع واللواء مع ما كرد الديلمي وخادم من خدم السلطان وانحدر [533] إليه أصحاب الدواوين كلّهم وجميع قواد الساجية والحسن بن هارون، فلما حصلوا بواسط قبض على الساجية وعلى الحسن بن هارون قبل أن يصلوا إليه وخُبس الساجية ونُهبت رحالاتهم وقيل للحجرية :

«إنما فعلنا ذلك بالساجية لتتوفر أموالكم.»

وورد الخبر بذلك إلى بغداد وكان قد بقي من الساجية ببغداد خلق فخرجوا إلى الموصل وإلى الشام. واستوحش الحجرية ببغداد لما جرى على الساجية بواسط فقصدوا دار السلطان وأحدقوا بها وضربوا خيمهم حولها ووجه ابن رائق بمونس الأفلحي وبارس الحاجب إلى بغداد فضربوا خيمهم في باب الشماسية وقلد لؤلؤ الشرطة ببغداد. ثمّ أصدع محمد بن رائق من واسط يوم الجمعة لعشر بقين من ذي الحجة ومعه بجكم. فرُتب محمد بن رائق فوق الوزير وخلع عليه وركب إلى مضره في الحلبة وحمل إليه من دار السلطان الطعام والشراب والفواكه عدّة أيام وخدمه في ذلك خدم السلطان.

واجتمع إليه الغلمان الحجرية وسلّموا عليه وأمرهم بقلع خيمهم من دار السلطان والإنصراف إلى منازلهم ففعلوا.

وبطل منذ [534] يومئذ أمر الوزارة فلم يكن الوزير ينظر في شيء من أمر النواحي ولا الدواوين ولا الأعمال ولا كان له غير اسم الوزارة فقط وأن يحضر في أيام المواكب. وصار ابن رائق وكاتبه ينظران في الأمر كله وكذلك كل من تقلد الإمارة^(١) بعد ابن رائق إلى هذه الغاية وصارت أموال النواحي تحمل إلى خزائن الأمراء فيأمرون وينهون فيها وينفقون كما يرون ويطلقون لنفقات السلطان ما يريدون وبطلت بيوت الأموال.

وفي هذه السنة ملك ابن الياس كرمان وصفت له بعد حروب جرت له مع جيش خراسان.

إفضاء أمر أحمد بن بويه إلى ملك العراق

وفي هذه السنة جرت الحادثة على أبي الحسين أحمد بن بويه وأصيب بيده ووقع بين القتلى ثم تخلص وأفضى أمره إلى ملك العراق.

ذكر السبب في ذلك

لما تمكن علي بن بويه بفارس وتمكن أخوه الحسن بن بويه بإصبهان نظر في أمر أخيه الأصغر أبي الحسين أحمد بن بويه فتقرر الأمر بينهما مكاتبة ومراسلة على أن يتوجه إلى كرمان فضم إليه علي بن بويه عسكرياً [535] فيه من كبار الديلم ومذكوريها ألف وخمسمائة رجل ونحو خمسمائة رجل من الأتراك ومن يجري مجراهم.

وكان يكتب لأبي الحسين في ذلك الوقت رجل يعرف بأبي الحسين أحمد بن محمد الرازي وكان ممتعاً بإحدى عينيه ويعرف بكوزدفير^(٢) ولم تكن له

١. في مط: الأمان، بدل «الإمارة».

٢. كور، أي الأعمى. دفير (= دبیر) أي الكاتب، في اللغة الفارسية. أي الكاتب الأعمى. وذلك

صناعة ولكنه كان واسع الصدر شجاعاً. فورد السيرجان واستخرج منها مالا وأنفقه في عسكره وكان إبراهيم بن سمجور الدواتي من قبل صاحب خراسان محاصراً لمحمد بن الياس بن اليسع الصغدِي. فلما بلغ ابن سمجور خبر الديلم رجع إلى خراسان ونفس عن خناق محمد بن الياس فتخلص وانتهاز الفرصة وخرج عن القلعة التي كان فيها إلى مدينة بم وهي على مفازة تتصل بسجستان. فسار أحمد بن بويه إليه فرحل إلى سجستان من غير حرب فانصرف من هناك وتوجه إلى جيرفت - وهي قصبة كرمان - واستخلف على بم بعض قواده. فلما أشرف على جيرفت^(١) تلقاه رسول علي بن الزنجي وكان رئيس القفص^(٢) والبلوص وهو المعروف بعلي بن كلوية^(٣). وكان هو وأسلافه متغلبين على تلك الأعمال إلا أنهم يجاملون كل سلطان يرد عليهم ويدعون له ويحملون إليه مالا [536] معلوماً ولا يطؤون بساطه. فبذل لأحمد بن بويه ذلك المال على الرسم. فأجابه بأن الأمر في هذا إلى أخيه علي بن بويه وأنه لا بد له من دخول جيرفت. فإذا دخلها كاتبه وراسله في ذلك وأمره أن يبعد عن البلد. فاستجاب ورحل إلى نحو عشرة فراسخ من البلد في موضع وعرض صعب المسلك.

وترددت المراسلات بينهما إلى أن تقرّر الأمر بينهما على أن يُنفذ إليه رهينته ففعل وقاطعه عن البلد على ألف ألف درهم يحملها في كل سنة وحمل في الوقت مائة ألف درهم منسوبة إلى الهدية وغير محسوبة من مال

→

حسب التفسير الوارد في النص.

١. في مط: حثروت. وهو تصحيف.

٢. في مط: القفص، بدل «القفص».

٣. في الأصل ومط: بعلي كلويه (دون «بن») في هذا الموضع فقط.

المقاطعة، وأقام له الخطبة. ثم حمل شيئاً من مال التعجيل وسلك سبيل الوفاء معه. فأشار كوردفير الكاتب على أحمد ابن بويه بأن يسرى إليه ناقضاً ما بينهما من العهود فإنه سيجده غير متحرز وأصحابه غارين لسكونهم إلى وقوع الاتفاق وزوال الخلاف فيفوز بأموالهم وذخائرهم ويستولى على ديارهم ويتم له ما لا يتم لأحد قبله.

ذكر ما كان من عاقبة هذا الغدر والنكث

أصغى أبو الحسين أحمد بن بويه إلى كاتبه ووقع بوفاقه^(١) لحدائثة سنّه واغتراره [537] فحمل نفسه على مفارقة ما يجب عليه في الدين والمروءة وجمع صناديد عسكره وخلف سواده وما يجري مجراه وأسرى للوقت إلى القوم وذلك عند صلاة العصر ليصحبهم بياتاً.

وكان عليّ بن كلويه متيقظاً قد وضع عيونه عليه فسبق إليه الخبر فجمع أصحابه ورتّبهم على مضيق بين جبلين كان الطريق فيه. فلما توسّط أبو الحسين في الليل مع أصحابه ثاروا به من جميع الجوانب فسقتلوا وأسروا رجال العسكر فلم يفلت منهم إلا اليسير. ووقعت بأبي الحسين أحمد بن بويه ضربات كثيرة كانت ظاهرة فيه وطاحت يده اليسرى وبعض أصابع يده اليمنى وأثخن بالضرب في رأسه وسائر جسده وسقط بين القتلى. وورد الخبر بذلك إلى جيرفت فهرب كاتبه كوردفير ومن تأخر من أصحابه.

ولما أصبح عليّ بن كلويه أمر بتتبع القتلى والتماس أحمد بن بويه فوجدوه حيّاً. إلا أنه قد أشفى على التلف. فحمل إلى جيرفت وأقبل عليّ بن كلويه على علاجه وخدمته وبلغ في ذلك كلّ مبلغ واعتذر إليه وأظهر الغمّ

١. بوفاقه: كذا في الأصل. وفي مط: بوفاته.

بما أصابه. واتصل الخبر بعلي بن بويه فاشتد غمه وقبض على كوردفير وأنفذ مكانه [538] أبا العباس وخُطِلخ حاجبه في ألفي رجل ليجمع ما بقي من سواد معز الدولة - أعني أحمد بن بويه - بالسرجان ويضما من بقي من فلّ العسكر.

وأنفذ علي بن كلويه رسله وكتبه إلى علي بن بويه بالإعتذار ممّا جرى ويوضح له الصورة ويبذل من نفسه الطاعة ويذكر أنّه ما فارقها ولا خرج عنها. فأنفذ إليه علي بن بويه قاضي شيراز وأبا العباس الحنّاط وأبا الفضل العباس بن فسانجس وجماعة من الوجوه وأجابه بالجميل ويسط عذره وأمضى ما كان قرّره وردّ رهيته وجدد له عهداً وعقداً. فحينئذ أطلق عليّ ابن كلويه أبا الحسين أحمد بن بويه وأطلق معه اسفهدوست وسائر من كان أسيراً في يده بعد أن أجمل معاملتهم وخلع عليهم وحمل إليهم آلات وأطافاً. فلما وصل أحمد بن بويه إلى السرجان وجد كاتبه مقبوضاً عليه وقد جرى عليه مكاره عظيمة أشرف منها على التلف فاستنقذه ونصره وبرّاه من الذنب وشفع إلى أخيه فيه فشفعه وأطلقه.

وتأدّى إلى أبي عليّ ابن الياس ما جرى على أبي الحسين وطمع فيه وسار من سجستان حتّى نزل البلد المعروف بخُنا ب فتوجّه إليه أبو الحسين [539] واشتدّت الحرب بينهما أياماً، إلّا أنّ عاقبة الأمر كانت لأبي الحسين. فانهزم ابن الياس وعاد أبو الحسين ظافراً وتتبعته نفسه التشفى من عليّ بن كلويه وطلب الثأر عنده. فتوجّه إليه واستعدّ عليّ بن كلويه واحتشد ثمّ سار إليه فلما صار بين العسكرين نحو من فرسخين نزل وعملوا على مباكرة الحرب فأسرى عليّ بن كلويه في جماعة من أصحابه وهم قوم رجالة قادرون على العدو والمصاهرة فيه فوقع على عسكر أبي الحسين ليلاً. واتفق أن تغيّمت السماء بمطرٍ جودٍ واختلط الناس فلم يتعارفوا

إِلَّا بِاللَّعْنَاتِ^(١). فَأَثَرُوا فِي عَسْكَرِ أَبِي الْحُسَيْنِ وَقَتَلُوا وَنَهَبُوا وَانصَرَفُوا وَبَاتَ عَسْكَرُ أَبِي الْحُسَيْنِ بَقِيَّةً لَيْلَتِهِمْ يَتَحَارِسُونَ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا سَارُوا إِلَى الْقَوْمِ فَأَوْقَعُوا بِهِمْ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ عِدَّةً وَانْهَزَمَ عَلِيُّ بْنُ كَلُوبَةَ وَرَجَعَ أَبُو الْحُسَيْنِ وَقَدْ نَقَعَ بَعْضُ غَلَّتِهِ إِلَّا أَنَّ فِي صَدْرِهِ بَعْدُ حَزَازَاتٍ.

وَكُتِبَ إِلَى أَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ بُوَيْهِ بِالْبِشَارَةِ وَالظَّفَرِ بِابْنِ الْيَاسِ وَانْهَزَامِهِ وَبِعَلِيِّ ابْنِ كَلُوبَةَ وَهَرَبِهِ. فَوُرِدَ عَلَيْهِ الْجَوَابُ بِأَنْ يَقِفَ حَيْثُ انْتَهَى وَلَا يَتَجَاوِزَهُ. وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ الْمَرْزَبَانَ بْنَ خُسْرَةَ الْجَيْلِيَّ أَحَدَ قَوَادِهِ الْكِبَارِ لِيُبَادِرَ بِهِ إِلَى حَضْرَتِهِ وَيَمْنَعَهُ [540] التَّلَوُّمَ وَالْمَرَاجِعَةَ وَكَاتِبَ سَائِرِ الْقَوَادِ بِمِثْلِ ذَلِكَ. فَرَجَعَ إِلَى حَضْرَتِهِ كَارِهًا لِأَنَّهُ مَا كَانَ بَلَّغَ مَا فِي نَفْسِهِ مِنْ عَلِيِّ بْنِ كَلُوبَةَ وَأَصْحَابِهِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى اَصْطَخَرِ أَقَامَ.

ذَكَرَ مَا اتَّفَقَ لَهُ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى بِلْدَانِ الْعِرَاقِ حَتَّى مَلِكُهَا

وَاتَّفَقَ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدِيَّ وَافِيَ فَارِسَ فِي الْبَحْرِ لَاجِئًا إِلَى عَلِيِّ بْنِ بُوَيْهِ وَذَلِكَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ رَائِقٍ وَبِجْكَمَ اسْتَظْهَرَا عَلَيْهِ فِي عِدَّةِ حُرُوبٍ وَانْتَزَعَا الْأَهْوَازَ مِنْ يَدِهِ وَأَشْرَفَا عَلَى انْتِزَاعِ الْبَصْرَةِ مِنْهُ. فَخَلَّفَ أَخَاهُ أَبَا يُوسُفَ وَأَبَا الْحُسَيْنِ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ بِهِمَا. فَلَمَّا وَرَدَ حَضْرَةَ عَلِيِّ بْنِ بُوَيْهِ مُسْتَصْرِخًا بِهِ أَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ ضِيَافَتِهِ وَبَذَلَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - إِذَا ضَمَّ إِلَيْهِ الرِّجَالَ - أَنْ يَمْكُنَهُ مِنْ أَعْمَالِ الْعِرَاقِ وَيَصْحَحَ لَهُ أَمْوَالُ عَظِيمَةٍ مِنَ الْأَهْوَازِ وَيَسْلَمَ إِلَيْهِ وَلَدَيْنَ لَهُ رَهِينَةٌ.

وَاسْتَقْدَمَ عَلِيُّ بْنُ بُوَيْهِ أَخَاهُ أَبَا الْحُسَيْنِ مِنْ اَصْطَخَرِ فَلَمَّا قَرَّبَ مِنْهُ تَلَقَّاهُ

١. فِي مَدِّ وَمَطٍّ: بِاللُّغَاتِ. وَمَا فِي الْأَصْلِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ «بِاللُّغَاتِ».

في جميع عسكره وقربه ورثبه فوق ما كان في نفسه تسليّة له عن مصيبتة
ثمّ أنهضه مع أبي عبد الله البريدي في عسكر قويّ وعُدّة تامّة وسار واتّصل
خبره بمحمّد بن رائق وبجكم. فأما بجكم فإنّه عاد إلى الأهواز وكان مع ابن
رائق بعسكر أبي جعفر [541] محاصرين البصرة وأراد أن يمنع الديلم من
تورّد الأهواز. وأما ابن رائق فعاد إلى واسط والتقى عسكر بجكم وعسكر
أبي الحسين بالقرب من رامهرمز وانحاز بجكم إلى عسكر مكرم بعد حروب
سندكرها إن شاء الله في سنة ستّ وعشرين.

ودخلت سنة خمس وعشرين وثلاثمائة

وفيها أشار أبو بكر محمّد بن رائق على الرازي بالله أن ينحدر معه إلى
واسط ليقرب من الأهواز ويراسل البريدي فإن انقاد إلى ما يُراد منه وإلا...^(١)
عليه قصده. فاستجاب الرازي إلى ذلك وانحدر يوم السبت غرّة المحرم
واضطربت الحجريّة وقالوا:

« هذه تُعمل علينا ليُعمل بنا ما عمل بالساجيّة ونحن نقيم ببغداد. »

فلم يلتفت ابن رائق إليهم وانحدر بعضهم وتأخّر أكثرهم ثمّ انحدر الجميع.
فلما صاروا بواسط عرضهم ابن رائق وبدأ بخلفاء الحجاب وكانوا نحو
خمسمائة حاجب فاقترض منهم على ستين وأسقط الباقين ونقص أزراق^(٢)
من أقرّ منهم وأخذ يعرض الحجريّة ويسقط منهم الدخلاء والبذاء والنساء
والتجّار ومن لجأ إليهم فاضطربوا من ذلك ولم يستجيبوا إليه. ثمّ استجابوا
وعرضهم وأسقط منهم عدداً كثيراً ثمّ اضطربوا [542] وحملوا السلاح

١. هنا كلمة شبه مشطوبة لا تقرأ. في مط: منه والا «قرب» عليه. وغيّرت العبارة في مد تصحيحاً هكذا:
منه، وإن مرق عليه.

٢. أرزاق: كذا في الأصل ومط. وفي مد: ابن رائق، بدل «أرزاق» وهو تصحيف لما في الأصل ومط.

فحاربهم ابن رائق يوم الثلاثاء لخمس بقين من المحرم حرباً عظيمة فكانت على الحجرية فقتل بعضهم وأسروا بعضهم وانهزم الباقيون إلى بغداد. فركب لؤلؤ صاحب الشرطة ببغداد وأوقع بالمنهزمين واستتروا فنهبت دورهم وأحرق بعضها وقبضت أملاكهم.

فلما فرغ ابن رائق من حرب الحجرية وقهرهم^(١) تقدّم بقتل من كان اعتقلهم من الساجية فقتلوا سوى صافى الخازن والحسن بن هارون. فلما فرغ من الساجية والحجرية عمل الراضى بالله وأبو بكر بن رائق على الشخصوس إلى الأهواز ودفع البريدى عنها وأخرجت المضارب إلى ياذيين^(٢) وبلغ البريدى ذلك فقلق قلقاً شديداً وأنفذ إليه أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو محمد الحسن بن إسماعيل الإسكافى برسالة من الراضى بالله ومن ابن رائق يعرفان أنه قد أحرر الأموال واستبدّ بها وأفسد الجيوش وحسن لها المروق وأنه ليس بطالبى يسارع على الملك ولا بجندى فيبتغى الإمارة ولا من حملة السلاح فيؤهل لفتح البلاد المتعلقة وأنه كان كاتباً صغيراً فرفع بعد خمول وعاملاً من أوسط العمال فاصطنع وأهل لجليل [543] الأعمال فطنى وكفر النعمة وجازى عن الإحسان بالسوء وخلع الطاعة وأنه إن سلّم الجند وحمل المال أقرّ على العمالة وإلا قصد وعومل بما يستحق.

فوافياه وأخبراه بما تحمّلاه ونصحا له فعمد على نفسه كور الأهواز بثلاثمائة وستين ألف دينار يحمل منها فى كلّ شهر من شهور الأهلة ثلاثين ألف دينار وأن يسلم الجيش مئة يؤمر بتسليمه إليه مئة يؤمر عليهم ليخرج بهم إلى فارس للحرب إذ كانوا كارهين للعود إلى الحضرة لضيق الأموال بها

١. قهرهم: كذا فى الأصل. وفى مط: هزمهم.

٢. ياذيين: ما فى الأصل مهمل فى الأوّل. فى مط: بارس. وفى مد: ياذيين. وياذيين قرية كبيرة كالبلدة تحت واسط على ضفة دجلة (مراسد الاطلاع).

ولا اختلاف كلمة الأولياء فيها ولا تهم لا يأمنون الأتراك والقرامطة.

وكاتب ابن رائق بذلك فعرضه على الراضى بالله وشاور فيه الحسين بن على النوبختى فأشار بالألا يقبل منه ذلك وأن يتم ما شرع فيه من قصده ما دام قلبه قد نخب وأن يُخرج الأهواز من يده ولا يقار بها. وأشار أبو بكر ابن مقاتل بقبول ما بذله وإقراره في ولايته. فمال ابن رائق إلى الهوينا وقبل رأى ابن مقاتل وكان رأى الصحيح مع النوبختى وكتب إلى ابن شيرزاد وابن إسماعيل وأذن لهما في العقد والإشهار^(١) ففعلا وانصرفا.

فأما المال فما حمل منه دينار [544] واحد. وأما الجيش فإنه أنفذ جعفر بن ورقاء لتسلمه والنهوض إلى فارس به فوافى جعفر بن ورقاء الأهواز وتلقاه أبو عبد الله البريدى في الجيش كله كوكبة بعد كوكبة حتى ملأ الأرض بهم واسودت منهم حافين بأبى عبد الله حوله فورد على جعفر بن ورقاء ما حيره.

ثم أنفذت الخلع السلطانية إلى أبى عبد الله البريدى بالولاية وعمالة الأهواز فلبسها في جامع الأهواز وانصرف إلى داره فمشى العسكر قوادهم وفرسانهم وصميمهم وعبيدهم ورجالهم بخفاقهم وراياتهم وأسلحتهم بين يديه. فبئس جعفر بن ورقاء وكان راكباً معه وانخزل وسقطت نفسه. فلما بلغ داره احتبسه واحتبس القواد معه والناس، وكان يوماً عظيماً.

ثم أقام جعفر بن ورقاء أياماً فدى عليه البريدى الرجال فشغبوا وطالبوه بمال يفرق فيهم رزقة تامة للنهوض. فاستتر واستجار بالبريدى فأخرجه وعاد إلى الحضرة.

وعنى ابن رائق بأبى الحسين البريدى قبل هذه الحال حتى انحدر من

١. ويمكن أيضاً أن يقرأ ما في النسختين: الإشهاد. وقرئ في مد: الإشهار، كما أثبتناه.

بغداد ولحق بأخويه. ولما تقرّر أمر البريدى أصد الرضى بالله وابن رائق إلى بغداد. ودخل أبو عبد الله الحسين بن عليّ كاتب الأمير ابن رائق بغداد. [545]

ذكر حيلة أبي بكر ابن مقاتل على الحسين بن عليّ النوبختى حتى عزله عن كتابة ابن رائق

وكان أبو بكر محمد بن مقاتل متمكناً من ابن رائق التمكن المشهور منحرفاً عن الحسين بن عليّ النوبختى بعد المودة الوكيدة. وكان هو أوصله إلى ابن رائق وأدخله فى كتابته فلماذا ولأنّ الحسين بن عليّ فوقه ومتفرد بابن رائق - وهو المدبّر للملك والذى بنى لابن رائق تلك الرتبة العظيمة والذى ساق إليه تلك النعمة وجمع له تلك الأموال التى كان مستظهِراً بها من ضمان واسط والبصرة - أشار على ابن رائق أن يعتضد بأبى عبد الله البريدى وأن يستكتبه ليتفق الكلمة ويجتمع جيش الأهواز إلى جيشه وقال له :

- «أيها الأمير لك فى ذلك جمال عظيم لأنّه اليوم كالنظير لك فإذا تواضع وصار تابعاً جاز حكمك عليه وسيُقال لك: إنّ البريدى غدر بالسلطان وياقوت فكيف تثق به؟ فالجواب عن هذا أنّه ليس يجمعكما أرض فتتمّ حيلته عليك كما تمّت على ياقوت وأنت غير قادر عليه إلاّ بحرب وقد يجوز أن تظفر به أو^(١) يظهر هو. فإذا كنّا قد انتهينا إلى هذه الحال معه فحطّه من الإمارة إلى الكتابة وتصيره تابعاً ثمّ جذب رجاله [546] وجيشه بالخدعة أو إنفاذه مع بجمك ليفتح لنا فارس وإصبهان أولى من دفعه عمّا

١. ويمكن أن يقرأ «لو» كما قرأه فى مد، لأنّ الكاتب وصل بين الألف والواو، شأنه فى مثل هذه المواضع، ويؤيد قراءتنا ما فى مط: أو.

سأل وإيحاشه فيحتاط لنفسه ويخبّب الرجال وقد حمل إلى الأمير مع هذا ثلاثين ألف دينار هدية هي في منزلي.»

وقال له ابن رائق :

- «ما كنت لأصرف الحسين بن عليّ مع نصحه لي وتبرّكي به ولو فتح لي فارس وإصبهان وساقهما إليّ خصوصاً وأهداهما لي دون غيري.»
قال : «أيها الأمير فإن كرهت هذا فضمّنه واسطاً والبصرة.»
فقال : «هذا لفعلته إن أشار به أبو عبد الله الحسين بن عليّ.»
قال : «فتكتمه أيها الأمير خوفاً في الكتابة ولا تذكرها.»

وحضر أبو عبد الله الحسين بن عليّ بعد ذلك وعرض عليه هذا الرأي فضجّ منه وعدّد مساوئ البريدي وغدره وكفره الصنائع منذ ابتداء أمرهم وإلى أن كاشفوا بالعصيان، وأعاد حديث ياقوت. ثمّ التفت إلى ابن مقاتل فقال :

- «ما قضيت حقّ هذا الأمير ولا نصحته.»

ثمّ قال :

- «أنا عليل أيها الأمير، فإن عشت وأنا معك فهيئات أن يتمّ عليك وإن مضى فيّ حكم الله فنشدتك^(١) الله أن تأنس بالبريدي أو تسكن إليه بشيء من أصناف حيله.»
فدمعت عين ابن رائق وقال :

- «بل يحييك الله [547] ويهلكه.»

وكان الحسين ابن عليّ عليلًا من حمى وسعال. ثمّ انصرف الحسين بن عليّ وابن مقاتل مغضب. فقال لابن رائق :

١. في مط: فسدل الله، بدل «فنشدتك الله».

- «قد حمل الرجل إليك ثلاثين ألف دينار ولا بدّ من أن تعمل به جميلاً.
فاقبل أحمد بن عليّ الكوفي خليفة لنا بحضرتك ونائباً عنه إلى أن ترى
رأيك.»

فقال: «أما هذا فنعم.»

وكتب ابن مقاتل إلى البريدي بما جرى وأنفذ أحمد بن عليّ الكوفي
ووافي حضرة أبي بكر محمد بن رائق بمدينة السلام واختلط به نيابة عن أبي
عبد الله البريدي وثقل الحسين بن عليّ النوبختي فتأخّر عن الخدمة أياماً.
وكان له ابن أخ قد صاهره فهو يخلفه في مجلس ابن رائق ويوقع عنه. فقال
أبو بكر ابن مقاتل للأمير ابن رائق:

- «حسن العهد من الإيمان وهو من الأمير أحسن لأنّه عائد بالسلامة
عليّ ولكن إضاعة الأمور ليس من الحزم والحسين بن عليّ ميّت فانظر
لنفسك فإنّ الأمور قد اختلّت.»

فقال: «يا هذا، الساعة والله سألت سنان بن ثابت عنه فقال: قد صلح
وخفّ النفط وأنّه أكل الدّراج.»

فقال: «سنان رجل عاقل ولا يحبّ أن يلقاك فيمن تُعزّ بما تكره^(١) ولا
سيّما هو وزير الزمان ولكن صهره [548] وابن أخيه خليفته أحضره وحلفه
أن يصدقك.»
قال: «افعل.»

وانصرف ابن مقاتل ودعا عليّ بن أحمد ابن أخى الحسين بن عليّ وقال
له:

- «قد مهدّت لك كتبة الأمير وواقفته على تقلّدك إيّاها وهى وزارة

١. وفى مط: فيمن تعذّ احضر بما تكره. (خلط وتصحيف).

الحضرة وعمك ذاهب فإن سألك فعرفه أنه ميت لا محالة. فإني أعود إليه وأناجزه فيخلع عليك قبل أن يطعم فيها غيرك.»

فاغتر^(١) علي بن أحمد وسأله محمد بن رائق من غد بعد أن أخلى نفسه عن خبر عمه. فكان جوابه أن بكى وقال:

- «أعظم الله أجرك أيها الأمير في أبي عبد الله عُدَّة من الأموات.»

ثم لطم وجهه. فقال ابن رائق:

- «لا حول ولا قوة إلا بالله أعزز علي به، لو فدى حي ميتاً لفديته

بملكي كله.»

واستدعى ابن مقاتل فقال له:

- «كان الحق معك قد يثسنا من الحسين بن علي، فإننا لله وإننا إليه

راجعون، فأى شيء نعمل؟»

فقال: «هذا أبو عبد الله أحمد بن علي الكوفي نظير الحسين بن علي

وكانا صنيعتي إسحاق بن إسماعيل النوبختي، هو في نهاية الثقة والعفاف وهو

خصيص بأبي عبد الله البريدي وإن أنت استكتبته اجتمعت لك كفاية إلى

عفافه واستقصائه وانضاف إلى ذلك كله حصول أولئك في جملتهم

وانقطاعهم [549] إليك ونعتد علي أبي عبد الله أننا قد أجبناه إلى ما سأل من

كتابتك واستخلفنا صاحبه أبا عبد الله الكوفي.»

فقال: «استخر الله وافعل ولكن عهدة أبي عبد الله الكوفي عليك ألا

يغشني ويؤثر البريدي في حال من الأحوال.»

فقال: «أنا الضامن عن أبي عبد الله الكوفي كل ما شرطه الأمير.»

فاستكتبه فدبر الأمور كلها كما كان يدبرها الحسين بن علي وأسقط من

١. وفي مط: اعترف، بدل «اغتر».

الكتب التي تكتب عن ابن رائق وكتب: «فلان بن فلان». وكان الحسين بن عليّ يكتب ذلك على رسم الوزارة فكانت مدّة تدبير الحسين بن عليّ النوبختي لأموار المملكة ثلاثة أشهر وثمانية أيّام.

وكتب أبو بكر ابن رائق إلى أبي عبد الله البريدي يعتدّ عليه بما احتال له حتّى زحزح الحسين بن عليّ وساق الأمر إليه واستخلف له أبا عبد الله الكوفي فحمل إليه أبو عبد الله البريدي عشرة آلاف دينار وحمل^(١) إلى ابن رائق عشرين ألف دينار بعد الثلاثين الألف الدينار التي قدّمنا ذكرها. واستقلّ الحسين بن عليّ النوبختي وصحّ جسمه وعوفي فكتب عن ابن رائق وتمكّن البريديون حتّى غلبوا على البصرة.

ذكر الخبر عمّا احتالوا به واتفق أيضاً لهم

لَمَّا مضى^(٢) شهر من استكتاب ابن رائق أبا عبد الله الكوفي [حتى] شرع لأبي يوسف البريدي في ضمان [550] البصرة وواسط فأشار عليّ بن رائق بذلك فقال:

« لا أفعل ولا أثق بهما. »

قال له :

« ولم أتّهم الأمير؟ أمّا واسط فأنا مدبّرها وليس يردّ لهم إليها ولا راجل، وعليّ توفية مالها. وأمّا البصرة فقد قرّرت أمرها على أربعة آلاف ألف درهم على أن يقيم لي بها ضمناء ثقات. »

١. سقط من مد من «وحمل» إلى «التي قدّمنا ذكرها».

٢. «لَمَّا» لا تُقرأ في الأصل، وإنّما قرأناها في ضوء ما في مط. وقرئت الكلمة في مد «لم» فأصبح الضبط: «لم يمض» كما احتيج إلى زيادة «حتّى» بين المعقوفتين وزيدت فعلاً: «لم يمض شهر... [حتّى]....»

وأشار أبوبكر بن مقاتل بمثل ذلك فأذن ابن رائق في العقد عليه فقلد أبو يوسف أبا الحسن ابن أسد أعمال الخراج بالبصرة وكان والى الحرب بها محمد بن يزداد فخرج أهل البصرة بأجمعهم إلى سوق الأهواز لتهنئة البريدي بالولاية وكان جمعهم عظيماً جداً. وكان أبو الحسين ابن عبد السلام الهاشمي وجيه البصرة قد شذ عن ابن رائق لأنه قصر به وحط منه بالبصرة، فقصد أبا عبد الله البريدي وأبا يوسف أخاه فطرح نفسه كل مطرح عندهما وأشار إليهما بالغلبة على البصرة وإنقاذ العساكر إليها وذكر طاعة الخول وأهل الأنهار له. فأخذ أبو عبد الله في بناء الشذاءات والزبازب والطيارات والاستكثار منها حتى اجتمعت له مائة قطعة في نهاية الوثاقة والجودة، فحين وافاه أهل البصرة [551] للتهنئة قريهم وأكرمهم ورفع منهم وقال :

- «قد اطلع أبو الحسين بن عبد السلام على نيتي الجميلة فيكم ومحبتى لصلاحكم وإعداد آلة الماء للجيوش الذين أحصن بهم بلدكم من القرامطة وكنت مستغنياً عن ضمان البصرة إذ لا فائدة لي فيها وإنما امتعشت لكم من ظلم ابن رائق ومحمد بن يزداد خليفته لكم وتحملت في مالي أربعة آلاف دينار في كل شهر بإزاء ما كان يؤخذ من الشرطة والمآصير والشوك تخفيفاً عنكم وقد أزلت جميعها وهذا خطي برفعها عنكم.»

ووقع بذلك توقيعاً وسلمه إليهم وكثر الدعاء والضجيج بشكره. ثم قال لهم :

- «إنه سيبلغ هذا ابن رائق فينكره ويوحشه متى وبصير سبباً للعداوة بيني وبينه. والله ما أبالي أن يعادينى أخوای ابو يوسف وأبو الحسين وابنى أبو القاسم فى صلاحكم. لأنى أعلم أن فيكم بنى هاشم وطالبيين وأولاد المهاجرين والأنصار، ومن حرمة الإسلام صيانتكم وأنى لأقدر أن الله عز وجل يغفر لى كل ذنب بإزالة الأذى عنكم وسيروم ابن رائق رد ما قد أزلته

عنكم من هذا الحطام الذي كان يأخذه. فأين السواعد القويّة والنفوس [552] الأبيّة التي حاربت عليّ ابن أبي طالب صلوات الله عليه^(١). فمتى رام ابن رائق نقض ما عملت فاضربوا وجهه ووجوه أصحابه بتلك السواعد والسيوف وأنا من وراءكم.»

ثمّ ذكر أهل البصرة بأيّامهم مع عبد الرحمن بن الأشعث ومحمّد وإبراهيم إبنى عبد الله بن حسن وقال :

- «لتكن قلوبكم قويّة وآمالكم فسيحة ونفوسكم شديدة فى مجاهدة عدوّكم.»

ثمّ وقّع للنفقة على المسجد الجامع بالبصرة بألفى دينار وقال :

- «بلغنى أنّه خراب.»

وعرّضت عليه الرقاع بالحاجات فوقّ بحطائط ونظير وصلات وتخفيف فى المعاملات بألفى ألف درهم وانصرفوا عنه وقد صاروا سيوفه. وسير إقبالاً غلامه وحاجبه وكانت له نوبة مع أبى جعفر الجمّال^(٢) وضمّ إليه ألفى رجل وقال :

- «أقيموا بحصن مهدى إلى أن نكتب إقبالاً الحاجب بالمشير بهم إلى البصرة.»

واتصل ذلك بأبن يزداد فقامت قيامته.

وفى هذه السنة قلّد محمّد بن رائق أبا الحسين بحكم الشرطة بمدينة السلام وقلّد الحسين عمر بن محمّد قضاء القضاة مع الأعمال التى إليه. وأمر الغلمان الحجرية المستترين ببغداد فظهروا وصاروا إليه بالسلاح فعرضهم

١. فى مط: عليه السلام. ووضع فى مد علامة التعجب بعد «صلوات الله عليه» حيث يبدو أنّ سياق الكلام لا يلائم التصلية.

٢. وفى مط: الحمال (بالحاء المهملة).

وأَمْضَى من جملتهم نحو ألفى رجل وأثبتهم برزق مستأنف [553] على ما رآه وأسقط الباقيين وأخرج من أمضاه وقرر رزقه إلى الجبل. فلَمَّا صاروا بطريق خراسان أجمع رأيهم على المضي إلى الأهواز فمضوا إلى أبي عبد الله البريدي فقبلهم وأضعف أرزاقهم وخاطبهم بالترثي لهم ممَّا جرى عليهم من ابن رائق والتعجب منه ووعدهم بالإحسان التام. وأظهر للسلطان وابن رائق أَنَّهُ لم يكن به طاقة لَمَّا صاروا إليه أن يدفعهم وَأَنَّهُ اضطرَّ إلى قبولهم وجعلهم حجة في قطع ما كان ووُقف على حمله واحتجَّ بأنَّهم اجتمعوا مع الجيش ومنعوه من حمل مال البلد وغلب على الأهواز والبصرة.

انقسام الدولة العباسية إلى دويلات

فصارت الدنيا في أيدي المتغلبين وصاروا ملوك الطوائف وكلٌّ من حصل في يده بلد ملكه ومنع ماله.

فصارت واسط والبصرة والأهواز في أيدي البريديين وفارس في يد علي بن بويه وكرمان في يد أبي علي ابن إلياس^(١) وإصبهان والريّ والجبل في يد أبي علي الحسن بن بويه ويد وشمكير يتنازعونها بينهما والموصل وديار ربيعة وديار بكر في أيدي بني حمدان ومصر والشام في يد محمد بن طُغج والمغرب وأفريقية في يد أبي تميم والأندلس في يد الأموي وخراسان في يد نصر بن أحمد واليمامة والبحرين وهجر في يد أبي طاهر ابن أبي سعيد [554] الجتّابي وطبرستان وجرجان في يد الديلم، ولم يبق في يد السلطان وابن رائق غير السواد والعراق.

ولَمَّا حصلت ديار مضر خالية قد خربت وضاق مألها عن كفاية السلطان

١. سقط من مط قوله: «وكرمان في يد أبي علي بن إلياس».

خرج عنها بدر الخرشنى - وكان يتولّى الحرب بها - وعاد إلى الحضرة. فلما خلت من صاحب معونة، قصدها علىّ بن حمدان فغلب عليها. وزاد فى مرض أبى عبد الله الحسين بن علىّ النوبختى ما رآه من انتقاض كلّ ما كان نظمه وما تمّ عليه من الحيلة، فأل أمره إلى السلّ.

وفى هذه السنة انكشفت الوحشة
بين محمّد بن رائق وبين البريديين
ذكر السبب فى ذلك

اتفق أن وافى أبو طاهر القرمطى الكوفة فدخلها فى شهر ربيع الآخر من سنة خمس وعشرين. فخرج ابن رائق من بغداد ونزل فى بستان ابن أبى الشوارب بقنطرة الياسريّة وأنفذ أبا بكر ابن مقاتل برسالة إلى أبى طاهر الهجرى. وكان أبو طاهر يطالب بأن يحمل إليه السلطان فى كلّ سنة مائة وطعاماً بنحو مائة وعشرين ألف دينار ليقيم فى بلده. وبذل له ابن رائق بأن يجعل ما التمسّه رزقاً لأصحابه على أن يكسر لهم السلطان جريدة وينفق فيهم ويدخلوا فى الطاعة ويستخدموا. وجرت خطوب [555] بينهما ومخاطبات انصرف معها أبو طاهر إلى بلده من حيث لم يتقرّر له أمر مع ابن رائق وبلغ ابن رائق إلى قصر ابن هبيرة ثمّ عاد منها إلى واسط وكاشف البريدى واستوزر أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات.

ذكر السبب فى ذلك

كان ظنّ ابن رائق أنّه إذا استوزر أبا الفتح جذب له الأموال من مصر والشام. فقدم أبو الفتح من الشام ولزم سليمان بن الحسن منزله وكان حمل

إليه الخلع قبل وصوله إلى بغداد فوصلت إليه وهو بهيت^(١) فلبسها. ثم دخل بغداد وأقرّ أبا القاسم الكلوذاني على ديوان السواد واستخلف بالحضرة أبا بكر عبد الله بن عليّ النفري وهو زوج أخته وكتب السلطان في استيزاره أبا الفتح كتاباً نفذ إلى أصحاب الأطراف.

ولما بلغ ابن رائق ما خاطب البريدي به أهل البصرة قلق وتغيّر للكوفي واتهمه وهمّ بالقبض عليه، فحامي عنه أبو بكر ابن مقاتل، ثم رأى أنّه يغالط ابن البريدي بكتاب إليه. فقال للكوفي أنّه بلغني أنّ صاحبك خاطب أهل البصرة بما أنا معرض عنه فإنه ربّما وقع التزيّد في مثله ولكن اكتب إليه :

- «إنّ الذي أنكرته قبورك الحجريّة. فأما إذا تردهم وإمّا أن تطردهم [556] وإن استأذنوك في ناحية يقصدونها فاضمم إليهم من رأيت من قوّادك وأنفذهم إلى الجبل وهذا العسكر الذي أنفدته إلى حصن مهدي، فأنا أعلم أنّه لما اتّصل ورود الهجري إلى الكوفة استظهرت بانفاذه ليعين من فيها عليه إن احتيج إلى ذلك وقد استغنى الآن عنهم وفي مقامهم بالحصن مع الإستغناء عنهم تسليط الظنون السيئة عليك وإيجاد اعداءك سبيلاً إلى التضريب بيني وبينك.

- «وبلغني أنّك قد كنت أنفدت أبا جعفر محمّداً غلامك إلى السوس - وكان قد أنفذه على الحقيقة - وأمرته أن يقصد الطيب ويقيم بها إشفاقاً من أن يلحقني وهن من القرامطة فإن احتيج إليه لحماية واسط كان قريباً وإني لما وافيت كاتبته بالإنصراف فعاد إلى الأهواز، وهذا مشكور. فاعمل في أمر إقبال ومن أنفدته إلى حصن مهدي كهذا العمل، ثمّ أنا لك على الوفاء.»

١. هيت: سُميت باسم بانها وهو هيت بن البندي، ويقال: البلندي. بلدة على الفرات فوق الأنبار، ذات نخل كثير وخيرات واسعة (مراصد الإطلاّع).

فكتب الكوفى بهذا كله. فكان الجواب :

- «إن جيشه القديم متشبثون بالحجرية لأنهم أقاربهم وبين القوم وصل ورحم وبلدية ولا يمكن إخراجهم جملة واحدة ولكنه على الأيام يفرق شملهم، وإن الأخبار تواترت بأن القرمطى لما انصرف عن الكوفة قصد البصرة واستجار به أهلها فأنفذ [557] هذا العسكر إشفاقاً عليها وأنهم قد حصلوا بها.»

وكان البريدى ساعة ورود الخبر عليه بنزول ابن رائق واسط أنفذ إلى من بحصن مهدى بدخول البصرة فدخلوها بعد أن أنفذ من الحجرية قطعة وافرة لمعاضدتهم على دخولها. وأخرج محمد بن يزداد تكان^(١) الصغدى وتكين - وكانا تركيين من شحنة البصرة - لحربهم فوقعت بينهم وقعة فى نهر الأمير انهزم بها الرائقية. ثم زاد محمد بن يزداد فى عدتهم بالإثبات^(٢) وبغلمان نفسه. فكانت الوقعة الثانية بكسر أبان وبينها وبين الأبله فرسخ.

فانهزم الرائقية هزيمة ثانية ودخل إقبال وجيش البريدى البصرة.

وأما محمد بن يزداد صاحب ابن رائق فإنه فتح باب البصرة وهرب على طريق البر إلى الكوفة.

وأما تكان وتكين ورجال الماء من^(٣) الرائقية فإنهم اهدوا فى زبازبهم إلى واسط.

وورد الخبر على ابن رائق بحصول إقبال غلام البريدى وأصحابه بالبصرة وجواب كتاب الكوفى فى أيام متقاربة. فأنفذ رسولا إلى البريدى برسالة

١. ما فى الأصل هنا: مهمل فى الأول. وفى الأسطر الآتية: يكان (بالياء). وفى مط: تكان (فى كلا

الموضعين) وفى مد: مكان (فى كلا الموضعين).

٢. بالإثبات (بكسر الهمزة): كذا فى الأصل ومط.

٣. من: سقط من مد.

قسّمها بين إرغاب وإرهاب ووعد ووعيد فكان من جوابه :
 - «إنه لا يمكنه ردّ رجاله من البصرة، لأنّ أهلها قد أنسوا بهم
 واستوحشوا من قبيح [558] ما عاملهم به ابن يزداد في أيّامه لأنّ القرمطي
 طامع في البلد وليس يأمن متى كاتبهم بالإنصراف أن يدخل القرامطة إلى
 البصرة ضرورة، لئلا تعود المعاملة بين أهلها وبين ابن يزداد بعد أن كاشفوه.»
 وقد كان لعمرى أهل البصرة في نهاية الإستيعاش من ابن رائق ومحمّد
 بن يزداد، فإنّ محمّد بن يزداد سار بهم سيرة سدوم وظلمهم في معاملاتهم
 ظلماً مفرطاً وسامهم الخسف وكانوا قد اعتادوا العزّ وقدّروا بالبريدى خيراً
 ثمّ رأوا منه ومن أخويه ما ودّوا أنّهم أكلوا الخرشف والخرنوب وصبروا على
 محمّد بن رائق ومحمّد بن يزداد ومعاملتهم.

ولمّا عاد الرسول بالجواب كان ابن رائق قد استدعى بدرأ الخرشني
 وأكرمه وخلع عليه خلعاً سلطانيّة وحمله. وترجّح الرأي في تسيير الجيوش
 إلى الأهواز والبصرة ثمّ استقرّ الرأي على أن يقلّد بجكم الأهواز بعد حديث
 لبجكم في ذلك مع ابن مقاتل سنذكره فيما بعد إن شاء الله. وخلع عليه ابن
 رائق لذلك وسيّره وبدرأ الخرشني إلى الأهواز وضمّ إليه ابن أبي عدنان
 الراسبي دليلاً ومعيناً وأنفذ حاجبه فاتكاً وعبد العزيز الرائق وأحمد بن نصر
 القشوري وبرغوثاً وأمرهم أن يقيموا [559] بالجامدة ويحصل جيش البريدى
 بين حلقتي البطان فيادر بجكم ولم يتوقّف على بدر الخرشني ونفذ أمامه
 فوصل إلى السوس وأخرج البريدى محمّداً غلامه المعروف بأبي جعفر
 الجمّال في عشرة آلاف رجل بآتم آلة وأكمل سلاح للحرب.

فوقعت الحرب بظاهر السوس ومع بجكم مائتان وتسعون غلاماً من
 الأتراك فانهزم البريديّة يوم نزول بدر بالطيب.
 وقال بجكم :

- «إنما بادرت وحملت على نفسي ما حملت ولاقيت هذه العدة العظيمة بهذه العدة اليسيرة لتلا يشركنى بدل فى الفتح.»
وعاد ابو جعفر الجمال إلى أبى عبد الله البريدى فصفعه بخفّة وقال :
- «انهزمت مع عشرة آلاف من بين يدى ثلاثمائة غلام.»
فقال له :

- «أنت ظننت أنك تحارب ياقوتاً المدبر وجيشه المدابير. قد والله جاءك من لث^(١) بجكم والأتراك خلاف ما عهدت من سودان باب عمان والمولدين.»

فقام إليه فلكمه بيده ثم قال له :

- «قد أنفذت أبا الخليل الديلمى ومن معى من العجم ومن كان يخلف بالأهواز فى ثلاثة آلاف رجل إلى تستر فانفذ الساعة مع من صحبتك إليها حتى تجتمع معهم وتعاود الحرب.»

فقال : «افعل وسنعود إليك هذه الكرة بأخزى من الكرة الأولى لأن [560] هيبة بجكم قد تمكنت فى نفوس أهل العسكر.»

وتفد للوقت فى ثلاثة آلاف رجل ووافى بجكم إلى نهر تستر فطرح نفسه وغلمانهم فى الماء للعبور سباحة وكان الماء قليلاً فانهزم القوم بغير حرب وعادوا إلى أبى عبد الله. فخرج فى الوقت مع أخويه وجلسوا فى طيار ومعهم حديدى فيه ثلاثمائة ألف دينار كانت فى خزائهم فغرقت بالنهر وان غرق الطيار وأخرجهم الغواصون وأخرج لبجكم بعض المال. فقال أبو عبد الله :

- «ما نجونا والله من الفرق ب صالح أعمالنا ولكن لصاعقة يريد ها الله بهذه

١. اللث: القدوم. الناس العظيمة (فارسية). لله: دقة وفته وسحقه. وفى مط: ابن (مهمل) بدل «لث».

الدنيا.»

فقال له أبو يوسف :

- «ويحك، ما تدع التنادر في هذه الحال.»

ثم وافوا البصرة ودخل بجكم الأهواز وكتب إلى ابن رائق بالفتح. ولما وصل أبو عبد الله إلى الأبلّة ومعه أخواه أنفذ إقبالاً غلامه إلى مطارا وأقام هو وأخواه في طياراتهم وأعدّوا ثلاثة مراكب للهرب منها إلى عمان إن اتفق على إقبال بمطارا من الهزيمة مثل ما تمّ على أبي جعفر بالسوس. وأخرج أبو عبد الله البريدي أبا الحسن ابن عبد السلام لمعاضدة إقبال، فانهزم الرائيّة وأسر برغوث وحمل به إلى البريدي فأطلقه، وكتب إلى ابن رائق كتاباً يستعطفه [561] فيه وأنفذه إليه مع برغوث ودخل البريديون الثلاثة إلى الدور فنزلوها وسكنوا واطعمانوا ولم يمكن بجكم أن يسير من الأهواز لخلو الأهواز من آلة الماء وشغب رجال بدر عليه فانصرف إلى واسط وملك بجكم الأهواز.

ولما عرف ابن رائق ما جرى على رجاله في الماء أنفذ أبا العباس أحمد بن خاقان وجوامرد^(١) الرائي إلى المذار على الظهر لمحاربة البريدي وإخراج أصحابه وسير بدر الخرشني إلى البصرة في الماء في شذات مقيرة بناها بواسط. فانهزم الرائيّة من المذار وأسر أبو العباس ابن خاقان ورجع جوامرد إلى واسط وأحسن البريدي إلى ابن خاقان واستحلفه ألا يعود لمحاربته ولا يشايح عليه وأطلقه.

واتصل خبر هذه الهزيمة بابن رائق فصار بنفسه من واسط إلى البصرة على الظهر وكتب إلى بجكم أن يلحق به إلى عسكر أبي جعفر. فاتفق أن سار

١. في مط: جوامرد (أي: الفتى).

بدر الخرشني في الماء إلى نهر عمر ووافى إلى البصرة وملك شاطئ الكلا^(١) وحصل إقبال غلام البريدي في حدود واسط لمّا عرف خروج ابن رائق عنها وبلغ ابن رائق ذلك فردّ فاتكاً حاجبه إلى واسط ليحفظها.

ولمّا ملك بدر الخرشني الكلا هرب أبو عبد الله البريدي للوقت إلى جزيرة أوال^(٢) وخرج من كان بالبصرة من الجند لدفع [562] بدر وانضاف إليهم عالم عظيم من العامة فاضطرّ بدر إلى الإفراج عن شاطئ الكلا وحصل بالجزيرة التي يازاها واستتر أبو يوسف البريدي وركب أخوه أبو الحسين يحض الجند والعامة ووافى بجكم إلى ابن رائق وهو في عسكر أبي جعفر يوم ورود بدر لكلا ولمّا كان وقت العصر عبر ابن رائق وبجكم دجلة البصرة ودخلا نهر ديبس وتبعهما أحمد بن نصر القشوري فرمى بالحجارة وغرق زبزة واجتمع بدر وابن رائق وبجكم في الجزيرة فشاهدوا أمراً عظيماً وخطباً جليلاً من العامة وتكاثروا عليهم. فقال بجكم لابن رائق :

- « ما الذي عملت بهؤلاء القوم حتّى قد أحوجتهم إلى ما خرجوا إليه ؟ »
فقال :- « لا والله ما أدري . »

وانصرف بجكم وابن رائق إلى عسكر أبي جعفر ولمّا جنّ الليل وجاء المدّ انصرف بدر إليهما.

وبلغ إقبالاً خبر بدر في نفوذه في الماء إلى البصرة من الجامدة ومخالفته إيّاه الطريق فكّر راجعاً ووافى في اليوم الثاني وقت العصر إلى شاطئ الكلا ونفذ إلى شاطئ الأبلّة وحال بين ابن رائق وبجكم وبدر وبين الأبلّة وصارت الحرب في دجلة وطالت المنازلة.

ونفذ أبو عبد الله البريدي من جزيرة أوال إلى فارس واستجار بعليّ ابن

١. قال في مراد الإطلاع: الكلام (بالمَد): محلّة مشهورة وسوق بالبصرة.

٢. أوال: جزيرة بناحية البحرين بها نخل وبساتين (مراد الإطلاع).

بويه فأنفذ معه [563] أخاه أبا الحسين أحمد بن بويه لفتح الأهواز.
 وورد الخبر بذلك على ابن رائق وأصحابه فتقدم ابن رائق إلى بجكم
 بالمبادرة إلى الأهواز لحمايتها فقال بجكم :
 - «لست أحارب الديلم وأدفعهم عن الأهواز إلا بعد أن تحصل لى أمارتها
 حرباً وخراجاً. وأنت تعلم أنى ما صبرت لأبى العباس الخصيبى لما^(١) قلّدتَه
 الأهواز حتى صرفته أصبر لعلّى بن خلف بن طناب أن يتحكّم فى بلد
 أحارب عنه؟»

وكان علّى بن خلف بالأهواز من قبل الوزير أبى الفتح فضمن ابن رائق
 بجكم الأهواز وكورها بمائة وثلاثين ألف دينار محمولة فى السنة على أن
 يوفى رجاله مالهم ويستوفى ما يخصّه وغلمانهم، وأقطعه إقطاعاً بخمسين ألف
 دينار. ولما كان بعد شهر أو دونه من نفوذ بجكم إلى الأهواز انصرف ابن
 رائق أيضاً من عسكر أبى جعفر ومضى إلى الأهواز وأحرق ما بقى من سواده
 لإتفاق سيّئ اتفق عليه.

ذكر اتفاق سيّئ اتفق على ابن رائق
 حتى انهزم إلى الأهواز وأحرق سواده

كان طاهر الجبلّى وافى إلى واسط مستأمناً إلى ابن رائق فلم يجده بها
 وقصده إلى عسكر أبى جعفر فتلقاه فى طريقه كتاب ابنه وجاريته بحصولهما
 فى يد ابن البريدى، لأنّ أبا عبد الله كان [564] بفارس فقبل ابنه وجمع بينه
 وبين الجارية فعبر بالليل فى مائتى رجل. وزعق بابن رائق وبدر الخرشنى
 ووازره جميع أصحاب البريدى من عسكر الماء. فأما بدر فإنه انهزم إلى

١. ما فى الأصل : لما (بتخفيف الميم).

واسط. وأمّا ابن رائق فإنّه مضى إلى الأهواز وأكرمه بجكم وخدمه وأشير على بجكم بالقبض عليه فلم يفعل. وأقام أَيْاماً حتّى وافاه من واسط فاتك غلامه ثمّ سار إليها وخلف بجكم بالأهواز.

وأمّا حديث بجكم مع ابن رائق الذى وعدنا به فهو ما حكاه ثابت ابن سنان عن والده سنان.

ذكر حكاية عن بجكم تدلّ على حصافة

وبعد غور وكبر همّة

قال ثابت : حدّثنى والدى أنّ بجكم قال له بعد أن ملك الحضرة وأزال أمر ابن رائق فى عرض حديث جرى بينهما :

سبيل الملك إذا حزبه أمر من الأمور أن يكون جميع ما يملك من مال وغيره، أقلّ فى عينه من التراب، وأن تحذف جميعه كما حذفت هذه الحصاة فيما يقدر^(١) به زوال ما قد أظله. فإنّ دولته إذا ثبتت أمكنه أن يستخلف أضعاف ما خرج عن يده وإن هو بخل وشحّت نفسه وتهيب إخراج ما فى يده ذهب ما بخل به وذهبت معه نفسه.

أذكر وقد قلّدتى ابن رائق الأهواز ولم يكن ما فعله من ذلك برأى أبى بكر ابن [565] مقاتل ولا شاوره فيه. قلّمتا بلغ ابن مقاتل الخبر شقّ عليه ذلك جدّاً وبادر إلى ابن رائق وقال له :

«أىّ شيء عملت، قد عزمت على أن تقلّد بجكم الأهواز؟»

قال ابن رائق :

«نعم.»

١. وفى مط: تقرر، بدل «يقدر».

قال : « قد أخطأت على نفسك نهاية الخطأ . أنت لا تقوى ببني البريدي وهم كتاب أصحاب دراريع ، ولا يمكنك صرفهم ولا انتزاع المال من أيديهم . تقلد رجلاً تركياً صاحب سيف إنما صحبتك قريباً مثل الأهواز ما هو إلا أن تحصل الأهواز في يده ويرى جلالتها وحسنها وكثرة أموالها وما يحصل عنده من الجيش بها حتى تحدّثه^(١) نفسه بالتغلب عليها . ثم لا يقتصر عليها حتى يطمع في غيرها وتنازعه نفسه إلى أن ينازعك أمرك ويزيلك عن موضعك ويصير هو مكانك ليأمن على ما حصل له ولا يكون له منازع عليه . وأنت الساعة على طمع في أن تنتزع البلد من يد البريدي . فإن قلّدت بهجكم فاحسم طمعك عنها وأخرجها من قلبك واصرف همّك إلى حفظ - غيرها وليته^(٢) ينحفظ - واحفظ مهجتك فقد عرضتها للتلف . »

ففتاً رأى ابن رائق وصرفه عمّا عزم عليه في أمرى ولعمري لقد صدقه ونصحه وأشار بالرأى الصحيح . [566]

وبلغنى ما جرى بينهما فقامت قيامتى منه ورأيت أنّه يفوتنى ما حدثت نفسى به من الملك فقلقت وشاورت محمّد بن ينال الترجمان فلم يكن عنده رأى . فأخذ يسألنى ويقول لى :
- « أنت فى نعمة وراحة ومحلّك من هذا الملك محلّ الأخ . »

قللت له : *مركز تحقيق كتاب ترمذى*

- « أنت أحق ، امض حتى تعدّ سميرية فى هذه الليلة المقبلة . »
وعملت على قصد ابن مقاتل وعلمت أنّه تاجر عامى صغير النفس وإنّ الدرهم ليعظم فى نفوس أمثاله . فلما كان الليل ونام الناس حملت معى عشرة آلاف دينار ونزلت إلى السميرية وأخذت معى محمّد بن ينال وحده

١. وفى مط : تخدمه ، بدل « تحدّثه » .

٢. وفى مط : ابنه ، بدل « وليته » .

ولم آخذ^(١) غلاماً وصرت إلى بابه فوجدته مغلقاً ودققت فخطبني بوابه من وراء الباب وأعلمني أن الرجل نائم وأن الأبواب بيني وبينه مغلقة. فقلت له: - «دق الباب وأنبهه، فإني حضرت في مهم».

ففعل ودخلت إليه وقد انزعج عن فراشه لحضوري في مثل ذلك الوقت فقال:

- «ما الخبر؟»

فقلت: «خير وأمر أردت أن ألقيه إليك على خلوة، فانتظرت نوم الناس وخلو الطريق ولم آخذ معي غير الترجمان. ولو لا أنني أردته ليرجم بيني وبينك لما أحضرته ولا أطلعته على ما أخاطبك به».

قال: فقال:

- «قل ما تحب».

قلت: «قد علمت ما كان عزم عليه الأمير [567] في بابي من تقليدي الأهواز، وبلغني أنه توقف عن ذلك ولست أعرف سبب توقفه وفي إبطاله ما عزم عليه بطلان جاهي بعد اشتهاؤه وغض مني. ولا يشك أحد أنه لسوء رأي وأنا صنيعتك وصنيعته وغرسكما وإن لم أحظ في أيامكما فمتى أحظى وأى مقدار يكون لي عند الناس. وهذه عشرة آلاف دينار قد حملتها إلى خزائنك، وأنا أعلم أنه يقبل منك، وأريد أن تشير عليه بامضاء ما كان عزم عليه».

فلما رأى الدنانير تخريق وقال:

- «دعني وانصرف في حفظ الله».

فتركت الدنانير بحضرته وانصرفت وأنا واثق بحصول الأهواز لي. فلما

١. وفي الأصل: لم أجد، وما أثبتناه هو من مط.

كان بعد ثلاثة أيام صار ابن مقاتل إلى ابن رائق فقال له :
 - «أشرت بذلك الرأي على الهاجس وظاهر النظر. فلما تأملت الحال
 وجدت الصواب معك لأنك إن تركت الأهواز في يد ابن البريدي وأخوته
 بعد ما حصل لهم من الأموال ازداد كل يوم قوة وطمعاً ومدّوا أيديهم إلى
 غيرها من أعمالك وبلدانك ودبّ فسادهم إلى عسكري بكثرة ما يبذل ويعطى
 ولا يبعد بعد ذلك منازعتهم لك على أمرك هذا. وإن خرجت إليهم بنفسك
 فهي حرب ولا تدري كيف تكون، فإن كانت عليك لم تشدّ منها حزاماً^(١)
 أبداً، وإن وجهت [568] بغير بجكم استضعف وغلب وكسر ذلك قلوب
 أصحابك ولأن تصدمهم بمثل بجكم وهم لا يطمعون في مقاومته أصلح. فإن
 حصل له البلد استأصل شافتهم. ثم أنت مالك أمرك: إن شئت أقررتّه وإن
 شئت صرفته قبل أن يتمكن وقبل أن يجتمع أمره ويحدث نفسه بشيء
 تكرهه^(٢). فاستخر الله وامض أمره.»

فقبل رأيه وأمضى أمرى وقلّدتى ولم أستقل ولاية الأهواز بذلك المال،
 وباع ابن مقاتل روحه وروح صاحبه ونعمته بعشرة آلاف دينار واستخلفت
 أنا مكان الدنانير أضعافها وحصل لى ملك ابن رائق.

شرح حال أبى الحسين أحمد بن بويه وأبى عبد الله البريدي

فى قصدهم الأهواز لمحاربة بجكم

وذلك فى سنة ستّ وعشرين وثلاثمائة

ودخلت سنة ستّ وعشرين وثلاثمائة

قد ذكرنا حال أبى عبد الله البريدي وقصده على بن بويه وأنه تقدّم إلى

١. وفى مط: حراماً، بدل «حزاماً».

٢. وفى مط: ويحدث نفسه من يكرهه، بدل «ويحدث نفسه بشيء يكرهه».

أخيه أحمد بن بويه بالمسير إلى الأهواز معه. وخلف أبو عبد الله البريدي عند علي بن بويه ابنه أبا الحسن محمداً^(١) وأبا جعفر الفياض رهينة وسار مع الأمير أبي الحسين أحمد بن بويه إلى الأهواز.

وورد الخبر على بجكم بنزول أحمد بن بويه أرجان. فخرج بجكم لحربه فانهزم من بين يديه وكان أوكد [569] الأسباب في هزيمته أن المطر اتصل أياماً كثيرة فعطلت القسي^(٢) ومنع الأتراك أن يرموهم بالنشاب. فعاد بجكم وأقام بالأهواز وقطع قنطرة أربق وأنفذ محمداً بن ينال الترجمان إلى عسكر مكرم ووقعت النازلة بينه وبين محمداً بن ينال الترجمان ثلاثة عشر يوماً.

ثم عبر أحمد بن بويه بخمسة من الخاصة في سميرية إلى مشرعة يعرف بمشرعة الحناس^(٣) فهزموا من كان رُتب فيها وما زال يعبر بقوم بعد قوم حتى حصل ثلاثمائة رجل في الجانب الغربي. ثم ضربوا بالبوق واشتملوا^(٤) فانهزم الترجمان وأخذ إلى تُستَر، وبلغ الخبر بجكم فعبر دجلة الأهواز وقبض على الوجوه بها وفيهم ابن أبي علان وأبو زكريا السوسي. وحمل الجميع معه والتقى مع الترجمان بالسوس وسار بجميع عسكره إلى واسط.

ولما حصل بالطيب كتب إلى ابن رائق بالخبر وأنه قد حُرب هو ورجاله فلم يبق لهم حال وأن الرجال سيطاولونه وإن كان عنده مائتا ألف دينار ينفقها فيهم فإنهم فقراء، فالوجه أن يقيم وإن كانت مستعذرة فالصواب أن يصعد إلى بغداد فإنه لا يأمن أن يقع شغب ولا يدرى عن أي شيء ينكشف. فرهب ابن رائق هذه الحال وبادر وخرج إلى [570] بغداد بعسكره ودخل

١. في الأصل ومط: محمد.

٢. في مط: أوتار القسي.

٣. الكلمة مهملة في الأصل ومط كليهما.

٤. اشتملوا: تطاير شرارهم من الفضب.

بجكم وأصحابه واسطاً وأقاموا بها واعتقل الأهوازيين وطالبهم بخمسين ألف دينار.

فقال أبو زكريا يحيى بن سعيد: «أردت أن أسبر ما في نفسه من طلب العراق فراسلته وقلت له:

- «أيها الأمير أنت مطالب بملك ومرشح نفسك لخدمة الخلافة تعتقل قوماً منكوبين قد سلبوا نعمهم وتطالبهم بمال في بلد غربة وتأمر بتعذيبهم حتى جعل في أمسنا طشت فيه جمر على بطن سهل بن نظير الجهبذ. أولاً تعلم أن هذا إذا سُمع به أوحش منك وحاريك وعاداك من لا يعرفك ولا يسمع بخبرك فضلاً عمن تحقق فعلك هذا؟ أو ما تذكر إنكارك على الأمير ابن رائق بالأمس إيحاشه أهل البصرة وعوام بغداد أضعافهم؟ وقد حملت نفسك في أمرنا على مثل ما كان يعمل مرداويج بأهل الجبل. وهذه بغداد ودار الخلافة لا الرئ وإصبيان ولا تحتل هذه الأخلاق.»

فلما سمع ذلك انحلّ وبعث فحلّ^(١) القيود وأزال المطالبة. ثم شفع ابن رائق وابن مقاتل والكوفي في يحيى بن سعيد السوسي، فأطلقه واختصه لعقله ولما تبينه من نفاقه على كل أحد وشفع يحيى بن سعيد في الباقيين وكفل بهم فأطلقهم. ولما عرف علي بن بويه حصول [571] طاهر الجيلي بالبصرة وفي نفسه عليه ما كان عامله به بأرجان، كتب إلى أخيه أبي الحسين أن يطالب أبا عبد الله البريدي به ويقبض عليه ففعل ذلك وأنفذ إلى فارس ولما انهزم الترجمان عبر أحمد بن بويه إلى غربي عسكر مكرم وجلس على شاطئ المسرقان ومعه أبو عبد الله البريدي حتى عقد الجسر الأعلى بها وعبر بباقي رجاله من غد وعاد إليه جواسيسه من سوق الأهواز

١. وبعث فحلّ: في الأصل طموس. وما أثبتناه هو من مط. في مد: وأمر بحلّ.

وعرفوه أنه لم يبق بها أحد.

ونزل البريدى داراً على شاطئ نهر المسرقان ووافاه أهل الأهواز بأجمعهم مهتئين وداعين وكان يُحتمّ الربع، وفيمن حضره يوحنا الطبيب وكان متقدماً فى صناعته.

فقال له أبو عبد الله البريدى :

- «أما ترى يا أبا زكريا حالى؟»

فقال له :

- «خلط - يعنى فى المأكول - لترمى بالأخلاط.»

فقال له :

- «أكثر بما خلطت يا أبا زكريا، قد أرهجت ما بين فارس والحضرة فإن أقنعتك ذلك وإلا ملت إلى الجانب الآخر وأرهجت إلى خراسان.»

ولما كان فى اليوم الخامس رحل أحمد بن بويه إلى الأهواز وخلف بعسكر مكرم ثلاثة من القواد فأقام أبو عبد الله معه خمسة وثلاثين يوماً ثم هرب منه فى الماء إلى الباسيان وأقام بها وكاتبه بعتب كثير وتصرف [572] فى ضروب من القول إقامة لحجة نفسه فيما استعمله ولم يكره المقام عنده لضيق المال فإنه كان سلم إلى أبى على العارض ضمانات وخطوطاً فصيحاً^(١) فى شهرين بخمسة آلاف ألف درهم وصح منها إلى يوم هربه صدر كثير.

ذكر السبب فى هرب البريدى

كان طوالب بإحضار عسكره من البصرة على أن ينفذهم إلى إصبهان لمضامة الأمير أبى على الحسن بن بويه على حرب وشمكير فوافى بأربعة

١. فصيح: كذا فى الأصل. وفى مط: يصح.

آلاف رجل وقال للأمير أبي الحسن أحمد بن بويه :
 - «إن أقاموا بالأهواز وقعت فتنة عظيمة بينهم وبين الديلم. والرأى أن
 يخرجوا إلى السوس مع محمد المعروف بالجمال، حاجبي وأسبب بمالهم
 عليها وعلى جنديسابور حتى يقبضوا وينفذوا على طريق البنيان^(١) إلى
 إصبهان.»

فأجابه إلى ذلك ثم طالبه أن يحضر رجال الماء إلى حصن مهدي حتى
 يشاهداهم فإذا عاينهم سيرهم في الماء إلى واسط وسار أحمد بن بويه
 بالديلم على طريق السوس إليها فاستوحش البريدي من ذلك استيحاشاً
 شديداً وظن أنه إنما يريد أن يفرق بينه وبين عسكره وقال :

- «هكذا عملت بياقوت فإني أخذت رجاله ثم أهلكته. فلو لم أتعلم إلا
 من نفسي لكفاني استبصارى والله المستعان.» [573]

وكان الديلم أيضاً يستخفون به ويشتمونه إذا ركب ويزعجونه من فراشه
 وهو محموم وتلقى منهم ما لم تجر عاداته بمثله. وكانت الكرامة متوقرة عليه
 من الأمير أبي الحسين ومن أبي علي العارض. فأما الباكون فكانوا يهينونه
 إهانة عظيمة.

ولما أراد الهرب قدم كتابه في صبيحة الليلة التي خرج فيها وعرف أبا
 جعفر الجمال غلامه ما عزم عليه وأمره أن يسير إلى الباسيان ومنها إلى نهر
 تيرى ثم إلى الباذورد والبصرة وتم ذلك على ما نظمه، وحصل جيشه
 بالبصرة موفورين. واتصلت المراسلات بينه وبين أحمد بن بويه في الإفراج
 عن قسبة الأهواز حتى يردّها ويقوم بما عقده للأمير علي بن بويه على
 نفسه من ضمان الأهواز والبصرة وهي ثمانية عشر ألف ألف درهم لسنة

١. البنيان: ما في الأصل مهمل تماماً. والمثبت من مط ومد.

خراجية وإشفاق الأمير أحمد بن بويه من إنكار أخيه عليّ بن بويه هرب البريدى استجاب إلى حكمه.

وانتقل إلى عسكر مكرم وأقام بها في ظاهر داراباذ^(١) وكتب إلى البريدى كتاباً أنه قد أخلّى الأهواز. فانتقل البريدى من الباسيان إلى بناتأذر وأنفذ إلى سوق الأهواز من يخلفه بها. وكتب إلى الأمير أن نفسه لا تسكن إلى أن تقيم في بلد على ثمانية فراسخ منه. لأنه لا يأمن [574] كبسه ليلاً وسامه أن ينتقل إلى السوس فتبعد الدار بينهما. فترسل في ذلك القاضي أبو القاسم التنوخي وأبو عليّ العارض واستقرت الحال على أن يحمل البريدى ثلاثين ألف دينار إليه لينهضه. فردّ غلامى هذين الرسولين مع غلام له بأربعة عشر ألف دينار وكتب بأنه يوفيه تمة الثلاثين الألف الدينار بالسوس فاجتمع دلائن وكان كاتب جيش الأمير أحمد بن بويه وأبو جعفر الصيمرى وكان تابعاً لدلائن وأبو الحسن المافزوخي وكان يتولّى عسكر مكرم للأمير ويجزف ويأخذ المال من حيث لاح له، فقالوا للأمير أبى الحسين :

- «قد سلك معك البريدى طرقه مع ياقوت وأخذ يبعدك إلى السوس ويضايقك حتى يفلّ الرجال عنك ثم يأخذ المعابر إلى نفسه - وبين الأهواز وبين عسكر مكرم وتستر وبين السوس دجلة - ويحتال في تحصيلك إن استوى له.»

فاقشعر الأمير أبو الحسين من ذلك وامتنع أن يخرج من عسكر مكرم وقال :

- «هى على سمت الطريق إلى فارس ولست أبعد عن الأمير الكبير هذا البعد حتى يقطع بينى وبينه دجلة أولاً ثم المشرقان.»

١. داراباذ: كذا في الأصل ومط. إلا أن الأخير مهمل في مط. وفي مد: داراباز.

وعرف البريدى ذلك فمنع العارض والتنوخى من الرجوع [575] واستحكمت الوحشة.

واتصل ذلك بهجكم فأنفذ قائداً من قواده يُقال له : بالبا، فى ألفى رجل من الأكراد والأعراب والحشر والاثبات والمولدين إلى السوس وجنديسابور للغلبة عليها وكاتباً يُعرف بالقيّاضى وأقام البريدى بيناتاً ذُر غالباً على أسافل الأهواز وتغلب المخلديّة على تستر وبقي الأمير أحمد بن بويه لا يملك من كور الأهواز إلاّ عسكر مكرم قصبها دون ما سواها فإنّ أبا محمّد المهلبى - وكان فى هذا الوقت وكيل أبى زكريّا السوسى - قطع المعابر وغلب على الحميديّة والمسكول^(١) وقتل عاملاً كان هناك بيد الأعراب والرجالة الذين أثبتهم. فكانت الصورة فيما دهم أحمد بن بويه غليظة جداً واضطرب رجاله وفارقوه بأجمعهم وعملوا على الرجوع إلى فارس فعاضده اسفهدوست وموسى فياذة حتّى تلافوهم وردّوهم وضمنوا لهم أن يُرضوهم بعد شهر.

وكتب أحمد ابن بويه إلى أخيه بالصورة فأنفذ قائداً من قواده كان ساربان حماله^(٢) عظيم المحلّ من أهل البأس والنجدة ثقة عنده يُعرف ببُلّ فى ثلاثمائة رجل من الديلم ومعه خمسمائة ألف [درهم] ووافى معه كوردفير لأنّ الأمير أبا الحسين استدعاه لأنّه كان وزيره بكرمان [576] فلما حصل عنده كوردفير استكتبه للوقت وخلع عليه وأبو علىّ العارض معتقل بيناتاذر فى يد البريدى واتّهمه بمطابقة البريدى على جميع ما عمله أولاً وآخرأً وكان الأمير مبغضاً له وإنّما ضمّه إليه أخوه الأمير علىّ بن بويه لأنّه كان شاهده وزيراً لما كان الديلمى وكان كبيراً فى نفسه وكان بهجكم مملوكاً له فطلبه منه ماكان فأهداه إليه.

١. فى مط : الحمديّة والشكوك.

٢. حماله : كذا فى الأصل ومط ومد (باهمال الأول).

وتقرر الرأي أن يُنفذ بُلّ إلى السوس في خمسمائة رجل ومعه أبو جعفر الصيمري عاملاً عليها وينفذ موسى فياذاً إلى بناتأذر في ثلاثمائة رجل. فهرب بالبلا لَمّا سمع خبر بُلّ وهرب البريدى إلى البصرة وسار موسى فياذاً إلى حصن مهدي فملكها وكانت من أعمال البصرة وصارت الأسافل وراءه ودخل الأمير سوق الأهواز فنزل دار أبي عبد الله البريدى وانتظمت له الأمور وحصل البريدى بالبصرة واستقامت لهم واستقرّ بجكم بواسط ينازع الملك ببغداد وجمع ابن رائق أطرافه وأقام بها.

ولمّا رأى الوزير أبو الفتح اضطراب الأمور بالحضرة وما تؤذن به أحوالها أطمع ابن رائق في أن يحمل إليه الأموال من مصر والشام ويُمَدّه بها [577] وعرفه أن ذلك لا يتم له مع بعده عنها وواقفه على الشخصوس وعقد بينه وبينه صهرًا بأن زوج ابنه أبا القاسم بابنة ابن رائق وعقد بين ابن رائق وابن طُفج صهرًا وخرج مبادراً إلى الشام على طريق الفرات.

وقلّد أبو بكر ابن رائق عليّ بن خلف بن طناب أعمال الخراج والضياح بكور الأهواز وواقفه^(١) على النفوذ إلى عمله وأن يبتدئ بأبي الحسين بجكم ويلطف له حتّى ينفذ معه لمحاربة الأمير أبي الحسين أحمد بن بويه ودفعه عن الأهواز وأن يواقفه^(٢) على أن يكون عدّته خمسة آلاف رجل على أن يكون ماله ومال رجاله - إن أقام بواسط ولم ينفذ إلى الأهواز - ثمانمائة ألف دينار في السنة يأخذها من مال واسط وإن نفذ إلى الأهواز وفتحها، ألف ألف وثلاثمائة ألف دينار في السنة يأخذها من مال الأهواز.

ولمّا وصل عليّ بن خلف إلى واسط ولقى بجكم، رأى بجكم أن يستكتبه ورأى عليّ بن خلف أن يكتب له. فخلع عليه وأقام عنده بواسط وأخذ جميع

١. كذا في الأصل ومد: وواقفه. في مط: واقفه.

٢. في مط: أن يواقفه.

مالها. وسفر أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد في الصلح بين ابن رائق وبنى البريدي فتم ذلك وأخذ ابن رائق خط الرازي بالله للبريديين بالرضا عنهم [578] وقطعت لهم الخلعة على أن يقيموا الدعوة لابن رائق بالبصرة ويجتهدوا في فتح الأهواز وضمنوا حمل ثلاثين ألف دينار وأطلقت ضياعهم وكتب عن الرازي في هذا المعنى كتاب.

وورد الخبر بمسير جيش البريدي إلى واسط. فخرج إليه بجكم وأوقع بناحية الدرمان^(١) به وهزمه فجلس ابن رائق ببغداد في داره للتهنئة بذلك وأقام بجكم بموضعه مدة ثم بالمدار مدة ثم عاد إلى واسط.

وكانت نية بجكم إذلال البريديين وقطعهم عن ابن رائق ونفسه متعلقة بالحضرة فأنفذ ثاني يوم الهزيمة علي بن يعقوب كاتب الترجمان المتولي للعرض عليه إلى البريدي يعتذر إليه مما جرى ويقول:

- «أنت بدأت بمراسلة ابن رائق وتعرضت لي وهذه كرتك الثانية فإنك حملت الديلم إلى الأهواز وأعقبت ذلك بمراسلة ابن رائق وبذلت له مضافته علي وقد عفوت وأنا أعاهدك وأعاهدهك على أن أقلدك واسطاً إذا ملكت الحضرة.»

وجرى في أثناء ذلك قول في المصاهرة. قال علي بن يعقوب:

- «فرأيت أبا عبد الله البريدي وقد سجد شكراً لله تعالى لبجكم على ما

ابتدأه به ثم استجاب لكل ما أراده منه ولما سمته إياه.» [579]

وأحضر القاضيين أبا القاسم التنوخي وأبا القاسم ابن عبد الواحد وحلف بحضرتيهما وأشهد على نفسه في خط كتبه بالوفاء بجميع ما عقدته معه وبرني بثلاثة آلاف دينار وقال لي:

١. الدرمان: كذا في الأصل. وفي مط: الدرمان، ولعله «الرومان».

- «سأحمل إليه وألاطفه حتّى يعلم أنّى أصلح لخدمته.»

وعدت إلى بجكم وخبرته بما جرى فقال لى :

- «يا أبا القاسم كلوتته على رأسه.»

فقلت : «أيها الأمير ما معنى هذا وكيف سألتنى عنها؟»

فقال لى :

- «إنى كنت رأيته فعرّفتنى.»

قلت : «نعم قد رأيته.»

فقال : «يا أبا القاسم هى على رأس شيطان لا على رأس بشر.»

فقلت : «أيها الأمير أنت ما رأيته فكيف قلت هذا؟»

قال : «بلى رأيته يوم وقعنا بأرجان وقد تعمّ على كلوته وعزمت على أن أفوّت^(١) إليه سهماً ففطن لما أردته وإنما لمح طرفى من بعيد فنزع العمامة والكلوة وجعلها على رأس غيره وتنحّى هو وأقامه مقامه.»

فقلت : «ذلك المسكين بلا ذنب وأفلت هو لعنه الله فإنّه كاذب فى جميع ما قاله وحلف عليه ولكن نقبل ذلك منه لحاجتنا إلى قبوله.»

وانصرف بجكم إلى واسط وأخذ فى التدبير على ابن رائق.

وفى هذه السنة قُطعت يد أبى علىّ ابن مقلّة ثمّ لسانه

ذكر السبب فى ذلك [580]

كان ابن رائق لما صار إليه تدبير المملكة قبض ضياع أبى علىّ ابن مقلّة وابنه. فلمّا صار إلى الحضرة لقيه أبو علىّ ابن مقلّة ولقى أبا عبد الله الحسين ابن علىّ النوبختى ثمّ بعده أبا عبد الله الكوفى وأبا بكر ابن مقاتل فاستحيوا

منه وتذلل للجماعة وسأل ردّ الضيعة المقبوضة عليه فوعده بذلك ومطل مطلاً متصلاً. فلما رأى أبو عليّ المطل متصلاً وللوفاء لا يصحّ، أخذ فى السعى على ابن رائق من كلّ جهة. فكتب إلى بجكم يطعمه فى الحضرة وفى موضع ابن رائق وكتب بمثل ذلك إلى وشمكير بالرّى وكتب إلى الراضى بالله يشير عليه بالقبض على ابن رائق وأسبابه ويضمن أنّه متى فعل ذلك استخرج له ثلاثة آلاف ألف دينار ويصحّحها وأشار باستدعاء بجكم ونصبه مكان ابن رائق فإنّه أكثر طاعة وكانت مكاتبتة للراضى على يد عليّ بن هارون ابن المنجّم النديم فأطعمه الراضى فى ذلك فكتب ابن مقلّة إلى بجكم يعرفه أنّ الراضى قد استجاب إلى أمره وأنّ الأمر تامّ ويستحثّه على التعجّل.

فلما توثّق ابن مقلّة عند نفسه من الراضى واقفه على أن ينحدر إليه سرّاً ويقيم عنده إلى أن يتمّ التدبير على ابن رائق.

فركب من داره فى سوق العطش فى [581] سميريّة وعليه طيلسان وخفّ وصار إلى الأزج بباب البستان وركب السميريّة ليلة الإثنين لليلة تبقى من شهر رمضان وإنّما تعمّد تلك الليلة لأنّ القمر تحت الشعاع وهو يختار للأمور المستورة.

فلما وصل إلى دار السلطان لم يوصله الراضى إليه واعتقله فى حجرة ووجّه من غدّ بائناً سنجلا إلى ابن رائق وأخبره بما جرى وأنّه احتال على ابن مقلّة حتّى حصله عنده وما زال المراسلات تتردّد بين الراضى وبين أبى بكر ابن رائق.

فلما كان يوم الخميس لأربع عشرة خلت من شوال أظهر الراضى بالله أمر ابن مقلّة وأخرجه وحضر فاتك حاجب ابن رائق وجماعة من القوّاد فقُطعت يده اليمنى ورُدّ إلى محبسه وانصرف فاتك إلى ابن رائق فأخبره بما شاهد من قطع يد ابن مقلّة.

قال ثابت: فلما كان في آخر هذا اليوم استدعاني الراضى وأمرني بالدخول إليه وعلاجه. فصرت إليه فوجدته في حجرة مقفلة عليه ففتح الخادم الباب فدخلت فرأيت به حال صعبة فدمعت عينه حين رأيته ووجدت ساعده قد ورم ورماً عظيماً وعلى موضع القطع خرقه غليظة كردوانى كحلية^(١) مشدودة بخيط قنب. فحللت [582] الشد ونحيت الخرقه فوجدت تحتها على موضع القطع سرجين الدواب فنفضته عنه وإذا رأس الساعد أسفل القطع مشدود بخيط قنب قد غاص في ذراعه لشدة الورم وابتدأ ساعده يسود. فعرفته أن سبيل الخيط أن يحل ويجعل موضع السرجين كافور ويطلّي ذراعه بالصندل وماء الورد^(٢) والكافور قال:

- «فافعل».

فقال الخادم الذي دخل معه:

- «حتى استأذن مولانا».

ومضى يستأذن ثم خرج ومعه مخزنة كافور وقال لى:

- «قد أذن مولانا أن تعمل ما ترى وأن ترفق به وتقدم العناية به وتلزمه

إلى أن يهب الله عافيته».

فحللت الخيط وفرغت المخزنة في موضع القطع وطلّيت ساعده فعاش واستراح وسكن الضربان ولم أفارقه حتى اغتدى بشيء يسير من فروج ثم حلف أنه ليس يسوغ له شيء آخر وشرب ماءً بارداً فرجعت إليه نفسه وانصرفت.

ثم ترددت إليه أياماً كثيرة إلى أن عوفي. وكنت إذا دخلت إليه يسألني عن خبر ابنه أبي الحسين فأعزّفه استتاره وسلامته فتطّيب نفسه ثم ينوح

١. كحلية: كذا في الأصل ومد. وفي مط. كحيلة.

٢. وفي مط: الماورد.

ويبكي على يده ويقول :

- «قد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة من الخلفاء وكتبت بها القرآن [583] دفعتين تُقطع كما تُقطع أيدي اللصوص أتذكر وأنت تقول لى : أنت فى آخر نكبة وإنّ الفرج قريب؟»

فقلت : «بلى والآن ينبغى أن تتوقع الفرج فإنه قد عمل بك ما لم يُعمل بنظير لك. وهذا انتهاء المكروه وما بعد الإتهاء إلاّ الإنحطاط.»

فقال : «لا تفعل، فإنّ المحنة قد يتشبّهت بى كما تشبّهت^(١) حتى الدقّ بالأعضاء فلا تفارقنى حتى تؤدّينى إلى الموت.»
ثمّ تمثّل بهذا البيت :

- «إذا ما ماتَ بعضُك فأبكِ بعضاً فبعضُ الشئ من بعض قريب»

فكان الأمر على ما قال.

ومن عجائبه أنّه كان يرأس الراضى من الحبس بعد قطع يده ويطمعه فى المال ويشير بأن يستوزره ويقول :

- «إنّ قطع يده ليس ممّا يمنع من استيزاره لأنّه يمكنه أن يحتال ويكتب.»

وكانت تخرج له رقاع بعد قطع يده وقبل التضييق عليه. فيقال : إنّ كان يشدّ القلم على ساعده الأيمن ويكتب به.

ولمّا قرب بجكم من بغداد نُقل من ذلك الموضع إلى موضع أغمض منه. فلم يُوقف له على خبر ومُنعت من الدخول إليه.

١. وفى مط : قد نشبت بى كما نشبت.

ثم قُطع لسانه وبقي مدة طويلة في الحبس. ثم لحقه [584] ذرب ولم يكن له من يعالجه ولا من يخدمه حتى بلغنى أنه كان يستسقى الماء لنفسه من البئر بيده اليسرى وفمه. ولحقه شقاء شديد إلى أن مات ودُفن في دار السلطان ثم سأل بعد مدة أهله فنُبش وسُلم إليهم.

وفي هذه السنة دخل بجكم العراق أعنى بغداد ولقى الخليفة
وقلده أمرة الأمراء مكان محمد ابن رائق
ذكر الخبر عن ذلك

ابتدأ بجكم بالمسير من واسط إلى الحضرة مراغماً لابن رائق فأزال اسمه
ومحى أعلامه وتراسه وترك الإلتساب إليه وذاك أنه كان يكتب عليها:
- «بجكم الرائق».

وأخذ ابن رائق يستعد للقاءه وقتاله وعمل على أن يتحصن في دار
السلطان. ثم رأى أن يبرز إلى ديارى وفتح من النهروان إليه بثقاً ليكثر ماؤه
فلا يُخيض^(١) وقطع الجسر عليه ليصير خندقاً.

وطالب ابن رائق الراضى أن يكتب إلى بجكم كتاباً يأمره فيه بالرجوع إلى
واسط. فكتب وسُلم إلى ابن رائق فأنفذه مع ابن سرخاب إليه أحد خلفاء
الحجاب. فقرأه ولم يلتفت إليه. وسار إلى بغداد ووافى بجكم وجيشه إلى نهر
ديالى وعبر بعض أصحابه سباحة. فانهزم ابن رائق وصار إلى عكبرا وتقطع
أصحابه واستتر أبو عبد الله أحمد بن على الكوفى وأبو بكر بن مقاتل [585]
ودخل بجكم يوم الإثنين لاثنى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة.

ووصل إلى الراضى بالله فأكرمه ورفع منه وخلع عليه وسار بالخلع إلى

١. فلا يُخيض: كذا في الأصل ومد. وفي مط: فلا يخلص.

مضربه بديالى فأقام فيه يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء وأنفذ سرّية فى طلب ابن رائق وكاتب الجيش الذى معه عن الراضى بالتخلى عنه والوصول إلى حضرة السلطان فانفضّ الجيش عنه ورجع ابن رائق إلى بغداد سرّاً واستتر بها.

فلما كان يوم الخميس للنصف من ذى القعدة خلع الراضى على بجكم خلعة ثانية وانصرف إلى دار مونس بسوق الثلاثاء وهى التى كان ينزلها ابن رائق. فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من ذى القعدة خلع الراضى على بجكم خلعة ثالثة وعقد له لواء وجعله أمير الأمراء فكان مدة إمارة ابن رائق سنة واحدة وعشرة أشهر وكسر.

ولما كان يوم الجمعة لسبع بقين من ذى القعدة أنفذ الراضى إلى بجكم خلع منادمة وكنّاه وأنفذ إليه مع الخلع شراباً وطيباً وتحيات وتمّت له الرئاسة.

تمّت المجلّدة الخامسة من كتاب تجارب الأمم ويتلوها فى المجلّدة السادسة حكاية عن بجكم تدلّ على دهاء ونكر والحمد لله وصلى الله على محمّد النبى وآله الطيبين الطاهرين أجمعين.

فرغ من انتساخه محمّد بن على أبو طاهر البلخى فى المحرم سنة ست وخمسمائة^(١).

١. والتاريخ فى مد: ٦٠٥ بدل ٥٠٦ وهو خطأ. هذا وفى مصوّرتنا عبارات فراغ لكاتبين آخرين انمضى أكثر كلماتها وعدمت معناها فلم تثبتها. وهنا ملاحظة أخرى. وهى أنّ فى نشرة «مد» (= أيمدروز) ألحقت ثمان وعشرون صفحة من صفحات الجزء السادس من مخطوطة أيا صوفيا، بالجزء الخامس هذا.



مرکز تحقیقات کتاب ویر علوم اسلامی

فهرس العناوین

- ١ الحمد لله واهب العقل
- ١ ودخلت سنة أربع وثمانين ومائتين
- قدوم رسول عمرو بن الليث برأس ابن هرثمة
- ١ أمور قام بها المعتضد
- ٢ إخراج كتاب اللعن
- ٣ لحوق بكر بمحمد بن زيد العلوي بطبرستان
- ٣ وثوب أبي ليلى على شفيع الخادم وقتله
- ٤ ذكر الخبر عن ذلك
- ٦ ودخلت سنة خمس وثمانين ومائتين
- خروج صالح بن مذكّر على الحاج
- ٦ حمل رأس أبي ليلى إلى بغداد
- ٦ ورود الخبر بوفاة ابن عيسى
- ٧ هارون بن خُماروية يوجه رسلاً إلى المعتضد
- ٧ ودخلت سنة ست وثمانين ومائتين
- توجيه محمد بن أبي الساج ابنه إلى بغداد رهينة
- ٧ وصول المعتضد إلى آمد

- ٨ ورود كتب هارون بن خُمَارُويّة إلى المعتضد
- ٨ موافاة هديّة من عمرو بن الليث من نيسابور
- ٩ ظهور أبي سعيد الجنّابي بالبحرين
على مذهب القرامطة
- ٩ ودخلت سنة سبع وثمانين ومائتين
غلظة أمر القرامطة
- ٩ أسر عمرو بن الليث الصفّار
- ١٠ ذكر الخبر عن ذلك
- ١١ ورود الخبر بهروب وصيف
- ١١ خروج العباس بن عمرو الغنوي
- ١٦ ورود الخبر بقتل محمد بن زيد العلويّ
- ١٦ ذكر مقتله
- ١٧ ودخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين
ذكر حوادث حدثت فيها
- ١٧ ودخلت سنة تسع وثمانين ومائتين
انتشار القرامطة بسواد الكوفة
- ١٨ سياسة المعتضد في الشيخ
والمرأة المغصوبة والرجل الغاصب

٢٣ خلافة المكتفي بالله

٢٤ هلاك عمرو بن الليث الصفّار

ذكر الخبر عن هلاكه

٢٤ مقتل بدر غلام المعتضد

- ٢٤ ذكر السبب في ذلك
- ٢٩ ذكر خبر القرامطة ومبدأ أمرهم ومآله
- ٣١ ودخلت سنة تسعين ومائتين ..
- ٣٢ خبر الحسين أخى يحيى بن زُكرويه
- ٣٣ المكتفى والتأهب للشخوص إلى حرب القرمطى
- ٣٤ ودخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين ..
- ٣٤ ذكر مسيره وظفـره بالقـرمطى
- ٣٦ رجوع المكتفى إلى بغداد
- بالمـرمطى والمدثر والمطوق وعاقبة أمرهم
- ٣٩ ودخلت سنة اثنتين وتسعين ومائتين ..
- محمد بن سليمان يخرج لحرب هارون بن خمارويه
- ٤٠ ودخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين ..
- ٤٠ ذكر السبب في ذلك
- ٤١ ظهور أخ للحسين بن زُكرويه صاحب الشامة
- ٤٥ ودخلت سنة أربع وتسعين ومائتين ..
- زُكرويه وقصده قافلة الحجيج
- ٤٨ ورود خبر القافلة على السلطان
- ٤٩ ودخلت سنة خمس وتسعين ومائتين ..
- ٥٠ وفاة المكتفى
- ٥١ خلافة المقتدر بالله
- ٥١ وبويع جعفر بن المعتضد بالله

- ٥١ وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكنيته أبو الفضل
- (٥١ ذكر ما جرى في ذلك
- ٥٥ ودخلت سنة ست وتسعين ومائتين
- وفيهما كانت فتنة عبد الله بن المعتز
- ذكر الخبر عن ذلك
- ٥٨ وزارة أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات
- ٥٨ ذكر الخبر عن الظفر بعبد الله بن المعتز
- ٥٩ موت عبد الله بن المعتز وثبات أمر المقتدر
- ٥٩ قتل محمد بن داود
- ٦٠ ذكر ما عمله القنّاي في أمر
- محمد بن داود
- ٦٣ وفيها قبض على محمد بن عبدون
- وسوسن الحاجب وقتلا
- ذكر السبب في ذلك
- ٦٥ استقرار أمر المقتدر
- وتفويضه الأمور إلى أبي الحسن بن الفرات
- ٦٥ ذكر التدبير الصواب في ذلك
- ٦٦ ذكر ما جرى في أمر القاضي أبي عمر
- ٦٦ ذكر خيانة واتفاق سيئ اتفق فيه
- ٦٨ ودخلت سنة سبع وتسعين ومائتين
- ٦٨ ذكر عجلة واتفاق سيئ
- ٦٩ ذكر تدبير فاسد وما آل إليه
- ٧١ ودخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين

- ٧١ ذكر ما جرى على سُبُكْرِى من الأسر
- ٧٢ ودخلت سنة تسع وتسعين ومائتين
- القبض على الوزير ابن الفرات
- ٧٣ وزارة أبى على محمد بن عبيدالله
- بن يحيى بن خاقان
- ٧٣ استتار أصحاب ابن الفرات
- ٧٣ ذكر ما دبره ابن أبى البغل وانعكاسه عليه
- ٧٤ الخاقانى يناظر ابن الفرات
- ٧٥ ابن الفرات مشاوراً
- ٧٥ ذكر فساد تدبير الخاقانى لأمر الوزارة
- ٧٨ ودخلت سنة ثلاثمائة [89]
- يرتأى المقتدر فى إعادة ابن الفرات إلى الوزارة
- ٧٩ ودخلت سنة إحدى وثلاثمائة
- وزارة أبى الحسن على بن عيسى الوزارة
- ٨٢ مناظرة بين على بن عيسى وابن الفرات
- ٨٥ تزوير توقيعات الوزير المصروف
- ٨٦ القبض على الحسين بن منصور الحلّاج بالسوس
- ٨٦ حوادث أخرى
- ٨٧ قتل أبى سعيد الجنبابى
- ٨٨ على بن عيسى الوزير والقرامطة
- ٨٩ ودخلت سنة اثنتين وثلاثمائة
- ٩٠ ودخلت سنة ثلاث وثلاثمائة
- خروج الحسين بن حمدان عن طاعة السلطان

- ٩٠ وما كان من عاقبته
- ٩٣ ودخلت سنة أربع وثلاثمائة
- غلام وهسودان يقتل أحمد بن سياه
- ٩٣ زُبَرْبُ على السطوح
- وحيلة للسلطان
- ٩٤ الوزير يصلّى على جنازة
- شارٍ على أنها جنازة ابن الفرات
- ٩٥ صرف على بن عيسى عن الوزارة
- ٩٦ وزارة أبي الحسن على بن محمد
- ابن الفرات الثانية
- ٩٩ ذكر ما جرى من ابن أبي الساج عند
- تداول الوزارة الأيدي الكثيرة
- ١٠٠ ذكر ما دبره ابن أبي الساج
- واحتال به
- ١٠٤ ونعود إلى حديث ابن الفرات . [120]
- ١٠٥ ودخلت سنة خمس وثلاثمائة
- ورود رسولين لملك الروم بهدايا وأطاف كثيرة
- التماساً للهدنة
- ١٠٥ ودخلت سنة ست وثلاثمائة
- القبض على ابن الفرات وانتهاء وزارته الثانية
- ١٠٩ ذكر السبب في ذلك
- ١١٢ وزارة حامد بن العباس
- ١١٣ ذكر ما عامل به حامد بن العباس على

- ١١٣ بن محمد بن الفرات وأسبابه
- ١٢٣ وعدنا إلى خبر حامد في وزارته
- ١٢٤ ودخلت سنة سبع وثلاثمائة
- ١٢٨ ذكر ما اضطرب لأجله أمر حامد بن
العبّاس حتّى فُسخ ضمانه
- ١٣٠ فسخ الضمان عن حامد بن العبّاس
- ١٣١ ودخلت سنة ثمان وثلاثمائة
- ١٣١ ودخلت سنة تسع وثلاثمائة
- ١٣٢ ذكر خبر الحسين بن منصور الحلّاج
وما آل إليه أمره من القتل والمثلة
- ١٣٣ الحلّاج وبنت السّمريّ
- ١٣٥ الجدّ في طلب أصحاب الحلّاج
- ١٣٦ وصاياه للدّعاة إليه
- ١٣٦ كلام غريب من غلام حامد في الحلّاج
- ١٣٧ كيف حلّ دم الحلّاج
- ١٣٨ كتاب القوم وجواب المقتدر
- ١٣٩ تنفيذ أمر المقتدر في الحلّاج
- ١٤٠ ودخلت سنة عشر وثلاثمائة
- إطلاق يوسف بن أبي الساج والعقد له على أعمال
- ١٤٠ من بعض حوادث السنة
- ١٤١ وفيها قبض على أمّ موسى القهرمانه وعلى أختها وأخيها
ذكر السبب في ذلك
- ١٤٢ ذكر وفاة محمد بن جرير الطبري

- ١٤٢ ودخلت سنة إحدى عشرة وثلاثمائة
- ١٤٢ ذكر صرف حامد وعليّ بن عيسى
ورّد الوزارة إلى ابن الفرات
- ١٤٥ تضريب من ابن الفرات عند المقتدر
- ١٤٦ خرج المحبوس وزيراً
- ١٤٦ ابن الفرات يتحدّث في أيام وزارته الثانية
- ١٤٩ ذكر الخبر عن وزارة أبي الحسن
ابن الفرات الثالثة
- ١٥٢ ذكر الخبر عن قبض الوزير ابن الفرات
على حامد بن العباس
- ١٥٧ ذكر ما عومل به حامد وما عمله هو
- ١٦٤ ما جرى في أمر عليّ بن عيسى
وتسليمه إلى ابن الفرات
- ١٦٥ ذكر مناظرة ابن الفرات عليّ بن عيسى
- ١٧١ ونعود إلى تمام خبر عليّ بن عيسى مع ابن الفرات
- ١٧١ ابن الفرات يشفع لعليّ بن عيسى
- ١٧٤ إبعاد عليّ بن عيسى إلى مكّة ثم إلى صنعاء
- ١٧٤ ابن الفرات وأسباب عليّ بن عيسى
- ١٧٧ ذكر ما دبّره ابن الفرات في أمر
مونس حتّى أبعده
- ١٧٨ ما دبّره ابن الفرات بعد مونس
في أمر الحاشية
- ١٧٩ ودخلت سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة

- ١٨١ تفريق المال على طلاب الأدب
- ١٨٢ ذكر السبب في ضعف أمر ابن الفرات
بعد تنأهيه في القوة والإستقامة
- ١٨٥ دخول مونس بغداد
- ١٨٥ ما عامل به المحسن المنكوبين لما
اضطرب أمره وأمر أبيه
- ١٨٦ ذكر القبض على أبي الحسن ابن الفرات
وهرب ابنه المحسن [216]
- ١٩٠ تسليم ابن الفرات إلى شفيح اللؤلؤى
- ١٩٠ ذكر توصل أبي القاسم عبد الله بن محمد
بن عبيد الله الخاقاني إلى الوزارة
- ١٩١ ذكر ما جرى عليه أمر ابن الفرات وأسبابه
بعد تقلد أبي القاسم الخاقاني الوزارة
- ١٩٢ كلام لابن الفرات في وزارة الخاقاني
- ١٩٣ مناظرة ابن الفرات لاستخراج ماله
- ١٩٥ ذكر اتفاق سبي اتفاق على المحسن
حتى ظفر به وصوره وقتل
- ١٩٧ الخاقاني يناظر ابن الفرات
- ٢٠٣ ذكر مقتل أبي الحسن ابن الفرات
وابنه المحسن
- ٢٠٦ حكم المنجم في ابن الفرات وابنه
- ٢٠٦ إطلاق القرمطي الحاج الأسرى عنده
- ٢٠٧ عدة حوادث

- ٢٠٧ قدوم سليمان وابن مقلّة
وعلى بن عيسى إلى بغداد
- ٢٠٩ ذكر الأسباب التي اتفقت على الخاقاني
حتى صُرف عن الوزارة
- ٢١٠ ذكر سبب وزارة أبي العباس الخصيبي
- ٢١٣ ذكر الخبر عن دخول القرمطي الكوفة
- ٢١٤ ودخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة [249]
- ٢١٤ ودخلت سنة أربع عشرة وثلاثمائة
- ٢١٥ ذكر تدبير سيئ دبّره الخصيبي أخرج به
أكثر المال من يده ولم يمكن تلافيه
- ٢١٧ ذكر الخبر عن القبض على الخصيبي
وتقليد على بن عيسى الوزارة
- ٢١٨ ذكر خلافة أبي القاسم الكلوزاني لعلي بن عيسى
وتمشيته للأمور
- ٢١٩ ودخلت سنة خمس عشرة وثلاثمائة
ذكر ما دبّره على بن عيسى في وزارته هذه
وما جرى في أيامه
- ٢٢١ شرح ما جرى بين الوزير أبي الحسن
علي بن عيسى وبين أبي العباس
أحمد بن عبيد الله من المناظرة
- ٢٢٧ ذكر ما دبّره على بن عيسى من الأمور
في وزارته هذه
- ٢٢٩ وعدنا إلى تمام حديث علي بن عيسى

- ٢٢٩ وما دبّره به المملكة
- ٢٣٠ حوادث أخرى
- ٢٣٠ وفيها ظهرت وحشة مونس المظفر
ذكر السبب في ذلك
- ٢٣٢ ظهور الديلم
- ٢٣٢ عاقبة عسف أسفار بن شيرويه
- ٢٣٤ مقتل مرداويج
- ٢٣٥ وفيها ارتفع ذكر أبي جعفر بن شيرزاد
وعنى به عليّ بن عيسى.
ذكر السبب في ذلك
- ٢٣٧ القبض على ابن أبي الساج
وتقليد الحسن بن هارون
- ٢٣٨ ذكر السبب في ذلك
- ٢٣٨ سعاية
- ٢٤٦ ذكر وقعة ابن أبي الساج مع القرمطي
وما استعمله من ترك الحزم
واستهانت بالعدوّ حتّى أسرى
وما اتفق عليه بعد الأسر حتّى قُتل
- ٢٥٦ ودخلت سنة ستّ عشرة وثلاثمائة
- ٢٥٨ ذكر الحال التي أدّت إلى صرف عليّ بن عيسى
وتقليد أبي عليّ ابن مقلّة
- ٢٦٠ ذكر القبض على عليّ بن عيسى
وتقليد ابن مقلّة

- ٢٦٢ وفى هذه السنة وقعت حرب
بين نازوك وهارون بن غريب الخال
ذكر السبب فى ذلك
- ٢٦٣ ظهور الوحشة بين مونس والمقتدر
- ٢٦٤ ودخلت سنة سبع عشرة وثلاثمائة
ذكر فتنة نازوك وأبى الهيجاء التى أدت إلى خلع
المقتدر وذكر قتلها ورجوع المقتدر بالله إلى الخلافة
- ٢٦٩ ذكر الخبر عن خلع المقتدر بالله
وتقليد القاهر بالله الخلافة
- ٢٦٩ وزارة على بن مقلة
- ٢٧٠ ذكر حزم استعمل وانتفع به
- ٢٧١ ذكر السبب فى ردّ المقتدر إلى الخلافة
- ٢٧٧ سكون الهيج ورجوع الخلافة إلى المقتدر
- ٢٧٩ ذكر الخبر عن إيقاع القرمطى بالحاج
وتخريبه مكة
- ٢٨٠ ودخلت سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة [330]
- ٢٨٠ ذكر السبب فى هلاكهم
- ٢٨١ وفيها قبض على الوزير أبى على ابن مقلة
ذكر السبب فى القبض عليه
- ٢٨٣ ذكر ما جرى فى أمر الوزارة بعد أبى على
وتقلد سليمان بن الحسن لها
- ٢٨٣ وفيها قبض على البريديين وصودروا
ذكر الخبر عن ذلك

- ٢٨٧ مناظرة أبي علي بن مقله
- ٢٨٨ ودخلت سنة تسع عشرة وثلاثمائة
- ٢٨٨ ذكر السبب في استيحاءش مونس وخروجه
- ٢٩٠ وفيها قبض على الوزير سليمان بن الحسن
ذكر السبب في ذلك
- ٢٩١ استحضر الكلوذاني لتقليده الوزارة
- ٢٩٢ مرداويج يملك الجبل بأسره
- ٢٩٢ قصد لشكري الديلمي إصبهان
- ٢٩٣ ذكر اتفاق حسن لأحمد بن كيغلف
بعد هزيمته ودخول أصحاب لشكري إصبهان
- ٢٩٤ ذكر السبب في تقلد الحسين بن القاسم
الوزارة وما تم له من الحيلة فيها
- ٢٩٩ وزارة الحسين بن القاسم
- ٣٠١ ذكر السبب في ذلك
- ٣٠٧ وأبتدأ أمر الحسين الوزير بالاضطراب [364]
ذكر السبب في ذلك
- ٣٠٩ وزارة أبي الفتح الفضل بن جعفر
- ٣١٠ مناظرة عن مرداويج
- ٣١٠ المقتدر يهّم بتقليد ابن مقله الوزارة
- ٣١١ موت أبي عمر القاضي
- ٣١٣ استشارة في الأمر الواضح وعاقبة المستشار
- ٣١٥ ودخلت سنة عشرين وثلاثمائة
وفيها انحدر مونس من الموصل إلى بغداد وقتل المقتدر بالله

- ٣١٥ ذكر السبب في ذلك
- ٣١٧ خروج مونس وقصده بغداد
- ٣٢١ بربريُّ من أصحاب مونس يقتل المقتدر
- ٣٢٢ تبذير المقتدر
- ٣٢٧ خلافة القاهر بالله
- ٣٢٧ أبي منصور محمّد بن المعتضد سنة عشرين وثلاثمائة
- ٣٢٩ تشاغل القاهر بالبحث عمّن استتر
- ٣٣١ وزارة ابن مقلّة
- ٣٣٢ ودخلت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة [392]
- ٣٣٨ بين ابن مقلّة وأبي الخطّاب
- ٣٤٢ ذكر ما جرى في أمر الذين هربوا من قوّاد المقتدر وما آل أمرهم إليه
- ٣٤٨ استيحاش مونس ويليق وابنه وابن مقلّة من القاهر
- ٣٤٨ ذكر السبب في ذلك
- ٣٤٩ تدبير ابن مقلّة وخيلة القاهر
- ٣٤٩ ذكر انعكاس هذا التدبير
- ٣٥٤ وزارة أبي جعفر محمّد بن القاسم
- ٣٥٧ ذكر مقتل مونس ويليق وعلّيّ ابنه
- ٣٥٨ القاهر يأمر بتحريم القيان والخمر
- ٣٥٩ ذكر السبب في تقليد أبي العبّاس الخصيبى الوزارة

- ٣٦١ إحضار للوزارة أو للحبس
- ٣٦٢ وزارة الخصيبى
- ٣٦٥ ظهور على بن بويه
- ٣٦٥ ذكر السبب فى ظهور على بن بويه
والإتفاقات التى اتفقت له حتى ملك ما ملك
- ٣٦٧ ذكر سبب تم به لعلى بن بويه ولايته
وصرف الباكون بأجمعهم قبل وصولهم إلى أعمالهم
- ٣٧٠ ذكر حيلة مرداويج التى لم تتم له
- ٣٧٢ ودخلت سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة
- ٣٧٢ ذكر اتفاق جيد اتفق لعلى بن بويه
وردىء جداً على ياقوت
مع تدبير سئى وتسرع من ياقوت غير صواب
- ٣٧٣ ذكر تدبير دبره ياقوت فى حال الهزيمة فلم ينفذ له
واحترز منها على بن بويه فظفر
- ٣٧٤ ورود خبر دخول أصحاب مرداويج إصبهان
- ٣٧٤ حرق مراكب القرامطة
- ٣٧٥ وفيها قتل القاهر إسحاق بن إسماعيل
وأبا السرايا نصر ابن حمدان
ذكر السبب فى ذلك
- ٣٧٦ وفيها استوحش الحجرية والساجية من القاهر
فدبروا عليه وتم لهم القبض عليه. [448]
ذكر السبب فى القبض على القاهر

- ٣٨١ خلافة الراضى بالله
- ٣٨١ أبى العباس محمد بن المقتدر
- فى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة
- ٣٨٦ ذكر ابتداء أمر أبى الحسن
- على بن بويه الديلمى
- ٣٨٩ اتفاقات عجيبة مساعدة
- لعلى بن بويه بعد دخوله شيراز
- وانفتاح وجوه الذخائر والودائع له
- ٣٩٤ وقتل أبو الحسن على بن بويه أبا سعد إسرائيل كاتبه
- ذكر السبب فى ذلك
- ٣٩٧ عود إلى ذكر الأحوال الجارية بمدينة السلام
- ٣٩٧ وفى هذه السنة قتل هارون بن غريب الخال
- ذكر السبب فى قتله
- ٤٠٠ تراحف العسكرين
- ٤٠١ ودخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة
- تقليد الراضى أبىه المشرق والمغرب
- ٤٠١ قتل مرداويج فى الحمام بإصيهان
- ٤٠١ ذكر السبب فى قتل مرداويج
- وذكر ليلة الوقود المعروفة بالسّدق
- ٤٠٧ هروب ركن الدولة
- ٤٠٧ اتفاق عجيب اتفق له فى هربه
- ٤٠٧ افتراق الأتراك فرقتين

- ٤٠٨ ما كان من أمر أصحاب مرداويج
- ٤٠٩ نوايا مرداويج
- ٤١٠ وفيها قبض على المظفر ومحمد ابني ياقوت
بتدبير أبي علي بن مقله
ذكر السبب في ذلك
- ٤١٢ وفيها قوى أمر أبي عبد الله البريدي واستفحل أمره
ذكر أسباب ذلك
- ٤١٣ خروج توقيع من الراضي بالله
- ٤١٥ شغب الجند
- ٤١٦ خروج ابن مقله إلى الموصل
- ٤١٦ ذكر السبب في ذلك
- ٤٢٢ اعتراض أبي طاهر القرمطي للحاج
- ٤٢٢ انقضاء الكواكب
- ٤٢٣ استيمان غلمان مرداويج
- ٤٢٤ ودخلت سنة أربع وعشرين وثلاثمائة
عدة حوادث
- ٤٢٥ ذكر هذه الحيلة على أبي علي ابن مقله
- ٤٢٨ وزارة عبد الرحمن بن عيسى
- ٤٢٩ ذكر وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخي
- ٤٢٩ ذكر مقتل ياقوت
- ٤٣١ ذكر الخديعة التي نفذت على ياقوت
- ٤٤٠ طغيان البريدي بعد مقتل ياقوت
- ٤٤٢ عود إلى ذكر أخبار الحضرة

- ٤٤٢ وتدير الوزراء لها
- ٤٤٢ وزارة سليمان بن يحيى
- ٤٤٣ ذكر استيلاء ابن رائق على الخلافة
وسائر الممالك
- ٤٤٤ إفضاء أمر أحمد بن بويه إلى ملك العراق
- ٤٤٤ ذكر السبب في ذلك
- ٤٤٦ ذكر ما كان من عاقبة هذا الغدر والنكث
- ٤٤٨ ذكر ما اتفق له من الخروج إلى
بلدان العراق حتى ملكها
- ٤٤٩ ودخلت سنة خمس وعشرين وثلاثمائة
- ٤٥٢ ذكر حيلة أبي بكر ابن مقاتل على
الحسين بن عليّ النوبختي حتى
عزله عن كتابة ابن رائق
- ٤٥٦ ذكر الخبر عما احتالوا به واتفق أيضاً لهم
- ٤٥٩ انقسام الدولة العباسية إلى دويلات
- ٤٦٠ وفي هذه السنة انكشفت الوحشة
بين محمد بن رائق وبين البريديين
ذكر السبب في ذلك
- ٤٦٠ ذكر السبب في ذلك
- ٤٦٧ ذكر اتفاق سيّئ اتفق على ابن رائق
حتى انهزم إلى الأهواز وأحرق سواده
- ٤٦٧ ذكر حكاية عن بجكم تدلّ على حصافة
وبعد غور وكبر همة

- ٤٧١ شرح حال أبی الحسین أحمد بن بویه وأبی عبد الله البریدی
 فی قصدهم الأهواز لمحاربة بجمکم
 وذلك فی سنة ستّ وعشرين وثلاثمائة
 ودخلت سنة ستّ وعشرين وثلاثمائة
- ٤٧٤ ذکر السبب فی هرب البریدی
- ٤٨٠ وفي هذه السنة قُطعت يد أبی علی ابن مقلّة ثمّ لسانه
 ذکر السبب فی ذلك [580]
- ٤٨٤ وفي هذه السنة دخل بجمکم العراق أعنى بغداد ولقی الخليفة
 وقلّده أمة الأمراء مکان محمّد ابن رائق
 ذکر الخبر عن ذلك



مرکز تحقیق کتاب ویر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

MISKAWAYH

(932-1030)

TAJĀRIB AL-UMAM

(Experiences of Nations)

EDITED, ANNOTATED & INTRODUCED

by

A. Emāmi, Ph.D.

vol.5

Soroush Press
Tehran 1998



بها: شميز ۱۶۰۰۰ ریال
کالینگور ۱۹۵۰۰ ریال

شابک: ۹۶۴-۴۳۵-۳۲۸-۵

شابک: ۹۶۴-۴۳۵-۳۲۱-۵ (دوره ۷ جلدی) ISBN: 964-435-331-5 (7Vol SET)

